حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة

تأليف
سيد سعيد عبد الغني

تقديم

فضيلة الشيخ
عبد الله العبد الرحمن البسام
عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية
ورئيس محكمة التمييز
بمكة المكرمة

فضيلة الشيخ
عبد الله سليمان بن منيع
عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية
والقاضي بمحكمة التمييز
بمكة المكرمة

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد بن مسفر القحطاني
الداعية بالديار السعودية

الطّبعَة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار ابن حزم للطّباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ / عبدالله بن منيع

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسول الله الأمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد فإن الولاء والبراء من قواعد ديننا الإسلامي ومن أصوله الثابتة قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)

فولاء المسلم لإخوانه المسلمين مقصد شرعي مستمد من قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) ومن قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ومن قوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)

وفي التاريخ الإسلامي صور مشرقة من تحقيق الولاء بين المسلمين فقد كان العداء مستحكما بين الأوس والخزرج فجاء الإسلام فآخى بينهم قال تعالى في معرض امتنانه على عباده بالأخوة والمحبة واجتماع الكلمة على الهدى والصلاح والالتزام بصراط الله المستقيم (واذكروا....

إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.)
وكان بين المهاجرين والأنصار من الإخوة الصادقة والمحبة لله ما لم
من معاني الإيمان بالله ما يعتبر أعلى مثل في تحقيق معنى الولاء
فلما آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار تنازل الأنصار
عن بعض ممتلكاتهم المتفاوتة لإخوانهم المهاجرين بل كان منهم
أبلغ من ذلك فقد تنازل من كان عنده من الأنصار أكثر من زوجة
عن زوجة فطلقها ليتزوجها أخوه المهاجر.
وقد كان من هذه الصور المشرقة أن أسر المسلمون في غزوة بدر مجموعة
من كفار قريش وقد أسر أحد الأنصار شخصاً من مشركي قريش
فمر بالأنصاري وهو أسيره وقد كان هذا المهاجر أخاً من النسب
لهذا المشرك فقال للأنصاري أمسك على أسيرك فإن أمه
ذات غنى فستطيعك مطلبك من الفداء.
وقد أراد أبو بكر رضي الله عنه مبارزة ابنه وكان ابنه مشركاً
ووقف عبد الله بن عبد الله بن سلول أمام أبيه ومنعه من دخول المدينة
حتى يقر ويقر أنه الأذل وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

وقصة الشهداء الثلاثة في وقعة مؤتة حينما أصيبوا بجروح مميتة
فمر بهم أحد أصحابهم فأعطاه الماء فسمع أخاه يئن فأشار إليه
بأن يعطيه الماء إيثاراً منه فلما أعطاه الماء سمع أخاه الثالث يئن فأشار
إليه أن يذهب بالماء إلى الثالث فجاءه فإذا هو قد مات ثم رجع
إلى الثاني فإذا هو قد مات ثم رجع إلى الأول فإذا هو قد مات
هذه حقائق تاريخية تعطي أروع الأمثال لتحقيق الموالاة في أثر
في صدر الإسلام العظيم حيث يقول (إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته إخوانا)

أما البراء فهو براءة المسلم من الكفر والكافرين ومن الشرك والمشركين والضلال
والضالين قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وقال تعالى
(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقال تعالى
(إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ~~أن تولوهم~~ وظاهروا
على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).

فيجب على المسلم أن يستشعر مقتضيات الإيمان بالله وبرسوله وباليوم
الآخر وأن يجعل حبه لله وبغضه لأجل الله وولاءه لأولياء الله وأحبابه
وعباده الصالحين وأن يجعل براءته لأعداء الله ورسوله من الكفار والمشركين
واليهود والنصارى وأعداء الدين.

لقد استمتعت حقاً بقراءة كتاب «الولاء والبراء في معتقد أهل السنة
والجماعة» لفضيلة الشيخ/ أسعد سعيد عبد الغني فوجدت الكتاب نابعاً
من إيمان صادق يدرك معنى الولاء والبراء لله تعالى ولكتابه الكريم
ولرسله الأصفياء المرسلين ولأحكام دينه القويم واستشهد
على ما يقوله بنصوص صريحة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول محمد صلى الله
عليه وسلم ومن أقوال أهل العلم وأئمتهم من سلفنا الصالح لا سيما من أهل
القرون الثلاثة المفضلة فجزى الله المؤلف خير الجزاء وجعل ذلك
في موازين حسناته ~~[illegible]~~ وامتداداً لعمله الصالح فلقد ثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا
من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».
فأرجو أن يكون هذا المؤلف علماً ينتفع به مؤلفه وأن يجعل
هذا أجراً على تقديره فضيلة الشيخ/ أسعد سعيد عبد الغني
وأن يبارك فيه وفي أعماله وأوقاته والله المستعان وصلى الله
على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين

وكتبه: عبد الله بن سليمان المنيع
عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله العبد الرحمن البسام

التاريخ ٢٧/ ٦ / ١٤١٨هـ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله

أما بعد : فقد طلب مني الأستاذ الفاضل الشيخ : سيد سعيد عبد الغني تقديم كتابه (حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة) وتقديم الكتاب والحديث عنه وبيان قيمته للقراء يحتاج إلى قراءة مستوعبة للكتاب وتأمل لمواضيعه وهذا يتطلب مني وقتاً طويلاً لا يتيسر لي , ولذا فإني تصفحت الكتاب ورأيت ترتيب أبوابه وفصوله وتنسيق بحوثه فرأيت في ذلك عملا جيدا وجهدا كبيرا يشكر الأستاذ عليه .

أما موضوع الكتاب وهو (الولاء والبراء عند أهل السنة) فهو موضوع هام جداً وبه يتميز المسلم من الكافر والمؤمن من المنافق والمداهن من المخلص والمحب من المبغض .

فالولاء والبراء أساس الدين (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فهؤلاء أولياء الله ورسوله وأولياء المؤمنين أما المعادون لهم والمحادون فاولئك حزب الشيطان (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

إن الولاء لله ورسوله والمؤمنين هو أصل التوحيد وأساسه والولاء لأعداء الله وأعداء دينه هو الرضا بأعمالهم ومعتقداتهم هو الخطر الجسيم ولا يمكن ولاء الله إلا بالبراء من عدوه وعدو دينه .

فالموضوع بهذا هو أهم المواضيع وأولاها بالفهم والتأمل فالجدير بكل مسلم أن يعرفه وأن يحيط به ليكون مواليا لله ورسوله وليعرف أعداء دين الله تعالى فيأخذ حذره منهم ويتبرأ منهم ومن معتقداتهم ليصح له إسلامه وتسلم له عقيدته السلفية.

بسم الله الرحمن الرحيم

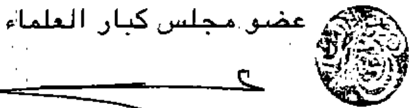
عبدالله العبدالرحمن البسام

التاريخ / / ١٤هـ

وبهذا فالكتاب بموضوعه هام جدير بالقراءة للاستفادة منه ذلك أني وإن لم أقرأه إلا أن ثقتي بمؤلفه وعقيدته السلفية والمراجع التي ينقل عنها هي الكتاب العزيز والسنة المطهرة وعلماء السلف من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم والمجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء السلف رحمهم الله تعالى كل ذلك يجعل عندي ثقة تامة أنه كتاب من كتب السلف التي عالجت موضوعا هو أصل الدين وأساس التوحيد الذي أنزلت من أجله الكتب وأرسل لأجله الرسل عليهم الصلاة والسلام .

كتبه : عبد الله بن عبد الرحمن البسام

عضو مجلس كبار العلماء



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وصحبه ، وبعد . .

فإن عقيدة الولاء والبراء أصل من أصول الإسلام وعلامة بارزة من الإخلاص والمحبة لله ولرسوله ولدينه ولعباده المؤمنين .

ومناقشة هذه القضية وبحث هذا الأصل أمر تقتضيه الظروف الراهنة للأمة الإسلامية ، حيث غاب مفهوم الولاء والبراء عن أذهان كثير من المسلمين وانعكست المفاهيم عند الكثير حتى كان الولاء للكفر وأهله ، والعداء للإيمان وأهله ، دون أن يشعروا بمدى الخطورة التي يعرّضون أنفسهم لها وهم يهدمون هذا الأصل الأصيل من أصول ديننا الخالدة .

وحينما طلب مني أخي الشيخ / سيد سعيد عبد الغني التقديمَ لهذا الكتاب لم أكن متحمسًا في البداية لخشيتي أن تكون محتوياته تكرارًا لما سبق طرحه أو اجترارًا لمسائل لا تدعو الحاجة إلى بحثها .

ولكنني حينما شرعت في قراءته والاطلاع على محتوياته أدركت مدى الأهمية البالغة لهذا الكتاب الذي عرّى الباطل وأزاح اللثام عنه ، وكشف أقطابه والذين تولوا كبره ممن ينتسبون إلى ديننا ويتكلمون بلغتنا ومن بني جلدتنا ، وهم مع ذلك أشد خطرًا عليه من أعدائه ، على حد قول الشاعر :

وكل دين له من أهله ظفر　　　وملتي في بنيها يكمن الخطر

كما أنه صحح المفاهيم ووثّق الأقوال ودعّمها بالآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة وبآثار سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على منهج أهل

السنة والجماعة والعلماء بعدهم .

وإني لأرجو أن يُلبي هذا الكتاب حاجة ماسة ورغبة صادقة في قلوب شباب هذه الصحوة المباركة وأن يجيب على تساؤلاتهم وأن يكون مصباحًا يضيء لهم الطريق ويُبيِّن لهم سبيل المجرمين .

واللهَ أسألُ أن يجزي مؤلفه خير الجزاء ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الداعية إلى الله

د/ سعيد بن مسفر القحطاني

مكه المكرمة ـــ ١٤١٨/٦/١١

المقـدمــــة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ،وكشف الغمة ، ومحا الله به الظلمة ،وتركنا على المحجة البيضاء ،ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣) .

أما بعد :

فإن التوحيد هو دعوة كل الرسل ، وما أرسل الله رسولاً إلاَّ ليُعلّم أمته

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

التوحيد ، ويأمرهم بعبادة الله وحده ، وألاَّ يشركوا به شيئًا . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [1] .

فإن هذا (**التوحيد**) ، و (**إفراد الله بالعبادة**) هو الحكمة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2] . أي ليوحدوا الله تعالى ويفردوه بالعبادة ، وما كان ذلك كذلك إلاَّ لمكانة هذا التوحيد وعظم شأنه ، فمن حقق هذا التوحيد ومات عليه فهو - بفضل الله ومنَّته - من أهل الجنة ولو بعد حين (أي حتى ولو دخل النار فإن مآله إلى الجنة) ومن لم يحقق هذا التوحيد ولم يمت عليه فهو والعياذ بالله من أهل النار خالدًا فيها ، ولو صلّى وصام ، ولو قام الليل ولو صام الدهر ، ولو أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ، لأنه فقد أصل الإيمان ، وحُرِمَ التوحيد ، ومات على ملة المشركين . ولذلك يجب أن يأخذ هذا العلم (**علم التوحيد**) من العلماء والدعاة وطلاب العلم ، الكثير والكثير ما لم يأخذه غيره من العلوم ، فهو أصل هذه العلوم ، وهو أساسها ، ولا تصح تلك العلوم ، ولا تقبل باقي العبادات إلاَّ بهذا التوحيد ، فهو الفَيْصل بين الكفر والإيمان ،وبين الشرك والإسلام ، وبين دخول الجنة أو الخلود في النار والعياذ بالله . ولذلك سماه (**الإمام أبو حنيفة**) - رحمه الله - : « الفقه الأكبر » .

وأردت في هذه المقدمة الموجزة أن أتكلم عن ثلاثة أشياء هي :-

أولاً : أهمية الموضوع :

فإذا كان للتوحيد من الأهمية والمكانة في صحة إسلام المرء وإيمانه فإننا من هذا المنطلق نتكلم في هذه السطور عن موضوع من أهم موضوعات التوحيد

---

(١) الأنبياء : ٢٥ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

ألا وهو [**الولاء والبراء**] وإن شئت [**الموالاة والمعاداة**] . فإن هذا الموضوع من أهم موضوعات التوحيد ومن أخطر مسائل العقيدة . فإذا كان التوحيد هو الفَيْصل في دخول الجنة أو الخلود في النـار وهو الذي يفصل بين الكفـر والإيمـان ، فإن قضية [**الولاء والبراء**] لها من المكانة من التوحيد حيث إنها تكاد تكون هي المحك الأساس في الفصل بين الموحد والمشرك ، وبين مَنْ صحّت عقيدته ، ومَنْ نُقِضَ إيمانه ، ومن خُدِشَ إسلامه ، ولا عجب فإن [**عقيدة الولاء والبراء**] أصل من أصول هذا الدين ، ولا يصح الدين ، ولا يستقيم الإيمان ، ولا يكون هناك إسلام لمن لم يحقق هذه العقيدة ، [**عقيدة الولاء والبراء**] : -

- [الولاء] : - لله تعالى ولكتابه العزيز ، ولدينه الحنيف ، ولرسوله الكريم ﷺ ، ولعباد الله المؤمنين . قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [1] .

● يقول **الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -** : « إن الله - عز وجل - نهى عن ولاية الكفار ، من اليهود والنصارى - وغيرهم من باب أولى - وذكر أن مآل تولّيهم هو الخسران المبين في الدنيا والآخره ، وأخبر تعالى عن الذين يجب علينا تولّيهم دون غيرهم فقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا ، ومن كان لله وليًا فهو ولي لرسوله والمؤمنين .

ومن تولَّ الله ورسوله كان تمام ذلك توليٍّ مَن تولاه الله ورسوله ، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطنًا ، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم لواجبات الإسلام .

---

(١) المائدة : ٥٥ : ٥٦ .

وقد أفادت أداة الحصر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنه يجب قصر الولاية على من ذكرهم الله تعالى في الآية ، والتبري من ولاية غيرهم »[١] .

● **ويقول الأستاذ / سيد قطب – رحمه الله –** : « إن القرآن الكريم يأمر المسلم ويرشده إلى وجوب إخلاص ولائه لربه ، ولرسوله ﷺ ، ولعقيدة الإسلام وجماعة المسلمين وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الإسلامي الذي يقف فيه المؤمن، وبين كل صف لا يرفع راية الإسلام ، ولا يتبع قيادة الرسول ﷺ »[٢] .

فيجب على المسلم تحقيق هذا الولاء فهو أصل من أصول دينه ، ولا يستقيم له دينه ، ولا يصح إسلامه بدون تحقيق هذا الولاء ، وبدون صرف هذه الموالاة لمن أمره الله بصرفها إليهم .

ـ [**أما البراء**] : فهو الشق الآخر في عقيدة [**الولاء والبراء**] وهو المعيار الثاني لتحديد شخصية المسلم المتزنة التي تجمع بين [**الحب والبغض**] وبين [**الولاء والبراء**] ، وبين [**الموالاة والمعادة**] .

* [**حبٌّ ونُصرةٌ وموالاةٌ وإخلاصٌ**] ، لله ولدينه ولكتابه ولرسوله ﷺ ولعباد الله المؤمنين .

* [**وبغضٌ وبراءٌ ومعاداةٌ وتبرٌّ**] ، من الكفر والكفرة ، ومن الشرك والمشركين ، ومن الإلحاد والملحدين ، ومن النفاق والمنافقين . . .

فكما أوجب الله الولاء على المسلم لأهل الولاء ، أيضًا أوجب الله على المسلم البراء من أهل البراء ، ومن يُستَوجَب البراء منهم ، فلا يتحقق الولاء حتى

---

(١) انظر « تفسير ابن سعدي » [٢/ ٣١٠ : ٣١١] ، وانظر كتاب « فيم كنتم ؟ حزب الله أم حزب الشيطان » ، للأخ محمد عبد الهادي المصري [٢٦ : ٣٤] .

(٢) « في ظلال القرآن » للشيخ سيد قطب [٦ / ٧٥٦] .

يتحقق البراء ، فلا ولاء بدون براء .

● **يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –** : « لا تصح الموالاة إلاَّ بالمعاداة كما قال الله تعالى عن إمام الحنفاء المحبين ، أنه قال لقومه : ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [١] ، فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخُلة إلاَّ بتحقيق هذه المعاداة .

فإنه لا ولاء إلاَّ لله ، ولا ولاء إلاَّ بالبراء من كل معبود سواه . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [٢] .

أي جعل هذه الموالاة لله ، والبراء لله ، والبراء من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة لا إله إلاَّ الله ، وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة » [٣] .

● **يقول الأستاذ / سيد قطب – رحمه الله –** :

« إن موالاة الفرد ومحبته لغير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله، والنكول عن طريق الإسلام ، والوقوع في دائرة أولياء الشيطان – أعاذنا الله من ذلك » [٤] .

● **ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –** : « إنه لا يستقيم للإنسان إسلام – ولو وحَّدَ الله وترك الشرك – إلاَّ بعداوة المشركين والتصريح

---

(١) الشعراء : ٧٥ : ٧٧ .

(٢) الزخرف : ٢٦ : ٢٨ .

(٣) انظر « الجواب الكافي » لابن القيم ص (٢١٣) .

(٤) « في ظلال القرآن » للأستاذ سيد قطب [٦ / ٧٥٦] .

لهم بالعداوة والبغض ...» [1] .

● **ويقول الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - :** عن [**حكم الولاء والبراء**] في الإسلام وأهميته في الشريعة ، ومكانته من العقيدة : « ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده » [2] .

ومن هنا أخي الكريم جاء أهمية هذا الموضوع العقدي الذي تغافل عنه الكثير ، بل وجهله الأكثر رغم مكانته من العقيدة .

ثانيًا : سبب اختيار الموضوع :

يرجع سبب اختياري للموضوع إلى أشياء عديدة أذكر منها ما يلي :-

١ - أن هذا الموضوع يَخُص العقيدة والتوحيد الذي هو رأس العلوم وأشرفها وهو « **الفقه الأكبر** » كما ذكر (**الإمام أبو حنيفة - رحمه الله -**) .

٢ - أن موضوع (**الولاء والبراء**) من الموضوعات التي لم يُفْرِد لها الأئمة المتقدمين - رحمهم الله - المؤلفات الخاصة التي تُشبع هذا الموضوع وتُحيط بجوانبه في مؤلفات خاصة .

٣ - أهمية هذا الموضوع من ناحية العقيدة ، ومكانته من التوحيد ، فهو أصل من أصول الدين ، ولا يصح إسلام العبد ولا تسلم عقيدته إلاَّ بتحقيق **[الولاء والبراء]** و [**الموالاة والمعاداة**] . على ما أمر الله وشرع .

٤ - أن الكثير والكثير ينظر لهذا الموضوع على أنه موضوع ثانوي ، ليس له علاقة بالتوحيد ، وليس له صلة بالعقيدة ، فضلاً عن أن كثيرًا من المسلمين

---

(٤) « شرح ست مواضع من السيرة » للشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن كتاب «مجموعة التوحيد» ص (٢٥) .

(٢) « سبيل النجاة والفكاك عن موالاة المرتدين » ص (١٤) .

ربما لم يسمع بهذا الموضوع أصلاً ولا يعي المقصود بـ (**الولاء**) ولا المراد من **(البراء)** .

٥ - وقوع الكثير والكثير من المنتسبين إلى الإسلام في معاداة المسلمين ، بل يصل الأمر إلى معاداة الرسول ﷺ ومعاداة الدين ، وهم لا يدرون عاقبة هذا العداء .

٦ - ويقع بعض المسلمين في موالاة الكفار والمشركين والملحدين والمنافقين ، وقد يُخْرجهم هذا الولاء ، وهذه الموالاة مِنْ دائرة الإسلام ، ويخرجون من الملة وهم لا يشعرون .

٧ - قلة المؤلفات ، وندرة مَن يتكلم في هذا الموضوع المهم والخطير ، والذي نستطيع أن نقول أنه حقيقة لا إله إلا الله ، ومناط تحقيقها .

٨ - حاجة الأمة الإسلامية إلى الرجوع إلى عقيدتها وأمور التوحيد لتنهل من عقيدة السلف الصالح ، ومنهج أهل السنة والجماعة .

٩ - وجوب تربية الأجيال وإعداد النشء على هذه العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وعلى عقيدة [**الولاء والبراء**] خاصة . فلا بد من غرس المحبة في قلوب الأجيال والنشء للدين وللإسلام وللرسول ﷺ وللمؤمنين ، وكذلك يجب غرس البغض والكراهية في قلوبهم لليهود ، والنصارى ، والملحدين ، والمنافقين وملل الكفر أجمعها .



[ثالثًا] : خطة الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على : [مقدمة - تمهيد - أربعة أبواب - خاتمة - مراجع - فهرس] .

[أولاً] : المقدمة :-

وذكرت فيها ثلاثة أشياء :-

١ - أهمية الموضوع .

٢ - سبب اختيار الموضوع .

٣ - خطة الكتاب .

[ثانيًا] : التمهيد :-

وذكرت فيه معنى (الولاء والبراء) لغةً وشرعًا ، ومدلولهما .

[ثالثًا] : الباب الأول : - [الولاء المشروع] .

الفصل الأول : - (ولاء المؤمن لكتاب الله) .

المبحث الأول : قراءته وحفظه وفهمه وتدبره .

المبحث الثاني : العمل به .

المبحث الثالث : التحاكم إليه .

المبحث الرابع : الحكم به .

المبحث الخامس : الذب عنه .

الفصل الثاني : - (ولاء المؤمن لدين الله تعالى)

المبحث الأول : حب هذا الدين .

المبحث الثاني : (تسليطهم على مناهج التعليم) .

المبحث الثالث : (تمكينهم من وسائل الإعلام) .

[خامسًا] : الباب الثالث :- [البراء]

الفصل الأول : - البراء من الكفار والمشركين .

الفصل الثاني : - البراء من المنافقين .

الفصل الثالث : - البراء من العصاة .

[سادسًا] : الباب الرابع :- [معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء]

الفصل الأول : - (حبُّ التوحيد) .

الفصل الثاني : - (بغض الشرك) .

الفصل الثالث : - (حبُّ الله تعالى وحبُّ الرسول ﷺ) .

الفصل الرابع : - (الحبُّ في الله) .

الفصل الخامس : - (حبُّ الجهاد في سبيل الله) .

الفصل السادس : - (حبُّ الأنصار) .

الفصل السابع : - (ترسيخ عقيدة الولاء والبراء) .

الفصل الثامن : - (التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

الفصل التاسع : - (مكارم الأخلاق) .

١ - بر الوالدين .

٢ - صلة الرحم .

٣ - الصدق وتجنب الكذب .

٤ - الرفق .

٥ - الحلم وعدم الغضب .

٦ - التواضع وعدم الكبر .

٧ - الحياء .

[سابعًا] : الخاتمة .

وذكرت فيها شيئين : -

١ - أهم ما توصلت إليه خلال البحث .

٢ - توصياتي من خلال تجربتي .

[ثامنًا] : أهم المراجع والمصادر :

وذكرت أهم المراجع التي يَحْسُن الرجوع إليها للاستزادة والاستفادة من هذا الموضوع .

[تاسعًا] : الفهرس .

فهرست الكتاب بطريقة تُسهِّل على القارئ الرجوع إلى موضوعات الكتاب والتعرُّف على مادته .

وأخيرًا أسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم ، أن يجعل عملي كله صالحًا ، ولوجهه سبحانه وتعالى خالصًا ، وأن يُطهره من الشرك والرياء ، وألاَّ يجعل لأحد فيه شيئًا .

ولأن أصبت في هذا الكتاب فمن الله عز وجل وفضله وتوفيقه ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله أن يغفر لي زلتي ، ويعفو عن خطئي، وما أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

وكتبه /

أبو عبد الرحمن سيد سعيد السيد عبد الغني

عصر يوم الثلاثاء ١٢ رمضان / ١٤١٧هـ

الموافق ٢١ / يناير / ١٩٩٧م

وذلك من بيت الله الحرام / بمكة المكرمة



التمهيد

(تعريف الولاء والبراء)

الولاء والبراء

[أولاً] :

١- معنى الولاء لغة :

الوَلِيُّ : هو الناصر .

والوالي : هو من أسماء الله عز وجل ، وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها .

• قال ابن السكيت :

الوَلاية والوِلاية : النُّصرة ، يقال هم على وَلاية (وِلاية) : أي مجتمعون في النُّصرة .

والمَوْلى : الحليف وهو من انضم إليك فعَزَّ بعِزِّك وامتنع بمَنَعَتِك .

ويقال : تَوَلاَّكَ الله : أي وَلِيكَ الله ، ويكون بمعنى نصرك الله .

وقوله ﷺ : «اللهم والِ مَنْ والاه» .

: أي أَحْبِبْ مَنْ أَحَبَّهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَه .

• قال ابن الأعرابي :

الوَلِيُّ : التابع المحب .

والمُوَالاَةُ : ضِدُّ المعاداة .

والوَلِيُّ : ضد العدو [١] .

(١) انظر لسان العرب مادة (ولي) [١٥/ ٤٠٦ : ٤١٤].

٢- معنى البراء لغة :

● قال ابن الأعرابي : بَرِئَ : إذا تخلَّصَ.

: وإذا تَنَزَّه وتباعَدَ .

: وإذا أعْذَرَ وأنْذَرَ .

ومنه قوله تعالى: ﴿ برآءة من الله ورسوله ﴾ أى : إعْذَارٌ وإنْذَارٌ .

وبارَأْتُ الرَّجل: بَرِئْتُ إليه وبَرِئَ إليَّ .

وبارَأْت شَرِيكي: إذا فارَقْتُه.

وبارأ المرأَةَ والكَرِيَّ مُبارأَةً وبَرِاءً : صالحهما على الفِراق[1] .

[ثانيًا]: معنى الولاء والبراء شرعًا:-

١- معنى الولاء شرعًا : هو التناصر والتعاضد .

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالي: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[2] «أي يتناصرون ويتعاضدون . كما جاء في الصحيح «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه»[3] .

٢- معنى البراء شرعًا:

إن معنى البراء شرعًا لا يختلف كثيرًا عن معناه لغة فإن معناه يدور حول المصارمة ، والعداوة ، والمجانبة ، والتبري ، والبغض .

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله :- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَدْ

(١) انظر لسان العرب مادة (برأ) [١/ ٣١: ٣٤].

(٢) سورة التوبة (٧١).

(٣) تفسير ابن كثير سورة التوبة آية (٧١) [٢/ ٣٥٦].

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[١] قال : يقول الله تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم.. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ...﴾ إلى أن قال : «وشرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم..»[٢]

* **الولاء والموالاة :** إن معنى الولاء يحمل معنى الموالاة ويستعمل أحدهما ويراد به الآخر فالمعنى يكاد يكون واحدًا . ولقد استعملتُ الكلمتين في أثناء البحث بمعنى واحد . [جاء في لسان العرب] ووالى بين الأمر موالاة وولاء : تابع ، [والموالاة : المتابعة] .

وأفعل هذه الأشياء على الولاء : أي : متابعة[٣] .

شيخ الإسلام ابن تيمية وتعريف الولاء والبراء :[٤]

● **قال شيخ الإسلام ابن تيمية :**

الولاية : ضد العداوة . وأصل الولاية المحبة والقرب . وأصل العداوة : البغض والبعد .

والولي: القريب . ويقال هذا يلي هذا : أي يقرب منه .

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معاديًا له كما قال تعالى :

---

(١) سورة الممتحنة (٤).

(٢) تفسير ابن كثير سورة الممتحنة آية (٤) [٤/ ٣٣٥: ٣٣٦].

(٣) لسان العرب ، مادة ولي [١٥/ ٤١٢] .

(٤) انظر كتاب (الفرقان) لابن تيمية ضمن مجموعة التوحيد ص (٤٧٦ : ٤٧٧) .

﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾[1] فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث : « **من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة** »[2] .

[ثالثاً] حول التعريف :

نلحظ من خلال استعراض تعريف الولاء والبراء لغة وشرعًا أن :

[**الولاء**] : [يدور على الحب] ، وأن **البراء** [يدور على البغض] .

١- **فأما الحب**:- فلابد أن يتوفر في الولاء ؛ بل هو عموده الأساسي الذي ينبني عليه بعد ذلك لوازم هذا الولاء ، وتوابع هذا الحب . وهذا الحب مكانه ومقره القلب الذي هو مكان العاطفة ، ومنبت الإحساس والمشاعر وهو شيء خفي لا يطلع عليه أحد إلا خالقه عالم الغيب والشهادة .

ولذلك كان عطاء الله تعالى للعبد على قدر إخلاصه في هذه المحبة لله ولرسوله ولدينه ولعباده المؤمنين . فلابد أن تُجرد هذه المحبة لله وتُصفَّى وتُنقى من أي شائبة شرك ، أو غبار رياء ، أو تكدير نفاق ؛ يُحبط العمل والعياذ بالله ولكن هذه المحبة لله ولدينه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، وهذا الولاء لا يقتصر على مجرد الحب الأجوف ، الذي لا روح فيه ولا حياة ، بل لابد له من أن يظهر ويتضح في سلوك المؤمن وقوله وعمله حتى تكون حركات المؤمن وسكناته وهمساته وكل حياته عنوانًا وترجمة لهذا الحب الذي في القلب ، لابد وأن يترجم هذا الحب إلي نُصرة وموالاة ، لابد له من أن يتحرك ويخرج من تجويف الصدر، ويُجَسَّد إلى واقع ملموس ينصر فيه المسلم أخاه ، ويفديه

---

(١) الممتحنة (١).

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقائق) (باب التواضع).

بروحه وماله وكل ما يملك ، يحقن دمه ، ويحمي عرضه ، ويُأمِّن روعه ، ويُطعمه إذا جاع ويكسوه إذا عري ، ويصون أرضه ، ويحفظ مقدساته ، موالاة لله ولدينه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .

- إن الولاء حينما يقتصر على الحب القلبي ، ويأبى أن يخرج من الصدر، ويخشى من أن يظهر في الواقع، ويحذر من التجسيد على ساحة المعركة ويهرب من الميدان فهو حب كاذب ، وادعاء باطل ، وولاء مفترى .

- ولذلك فنحن نتجرع الآن في القرن العشرين ويلات هذا الحب الكاذب، وهذه الافتراءات الباطلة ، وهذه الموالاة المزعومة ، وهذا الولاء المُدَّعى .

- يدَّعي الكثير والكثير ولاءه للإسلام وللمسلمين وللرسول ﷺ وللدين . . .

- يدعي الكثير والكثير حب الدين والدفاع عن العقيدة . . .

- ويدعي الكثير والكثير إخلاصهم للدين وللمؤمنين . . .

- ويدعي الأكثر أنهم حماة الإسلام وحُرَّاس العقيدة . . .

ونقول لهم :

انتهوا خير لكم فوالله لقد حدثنا الله بأخباركم ، وفضح أمركم ، وكشف أباطيلكم فلقد قال الله عنكم : **﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾**[١] وقال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾**[٢] وقال تعالى: **﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[٣] .

---

(١) البقرة (١٤) .

(٢) الصف (٢) .

(٣) المنافقون (٢) .

- أي ولاء هذا وأي موالاة تلك وأنتم :-

- وأنتم تحاربون شرع الله وتعطلونه ؟!!!

- وأنتم تبارزون سنة الرسول ﷺ وتنشرون البدع ؟!!!

- وأنتم تُعذبون وتحاربون كل من نادى بتطبيق شرع الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ؟!!!

- وأنتم تسخرون من الدين وتستهزئون بعلماء المسلمين ؟!!!

- وأنتم تحاربون كل فضيلة ، وتنابزون كل خلق قويم ، وسلوك حميد؟!!!

- وأنتم تنشرون الفساد في البلاد وبين العباد بشتى أنواعه ، وبكل دروبه؟!!!

- وأنتم توالون أعداء الله من الكفار والمشركين والملحدين ؟!!!

- وأنتم تتقربون للشرق وللغرب وتسجدون لهم وتركعون ، والقربان هو الإسلام ،والضحايا هم المسلمون والمقابل هو الكرسي والعرش والقرش؟!!!

فيا عُبَّاد المال ، ويا عبيد المناصب ، ويا أذناب الشرق والغرب ، إن الولاء عقيدة ، إن الولاء عبادة ، ولابد أن تصرف لله ، ولابد أن تظهر في أرض الواقع، فلا يُوالى إلاَّ المسلم ، ولا يُحَبُّ إلاَّ المسلم ، ولا يُناصر إلاَّ المسلم ، ولا يُظاهر إلا المسلم وليحيى من حيٍّ عن بينة ، ويهلك من يهلك عن بينة والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٢- أما البغض :-

أما هذا البغض الذي يدور عليه البراء ، وتُبنى عليه العداوة ، فلابد له من

أثر ظاهر على سلوك العبد ومعاملاته وتصرفاته ، ويظهر هذا البغض في معاملاته مع أعداء الله ظهوراً واضحًا جليًا ؛ لأن هذا السلوك وتلك المعاملات هي المحك الحقيقي الذي يُصهر فيه هذا البغض ، وتظهر وتتجلى فيه عقيدة البراء والمعادة .

- فلا يخالف القول العمل ، ولا يكون القول غير ما في القلب ، فإن ديننا دين واقع ، وإيماننا لا يعرف التمنى العاجز ، ولا الطموح الكسول ، ولا يعترف بمخالفة الظاهر للباطن ، فلقد عاتب الله المؤمنين في كتابه العزيز حينما تمنوا شيئًا (وهو قتال الكفار) ولما كتب عليهم (أي فرض عليهم قتال الكفار) جزع بعضهم وشق ذلك عليهم قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[1] . فإذا لم يقبل ذلك من المؤمنين فكيف من الكفار والمنافقين .

إن الداء الأكبر للأمة الإسلامية اليوم ـ هو ما ابتُليت به من هؤلاء المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُعلنون الولاء للمسلمين ، ويتظاهرون بالبراء من الكفار والمشركين (كل ذلك بأفواههم فقط).

وإذ بهم يخالف (فعلُهم وعملُهم) قولَهم ، فيُؤذون عباد الله المؤمنين ، ويحاربون شرع الله الحنيف ، ويستهزئون بسُنَّة النبي ﷺ الأمين .

فأي ولاءٍ هذا ، وأي براءة تلك ، إنهم ليسخرون من الأمة جمعاء ، ويستهزئون بالدين وبالإيمان ، ويحاربون الله ورسوله وعباد الله المؤمنين عن علم ونفاق .

إن مفهوم البراء في الشريعة الإسلامية ، وفي العقيدة السلفية ، عقيدة أهل

(١) الصف (٢ : ٣) .

السنة والجماعة ، تقتضي بغض أعداء الله تعالى ، ومعاداتهم ، ومجافاتهم، والتبري منهم، ومحاربتهم بكل أنواع الأسلحة التي تناسب كل عدو ، والتي تَرْدع كل كافر ، والتي تُخزي كل منافق ، بالقلم تارة ، وباللسان تارة أخرى ، وبالسنان تارة ثالثة ، . . . إن مفهوم البراء لا يقتصر على مجرد تغير ملامح الوجه ، أو عض الأنامل من الغيظ ، أو التأفف والضيق ، أو الاستنكار والتنديد ، فلابد من إظهار هذه المعاداة ، لابد من إنزالها على أرض الواقع في المعاملات والسلوكيات، وفي العلاقات الفردية والأسرية ، والعلاقات الدولية ، لابد وأن يترجم هذا [البراء] من الكفار والمشركين والمنافقين :

على المستوى الفكري: فنجد التصدي لأعداء الله تعالى بالفكر السليم ، والرد الحكيم ، والذب عن الشرع الحنيف وتعرية فكر الباطل وأهله ، وبيان بطلان الكفر وزيغه ، ونصر الدين وأهله .

وتربية الأجيال على الفكر السلفي الحق ، فكر أهل السُّنَّة والجماعة ، وإعلان البراء من كل فكر يخالف الشرع الحنيف .

على المستوى الاقتصادي: فلابد وأن يكون اقتصادنا اقتصادًا إسلاميًا ، خال من الربا ، ومن أنواع البيوع المحرمة ، لابد من إنعاش الاقتصاد الإسلامي ومحاصرة اقتصاد الكفار والمشركين ومحاولة تضييق مجالات التعامل معهم حتى لا يستفيدوا بأموال المسلمين ويقاتلوهم بها ، وتكون لهم عونًا على الإسلام والمسلمين .

فلا يليق بالأمة الإسلامية التي تعلن البراء من الكفار والمشركين أن تكون أمة استهلاكية ـ تستورد كل شيء من دول الكفر والشرك وتنعش اقتصاد الباطل وأهله ـ أمة تستورد ملابسها وجميع متطلباتها ، حتى لقمة العيش .

إن مقتضى [البَراء] من الكفرة والمشركين لابد من محاربتهم اقتصاديًا حتى تضعف شوكتهم ، ويَخْفُتَ ضوءهم ، ويذهب نجمهم ، وتستأصل شأفتهم .

وعلى المستوى العسكري : لابد من الإعلان عن عقيدة البراء أيضًا على المستوى العسكري . فلابد من إعداد الأجيال المسلمة على أساس إسلامي صحيح ، ومستوى عقلي قويم ، لكي يكونوا أهلاً لاستلام الزعامة والقيادة العسكرية على مستوى العالم كله . فيكون منهم المخترع ، والباحث ، والعسكري القيادي ، والمطور الحاذق ، .... لا أن نكون أمة مُهْمَلَة ، ونرضى بحثالة الأسلحة وفضلات المخترعات الغربية والشرقية ، وندفع فيها الملايين والمليارات ، وتزعم بعد ذلك أننا حققنا البراء من أعداء الله ؟!!

- وأيضًا على المستوى الاجتماعي ... وعلى المستوى الأخلاقي ... ، وعلى المستوى السلوكي ... ، وعلى المستوى الثقافي ....

- إن [عقيدة البراء] لابد وأن يظهر منها هذا البغض الذي في القلب ، وهذه العداوة التي في الوجدان ، لابد وأن يظهر ذلك كله في أرض الواقع ، فَيُلْمس ، ويُشْعَر ، ويُحَسُّ ، ويُرى ، ويُسمع . فلا خير في قول بلا عمل . وذلك على مستوى التعامل مع الأفراد والمجتمعات ، حتى تتضح القضية في أذهان الأجيال ، وحتى تُغرس عقيدة [الولاء والبراء] في قلب النشء ، وحتى نحقق فعلاً وتطبيقًا [الولاء والبراء] الذي تعبدنا الله به ، وفرضه علينا وجعله من عقيدتنا .

* * *

[الباب الأول]

﴿ الولاء المشروع ﴾

الولاء المشروع

إن الولاء عقيدة وعبادة ، عقيدة يعتقدها المسلم في قلبه ، وعبادة يشعر بها في قلبه وتظهر على جوارحه .

فإن الولاء برُكْنَيْه [**الحب والنُّصرة**] جَمَعَ بين أعمال القلب وأعمال الجوارح ، جمع بين الجانب الروحي المعنوي ، وبين الجانب العملي التطبيقي.

فإذا اقتصر الولاء على الحب ، وتقوقع في داخل القلب ، ولم يظهر على الجوارح ، ولم يخرج إلى أرض الواقع ، ولم يُترجم إلى نُصرة فلم يتحقق الولاء الذي أراده الله تعالى من المسلم .

إن هذا الولاء عقيدة وعبادة تعبدنا الله به وفرضه علينا وجعله من صميم توحيدنا . . فلما كان ذلك كذلك فلقد حدده الله لنا وبيَّن معالمه وشروطه ولِمنْ يصرف .

فإن العبادات توقيفية ، أي موقوفة على الشارع .

ومن هنا نجد الله تعالى يحدد لنا هذه العقيدة وهذه العبادة فيحصر الله عز وجل هذا الولاء ويحدده في كتابه العزيز حيث قال جل شأنه ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[1] .

---

(١) المائدة : (٥٥ : ٥٦) .

قال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ :

« وقد أفادت أداة الحصر (إنما) في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أنه يجب قَصْر الولاية على من ذكرهم الله تعالى في الآية والتبري من ولاية غيرهم »[1] .

ويقول الأستاذ / سيد قطب ـ رحمه الله ـ [2] :

« إن القرآن الكريم يأمر المسلم ويرشده إلى وجوب إخلاص ولائه لربه ، ولرسوله ﷺ ولعقيدة الإسلام وجماعة المسلمين ، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الإسلامي الذي يقف فيه المؤمن ، وبين كل صف لا يرفع راية الإسلام ، ولا يتبع قيادة الرسول ﷺ » .

– فبهذه الآية الكريمة : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[3] قد حدد الله لنا الذين يُتوجه إليهم بالولاء : –

١ ـ الولاء لله تعالى .

٢ ـ الولاء للرسول ﷺ .

٣ ـ الولاء للذين آمنوا .

فهذا هو الولاء الذي أراده الله تعالى من عباده المؤمنين . وهذا الذي نقصده بقولنا [**الولاء المشروع**] أي الولاء الذي شرعه الله عز وجل وارتضاه لنا وتعبدنا الله به وجعله من عقيدتنا .

---

(١) انظر « تفسير ابن السعدي » سورة المائدة آية [٥٥ : ٥٦] [٢/ ٣١٠ : ٣١١] .

(٢) تفسير في « ظلال القرآن » للأستاذ سيد قطب [٦/ ٧٥٦] .

(٣) المائدة : (٥٥) .

[أولاً] : الولاء لله تعالى

فلتعلم أخي المسلم أن أولى الولاء هو الولاء لله تعالى ، الرب الخالق ، والإله المعبود ، فهو أحق من يُتوجه إليه بالولاء ، وأعظم من تُصرف إليه الموالاة ، فيجب على المسلم إخلاص الولاء لله تعالى بكل ما تعنيه هذه العبادة من [حُب ونُصرة] : ـ

الشق الأول : [حب الله تعالى]

فإن حب الله تعالى هو الركن الأول في ولاء المسلم لله تعالى ، ولا يتم للمسلم ولاء لله تعالى دون تحقيق هذا الحب ، بل لا يقبل إسلامه بدون هذا الحب ، بل يتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك فيجب على المسلم أن يفوق حبُّه لله تعالى حب أي شيءٍ غيره .

ولقد امتدح الله عباده المؤمنين بشدة حبهم لله وأن حبهم لله يعلو ويسمو على كل حب حيث قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ (١) .

- فدلت الآية الكريمة على أن الذين آمنوا يحبون الله حُبًّا شديدًا ، فمحبتهم لربهم ومولاهم أشد من محبة الكفار والمشركين لمعبوداتهم .

- ودلت أيضًا على أن عدم محبة الله منافية للإيمان ، وأن مساواة محبة الله تعالى بغيره شرك بالله تعالى يخرج صاحبه من الإسلام ويوقعه في دائرة الشرك .

---

(١) البقرة : (١٦٥) .

ولقد حذَّر الله تعالى من ذلك بقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ...﴾[1] .

- ولقد حكم الله تعالى على من يفقد هذا الحب بالرِّدة عن الدين وهدد باستبدالهم بقوم آخرين تكون أبرز صفاتهم أن الله يحبهم وهم يحبونه ،

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾[2] .

- وهذا الحب الذي في القلب له علامات ولوازم وثمرات تظهر في سلوك العبد وعبادته ومعاملاته .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : - « ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجؤون في جميع أمورهم إليه »[3] .

الشق الثاني : [النُّصرة]

كما قررنا أن الولاء الحق لا يقف على أعتاب المحبة فقط ، ولا يكتفي بالحب وحده . ولكن لابد من ظهور آثاره وثماراته على العبد .

ومن هذه الثمرات [**النُّصرة**] . فيجب على المسلم الذي يوالي الله تعالى أن ينصر الله كما قال الله جل شانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ

(١) التوبة : (٢٤) .

(٢) المائدة (٥٤) .

(٣) «تفسير ابن كثير» لسورة البقرة آية (١٦٥) [١/ ١٩٢] .

يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[(١)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[(٤)] .

ونصرة الله تعالى لها صور عدة ، منها [نُصرة كتاب الله تعالى الذي هو حبل الله المتين ، ووحيه إلى رسوله الأمين ، نزَّله على قلبه بالحق المبين ليكون نذيرًا للعالمين . . .

- وأيضًا نُصرة دين الله تعالى الذي ارتضاه للعالمين ، وجعله سببًا لدخول أتباعه جنة النعيم ، وتوعد من كفر به وحَادَ عنه بالنار وسوء المصير . . .

- وغير ذلك من صور نُصرة الله تعالى . . .] .

* * *

---

(١) محمد (٧) .

(٢) الحج (٤٠) .

(٣) الحديد (٢٥) .

(٤) الحشر (٨) .

[ثانيًا] : الولاء للرسول ﷺ

إن الولاء للرسول ﷺ عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى ، فهي من صميم العقيدة ، ومن أركان التوحيد ، ومن أصول الدين .

فالرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه ، وأمينه على وحيه ، وأرسله الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم . فكان واجبًا على المسلم أن يوالي هذا النبي وأن يتولى هذا الرسول ﷺ الهادي إلى صراط الله المستقيم ، الذي جاء ليعرفنا بربنا ، ويبيِّن لنا كيف نعبد الله ، وكيف نكون من عباد الله الموحدين .

فحريٌّ بنا أن نوالي هذا الرسول الكريم ﷺ عبادة لله ، وتحقيقًا للتوحيد ، ووفاءً لهذا النبي العظيم بكل ما تحمله هذه الموالاة من معاني [الحب والنُّصرة] .

الشق الأول : [الحبُّ] :

لقد فرض الله علينا محبة هذا النبي ﷺ بأشمل معاني الحب ، وبأدق معاني الوفاء ، حبًّا ينسى فيه المرء نوازع نفسه ، ويتخلص فيه من نوازع عرقه ونسبه ، حُبًّا يفوق ويفضل أي حب ، حتى يفوق حب النفس .

قال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي**

﴿ ... الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[(١)] .

ويؤكد لنا الرسول ﷺ وجوب هذا الحب ، بل جعله شرطًا لتحقيق الإيمان، ونفى الإيمان عمن لم يحققه .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « **فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده** »[(٢)] .

ومن رواية أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « **لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين** »[(٣)] .

- وروى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ عن عبد الله بن هشام ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : « يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيءٍ إلاَّ من نفسي »

- فقال النبي ﷺ : « **لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** »

- فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : « فإنه الآن ، والله لأنت أحب إليَّ من نفسي »

- فقال النبي ﷺ : « **الآن يا عمر** »[(٤)] [أي الآن تحقق الإيمان يا عمر] .

---

(١) التوبة : (٢٤) .

(٢) رواه البخاري كتاب (الإيمان) باب (حب الرسول ﷺ من الإيمان) .

(٣) رواه مسلم في كتاب (الإيمان) باب (وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) .

(٤) رواه البخاري كتاب (الإيمان والنذور) باب (كيف كانت يمين النبي ﷺ) .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ :

« أي الآن عرفت فنطقت بما يجب »[١] .

وهذا الحب لا يقتصر على مجرد اعتقاد وشعور في قلب المسلم ، ولا يكون له حقيقة في الواقع .

بل إن هذا الحب هو من أكبر الدوافع التي تدفع العبد المسلم للقيام بطاعة الله وبطاعة رسوله ﷺ ، وبالالتزام بتعاليم هذا الدين الحنيف .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي ـ رحمه الله ـ :

« فمعناه لا تَصْدُق في حبي (أي في حب النبي ﷺ) حتى تُفْنِيَ في طاعتي نَفْسَك ، وتؤثر رضاي على هواك ، وإن كان فيه هلاكك »[٢] .

الشق الثاني : [النُّصرة] :

إن من تمام الموالاة أن ينصر المسلم هذا الرسول الكريم ﷺ بكل أنواع النُّصرة وبكل ما تحويه هذا الكلمة من معانٍ ولوازم ، فإن هذه النُّصرة لها توابع كثيرة لابد أن يحققها المسلم ليكون صادقًا في حبه ، ومخلصًا في نُصرته ، ومن صور هذه النُّصرة : -

١ ـ تصديق النبي ﷺ فيما أخبر .

٢ ـ طاعة النبي ﷺ في أمر .

٣ ـ اجتناب ما نهى عنه وزجر .

---

(١) انظر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب (الإيمان والنذور) باب (كيف كانت يمين النبي ﷺ) [٥٣٦/١١] .

(٢) انظر شرح الإمام النووي على « صحيح مسلم » كتاب (الإيمان) باب (وجوب محبة النبي ﷺ . . .) [٢١١/١ : ٢١٢] .

٤ ـ عبادة الله تعالى بما شرع .

٥ ـ نشر سنته ﷺ في كل مكان .

٦ ـ الذب عن هذه السنة المطهرة .

٧ ـ محاربة البدع بكل أنواعها .

٨ ـ تعرية أصحاب البدع والداعين إليها وكشف خططهم ومدبراتهم . . .

٩ ـ بيان مكانة وفضل هذا النبي ﷺ على العالمين .

١٠ ـ تعديد شمائله ومعجزاته ﷺ . . .

- وغير ذلك من صور النصرة . . .] .

قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (٢) .

* * *

(١) الحشر (٨) .

(٢) الحديد : (٢٥) .

[ثالثًا] : الولاء للمؤمنين

إن ولاء المسلم للمؤمنين هو من لوازم ولاء المسلم لله تعالى ، ومن ثمرات ولاء المسلم للرسول ﷺ ، فإن هذا المسلم الذي أحب الله وأحب رسوله ﷺ لحريٌّ به أن يحب كل من أحب الله وأحب رسوله ﷺ من المؤمنين.

وأن من نصر الله تعالى ونصر رسوله ﷺ ليجب عليه نصرة من نصر الله ورسوله من المؤمنين .

فالكل في خندق واحد ، ويجمعهم دين واحد ، ويعبدون ويحبون وينصرون إلهًا واحداً ، ورسولهم واحد ، وشريعتهم واحدة ، وقبلتهم واحدة .

فمن هنا وجب على المسلم موالاة إخوانه المؤمنين وصرف الولاء بشقيه لكل الموحدين .

الشق الأول : [الحب]

يجب على المسلم وهو في دائرة الموالاة ، وفي ظل الولاء ، وفي حظيرة التوحيد ، أن يحب إخوانه المؤمنين ، فهم إخوة له في العقيدة ، وشركاء له في التوحيد ، ويُكمِّل بعضهم البعض ، فهم جسد واحد ، ورجل واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

بل يجعل الرسول ﷺ هذا الحب شرط في تحقيق الإيمان فيقول ﷺ في الحديث الصحيح : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[1] .

---

(١) رواه البخاري كتاب (الإيمان) باب (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ولقد امتدح الله تعالى الأنصار - رضي الله عنهم - لحبهم للمهاجرين ، فلقد استقبلوهم بالحب ووسعوهم بالمحبة ، واكتنفوهم بالمودة ، فوسعتهم قلوبهم قبل أن تسعهم ديارهم وأموالهم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] .

الشق الثاني : [النصرة]

إن الشق الثاني للولاء هو النُّصرة ، فيجب على المسلم الذي صرف ولاءه لله وللرسول ﷺ وللمؤمنين ، أن ينصر إخوانه في الله ، وأن يشد عضد إخوانه في العقيدة فنرى المسلم الحق يشعر بأخيه المسلم في كل مكان وعلى أي أرض ، مهما اختلفت ألوانهم ومهما تباينت ألسنتهم ، ومهما تباعدت مساقط رؤوسهم ، فالدين يشملهم ، والعقيدة تجمعهم ، ولا إله إلاَّ الله ترفرف فوق رؤوسهم ، ومحمد بن عبد الله ﷺ إمامهم وقدوتهم ، والقرآن الكريم شريعتهم ومنهجهم ، والجنة غايتهم ، والشهادة في سبيل الله أسمى أمانيهم .

- وإن هذه النُّصرة لها أشكال عديدة وصور متنوعة منها : [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللين وخفض الجناح ، المحبة والمودة ، الحفاظ على حرمة المسلم ، النصرة بالمال والنفس ، النُّصرة بأن يخلفه في أهله وماله ، النُّصرة بالدعاء للمسلمين ، النُّصرة بتحديث النفس بالغزو ، . . .] .

[وأخيراً] :

كانت هذه إشارات سريعة لبيان معنى الولاء المشروع والمقصود به ، وتحديد من يُتوجه إليهم بهذا الولاء وذلك عبر آيات الكتاب الحكيم ،

---

(١) الحشر : (٩) .

وسنة النبي الكريم ﷺ .

- وأشرنا كذلك إشارة سريعة لبعض أنواع الولاء المشروع المتفرع عن الولاء [لله تعالى - ولرسوله ﷺ - وللمؤمنين] .

- والآن بفضل الله تعالى نلقي الضوء بشيءٍ من التفصيل في هذه الفصول على بعض صور الولاء المشروع سائلين المولى عز وجل أن تكون قنديلاً يضيء الطريق لكل المسلمين وأن تكون هاديًا إلى سواء السبيل وفيها صلاح المسلمين .

***

[الفصل الأول]

﴿ ولاء المؤمن لكتاب الله تعالى ﴾

المبحث الأول : قراءته وحفظه وفهمه وتدبره

المبحث الثاني : العمل به

المبحث الثالث : التحاكم إلى كتاب الله تعالى

المبحث الرابع : الحكم بكتاب الله

المبحث الخامس : الذب عنه

ولاء المؤمن لكتاب الله

إن من أولى الموالاة التي يجب على المسلم موالاتها هي موالاة كتاب الله تعالى ويكون ذلك بحب المسلم المؤمن لكتاب الله تعالى لأنه صفة من صفات الله ووحيه إلى خلقه . ويظهر هذا الحب ، وتظهر هذه الموالاة على سلوك المؤمن وتأدبه مع كتاب ربه وقرآنه العظيم في تلاوته وحفظه ، والعمل بما فيه والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، والوقوف عند حدوده . فَيُحكِّم شرع الله تعالى في كل حياته ، على نفسه وعلى زوجاته وعلى أبنائه ويتحرك به بين إخوانه مُحكِّمًا إياه وداعيًا إليه . ويكون هواه تبعًا لهذا الكتاب ويكون راضيًا عن هذا الشرع ولا يجد في نفسه حرجًا مما قضى الله فيه ويسلم تسليمًا بقلبه وجوارحه عن حب ورضى ، وذلك مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] .

بل لا يقف الأمر ولا تنتهي الموالاة لكتاب الله على مجرد الحب والتحكيم، والرضى والتسليم . ولكن من لوازم هذه المحبة ، ومن دواعي تلك الموالاة أن يتصدى المؤمن لكل أعداء الدين ، الذين يريدون أن ينالوا من كتاب الله تعالى سواء بالتحريف أو بالتدليس أو التعطيل أو مَنْ يدَّعون أن كتاب الله تعالى غير صالح للتحكيم والتشريع وأن ضرورات العصر ومستلزماته تلح على تنحية شرع الله لأنه ـ في زعمهم الباطل ـ لا يساير العصر وتقدمه ، فتبًا لهم ،

(١) النساء: (٦٥) .

وخرست ألسنتهم ، وشلت أيديهم بما قالوا وكتبوا افتراءً على الله وعلى كتابه العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل العزيز الحكيم. فكل هذه الطوائف لابد وأن يقف لهم المسلم بالمرصاد يبين كذبهم ، ويُظهر سرائرهم ، ويعريهم ويحبط مخططاتهم ، موالاة لله ولكتابه العزيز وإنارة للطريق أمام الضالين والتائهين وانتشالاً للحيارى والمُغرَّرين ، ونصرة لهذا الدين . إن لهذا القرآن العظيم حقًا علينا نحن المسلمين فسوف نُسأل عنه يوم الدين ، هل عملنا به كما يرضى ربنا عنا ؟ هل طبقناه في كل حياتنا ؟ هل اتخذناه شرعةً ومنهاجًا؟ هل حملناه وبلغناه لجميع أنحاء المعمورة ؟؟

إن الأمر عظيم فيجب على المسلم أن يوالي كتاب الله حق الموالاة حتى لا يعض أنامل الندم يوم لا ينفع الندم.

وهذه الموالاة من صميم الإيمان ، ومن عقيدة المسلم ، ولها صور عديدة، وأشكال متنوعة . ومن هذه الصور ما يلي :-

[المبحث الأول]

﴿ قراءته وحفظه وفهمه وتدبره ﴾

المبحث الأول
قراءته وحفظه وفهمه وتدبره

إن من صور موالاة المؤمن لكتاب الله تعالى قراءته وحفظه ، فإنها موالاة لله تعالى ، وعبادة له ، بل إن أعظم الذكر قراءة القرآن الكريم ؛ لأنه كلام الله تعالى ووحيه إلى خلقه ، وهو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، مَنْ قال به صدق ، ومَنْ حكم به عدل ، ومَنْ اتبعه هُدِيَ إلى صراط مستقيم .

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بتلاوة هذا القرآن على الناس وتبليغهم إياه ليكون للعالمين نذيراً . قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[١] .

وكذلك أمره ربه سبحانه وتعالى بترتيل هذا القرآن . قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[٢] أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه . قالت عائشة رضي الله عنها : « كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول منها »[٣] .

- وجاء هذا الأمر أيضًا في حق الأمة كلها [وإن كان مخففًا] وخاصة حملة القرآن حيث قال تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[٤] .

---

(١) النمل (٩١ : ٩٢) .

(٢) المزمل (٤) .

(٣) تفسير ابن كثير لسورة المزمل آية (٤) [٤/٤١٩] .

(٤) المزمل (٢٠) .

- فعن أبي رجاء محمد قال : قلت للحسن [البصري] يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به ، إنما يصلى المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن [١] . لعن الله ذاك .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :- وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقًا واجبًا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل . . »[٢] .

- ومن كرم الله تعالى ومنّه على عباده أن يسَّر هذا القرآن للذكر ، وللقرءاة، وللحفظ ، وللفهم ، وللعمل والتطبيق . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٣] .

قال الحافظ بن كثير رحمه الله : «أي سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه ، لمن أراده ليتذكر الناس به» .

قال مجاهد رحمه الله : يعني هوَّنا قراءته.

وقال السدي رحمه الله : يسَّرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه:- لولا أن الله يسَّره على الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل.

﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ :- أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي يسَّر الله حفظه ومعناه ؟

---

(١) يتوسد القرآن : أي يجعله وسادة ينام عليها . وذلك لعدم قراءته والانشغال به .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة المزمل آية (٢٠) [٤/ ٤٢٤].

(٣) سورة القمر (١٧).

قال محمد بن كعب رحمه الله :- « فهل من منزجر عن المعاصي »[١] .

فضل تعَلُّم القرآن وتعليمه:- إن هذا القرآن الكريم هو كلام الله تعالى . تعبدنا بقراءته وتلاوته . ووعدنا بالأجر العظيم لمن قرأه ولمن تعلم أحكامه وكان ماهراً بقراءته . ووصفه النبي ﷺ أنه مع الملائكة الكرام البررة .

قال رسول الله ﷺ: « **الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ومن يقرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران** »[٢] . فرفع النبي ﷺ مكانة قاريء القرآن الذي تعلم أحكامه ويجيد قراءته إلى مكانة ومقام الملائكة ، وأيضًا الذي هو في الطريق إلى التعليم ويحاول أن يقرأ رغم الصعوبة التي يجدها . فلن يُحرم الأجر ، بل له أجران ، أجرٌ على القراءة ، وأجر على هذه المشقة في القراءة ومحاولته للتعلم ، بدون خجل ولا يأس ولا ركبْر . فإن الله سبحانه وتعالى عنده الخير الكثير وخزائنه مليئة .

ولقد رغّب النبي ﷺ في تعلُّم هذا القرآن وتعليمه ، لكي ينتشر الخير ويلتصق المسلم بالقرآن الكريم ويرتبط به ، ويحبه ، ويحفظه في قلبه ، ويطبقه في حياته ، ويواليه ، ويدافع عنه ، ويذب عنه ، وينشره في أرجاء المعمورة .

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه** »[٣] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله :- «نقول يحتمل أن يكون

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة القمر آية (١٧) [٤/ ٢٥٥].

(٢) رواه أبو داود في (ثواب قراءة القرآن الكريم) ح (١٤٥٤) [٢/ ٧١] المتن.

ورواه الترمذي في (ما جاء في فضل قاريء القرآن) وقال : حديث حسن صحيح ح(٣٠٦٨) [٨/ ٢١٦] ضمن تحفة الأحوذي.

(٣) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم ، والذي يُعلِّم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط ، بل من أشرف العمل تعليم الغير ، فمُعلِّم غيره يستلزم أن يكون تَعَلَّمَهُ ، وتعليمه لغيره عملاً وتحصيل نفع متعدٍ . . . لأنا نقول القرآن أشرف العلوم فيكون مَنْ تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علَّمه فيثبت المدعى . . .

وفي الحديث الحث على تعليم القرآن . وقد سئل [سفيان الثوري رحمه الله]:- عن الجهاد وإقراء القرآن فرجَّح الثاني واحتج بهذا الحديث »[1].

فلا عجب من ترجيح سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ لإقراء القرآن عن الجهاد ، فإن الجهاد قد يقوم به الكثير والكثير ، وتتوفر شروطه في كثير من الأُمة ، ولكن قد لا يُتقن تلاوة القرآن الكريم ، ومعرفة أحكامه وتعليمه للمسلمين إلاَّ القليل . فيكون مُكوثهم وتفرغهم لتعليم المسلمين كتاب الله في حقهم أفضل من خروجهم للجهاد ، وخاصة لو كان الجهاد فرض كفاية ويوجد من يقوم به . فيكون تعلمه القرآن وتعليمه للمسلمين باب من أبواب الجهاد ، ونوع من أنواع الموالاة لكتاب الله تعالى ، وتعظيمًا لهذا القرآن وإظهارًا لحُبه له ولمكانته عند المسلم . والله أعلم.

فضل قراءة القرآن وحفظه من السنة المطهرة :-

لقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في فضل قراءة القرآن الكريم وتلاوته مما يُرغب المسلم في الحرص على قراءة هذا القرآن والمواظبة على قراءته في كل حين ، وفي كل وقت فيجعله أنيسه ، ورفيقه ، وهاديه ومرشده ،

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني كتاب (فضائل القرآن) [٨/ ٦٩٣ : ٦٩٤].

ومن هذه الأحاديث ما يلي : -

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حلِّه[١] فيُلْبَسُ تاج الكرامة ،**

ثم يقول : يا ربِّ زده ، فَيُلْبَسُ حُلَّة الكرامة ،

ثم يقول : يا ربِّ ارْضَ عنه ، فيَرْضَى عنه ،

فيقال له : اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة »[٢] .

فانظر كيف كُرِمَ صاحب القرآن . من [تاج الكرامة ، وحُلَّة الكرامة ، ورضى ربه ، وزيادة حسناته ، ورفع درجاته] إكرامًا لهذا القرآن .

- وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله : عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال :- « **يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »[٣] فإن قراءة هذا القرآن وحفظه سبب في رفع درجات المسلم يوم القيامة ، وسبب في رفع درجاته فيؤمر المسلم الذي كان يحفظ من كتاب الله تعالى ـ بأن يقرأ ويرتل كما كان يقرأ ويرتل في الدنيا ، فكلما قرأ آية كلما رُفع بها درجة ، حتى إذا انقطع حفظه كانت درجته ومنزلته .

- وما كان ذلك كذلك إلا لمكانة هذا القرآن وعلو قدره فهو صفة من صفات الله تعالى ، تكلم به وأنزله لعباده عن طريق أمين وحيه [جبريل عليه السلام] على قلب محمد ﷺ إلى عباده المؤمنين ليقرؤوه ويحفظوه ، ويعملوا به ، ويوالوه ، ويدافعوا عنه ، وينشروه في مشارق الأرض ومغاربها . فلا عجب

---

(١) حَلِّه : أي زينه . والمقصود هو حامل القرآن .

(٢) رواه الترمذي في (فضائل القرآن) وقال : هذا حديث حسن صحيح . ح (٣٠٧٦) [٨/ ٢٢٧ : ٢٢٨] ضمن تحفة الأحوذي .

(٣) رواه أبو داود كتاب (الصلاة) باب (استحباب الترتيل في القراءة) حديث رقم (١٤٦٤) ورواه الترمذي كتاب (فضائل القرآن) باب رقم (١٨) حديث رقم (٢٩١٤) .

وقال الترمذي :حسن صحيح . وصححه ابن حبان ، والحاكم ، ووافقه الذهبي . «المستدرك» (١/ ٥٥٢) .

فإنه كلام الله الذي ما إن سمعته الجن حتى قالت : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[١] .

– عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعًا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة** » قال معاوية : بلغني أن البطلة : السحرة [٢] .

وها هو النبي ﷺ يرغبنا في قراءة القرآن ويبين أنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه الذين كانوا يداومون على قراءته وملازمته في الحياة الدنيا ، فلقد كان لسانهم رطبًا من تلاوة هذا القرآن ، ولكم حرمهم النوم بالليل ، ولكم تغنوا به آناء الليل وأطراف النهار ، وكما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن**»[٣] .

وفي رواية أخرى للبخاري رحمه الله : «**من لم يتغن بالقرآن فليس منا**»[٤] .

---

(١) الجن (١ : ٢) .

(٢) رواه مسلم كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الفاتحة وخواتيم البقرة).

(٣) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (من لم يتغن بالقرآن).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» هذه الترجمة لفظ حديث أورده المصنف في الأحكام عن طريق ابن جريج عن ابن شهاب بسند حديث الباب وهو في السنن من حديث سعد بن أبي وقاص وغيره [٨ / ٦٨٥] .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح:

تَغنَّ بالقـرآن حسِّن بـه الصو ت حـزينًا جاهـرًا رنـم

واستغن عن كتب الآلى طالبًا غنى يد والنفس ثم الزم

ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم »[(١)] .

وتغنَّ : أي رتله ترتيلاً رافعًا به الصوت.

حسِّن به الصوت : أي جمل صوتك عند قراءته .

حزينًا: أي بصوت يحمل على الخشوع .

جاهرًا به : أي بصوت عالٍ مرتفع .

غني يد والنفس : أي اجعله سببًا في غنى يدك عن أن تمد للناس ، وغنى لنفسك ولعفتك .

ثم الزم : أي الزم هذا القرآن والزم كل خلق فاضل حث عليه .

- فإن قراءة القرآن كلها خير ، وتعود بكل محمود على صاحبها ، سواء قرأ بحفظ ، أو بغير حفظ ، بفهم ، أو بغير فَهم ، فلن يُحرم الأجر والمثوبة إن شاء الله تعالى .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **مَثَلُ الذي يقرأ القرآن كالأترُجة[(٢)] ، طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن**

---

(١) فتح الباري (كتاب فضائل القرآن) [٨/ ٦٨٩].

(٢) الأتُرجة : هي نوع من الفاكهة تجمع بين طيب الطعم والرائحة ، ولين الملمس ، وجمال المنظر ذات نكهة طيبة ، تمتاز بجودة الهضم ، ويتداوى بقشرها ، يستخرج من حبها دهن له منافع وقيل إن الجن لا يدخل البيت الذي فيه الأتُرج فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه =

كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها ،

- ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ، كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح فيها»[1] .

فلقد قسَّم الرسول ﷺ الرجال حيال القرآن الكريم أربعة رجال :-

١- **مؤمن يقرأ القرآن**: كالأُترجة ، طعمها حلو وهذا هو أصل الإيمان ، وريحها حلو وذلك من قراءة القرآن .

٢- **مؤمن لا يقرأ القرآن**: كالتمرة ، طعمها حلو وذلك لأصل الإيمان عنده ، ولا رائحة لها وذلك لعدم قراءته القرآن .

٣- **فاجر (أو منافق) يقرأ القرآن**: كالريحانة ، طعمها مرٌّ ، وذلك لفُجره أو لنفاقه ، ورائحتها حلوة لقراءته القرآن .

٤- **فاجر (أو منافق) لا يقرأ القرآن** : كالحنظلة ، طعمها مرٌّ ، وذلك لأصل فجره أو لنفاقه ، ولا رائحة لها وذلك لعدم قراءته القرآن .

فانظر يا أخي المسلم كيف عبَّر الرسول ﷺ عن القرآن الكريم [بالرائحة الطيبة] في جميع الحالات ، حتى حينما يخرج من فم الفاجر أو المنافق . وذلك إكرامًا لهذا القرآن ولبيان قيمته ومنزلته «فحري» بالمسلم أن يقرأ هذا القرآن ويتغنى به ، لينال الشرف والكرامة ، ويجزل له العطاء ، ويُزاد في حسناته ، وترفع درجاته ، ويشفع له القرآن الكريم في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم .

= الشياطين ، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن .

انظر فتح الباري كتاب (فضائل القرآن) [٨/ ٦٨٤].

(١) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (فضل القرآن على سائر الكلام).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[١] .

- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحن ذلك ، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فَيَعْلَمَ أو يقرأ آيتين من كتاب لله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع له من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل»[٢] .

- وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفَاتٍ عظام سمان ؟

قلنا : نعم .

قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خَلِفَات عظام سمان »[٣] .

(١) رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء) باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن).

(٢) رواه مسلم كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الاستماع إلى القرآن).

(٣) رواه مسلم كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الاستماع إلى القرآن) .

خَلِفَات : الحوامل من الإبل .

يغدو إلى بطحان : موضع بقرب المدينة .

كوماوين : الكوما من الإبل (بفتح الكاف) العظيمة السنام [1]. [وذلك لبيان مدى جودتها وارتفاع سعرها لترغيب المسلم في قراءة القرآن].

في كَمْ يُقْرأ القرآن ؟ :-

وبعد أن ألقينا الضوء على فضل قراءة القرآن الكريم من الكتاب والسنة ، ينبغي علينا أن نبين أمرًا قد يتبادر إلى الذهن ، وهو هل هناك تحديد وقت محدد أو حد أقصى أو حد أقل لختم القرآن ؟

فهل يُختم كل سنة ؟

أم يُختم كل شهر ؟

أم يُختم كل أسبوع ؟

أم يُختم كل ثلاثة أيام ؟

أم يُختم كل يوم ؟

وهل هناك أمر صريح يفيد الوجوب في هذا الأمر ، بحيث يوجب فعلاً معينًا في وقت محدد بحيث يكون المقصر فيه آثمًا ؟

والجواب : وبالله التوفيق أن قراءة القرآن الكريم عبادة عظيمة وثوابها عظيم عند الله تعالى ولكن الله عز وجل رحيم بعباده ، ورؤوف بهم ، فهو سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها . فعلم سبحانه وتعالى أن فينا ضعفًا فخفف علينا ورفع عنا الحرج . ولم يَحْرِمنا الثواب .

قال تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ

---

(١) النووي شرح صحيح مسلم كتاب (صلاة المسافرين) [٢/٤١٥] .

وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[(١)] فعلم سبحانه بعلمه الأزلي أنه سيكون هناك من يشغله أمر الرزق ، ومن سيمنعه الجهاد في سبيل الله ، ومن سيحول بينه وبين القراءة المرض . فخفف الله علينا ولم يفرض علينا سبحانه شيئًا محددًا في تلاوة القرآن الكريم وحفظه . مع وعده سبحانه بالأجر العظيم لمن علت همته ، ونشط ذهنه، وكان من قُرَّاء القرآن الكريم وحَفَظَتِهِ .

- ولقد أحسن [الإمام البخاري] رحمه الله تعالى عندما بوَّب في صحيحه بابًا وسماه [في كم يُقرأ القرآن] ثم أردف قائلاً وقول الله تعالى: [﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾] وكأنها إشارة من الإمام البخاري رحمه الله بعدم التحديد وأن الأمر حسب الاستطاعة وحسب التيسير ، وأن الأمر فيه سعة ، مع وجود الترغيب والحث على قراءته وحفظه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : «قوله : (يعني البخاري رحمه الله) - [باب في كم يُقرأ القرآن ؟ وقول الله تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾] .

كأنه أشار إلى الرد على من قال أقل ما يجزيء من القراءة في كل يوم وليلة جزء من أربعين جزءًا من القرآن ، وهو منقول عن إسحاق بن راهوية والحنابلة.

لأن عموم قوله : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يشمل أقل من ذلك فمن ادعى التحديد فعليه البيان »[(٢)].

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقراءة القرآن:- لقد وردت قصة عبد الله

(١) المزمل (٢٠).

(٢) انظر فتح الباري كتاب (فضائل القرآن) [٨/ ٧١٢].

ابن عمرو في قراءة القرآن والصيام في الصحيح . وهذه القصة تُظهر لنا مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على قراءة هذا القرآن العظيم والتغني به ، وترتيله آناء الليل وأطراف النهار . وكيف كان هذا القرآن العظيم هو أنيسهم وزادهم ، وشفاء صدورهم ، ونور أبصارهم ، وربيع قلوبهم ، وجلاء همومهم وذهاب أحزانهم .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «**أنكحني أبي امرأة ذات حَسَب**[1] ، **فكان يتعاهد كَنَّتَهُ**[2] **فيسـألها عن بعلها ، فتقول : نعم الرجُلُ من رجلٍ ، لم يطأ لنا فراشًا**[3] ، **ولم يفتش لنا كَنَفًا**[4] **منذ أتيناه . فلما طال عليه ذَكَرَ للنبي ﷺ ، فقال: ألقني به فلقيته بَعْدُ ،**

فقال : كيف تصوم ؟ .

قلت : أصوم كل يوم .

قال : وكيف تختم ؟ . (يعني في كم ليلة تختم القرآن قراءةً ؟)

قلت : كل ليلة .

قال : صم في كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر .

قلت : أطيق أكثر من ذلك .

---

(١) وفي رواية أخرى (انكحتك امرأة من قريش).

(٢) كنته: بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد (زوجته) قاله ابن حجر في الفتح [٨/٧١٣].

(٣) لم يطأ لنا فراشًا: أي لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا . قاله ابن حجر في الفتح [٨/٧١٣].

(٤] لم يُفتش لنا كنفًا: أرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها فتح الباري [٨/ ٧١٣].

قال : صم ثلاثة أيام في الجمعة .

قلت : أطيق أكثر من ذلك .

قال : أفطر يومين وصم يومًا .

قلت : أطيق أكثر من ذلك .

قال : صم أفضل الصوم . صوم داود ، صيام يوم ، وإفطار يوم . واقرأ في كل سبع ليالٍ مرة . فياليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ » [(١)] .

وفي رواية أخرى أيضًا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ القرآن في شهر ، قلت إني أجد قوة ، حتى قال : فاقرأهُ في سبع ولا تزد على ذلك » [(٢)] .

ونستنتج من هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ليس هناك مدة محددة تحديدًا ملزمًا لختم هذا القرآن الكريم ، وأن هذا التحديد الذي ورد في هذين الحديثين وغيرهما من الروايات التي عند أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم ليس على سبيل الجزم ولا على سبيل الفرض والوجوب ، بل على سبيل الأفضلية ويبقى الأمر بعد ذلك متروكًا لكل مسلم حسب وقته وطاقته ونشاطه . فهو ميدان فسيح للتسابق في أبواب الخير .

[وذلك بدليل مراجعة عبد الله بن عمرو للنبي ﷺ وذلك لفهمه أن الأمر ليس للوجوب وليس للتحديد الملزم].

---

(١) ، (٢) رواهما البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (في كم يُقرأ القرآن) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : «وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم ، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب ، وعُرِفَ ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق ، وهو النظر إلى عجزه عن سوى ذلك في الحال أو في المآل .

وأغرب (أي جاءوا بالشيء الغريب) بعض الظاهرية فقال: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث .

وقال النووي رحمه الله : أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك ، وإنما هو بحسب النشاط والقوة ، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص . والله أعلم»[1] .

فهم القرآن وتدبره

ومن أنواع الولاء لكتاب الله تعالى أيضًا «فهمه وتدبره» فإن هذا المسلم الذي قرأ هذا القرآن وحفظه ، وترنَّم به آناء الليل وأطراف النهار لحريٌّ به أن يفهم هذا القرآن ويتدبره ، ويعيش مع معانيه ، ويعي آياته ، ويغوص بين دفتي المصحف ليخرج اللآليء ، لكي يكون قد استجاب لأمر ربه وتوجيهات رسوله ﷺ بتدبر هذا القرآن وفهمه . قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2] . وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4] . فإن فهم القرآن الكريم وتدبره لن يتحقق إلاَّ لمن أحب

(١) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني كتاب (فضائل القرآن) [٨/ ٧١٥].

(٢) محمد : ٢٤.

(٣) القمر: ١٧ .

(٤) الزمر: ٢٧ .

القرآن من قلبه ، وأخلص في ولائه ، وصدق في إيمانه ، فإن المسلم يحاول فهم معاني القرآن الكريم ويتدبره من أجل أن يعمل بما فيه ، ويلتزم بأوامره وينتهي عن نواهيه ، ليحقق العبودية الحقه لله تعالى . فالقرآن الكريم كلام الله الموجه إلى عباده ، ليكون لهم شريعة ومنهاجًا ، وهدى ونجاة ، وعزة وكرامة ، ومؤنسًا وشفيعًا ، وقائدًا إلى الجنة ورضوان الله تعالى .

فينبغي على المسلم الذي أخلص ولاءه لله تعالى ولكتابه العزيز أن يعيش مع هذا الكتاب الحميد ويتدبره ويتعرف على آياته وحِكَمِه ، وينتفع بقصصه ومواعظه ، ويقف عند حدوده ويلتزم بأوامره ويبتعد عن نواهيه ويطبقه في حياته كلها كبيرها وصغيرها حتى يكون قد أخلص لهذا الكتاب ووالاه حق الموالاة ، وحتى ينال رضا ربه يوم يلقاه ، وحتى يشفع له هذا القرآن العظيم يوم يلقى ربه . وذلك جزاء قراءته لهذا القرآن وحفظه وفهمه وتدبره والعمل به والحكم به والتحاكم إليه . وكيف لا وهو كلام الله تعالى وصفة من صفاته .

علاقة قراءة القرآن الكريم وحفظه بالولاء :-

وقد يتبادر إلى ذهن البعض بعد هذا العرض المبسط عن فضل قراءة القرآن الكريم وحفظه بعقيدة الولاء . وما هو الرابط بين هذا الكتاب وهذه العقيدة .

والجواب على هذا التساؤل له جوانب عديدة نذكر بعضها :-

١- إن هذا المؤمن وهذا المسلم ما قَدِمَ على تلاوة هذا القرآن وعلى حفظه إلاَّ عبادة لله تعالى ، وتعبدًا لله تعالى بهذه القراءة وهذا الحفظ .

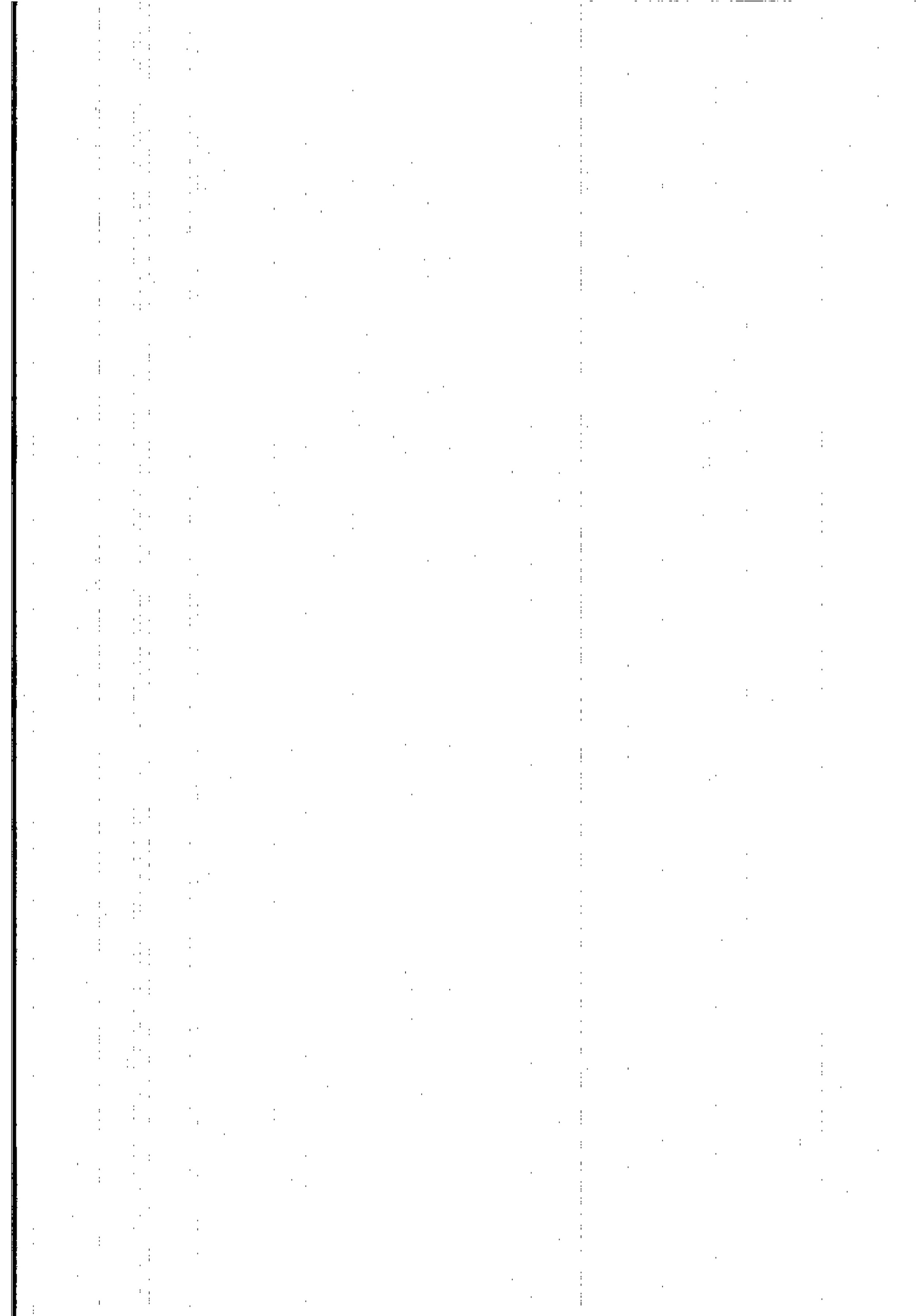
وأيضًا فإن عقيدة الولاء هي عبادة لله تعالى يتقرب بها العبد لربه ، ويرجو من الله عليه الأجر والمثوبة ، [فالعبادة] قد جمعت بين هذين الشيئين في بوتقة الإيمان .

٢- إن المؤمن حينما يقرأ هذا القرآن الكريم ويحفظه ما قَدِمَ على هذه التلاوة وهذا الحفظ إلاَّ عن [حبٍ] لهذا القرآن .

وعقيدة الولاء ـ كما أسلفنا في التمهيد ـ تقوم على أصل [الحب] . فكان حب المؤمن لهذا القرآن الكريم وحرصه على تلاوته وحفظه هو نوع من أنواع الولاء لهذا القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى .

٣- إن هذا المؤمن الذي يقرأ كتاب الله تعالى ويحرص على حفظه ، ما قَدِم على ذلك إلاَّ لعلمه أنه [كلام الله تعالى] وصفة من صفاته ، وأن الله يحب من يقرأه ويتغنى به فَقَدِمَ المؤمن على هذه القراءة وهذا الحفظ من باب [الحب لله ولصفاته] وطلبًا لرضا الله تعالى ، فكان ذلك دربًا من دروب الولاء لله تعالى ولكتابه العزيز ، وتبليغًا له في أنحاء المعمورة وذلك أيضًا نوع من أنواع الولاء لهذا الكتاب.

٤- إن الذي أحب القرآن كل هذا [الحب] ووالاه ، فسوف يغار عليه أشد الغَيْرة ، وسوف يناضل عنه ، ويدافع عنه ، ويدفع شُبهَ كل من سولت له نفسه في النيل من هذا القرآن العظيم ، فهو في رباط ، ووهب نفسه لله تعالى دفاعًا عن هذا الدين الذي اعتنقه ، وهذا القرآن الذي أحبه ، فهذا من أعلى مقامات الولاء لهذا القرآن العظيم .



[المبحث الثاني]

﴿ العمل به ﴾

المبحث الثاني
العمل به

إن من صور الموالاة لكتاب الله تعالى بعد قراءته وحفظه ، العمل به ، فإن العمل بالقرآن الكريم هو الثمرة الحقيقية والمرجوة من قراءة هذا الكتاب وحفظه ، فالعمل به هو الغاية ، وهو النتيجة الطبيعية والمفترضة ، بعد هذه القراءة الطيبة ، وبعد تحسين الصوت به ، وبعد تطبيق أحكام التجويد ، والاهتمام بمخارج الحروف ، وبعد خشوع القلب وبعدما لانت الجوارح ، وبعدما جهد المسلم ذهنه ، وأمعن فكره ، وحفظ كتاب ربه ، وجب عليه العمل به ، وإلاً أصبح حجة عليه ولم يبتغ به وجه الله تعالى ، ولربما يكون المانع من العمل به أنه ما قرأه إلا رياءً . وحذر الرسول ﷺ من هذا الصنف فقال : «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » [(١)] .

- وكذلك يجب أن نري أثر هذه القراءة ، ونتيجة هذا الحفظ ، وأن نلمس كل ذلك في خلق المسلم وسلوكه ومعاملاته . حتى لا يقع المسلم في التناقض، وحتى لا يكون ممن يفعلون ما لا يقولون ، ويقولون ما لا يفعلون ، فلقد عاتب الله تعالى عباده المؤمنين لما وقعوا في هذا التناقض ، وتمنوا ما لم يفعلوا ، ولم

---

(١) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (إثم من راءى بقراءة القرآن).

يوفوا بما عزموا ، ولم يقوموا بما قالوا . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[(١)] .

- « فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال : إيمان به لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به ، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[(٢)] . وهذ اختيار ابن جرير »[(٣)] .

فانظر أخي المسلم حامل القرآن كيف عاتب الله تعالى هؤلاء الصفوة من المؤمنين من صحابة رسول الله ﷺ ؟ على أنهم تمنوا أمرًا يتقربون به لله تعالى فلما كُتِبَ عليهم شق ذلك على بعضهم ، فكيف بحامل القرآن ، الذي يتغنَّى بآيات الله تعالى . ويرتل كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويمر على آيات المعاملات ، وآيات الأحكام ، وقصص الأنبياء والمرسلين ، ثم نجده في جهة مغايرة لما قرأ ورتل ؟ نراه أبعد ما يكون عن أخلاق القرآن ، وأوامره ونواهيه ، إنه لشيء عجاب ، فإنه أحرى بحامل القرآن ، وبقاريء القرآن ، أن يكون أقرب الناس للخُلُقِ القرآني الكريم ، وأن نرى آثار هذا القرآن العظيم على جوارحه .

ولذلك هدد الله تعالى الذين يقرؤون هذا القرآن الكريم ولا ينقادون له ، ولا يأتمرون بأمره ، ولا ينتهون بنهيه ، بل مجرد سماع آيات القرآن الكريم يوجب الانقياد وسرعة الاستجابة لأمر الله تعالى . قال تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ

---

(١) ، (٢) الصف: ٢، ٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير لسورة الصف آية ٣ [٤/٣٤٥].

لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرءانُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[1] . «أي فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن الكريم لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا » ولذلك حكم الله عليهم بالكفر والتكذيب فقال تعالى : « بل الذين كفروا يكذبون » . أي أن من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق . ولذلك جاء الإخبار الإلهي بأن الله تعالى يعلم ما في صدورهم وما يخفون من التكذيب والعناد والصد عن الحق بعد إذ جاءهم وعرفوه . قال تعالى : ﴿ **والله أعلم بما يوعون** ﴾ ثم يأتي الجزاء والعقاب من الله تعالى على هذا الصد والتكذيب : ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ .

ثم يأتى الاستثناء المنقطع ، للذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم لهم أجر ـ أي في الدار الآخرة ـ غير ممنون ـ أي غير منقوص وغير مقطوع ولا محبوس »[2] .

وأقول : إذا كان هذا الوعيد وهذا التهديد لمن قُرِأَ عليه القرآن ولم يسجد لله تعالى ولم يُعظِّم هذه الآيات ولم يتعظ بها ولم يؤمن بها .

فمن باب أولى أن يُزْجَرَ هذا الذي آمن بالقرآن وقرأه بل وحفظه ، ثم لم يلتزم به ، ولم يؤثِّر فيه هذا القرآن ، ولم ينزجر لزواجره ، ولم يخشع لآياته ، ولم يأتمر بأمره ، رغم أنه أولى الناس أن يكون أكثر التزامًا به . ، وأن يكون قدوة حسنة لغيره ، فإن من أهم مقتضيات الولاء والموالاة لهذا الكتاب ، هو

---

(١) الانشقاق: ٢٠ - ٢٥ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة الانشقاق آية ٢٠ : ٢٥ [٤/٤٧٥] وذلك بتصرف بسيط.

الالتزام والعمل بهذا القرآن ـ وتطبيقه على النفس ـ ثم على مَنْ يعول ـ ثم على الأصحاب والجيران ، ثم التحرك بهذا القرآن في مشارق الأرض ومغاربها يدعو له وينشر آدابه وفضائله ويدعو إلى تحكيمه ـ فيكون بذلك قد أحب هذا القرآن أصدق الحب ـ ووالاه أصدق الموالاة ـ فيكون نعم حامل القرآن وقارىء القرآن الذي قرأ ، والذي حفظ ، والذي عمل به وطبقه .

- ثم لننظر إلى هذه الطائفة المستثناة في الآية الماضية فهم ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ ، هكذا إيمان يتبعه عمل . فلا ينفع إيمان بلا عمل ، ولا ينجي قول بلا فعل ، وذلك مقرر في أغلب آيات القرآن الكريم ، فما يذكر الإيمان «الذين آمنوا» إلاَّ ويذكر بعدها « وعملوا الصالحات » .

فكما إن الإيمان لا ينفع إلا بعمل ، فالقرآن الكريم لا ينفع صاحبه إلا إذا عمل به وطبقه ، وإلاَّ سيكون بئس حامل القرآن إذا ناقض فعله ما حفظ في صدره ، ويقع تحت قوله تعالى لبني إسرائيل الذين حملوا العلم ولم ينتفعوا بما فيه ، ولم يعملوا به ـ بل وخالفوه ـ ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1]. ولذلك بشَّر الرسول ﷺ الذين يقرؤون القرآن ويعملون به بالبشرى الحسنة يوم القيامة .

فعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول : «**يُؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال : «كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْف ، أو كأنهما حزقان من طير صواف**

---

(١) الجمعة: ٥ .

تحاجان عن صاحبهما »[١].

الرسول ﷺ والعمل بالقرآن :

إذا كنا في صدد الحديث عن الولاء لكتاب الله تعالى ، والعمل به ، فإن خير من أحب هذا القرآن ، وأشرف من قرأه ، وأفضل من حفظه ، وأكرم من عَمِلَ به ، وأحسن من طبقه هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

وكيف لا وهو الأسوة الحسنة ، والقدوة ، والرحمة ، والسراج المنير لهذه الأمة ، فهو الرحمة المسداة ، والنعمة المهداة ، وكاشف الغمة ، وماحي الظلمة؟ لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أعلى مقامات الالتزام بهذا القرآن العظيم وفي العمل به وفي تطبيقه ، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نأخذ منه ﷺ القدوة ، والأسوة الحسنة قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾[٢] .

ولقد انطبع هذا القرآن وحب رسول الله ﷺ له وموالاته له في خُلقه ﷺ وكل معاملاته وسلوكه . كما قال تعالى مادحًا هذا النبي الكريم ﷺ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[٣] .

وعن حكيم بن أَفْلَح رضي الله عنه أنه سأل السيدة عائشة رضي الله عنها فقال : «قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ . قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن »[٤].

---

(١) رواه مسلم كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة) .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) القلم: ٤ .

(٤) رواه مسلم كتاب (صلاة المسافرين) باب (صلاة الليل والوتر) .

قال الإمام النووي رحمه الله:- «قولها : (فإن خلق نبي الله كان القرآن) معناه العمل به ، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بآدابه ، والاعتبار بأمثاله وقصصه ، وتدبره ، وحسن تلاوته . »[١] .

وقال ابن كثير رحمه الله :- « ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهيًا سجية له وخلقًا تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ؛ فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء ، والكرم ، والشجاعة ، والصفح ، والحلم وكل خلق جميل »[٢] .

- ومن هذا الخلق الجميل ، والتخلق بالقرآن الكريم ، ما يلي :-

- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت : «ما خُيِّر رسول الله ﷺ في أمرين قط إلاَّ أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا ، كان أبعد الناس منه . وما انتقم رســول الله ﷺ لنفســه ، إلاَّ أن تنتهك حـرمة الله فينتقم لله بها »[٣].

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما : - كان النبي ﷺ أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان »[٤] .

وقال أبو ذر رضي الله عنه :- لما بلغَهُ مَبعثُ النبي ﷺ ، قال لأخيه :

---

(١) النووي شرح صحيح مسم كتاب (صلاة المسافرين) [٢/٣٦٩] .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة القلم آية (٤) [٤/٣٨٨] .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ كتاب (حسن الخلق) باب (ما جاء في حسن الخلق) .

ورواه البخاري كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ورواه مسلم كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام).

(٤) روى الأثر البخاري كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء).

اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله ، فرجع فقال : « رأيته يأمر بمكارم الأخلاق » [1] .

- وعن مسروق قال : كنا جلوسًا عند عبد الله بن عمر يحدثنا إذ قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ، وإنه كان يقول : « **إن خياركم أحسنكم أخلاقًا** » [2] .

- وعن أنس رضي الله عنه قال : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أفٍ ، ولا : لِمَ صَنَعتَ ؟ ولا ألا صَنَعتَ ! » [3] .

وما هذا إلاَّ غيض من فيض ، وإلاَّ فخلق الرسول ﷺ أكبر وأعلى وأعظم من أن تحويه سطور ، أو يخطه قلم ، فلقد طبَّق هذا القرآن العظيم حق التطبيق ، ووالاه حق الموالاة ، فكان القدوة المشرفة ، والأسوة الحسنة ﷺ .

---

(١) روى الأثر البخاري كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء) .

(٢) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء) .

(٣) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (حسن الخلق والسخاء) .

[المبحث الثالث]

﴿ التحاكم إلى كتاب الله تعالى ﴾

المبحث الثالث
التحاكم إلى كتاب الله تعالى

إن موالاة المؤمن لكتاب الله تقتضي التحاكم إلى كتاب الله تعالى ، فهو شرط من شروط الإيمان ، وركن من أركان الموالاة لهذا الكتاب العظيم .

فإن هذا الحب الذي أحبه المؤمن لهذا الكتاب الكريم ، وهذه الموالاة التي حملته على قراءته وحفظه ودفعته إلى العمل به ، وألزمته تطبيقه في قوله ، وفعله ، وسلوكه ، وكل معاملاته ، إنها لتحمل هذا المؤمن إلى التحاكم لهذا الكتاب العظيم ، وهذه الشريعة الغراء .

فحتى يُثبت المؤمن صدق حبه لكتاب الله ، وإخلاصه في موالاته لهذا الكتاب ، لابد أن يترجم هذا الحب ، وهذه الموالاة ، إلى عمل وتطبيق ، فكيف يدعي حبه للقرآن الكريم ، وموالاته له ، ثم يعرض عنه ، ولا يتحاكم إليه، ولا يُحكِّمه في كل أموره ، وشئون حياته ، وفي دينه ودنياه ؟! قال تعالى: ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[1] . فإن هذا القرآن العظيم فيه صلاح الدين والدنيا ، وفيه سعادة المرء وراحة باله ، وكيف لا والذي أنزله ، وتكلم به ، هو الله تعالى الذي يعلم كل شيء ؟! قال تعالى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[2] ، بل سبحانه وتعالى يعلم ما يدور في نفس العبد ، وما توسوس به

(١) الأنعام : ٣٨ .

(٢) الملك : ١٤ .

نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، ويعلم ما كان من العبد ، وما لم يكن ، لو كان كيف كان ، قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[1] .

فكان لزامًا على هذا العبد الذي أعلن حبه لكتاب الله ، وصرَّح بموالاته لهذا الكتاب العظيم ، وهو يَعْلَم أن مُنزِّلَهُ هو العليم الخبير ، كان لزامًا عليه أن يهرول إلى كتاب الله تعالى ، ويسرع إليه ، ويُحكِّمه ، في كل أموره ، ويذعن ، ويسلم ، ويرضى ، عن حبٍ وإخلاصٍ ، وذلٍ وعبوديةٍ لله تعالى ، وحب لهذا الكتاب وموالاة له .

- وإلاَّ لو حدث خلاف ذلك ، ولم يتحاكم [من ادعى الحب ، وأظهر الموالاة لهذا الكتاب] إلى كتاب الله وتركه وراء ظهره ، وتحاكم إلى غيره من الطواغيت ، فهو كاذب في ادعائه الحب ، مخادع في افترائه الموالاة .

فإن الموالاة لكتاب الله تعالي ليست مجرد كلمة تُقال ، ولا مجرد شعار يرفع ، ولا أرجوزة يُتغنى بها . بل هي عقيدة وتوحيد ، ودين والتزام ، وشريعة ومنهاج ، لابد أن يسير فيها المؤمن ، على شريعة الله ووفق منهج رسول الله ﷺ وعلى درب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة .

فنرى المؤمن الحق ، والمحب المخلص ، والموالي الصادق لكتاب الله تعالى يهرول دائمًا ويسرع إلى كتاب الله تعالى في كل أمر من أموره ، ويتحاكم إليه في كل كبير وصغير ، في كل عظيم وحقير ، فهو المرجع ، وهو المصدر ، وإليه التحاكم ، وإليه النزوع ، فهو في قلوبنا ، وإليه تحاكمنا ، وهو منهجنا وشريعتنا ، لا نزيغ عنه طرفة عين ، ولا نرضى بغيره بديلاً .

---

(١) غافر : ١٩ .

التحاكم إلى كتاب الله من شروط الإيمان

إن موالاة المؤمن لكتاب الله تعالى والتحاكم إليه عبادة ، من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها العبد لله تعالى ، ويُعلن فيها وبها عن عبوديته لله تعالى ، وامتثاله لأوامره ، وانتهائه عن نواهيه ، ويُعلن بها عن حبه لكتاب الله تعالى ، الذي هو صفة من صفاته تعالى ، فهو كلامه ، تكلم به على الحقيقة ، كيفما شاء ، وعلى ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

ولكن يجب علينا ونحن في مضمار هذا الحب ، وفي صدد هذه الموالاة أن نعلم ، وأن نعتقد أن هذا التحاكم لكتاب الله تعالى يختلف عن كثير من العبادات، فهو ليس كأي عبادة ، فهو ليس أمرًا مستحبًا ولا نافلة يتنفل بها العبد، ولا أمرًا اختياريًا يتطوع به العبد . بل هذا التحاكم فرض أوجبه الله على عباده.

وأيضًا هذا الفرض ليس كأي فرض من الفروض ، فهو شرط من شروط تحقيق الإيمان عند العبد ، فمن لم يحققه ينتفي عنه الإيمان ، ويخرج من مسمى المؤمنين لأنه أبى أن يُحكِّم ربه في شئونه ، وكأنه جحد ربوبيته ، وتمرد على ألوهيته ، ومنعه حقًا من حقوقه ، وهو الحكم بين عباده ، والقضاء بين خلقه .

قال تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] .

فانظر أخي المسلم كيف جعل الله تعالى التحاكم إلى رسول الله ﷺ ، المتمثل في شرع الله تعالى وسنة نبيه ﷺ المكملة له والشارحة والمبينة

(١) النساء: ٦٥ .

والموضحة ، جعل الله تعالى هذا التحاكم شرط الإيمان . بل يتعدى الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك فبعد هذا التحاكم لابد من الرضى والإذعان ، والخضوع ، والتسليم ، وعن حب ورضى وتسليم وتفويض .

الله أكبر: إنه الإيمان الحق الذي يرضى فيه العبد عن ربه ، ويلتجئ إليه ، ويتحاكم إلى شرعه ، ويُسلِّم له في كل ما حكم ، وفي كل ما أمر ، وفي كل ما شرَّع وقضى ، فلا يوجد مثل هذا الحب ، ولا مثل هذه الموالاة ، ولا مثل هذه العبودية لغير الله تعالى ، فهذه هي عقيدة المسلم الذي تفرد بها عن باقي الأديان والمذاهب والأحزاب ، ولذلك عرَّف بعض السلف رحمهم الله العبادة [التي يندرج تحتها التحاكم إلى كتاب الله] بقولهم :-

«العبادة هي الحب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، والخضوع لمحبوبه ، فالعبد هو الذي ذلَّله الحب ، فبحسب محبة العبد لربه وتذلُّله له ، تكون طاعته ، فمحبة العبد لربه وذُلُّهُ له يتضمن عبادته وحده لا شريك له والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذلّ لله تعالى بغاية المحبة له كما **قال ابن القيم رحمه الله تعالى :**

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان

والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرتضي بجنان

ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان»[1]

---

(١) نقلاً عن (رسالة في تعريف العبادة وتوحيدها) للشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين . ضمن (مجموعة التوحيد) ص (١٤٠) .

سبب نزول الآية : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ . . . ﴾[١] .

روى البخاري رحمه الله عن عروة رضي الله عنه قال : « خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شَريج من الحرَّة فقال النبي ﷺ : « **اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك** » فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمَّتك ؟ فتلوَّن وجهه ، ثم قال : « **اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدْر ، ثم أرسل الماء إلى جارك** » .

واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلاَّ نزلت في ذلك **﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾** . »[٢]

ويستنتج من هذا الحديث أنه يجب التحاكم إلى شرع الله [المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ] وكذلك يجب الرضى بحكم الشرع والتسليم له ، عن حب وإذعان ، وبدون سخط ولا ضجر .

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله في هذه الآية :

« ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحد الإسلام . يقرره الله سبحانه بنفسه ، ويقسم عليه بذاته ، فلا يبقى بعد ذلك قول القائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام ، ولا تأويل المأوِّل ، اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام . . وهي أن هذا القول مرهون بزمان ، وموقوف على طائفة من الناس وهذا قول من لا يدرك من الإسلام شيئًا ، ولا يفقه من التعبير قليلاً ولا كثيراً ،

(١) النساء : ٦٥ .

(٢) رواه البخاري كتاب (التفسير) تفسير سورة النساء باب ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ .

فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام ، جاءت في صورة قسم مؤكد ، مطلقة من كل قيد . . وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسو ل الله ـ ﷺ ـ هو تحكيم شريعته ومنهجه . وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته ـ ﷺ ـ وذلك قول أشد المرتدين ارتدادًا على عهد أبي بكر - رضي الله عنه ـ وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين : بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير ، وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله ، في حكم الزكاة وعدم قبول حكم الله فيها ، بعد الوفاة!

وإذا كان يكفي لإثبات « الإسلام » أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله . . فإنه لا يكفي في « الإيمان » هذا ، ما لم يصحبه الرضى النفسي ، والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان ، في اطمئنان ! هذا هو الإسلام . . وهذا هو الإيمان . . فلتنظر نفس أين هي من الإسلام ، وأين هي من الإيمان ؟ قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان ! »[١] .

وقال ابن كثير رحمه الله :

« يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكِّم الرسول ﷺ ولهذا قال : ﴿ **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ أي : إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا ، من غير ممانعة ، ولا مدافعة ، ولا منازعة . . . »[٢]

---

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ سيد قطب (سورة النساء) آية (٦٦) [٢/٦٩٦ : ٦٩٧] .

(٢) تفسير ابن كثير (لسورة النساء) آية (٦٥) [١/٤٩٣] .

شرع الله رحمة

إن شرع الله تعالى ، والتحاكم إلى كتاب الله تعالى ، رحمة للعالمين ، وفيه صلاح البشرية ، وهدى البرية ، وتقويم النفس البشرية ، وإصلاح النفوس السوية ، وشرح للصدور ، وجلاء للهموم ، وشفاءٌ للأمراض والهموم ، وذلك لأن منزل هذا الكتاب ، ومشرع هذا الشرع هو الله رب العالمين ، الذي خلق الخلق ، ويعلم ما يصلحهم فأمرهم به ، ويعلم ما يفسدهم فنهاهم عنه ، فما يأتمر بأمره إلاّ كل عاقل رابح ناج من النار ، وما يعرض عنه إلاّ كل غبي ، شقي، فاجر ، محروم من الجنة ، هاوٍ في النار والعياذ بالله .

فلم يكلف الله عبدًا في كتابه العزيز إلاّ ما يطيقه ، وما هو في متناوله ، وما نهاه عن شيء إلاّ وفيه رحمة من الله بعبده ، ولكن ما هي إلاّ النفس الخبيثة التي تأبى الإذعان لخالقها فترتكب المحرم وإن كان شاقًا عليها ، وتُعرض عن الأمر وإن كان سهلاً ميسرًا قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[1] .

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله :-

« . . . وبعد أن يقرر أن لا إيمان قبل تحكيم رسول الله - ﷺ - وقبل

(١) النساء : ٦٦ - ٦٨ .

الرضى والتسليم بقضائه ، يعود ليقول : إن هذا المنهج الذي يدعون إليه ، وهذه الشريعة التي يقال لهم : تحاكم إليها ـ لا لسواها ـ وهذا القضاء الذي يتحتم عليهم قبوله والرضاء به .. إنه منهج ميسر ، وشريعة سمحة ، وقضاء رحيم .. إنه لا يكلفهم شيئًا فوق طاقتهم ، ولا يكلفهم عنتًا يشق عليهم ، ولا يكلفهم التضحية بعزيز عليهم .. فالله يعلم ضعف الإنسان ، ويرحم هذا الضعف .

والله يعلم أنهم لو كُلفوا تكاليف شاقة ، ما أداها إلا قليل منهم .. وهو لا يريد لهم العنت ، ولا يريد لهم أن يقعوا في المعصية .. ومن ثم لم يكتب عليهم ما يشق ، وما يدعو الكثيرين منهم للتقصير والمعصية . ولو أنهم استجابوا للتكاليف اليسيرة التي كتبها الله عليهم ، واستمعوا للموعظة التي يعظهم الله بها ، لنالوا خيرًا عظيمًا في الدنيا والآخرة ، ولأعانهم الله بالهدي ، كما يعين كل من يجاهد للهدى بالعزم والقصد والعمل والإرادة ، في حدود الطاقة . إن هذا المنهج ميسر لينهض به كل ذي فطرة سوية . إنه لا يحتاج للعزائم الخارقة الفائقة ، التي لا توجد عادة إلا في القلة من البشر . وهذا الدين لم يجيء لهذه القلة القليلة . إنه جاء للناس جميعًا ، والناس معادن وألوان ، وطبقات من ناحية القدرة على النهوض بالتكاليف ، وهذا الدين ييسر لهم جيمعًا أن يؤدوا الطاعات المطلوبة فيه ، وأن يكفوا عن المعاصي التي نهى عنها »[1] .

وجوب التحاكم إلى كتاب الله عند التنازع :

كما قررنا قبل ذلك أن التحاكم إلى كتاب الله تعالى أصل من أصول

---

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ / سيد قطب (سورةالنساء) آية (٦٥) [٢/ ٦٩٧].

الإيمان، وأنه شرط للإيمان ، ونوع من أنواع الموالاة لكتاب الله تعالى .

ولكن ينبغي أن ننبه أن هذا الكتاب العظيم الذي نتحاكم إليه في جميع شئوننا ، وفي أمور ديننا ودنيانا ، ينبغي أن يكون هو المهيمن علينا ، ولا ننخلع منه في كبير ولا في صغير ، بل هو مرجعنا في كل وقت ، وفي كل زمان ، وفي كل القضايا ، وفيما هو لنا ، وفيما هو علينا ، وأيضًا هو مرجعنا عند التنازع ، وعند الاختلاف ، وعند تغاير وجهات النظر ، واختلاف الآراء .

قال تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[١] .

قال ابن كثير رحمه الله :-

« قال مجاهد وغير واحد من السلف :- أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يُردّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾[٢] .

فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا به بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ .

أي : ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم ﴿ **إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ .

---

(١) النساء: ٥٩ .

(٢) الشورى: ١٠ .

فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر .

وقوله : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير . و﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ .

أي : وأحسن عاقبة ومآلاً ، كما قال السدي وغير واحد.

وقال مجاهد : – وأحسن جزاءً وهو قريب . »[1]

ويقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله :

« وفي هذا النص ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ...﴾ القصير يبين الله ـ سبحانه ـ شرط الإيمان وحد الإسلام ، في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة ، وقاعدة الحكم ، ومصدر السلطان . . وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده ، والرجوع إليه فيما لا ينص عليه نصًا ، من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال ، مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام . . ليكون هنالك الميزان الثابت ، الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام ؟

إن « الحاكمية » لله وحده في حياة البشر ـ ما جلّ منها وما دق ، وما كبر منها وما صغر ـ والله قدْ سنَّ شريعة أودعها قرآنه ، وأرسل بها رسولاً يبينها للناس، ولا ينطق عن الهوى ، فسنته ـ ﷺ ـ من ثم شريعة من شريعة الله . »[1]

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة النساء) آية (٥٩) [١/ ٤٩٢] .

(٢) (في ظلال القرآن) للأستاذ / سيد قطب سورة النساء آية (٥٩) [٢/ ٦٩٠] .

كُفْرُ مَنْ تحاكم إلى غير كتاب الله :-

إذا كان التحاكم إلى كتاب الله تعالى ، هو نوع من أنواع الموالاة لكتاب الله تعالى ، وهو إيمان بالله ، فإن التحاكم إلى غير كتاب الله تعالى هو كفر ، يخرج صاحبه من الملة ، ويجعله خارج دائرة الإسلام ، ويبعده عن حظيرة الإيمان ، فإن من تحاكم إلى غير الله تعالى وكأنه قيَّد نفسه لمن تحاكم إليه وصار عبداً له ، يأخذ منه ، ويأتمر بأمره ، وينتهي بنهيه ، ويأخذ منه الحلال والحرام ، فصار بذلك عبداً له من دون الله تعالى .

سواء أكان هذا الذي تحاكم إليه إنسًا أو جنًا ، أو مَلَكًا ، أو أميراً ، أو حاكمًا أو زعيمًا ، أو أبًا ، أو أخًا . فلا فرق في ذلك ما دام التحاكم قد صُرف لغير كتاب الله فإن الكفر قد وقع ، فالكل يُعدّ في ميزان الشرع طاغوتًا . لأنه قد تحاكم إليه هذا الذي زلت قدمه ، وغوى عقله ، وفسدت طبيعته ، واختل مزاجه، وانتكست فطرته .

- فإن لكل قول حقيقة ، ولكل اعتقاد واقع ملموس ، فإن الإيمان لابد وأن يترجم إلى عمل ولا يكفي كونه مجرد اعتقاد أجوف ، لا يخرج من القلب ، ولا يُرى في واقع الحياة ، ولا تشرق عليه الشمس .

فهذ الذي ادعى الإيمان بهذا الكتاب العظيم ، وهذا القرآن الكريم ، لابد وأن يتحاكم إليه ويرجع إليه في كل كبير وصغير ، وفي كل أمور الدنيا والدين .

وإلاَّ فيكون كاذبًا في ادعائه ، مفترٍ في أقواله ، ظالمًا في أحكامه ، جاحداً لربه وإلهه ، كافراً بربه وبكتابه .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ

مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ [١] وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٢] .

سبب نزول الآية :-

قال ابن كثير رحمه الله : «هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما ذكر في سبب نزول هذه الآية :- أنها في رجل من الأنصار ، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول : بيني وبينك محمد (ﷺ) .

وذاك يقول : بيني وبينك كعب بن الأشرف [٣] .

وقيل :- في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام ، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية .

وقيل : غير ذلك والآية أعم من ذلك كله ، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هنا»[٤] .

ويزيد الأستاذ / سيد قطب الأمر وضوحًا فيقول :-

« ألم تر إلي هذا العجب العاجب .. قوم .. يزعمون الإيمان ثم يهدمون

---

(١) الطاغوت : هو كل مَنْ عُبِدَ مِن دونِ الله وهو راض [والتحاكم نوع من أنواع العبادة بل هو من أعظمها] .

(٢) النساء: ٦٠ .

(٣) كعب بن الأشرف : وهو من اليهود الذين كانوا يقبلون الرشوة ويجاملون في حكمهم من يدفع أكثر .

(٤) تفسير ابن كثير لسورة النساء آية (٦٠) [١/ ٤٩٢] .

هذا الزعم في آن؟! قوم «يزعمون» أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر ، وإلى منهج آخر ، وإلى حكم آخر . . يريدون أن يتحاكموا إلى . . الطاغوت . . الذي لا يُستمد مما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك ، ولا ضابط له ولا ميزان ، مما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك . . ومن ثم فهو . . طاغوت . . طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية . وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضًا ! وهم لا يفعلون هذا عن جهل ، ولا عن ظن . . إنما هم يعلمون يقينًا ويعرفون ، أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه : ﴿**وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ . . فليس في الأمر جهالة ولا ظن ، بل هو العمد والقصد . ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم ، زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما هو الشيطان الذي يريد لهم الضلال الذي لا يُرجى منه مآب . . ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ . . فهذه هي العلة الكامنة وراء إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت ، وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الخروج من حد الإيمان وشرطه بإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت ! هذا هو الدافع يكشفه لهم . لعلهم ينتبهون فيرجعوا . ويكشفه للجماعة المسلمة ، لتعرف مَنْ يحرك هؤلاء ويقف وراءهم ، كذلك إن المقتضى الفطري البديهي للإيمان ، أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به ، وإلى من آمن به . فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل ، وبالرسول وما أُنزل إليه ثم دُعي إلى هذا الذي آمن به ، ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه ، كانت التلبية الكاملة هي البديهية الفطرية ، فأما حين يصدّ ويأبى فهو يخالف البديهية الفطرية . ويكشف عن النفاق . ويُنبئ عن كذب الزعم الذي زعمه من الإيمان !

وإلى هذه البديهية الفطرية يحاكم الله ـ سبحانه ـ أولئك الذين يزعمون الإيمان بالله ورسوله . ثم لا يتحاكمون إلى منهج الله ورسوله . بل يصدون عن ذلك المنهج حين يدعون إليه صدوداً ! »[١]

حكم تبديل شرع الله تعالى :-

إن من أشد أنواع الكفر الذي يُخرج من الملة ويجعل صاحبه مرتدًا ، هو تبديل شرع الله بغيره من التشريعات الوضعية (الوضيعة) ومن القوانين والنظم البشرية التي وضعت لتكون شريعة ومنهاجًا للحُكم بها بين عباد الله ، وتنحية شرع الله الحنيف . قال تعالى : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[٢]. فإنه التجرؤ على الله تعالى وعلى دينه الحنيف ، وشرعه القويم ، وتنكرٌ لنعمة رب العالمين ، ورفضٌ لألوهية إله العالمين ، فإنه الكفر الأكبر المبين ، الذي لا يَشُك فيه أحد من العالمين ، له عقل مستنير ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله :

« إن من الكفر الأكبر المستبين ، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين ، والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقوله تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٣] . وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يُحكِّموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم ، نفيًا مؤكدًا بتكرار أداة النفي

---

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ/ سيد قطب تفسير سورة النساء آية (٦٠) [٢/ ٦٩٤] .

(٢) البقرة: ٦١ .

(٣) النساء: ٥٩ .

وبالقسم ، قال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) »] .

وقال رحمه الله ـ عن كفر الاعتقاد بعد أن قسمه إلى خمسة أقسام ـ : «**والخامس**: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ، ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ولرسوله (ﷺ) ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ، إعدادًا ، وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلاً ، وتفريعًا وتشكيلاً وتنويعًا وحكمًا وإلزامًا ، ومراجع ومستندات .

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات ، مرجعها كلها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي : القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسي ، والقانون الأمريكي ، والقانون البريطاني ، وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك . فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة ، مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسراب إثر أسراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب ، من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به ، وتقرهم عليه ، وتحتمه عليهم . [فأيُّ كفر فوق هذا الكفر] وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول بعد هذه المناقضة »(٢) .

---

(١) (تحكيم القوانين) لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي عام المملكة السعودية سابقًا ص (٥) .

(٢) (تحكيم القوانين) لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى عام المملكة السعودية سابقًا ص (٢٠ ، ٢١) .

وقال ابن كثير رحمه الله :

في قوله تعالى : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾[١] ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الأراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخذوة عن ملكهم (جنكز خان) الذي وضع لهم [الياسق] وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها . وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك فهو [**كافر يجب قتاله**] حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يُحكِّم سواه في قليل ولا كثير . قال تعالى : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون** ﴾ أي : يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون . ﴿ **ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون** ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله وشرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العلام بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء » [٢] .

وأخيراً .. نداء من فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله [٣]:

---

(١) المائدة : ٥٠ .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة المائدة آية ٥٠ [٢/ ٦٥] .

(٣) (تحكيم القوانين) لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ص (٢١، ٢٢) وأوصي بقراءة هذا الكتاب ففيه كلمة حق في مسألة (الحكم بما أنزل الله) أسأل الله أن ينفع به المسلمين وأن يعملوا به ، وأن يجعله في ميزان حسنات كاتبه .

« فيا معشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولي النُهى ، كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم ، وأفكار أشباهكم ، أو مَنْ هم دونكم ، ممن يجوز عليهم الخطأ ، بل خطؤهم أكثر من صوابهم بكثير ، بل لا صواب في حُكْمهم إلاَّ ما هو مستمد من حكم الله ورسوله (ﷺ) نصًا أو استنباطًا ؟! تَدَعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم ، وأبشاركم ، وأعراضكم ، وفي أهليكم من أزواجكم وذراريكم ، وفي أموالكم وسائر حقوقكم ، ويتركون ويرفضون أن يَحْكُمُوا فيكم بحكم الله ورسوله الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه ، فكما لا يَسْجُدُ الخلق إلاَّ لله ، ولا يعبدون إلاَّ إياه ، ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلاَّ لحكم الحكيم العليم الحميد ، الرءوف الرحيم ، دون حكم المخلوق ، الظلوم الجهول ، الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات ، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات .

- فيجب على العقلاء أن يربؤوا بنفوسهم عنه لما فيه من الاستعباد لهم ، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض ، والأغلاط والأخطاء ، فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله : ﴿ ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

* * *

(١) المائدة: ٤٤ .

[المبحث الرابع]

﴿ الحكم بكتاب الله ﴾

المبحث الرابع
الحكم بكتاب الله تعالى

إن من أعظم مظاهر الموالاة لكتاب الله تعالى هو [الحكم بكتاب الله] فإنه إعلان صريح عن ولاء المسلم لهذا الكتاب وموالاته له ، ونموذج تطبيقي ، وواقع عملي لإظهار المسلم حبه لهذا الكتاب ، ومدى تقديسه له ، واعتزازه به.

وهذا الحكم بكتاب الله تعالى إظهار لحقيقة العبودية ، وتصريح بصريح الإيمان ، وتعبير عن قوة العقيدة ، وإبراز لإخلاص التوحيد ، وبيان لصفاء المنبع، وإعراب عن وحدة المصدر ، وتوضيح لحقيقة عقيدة المسلم :-

فالدين إسلامي ، والمنهج رباني ، والدرب محمدي ، والدافع إيماني ، والشعور روحاني ، والحب وجداني ، والتطبيق حرفي ، والولاء ظاهري وباطني ، والجنة أسمى الأماني .

فإن تطبيق شرع الله تعالى ، والحكم بكتابه العزيز ، واجب إيماني ، ومطلب عقائدي ، ومبدأ توحيدي ، لا يحيد عنه إلا جاهل لا يعذر بجهله ، أو منافق معلوم نفاقه ، أو كافر جاحد لألوهية ربه ، وذلك لأن هذا الحكم بكتاب الله عبادة ومن أجلّ العبادات التي يتعبد بها العبد لربه ، ومن أقرب القربات إلى الله تعالى .

وهذا الحكم بما أنزل الله تعالى مظهر من مظاهر توحيد الله في ألوهيته ، وأنه هو المتفرد بالحكم والأمر ، وأن السيادة لله وحده دون سواه ، وصرفه لله

حق من حقوقه ، وهو التشريع لعباده والحكم بينهم . وذلك عن طريق كتابه العزيز .

وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى :

كما قررنا أن الحكم بما أنزل الله في كتابه العزيز وعلى نبيه الأمين محمد ﷺ عبادة لله تعالى ، فإنه ينبغي أن يعلم المسلم وهو يتعبد لله تعالى بهذه العبادة أنه ليس بصدد عبادة كأي العبادات ، فليس سُنة ولا نافلة ، ولا أمراً مستحبًا ، بل هو واجب من أهم الواجبات الذي ينبني عليه العقيدة ، ويتوقف عليه مصير التوحيد .

ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ [أمر الوجوب] بأن يحكم بهذا الكتاب بين الناس ـ هكذا كل الناس وليس المسلمون فحسب ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾[١] .

فبيَّن سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أنه أنزل هذا الكتاب بالحق ، فهو حق ويحمل الحق ، ويدعو إلى الحق ، ويحارب الباطل وينهى عنه ، ويُبَشِّع الظلم ، ويُنَفِّر منه ، ويُجرِّم أهله ، ويدعو إلى كل فضيلة ، وينهى عن كل رذيلة ، ويحث على مكارم الأخلاق ، ويحذر من سوء الأخلاق ، ومهاوي الشيطان .

ثم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يحكم بين الناس بهذا الكتاب العظيم ، هكذا بصيغة الأمر والوجوب ، وليس للحكم به بين المسلمين فحسب ، بل بين الناس جميعًا ، فهو حكم الله إلى جميع خلقه وصدق الله العظيم القائل : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٢] .

---

(١) النساء: ١٠٥ .

(٢) الأنعام: ٣٨ .

ففيه صلاح كل البشرية ، ولذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يحكم بين جميع الناس بهذا الكتاب ، وهذا أمر لرسول الله ﷺ ولأمته من بعده ، ولا يحيد عن هذا المنهج إلاّ هالك ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] . فهذا القرآن هدى ورحمة وبشرى لكل من حكم به وطبقه ، وانقاد لأوامره وانتهى عن نواهيه .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية :

« أمر من الله بالحكم بالعدل بين الناس ، ولهذا قال محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وشهر بن حوشب : إن هذه الآية إنما أنزلت في الأمراء ، يعني الحكام بين الناس ، وفي الأثر « **عدل يوم كعبادة أربعين سنة** » أي يأمركم به في أداء الأمانات والحكم بين الناس ، وغير ذلك من شرائع الكمال العظيمة الشاملة »[3] .

- وقال تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾[4] .

قال ابن كثير رحمه الله :

« هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ، ولا يعدلوا عنه فيضلواْ عن سبيل الله ، وقد توعد

---

(١) النحل: ٨٩ .

(٢) النساء: ٥٨ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (لسورة النساء) آية (٥٨) [١/ ٤٩٠] وذلك باختصار .

(٤) ص: ٢٦ .

تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد ، والعذاب الشديد »[١] .

- ويأتي الأمر الإلهي للرسول ﷺ واضحًا بفرضية هذا الحكم ، ووجوب تحكيم هذا الكتاب ، والأمر يشمل الأمة كلها من بعده ﷺ إلى قيام الساعة . ويحذر الله نبيه وينهاه عن أن يتبع أهواء أصحاب الباطل ، وألاَّ يلتفت إليهم ، ولا يرضي بشيءٍ بديلاً عن هذا الحق الذي جاءه من عند الله تعالى : قال جل شأنه : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[١] .

- ويؤكد الله تعالى على نبيه وجوب الحكم بهذا الكتاب مرة ثانية ، مع إعادة التحذير مرة أخرى أن يتبع أهواء المضلين والمعرضين عن دين الله من اليهود وغيرهم ، ويحذِّره أن يثنوه عن بعض ما أنزل الله تعالى في كتابه العزيز (القرآن الكريم) وهذا هو ديدن اليهود عليهم لعنة الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[٢] .

خبث اليهود وتآمرهم على كتاب الله :-

- ولكن يجب علينا أن نعي الدرس ، ونفطن للأمر ، ونستيقظ لخبث اليهود ، فإنهم يحاربون الإسلام والمسلمين وكتاب الله في كل وقت وفي كل مكان ، وإن اختلف الأسلوب وإن تنوعت الوسائل .

فإنهم الآن يستخدمون أذنابهم من المنتسبين للإسلام للتشكيك في الدين ،

---

(١) تفسير ابن كثير (لسورة ص) آية (٢٦) [٤/ ٣٢] .

(٢) المائدة: ٤٨ .

(٣) المائدة: ٤٩ .

ولطعن المسلمين في دينهم وعقيدتهم ، نعم إنهم يحاربوننا بمن يسمى [محمد ، وعلي وعثمان ، وعمر . .] لكي يطعنونا في مقتل ، ولكي يُثنونا عن ديننا ، ويعطلوا كتاب ربنا عن التطبيق والحكم زعمًا منهم ، وكذبًا وزوراً ، وكفراً بواحًا ، إن هذا الكتاب أصبح غير مساير لتطورات العصر ، وغير ملائم لروح التقدم ، وغير قادر على مواجهة التقدم ، ولا الصمود أمام التكنولوجيا ، حتى قال أحد الكتاب المجرمين الفجرة « إن هذا التقدم وهذه التكنولوجيا أحالت هذه الأوراق الصفراء على الرف » يقصد (القرآن الكريم) ألا لعنة الله على الظالمين ، ألا لعنة الله على المجرمين ، فهؤلاء وأمثالهم من أذناب اليهود والنصارى لأشد خطرًا على الإسلام والمسلمين من هؤلاء أحفاد القردة والخنازير ؛ لأنهم مندسون في الصف المسلم ، ويتكلمون باسم الإسلام والمسلمين ولربما سُمِّي أحدهم ، [العالم الإسلامي ، والمفكر الإسلامي ، والداعية الإسلامي . . . .] وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فكتاب الله بأيدينا وفي قلوبنا ، يُحذر الرسول ﷺ من اليهود والنصارى ويحذره من اتباعهم ، ويحذرنا نحن أيضًا من اليهود والنصارى وأذنابهم ، فالحذر كل الحذر [من يهود العرب] والحذر كل الحذر من [اليهود والمتمسلمين] .

كُفْر من لم يحكم بكتاب الله :-

إن الله عز وجل أنزل إلينا كتابه الكريم ، وقرآنه العظيم ليكون حكَمًا ، وعدلاً ، ومهيمنًا ، وأوجب علينا حبه ، وافترض علينا موالاته ، وأمرنا بالحكم به وتطبيقه ، وجعل ذلك منا إيمانًا ، وعدَّه عبادة .

وَحكَمَ بكفر وظلم وفسق من أعرض عن تطبيقه ، وعدل إلى سواه من تشريعات وتقنينات البشر القاصرة ، الظالمة ، الفاسدة ، المستمدة من الهوى ،

المعتمدة على المصالح الشخصية ، والاعتبارات الوطنية والقومية ، والعصبيات القبلية ، . . . . . . فكلها أحكام جاهلية ، ولقد وبخهم الله عز وجل في كتابه ، وذم كل من تحاكم إلى غير الله من الجاهليات ومثنيًا بذاته على ذاته . حيث قال جل شأنه : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١) .

إنه سؤال استفهام يحمل معنى التوبيخ والاستنكار ، والتهكم والاستحقار ، لعقول هؤلاء البشر المتجمدة والمتخلفة التي ترضى بغير الله حكمًا ، وبغير كتابه تشريعًا ، وبغير نبيه ﷺ قائدًا وهاديًا ومرشدًا .

ولذلك لقد حكم الله عليهم بالكفر والظلم والفسق .

قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٤) .

إن هذه النصوص الثلاثة أصول واضحة في هذا الباب ، وآيات محكمات ، في تكفير ، وتظليم وتفسيق ، من أعرض عن الحكم بما أنزل الله إلى الحكم بغيره ، مهما كان هذا الشرع ، ولو أتى من أي مكان ، ولو جاء على لسان مَنْ كان ، فهو ينقل من حَكَمَ به من الملة ويخرجه من دائرة التوحيد ، ويبعده عن حظيرة الإيمان ، ويطرده من الإسلام .

---

(١) المائدة: ٥٠ .

(٢) المائدة: ٤٤ .

(٣) المائدة: ٤٥ .

(٤) المائدة: ٤٧ .

ولا حُجة في قول من قال إن هذه الآيات إنما نزلت في اليهود والنصارى . فإن الآيات عامة ، والتعبير عام ، وليس هناك ما يخصصه ، فالنص على عموم إطلاقه ، وليس هناك ما ينسخه ، أو ما يخصصه . فالآيات جاءت حُكمًا عامًا لكل جماعة ، ولكل فئة ، ولكل أمة ، ولكل جيل ؛ لأنه حكم الله الذي ارتضاه لعباده إلى أن تقوم الساعة ، فهذا القرآن الكريم ، والكتاب العظيم ، آخر كتاب إلى البشرية ، ونزل على آخر وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وآخر عهد اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي ، فلا وحي بعد رسول الله ﷺ ، فجاء هذا القرآن العظيم موائمًا لكل العصور ويتمشى مع كل الأزمنة ، ويوافق جميع الأمكنة ، ولم يتعارض مع أي تقدم ولم يتصادم بأي اختراع ، ولكن ما يوجد من شيء ، وما يستجد من أمر إلاّ ووجدنا له أصلاً في هذا الكتاب العظيم .

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[2] .

وذلك لأن منزله هو الله رب العالمين ، والذي جعله شريعة ومنهاجًا ، وهو خالق العالمين ، ورب كل المخلوقين ، والذي يعلم ما يصلح الخلق أجمعين ، وما يسؤهم ، وهو أرحم بهم من أنفسهم ، ومن الأم برضيعها ، فأنزل لهم هذا الكتاب وأوجب عليهم الحكم به وحذّر من الزيغ عنه والإعراض عنه ، وذلك بخروج من أعرض عنه عن العبودية الحقة لله تعالى ، والوقوع في الكفر والظلم والفسق .

---

(١) النحل: ٨٩ .

(٢) الأنعام: ٣٨ .

قول أئمة السلف في عموم الآيات الثلاثة :

إن هذه الآيات الثلاث :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

هناك من قال إنها نزلت في المسلمين وهناك من أثبت أنها نزلت في بني إسرائيل من اليهود والنصارى إلاَّ أنها شرع لنا ، وواجبة علينا وحكمها عام ومطلق إلى يوم القيامة وتنسحب على كل من لم يحكم بما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ بل إنه يجمع بين هذه الصفات الثلاثة [الكفر ـ والظلم ـ والفسق] .

وهذه بعض أقوال أئمة السلف في عموم هذه الآيات (٤) :-

قال الحسن البصري رحمه الله: نزلت في أهل الكتاب وهي علينا واجبة . وقال أيضًا : هي عليهم وعلى الناس عامة .

وعن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم رحمهم الله ، قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : سأله علقمة ومسروق رحمهما الله في

---

(١) المائدة: ٤٤ .

(٢) المائدة: ٤٥ .

(٣) المائدة: ٤٧ .

(٤) تفسير ابن كثير لسورة المائدة آيات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) [٢/٥٩: ٦٠] .

الحكم[1] فقال : ذاك الكفر ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

فقد استدل بها على كفر من لم يحكم بما أنزل الله [وفي ذلك دليل على أن الآية عامة وتنسحب على المسلمين] .

وقال السدي رحمه الله : يقول الله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزلتُ ، فَتَرَكَه عمدًا ، أو جار وهو يعلم فهو من الكافرين .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رحمهم الله ورضي الله عنهم : قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به فهو ظالم فاسق .

واختار ابن جرير رحمه الله : أن الآية المراد بها أهل الكتاب ، أو من جحد ما أنزل الله في الكتاب .

وعن الثوري عن زكريا عن الشعبي : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ قال: للمسلمين .

وعن أبي السفر عن الشعبي : قال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ قال: هذا في المسلمين .

و : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قال هذا في اليهود .

و : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ قال هذا في النصارى .

وعن طاوس عن ابن عباس رحمهم الله ورضي الله عنهم : قال : سئل ابن

---

(١) أي في من حكم بغير ما أنزل الله تعالى .

عباس عن قوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم...﴾ قال : هي به كفر .

وقال ابن كثير رحمه الله : نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله ﷺ المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل .

وقال ابن كثير رحمه الله أيضًا : وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حُكِيَ مقرراً ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور . وحكاه الشيخ أبو إسحاق الإسفرايني عن نص الشافعي رحمه الله وأكثر الأصحاب .

وحكى الإمام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله : في كتابه (الشامل) إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإن الحاكم إذا كان ديِّنًا ، ولكنه حكم بغير ما أنزل الله وكان بغير علم ، كان من أهل النار ، وإن كان عالمًا لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل انار ، وإذا حكم بلا عدلٍ ولا علم أولى أن يكون من أهل النار »[(١)] .

وقال أيضًا : « لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله ﷺ فهو كافر »[(٢)] .

وأقول : قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[(٣)] فحَكَمَ الله في هذه الآية بالكفر على من لم يحكم بما أنزل الله ،

---

(١) (منهاج السنة النبوية) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ٣٨٨) .

(٣) المائدة (٤٤) .

فدل ذلك على أن الحكم بما أنزل الله إيمان ، وأنه واجب على كل حاكم وكل والٍ أن يحكم بما أنزل الله ، وأن عدوله عن الحكم بما أنزل الله كفر ، وكذلك الرَّعية وعامة المسلمين أن يتحاكموا لما أنزل الله ، وأن التحاكم إلى أي طاغوت من طواغيت الأرض دون شرع الله وما أنزل الله ، فهو أيضًا يُعد كفرًا يُخرج من الملة وينقض التوحيد والإيمان »[1] .

الخلف على درب السلف سائرون :-

إن الخلف من العلماء (وفقهم الله) سائرون على درب ومنهج السلف - رضي الله عنهم - ولا عجب ، فالدين واحد ، والرب واحد ، والكتاب واحد، والرسول ﷺ واحد ، والقبلة واحدة ، والهدف واحد ، والغاية واحدة ، والمَعين واحد ، فلا عجب أن يسير هؤلاء الخلف من العلماء العاملين - وفقهم الله - على درب ومنهج هؤلاء السلف الصالحين - رضي الله عنهم - .

فإذا كان المصدر للتشريع ، وللحكم ، وللتحليل والتحريم واحدًا وهو [الكتاب والسنة] فكيف يحدث خلاف ؟ وكيف تتعارض الأحكام ؟ فالكل في قافلة التوحيد سائرون ، وعلى إكمال المسيرة العطرة مصممون ، وإلى الجنة بخطا العقيدة سائرون ، ولكل المشاق والصعاب راكبون ، وإلى ربهم دائمًا راغبون ، فإن صلاح الدنيا والدين في اتباع الأولين ، من السلف الأئمة الأعلام الصالحين .

فـإذا كان المصدر واحدًا ، فإن الحكم سيأتي واحدًا ، فيحكم الخلف على من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق - كما حكم عليه

(١) انظر كتاب (العقيدة الصافية للفرقة الناجية) سيد سعيد عبد الغني ص (٣١٧) ويُراجع فيه موضوع الحكم بما أنزل الله (٣١٥ : ٣٢٦) فيه أدلة للسلف والخلف مفيدة .

السـلف ـ رحمهم الله ـ وإن هؤلاء الخلف الذين حكموا بكفر من لم يحكم بكتاب الله تعالى كثيرون ، ونذكر منهم نماذج على وجه السرعة . فمنهم :-

قال فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : [١] «وأما الذي قيل فيه إنه كفر دون كفر ، إذا حَاكَمَ إلى غير الله مع اعتقاده أنه عاصٍ ، وأن حُكْم الله هو الحق ، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها .

وأما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر ، وإن قالوا : أخطأنا ، وحُكْم الشرع أعدل ، فهذا كفر ناقل عن الملة » [٢] .

وقال فضيلة الدكتـور صالح الفـوزان [٣] **تعليقًا على هذه الفتـوى :** ففـرّق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي يتكرر ، وبين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو أغلبها ، وقرر أن هذا الكفر ناقل عن الملة مطلقًا ، وذلك لأن من نحَّى الشريعة وجعل القانون الوضعي بديلاً عنها ، فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن من الشريعة ، وهذا كفر أكبر يخرج من الملة » [٤] .

- والذي قرره فضيلة الشيخين أمر واضح جليّ لأصحاب النفوس السوية ، والطبائع السليمة ، والأمزجة المعتدلة ، وهذا هو منهج ورأي غالب العلماء

(١) هو فضيلة الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعوبية سابقًا وأحد شيوخ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة السعودية حاليًا ـ وللشيخ محمد بن إبراهيم مجموعة فتاوى كبيرة نفع الله بها المسلمين .

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٨٠) .

(٣) هو فضيلة الشيخ صالح الفوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

(٤) نقلاً عن كتاب (التوحيد) لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (للصف الثالث الثانوي) وزارة المعارف .

العاملين الذين لا يخشون في الله لومة لائم ، الذين يأخذون هذا الدين بقوة ، فلا ميوعة ، ولا ليونة ، ولا مداهنة ، ولا مداراة ، ولا مساومة على هذا الدين ، ولا رجوع عن الحق ، ولو طغى الباطل ، ولو تكبر وافترى الطواغيت ، ولو فُتحت السجون ، ولو مُلئت المعتقلات ، ولو عُلقت المشانق ، وعُلقت الأجساد ، ولو مُزقت الأعضاء ، ولو صُعقت بالكهرباء الأجسام ، ولو حرقت الأشلاء .

فلقد قيد الله لهذا الدين علماء عاملين يستعذبون كل مرٍّ ، ويستسهلون كل صعب ، ويبيعون كل غال في سبيل الله تعالى ، إعلاءً للراية ونشراً للدين ، وحبًا لله تعالى . وموالاة لكتابه العزيز ، ولرسوله الكريم ﷺ .

ويزيد فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين [١] الأمر وضوحًا :

قال فضيلته في إحدى فتاواه : « من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به واحتقاراً له ، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق ، فهو كافر كفراً مخرجًا عن الملة ، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية ، لتكون منهاجًا يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلاَّ وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق ، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية ، والجبلة الفطرية ، أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلاَّ وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ، ونقْص ما عدل عنه » [٢] .

(١) هو فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبا الرعلماء بالمملكة العربية السعودية ، والمحاضر بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم ، وإمام المسجد الكبير بعُنيزة . وهو من العلماء المعروفين والأعلام البارزين في المملكة العربية السعودية ومن المعروفين لطلبة العلم في العالم الإسلامي .

(٢) انظر (المجموع الثمين) من فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين .

أفحكم الجاهلية يبغون :-

إن الله تعالى ينكر على هؤلاء الحثالة من البشر ، الذين يعرضون عن كتابه العزيز ، وقرآنه المجيد ، وذكره الحكيم ، وشرعه الحنيف ، إلى غيره من الأهواء والبدع والضلالات ، والزيغ والخرافات ، من عادات البشر وأهوائهم ، وأحكامهم وأباطيلهم ، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، يُعْرضون عن الخالق ويلجؤون إلى المخلوق ، وينحون شرع الخالق ويحتكمون إلى باطل المخلوق ، يتركون النور من أجل الظلام ، ويُعْرِضون عن الهدى بغيةً للضلال ، وَيَدَعُون السعادة وينشدون الشقاء ، ويخرجون من الإيمان ليدخلوا في الشرك ، ويمرقون من الإسلام ليهووا في مهاوي الكفر ودركات الشقاء ، ويخرجوا بذلك من الجة ليُخلدوا في النار والعياذ بالله .

قال تعالى : ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[1] .

قال ابن كثير رحمه الله :- «ينكر تعالى من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم [الياسق]، وهو عبارة عن كتاب من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى [من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها] .

وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه

(١) المائدة: ٥٠ .

شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

فمن فعل ذلك [فهو كافر] يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يُحكَّم سواه في قليل ولا كثير .

- قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ .

أي : يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون .؟!!!

- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

أي : ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن به ، وأيقن ، وعلم أن الله أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء .

- قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال بن فياض ، حدثنا أبو عبيدة الناجي قال : سمعت الحكم يقول : [من حكم بغير حكم الله ، فحكم الجاهلية] [(١)] .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

« وأجل ! فمن أحسن من الله حكمًا؟

ومن ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ، ويحكم فيهم ، خيرًا مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض ؟

أيستطيع أن يقول : إنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟ أيستطيع أن يقول : إنه أرحم بالناس من رب الناس؟ أيستطيع أن يقول : إنه أعرف بمصالح الناس من

---

(١) تفسير ابن كثير (لسورة المائدة) آية (٥٠) [٢/٦٥] .

إله الناس ؟ أيستطيع أن يقول : إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة ، ويرسل رسوله الأخير ، ويجعل رسوله خاتم النبيين ، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ، ويجعل شريعته شريعة الأبد .. كان سبحانه يجهل أن أحوالاً ستطرأ ، وأن حاجات ستستجد ، وأن ملابسات ستقع ؛ فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان ؟!

ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة الله عن حكم الحياة ، ويستبدل بها شريعة الجاهلية ، وحكم الجاهلية ؛ ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب ، أو هوى جيل من أجيال البشر ، فوق حكم الله ، وفوق شريعة الله؟

ما الذي يستطيع أن يقوله .. وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين ؟!

الظروف ؟ الملابسات ؟ عدم رغبة الناس ؟ الخوف من الأعداء ؟.. ألم يكن هذا كله في علم الله ؛ وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته ، وأن يسيروا على منهجه ، وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله ؟

قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة ، والأوضاع المتجددة ، والأحوال المتغلبة ؟ ألم يكن ذلك في علم الله ؛ وهو يشدد هذا التشديد ، ويحذر هذا التحذير ؟

يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء .. ولكن المسلم .. أو من يَدَّعُون الإسلام .. ما الذي يقولونه من هذا كله ، ثم يبقون على شيء من الإسلام ؟ أو يبقى لهم شيء من الإسلام ؟

إنه مفرق الطريق ، الذي لا معدى عنده من الاختيار ؛ ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال ..

إما إسلام وإما جاهلية ، إما إيمان وإما كفر ، إما حكم الله وإما حكم الجاهلية . .

والذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون . والذين لا يقبلون حكم الله من المحكومين ما هم بمؤمنين . .

إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم ؛ وألا يتردد في تطبيقها على واقع الناس في زمانه ؛ والتسليم بمقتضى هذه الحقيقة ونتيجة هذا التطبيق على الأعداء والأصدقاء !

وما لم يحسم ضمير المسلم في هذه القضية ، فلن يستقيم له ميزان ؛ ولن يتضح له منهج ، ولن يفرق في ضميره بين الحق والباطل ؛ ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح . . وإذا جاز أن تبقى هذه القضية غامضة أو مائعة في نفوس الجماهير من الناس ؛ فما يجوز أن تبقى غامضة ولا مائعة في نفوس من يريدون أن يكونوا «المسلمين» وأن يحققوا لأنفسهم هذا الوصف العظيم . .»[1]

معنى الجاهلية في ميزان الشرع :

إن معنى الجاهلية في ميزان الشرع : هو كل حكم ، وكل فعل ، وكل قول ، وكل أمر يخرج عما أمر به الشارع الحكيم ، وكل ما كان فيه تدخل لهوى البشر ، ونزعاتهم وشهواتهم ، فإن الأصل في الإنسان الجهل ، إلا من فتح الله عليه بالعلم ، وإن الله سبحانه وتعالى ، هو العالم والعليم ، وعلام الغيوب ، فحكمه وأمره ونهيه يكون عن علم ، فيشرع ويحكم ، ويجب اتباع شرعه وحكمه ، أما من مال عن هذا الحكم وهذا التشريع ، فقد مال إلى جهل البشر ، وأخلد إلى الأرض ، وانحاز إلى عبودية البشر للبشر ، وخلع من رقبته

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ/ سيد قطب . تفسير (سورة المائدة) آية (٥٠) [٢/ ٩٠٥].

عبوديته لله تعالى .

فشتان بين الخالق والمخلوق ، بين العالم والجاهل ، بين الإله والمألوه ، وبين من يحكم عن علم وبالعدل وبالقسطاس المبين ، وبين من يحكم ويشرع بالهوى ، والنزعات ، والمصالح الشخصية ، والاعتبارات الوطنية ، والقومية ، والعصبيات القبلية .

فالفرق واضح وضوح الشمس ، والبون واسع ، كالبون بين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، والمسافة أكبر مما بين السماوات والأرض .

« . . فإنه إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية . ولا وسط بين الطرفين ولا بديل . . حكم الله يقوم في الأرض ، وشريعة الله تنفذ في حياة الناس ، ومنهج الله يقود حياة البشر . . . أو أنه حكم الجاهلية ، وشريعة الهوى ، ومنهج العبودية . . فأيهما يريدون ؟

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ؟ ﴾ . .[1]

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص . فالجاهلية ـ كما يصفها الله ويحددها قرآنه ـ هي حكم البشر للبشر ، لأنها هي عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ، ورفض ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله . .

إن الجاهلية ـ في ضوء هذا النص ـ ليست فترة من الزمان ؛ ولكنها وضع من الأوضاع . هذا الوضع يوجد بالأمس ، ويوجد اليوم ، ويوجد غداً ، فيأخذ صفة الجاهلية ، المقابلة للإسلام ، والمناقضة للإسلام .

---

(١) المائدة : ٥٠ .

والناس ـ في أي زمان وفي أي مكان ـ إما أنهم يحكمون بشريعة الله ـ دون فتنة عن بعض منها ـ ويقبلونها ويسلمون بها تسليمًا ، فهم إذن في دين الله . وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر ـ في أي صورة من الصور ـ ويقبلونها فهم إذن في جاهلية ؛ وهم في دين من يحكمون بشريعته ، وليسوا بحال في دين الله . والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية ؛ والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية ، ويعيش في الجاهلية .

وهذا مفرق الطريق ، يقف الله الناس عليه . وهم بعد ذلك بالخيار !

ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية ؛ وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . . »[1] .

***

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ / سيد قطب تفسير (سورة المائدة) آية (٥٠) [٢/ ٩٠٤].

[المبحث الخامس]

﴿ الذَّب عنه ﴾

المبحث الخامس
الذَّب عنه

إن كتاب الله تعالى في قلوبنا ، وله كل حبنا ، وخالص ولائنا ، وكيف لا؟! وهو كتاب ربنا ، وأوحى به إلى رسولنا ـ ﷺ ـ ، وبه كان إيماننا ، وعن طريقه عرفنا ربنا ، وعرَّفنا كيف نعبد إلهنا ، وبه تهذَّبت أخلاقنا ، وبررنا آباءَنا وأمهاتنا ، ووصلنا أرحامنا ، ورَغَّبنا في جنة ربنا ، وبَعَّدنا عن غضب ربنا ، وفرَّرنا من عذاب إلهنا .

فنِعْم به من كتاب ، نزل من عند رب السماء ، ليخرج الناس من الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ،و من الجهل إلى العلم ، ومن الظلمات إلى النور ، ومن غضب الجبار إلى رضى الرحمن ، ومن النار إلى جنة الرضوان .

فكان لازمًا علينا من منطلق الموالاة لهذا الكتاب ، وإعلانًا لحبنا لهذا القرآن ، أن نذب عنه وندافع عنه ، وننصره . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[1] .

وكما قررنا في التمهيد أن الموالاة تحمل معنى [الحب والنصرة] . فهذا الكتاب الذي أحببناه بقلوبنا ، فوجب علينا من منطلق الموالاة أن ننصره ، ومِنْ نُصرة هذا الكتاب [الذب عنه] . ونصرة هذا الكتاب هو من نصرة الله تعالى ، ونصرة كتاب الله تعالى هو الدفاع عنه ضد كل من أراد به سوءًا، أو أراد به كيدًا.

---

(١) محمد: ٧ .

ولقد ضَمِنَ الله تعالى النصر والنُصرة لمن نصره ، ونصر دينه ، ونصر كتابه . قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

فَنَصْرُ الله ونُصرته مشروطة ومعلقة بنصر المؤمن لربه ، وذلك بنصر دينه وكتابه ورسوله ﷺ . فمن أراد نُصرة الله ، وتأييده ، وعونه ، فعليه بِنَصْر هذا الدين والدفاع عن هذا الكتاب والذب عنه .

ولقد امتدح الله تعالى المهاجرين ، وذلك لأنهم نصروا الله ورسوله وكتابه العزيز على الكفر والكافرين ، ولذلك نصرهم الله ودافع عنهم كما دافعوا عن دينه وكتابه ورسوله ﷺ وحفظهم من كل سوء ، كما حفظوا كتابه ودينه .

لقد تركوا ديارهم وأهليهم وأموالهم ، نصرة لدين الله ولكتاب الله تعالى ، فأيدهم الله بنصره وناصرهم وآزرهم وجعل لهم الغلبة ومكنَّ لهم في الأرض .

قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[2] .

ولهذه الموالاة وهذا الذب عن كتاب الله صور كثيرة نذكر منها :-

رد شبهات المنافقين والتصدي لهم :

إن من مظاهر الذب عن هذا الكتاب العظيم ، والقرآن المجيد ، هو رد شبهات المنافقين والتصدي لهم ، فإن هذا الكتاب أمانة ، جعلها الله في أيدينا ، وفي قلوبنا ، وأوجب علينا شكر هذه النعمة ، وموالاة هذا الكتاب ، والذب عنه ضد كل حاقد ، وحاسد ، ومعاند ، ومكابر ، وكل كافر فجّار ، فيجب أن نهب لنصرة هذا الكتاب والذب عنه وكيف لا وهو [وصية نبينا] ﷺ ؟! .

---

(١) الحج : ٤٠ .

(٢) الحشر : ٨ .

روى البخاري رحمه الله عن طلحة قال : « سألت عبد الله بن أبي أوفى ، أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ، أُمِرُوا بها ولم يوص ؟ . قال : «أوصى بكتاب الله» [١] .

فهذا هو الرسول ﷺ ما أوصى إلاَّ بكتاب الله تعالى ، فهي وصية غالية من نبي حبيب ، بكتاب حميد ، وهذه الوصية تشمل كل شيء يمس هذا الكتاب من قراءته وحفظه ، وتعلم أحكامه ، وتعليمه ، فيكرم ويصان ، ولا يسافر به إلى أرض العدو ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه ، والذب عنه ، ونشره في كل مكان ، فهذه وصية محمد ﷺ ، فمن كان يحب كتاب الله ، ويحب محمداً ابن عبد الله ﷺ ، فعليه بهذا الكتاب ، وليكن شغله الشاغل ، ويغار عليه من كل من أراد النيل منه ، أو التشكيك فيه من المنافقين ، ومن أعداء الدين .

فيجب الرد عليهم باللسان والسنان ، والوقوف لهم بالمرصاد . ورحم الله إمام أهل السنة والجماعة [الإمام أحمد بن حنبل] رحمه الله ورضي عنه ، لما تصدى للمبتدعين في عهد (المأمون) حينما أرادوا أن ينالوا من هذا الكتاب العزيز ، وهذا القرآن العظيم ، وقالوا: إنه مخلوق ، فقام جزاه الله عنا وعن هذا الكتاب وعن المسلمين خير الجزاء هو وبعض العلماء العاملين أصحاب الحق ، وأرباب التوحيد ، وأعلنوا رفضهم لهذا القول المشين ، الذي يجعل القرآن العظيم ، مخلوقًا من مخلوقات الله ، يعتريه النقص والتبديل ، ويأتي عليه البلى ، ويجوز عليه الفناء ، وكذبوا على الله تعالى !. ما هو إلاَّ كلامه ، وصفة من صفاته ، وكتابه إلى خلقه ، وبذلك حفظ الله كتابه بهذا الإمام ومن معه من العلماء من أن يتجرأ عليه المتجرئون ، ومن أن ينال منه المغرضون ، فجزاهم

---

(١) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (الوصاة بكتاب الله عز وجل) .

الله عنا وعن القرآن والمسلمين خير الجزاء وسبحان الله الذي حفظ كتابه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] .

- وهكذا تكون النصرة ، وهكذا يكون الذب ، وهكذا تكون الموالاة ، ولو دفع المسلم الثمن من ماله أو أمنه أو عرضه ، أو دمه ، فكل ذلك في سبيل الله يهون والله عنده الأجر العظيم والخير الوفير ، فنعم أجر العاملين .

شُبَهٌ عصرية :-

من هذه الشبه العصرية المستحدثة القول بأن هذا القرآن غير صالح لأن يحكم البشرية ، ولا أهل لقيادة الركب ، وليس مهيأً لتطور العصر ، وليس مسايراً للحضارة والمدنية ، . . . .

وغير ذلك من السفاهات ، والنعرات الضالة المضلة ، التي تخرج أصحابها من الملة [إن كانوا دخلوا أصلاً فيها] وتنقض إيمانهم ، وتهدم إسلامهم ، وتمحو توحيدهم .

فيجب على العلماء ، والدعاة ، والمفكرين ، والكتَّاب ، والأساتذة والمربين ، محو مثل هذه الخرافات والأكاذيب ، وبيان بطلانها ، وفضح أسرار قائليها ومروجيها ، وبيان عقائدهم وديانتهم ، وتوضيح خطر الاستماع ، والسكوت ، وترك مثل هذه الأصوات الناعقة ، وهذه الأقلام المسمومة ، والأفكار المستوردة ، والعقول الخربة ، والضمائر الميتة ، والذمم المأجورة ، والأخلاق العفنة ، من أن تنتشر بين المسلمين ، حتى لا يقع الشك والريب في قلب المسلم وحتى لا يُترك مجال ـ ولو صغير ـ لتشكيك المسلم في دينه ، ومحاولة نزعه من الإيمان إلى الكفر ، ومن موالاة الله ورسوله ، إلى موالاة

---

(١) الحجر : ٩ .

الشرك والكفر وحزبه . والعياذ بالله .

فيجب تجريد الهمم ، وإخلاص النية ، وإعداد العدة ، وتحضير الحجة ، واستمداد العون من الله تعالى ، ولا يستصغرن المؤمن هذا الأمر ، فهو أمر كبير، ورُب كلمة واحدة يقولها المسلم ذبًا عن هذا الكتاب ، أو خطًا يخطه يُكتب له بها الجنة وحسن المآب ولربما تخاذل المسلم وجبن عن قول كلمة نصرة ، وقولة حق في كتاب الله تعالى أمام مبطلين ومروجين للكفر والضلال ، ربما كُتب له بهذا السكوت النار وبئس القرار . وكما قال تعالى : **﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[1] .

- فيجب على كل مسلم مجاهدة هؤلاء المنافقين الطاعنين في الدين ، والقائلين على كتاب الله غير الحق ، فإن ذلك من الإيمان ، وعليه الأجر من الله الواحد المنان ، فلا يَجْبُن المؤمن ، ويتوكل على ربه ، وله الأجر والمثوبة وحسن المآب .

روى البخاري رحمه الله عن علي رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية [2] ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم - يوم القيامة -** » [3] .

---

(١) محمد: ٧ .

(٢) والمراد : قول خير البرية . والمقصود : أي من قول الله . «فتح الباري» كتاب الفضائل [٨/ ٧١٨] .

(٣) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (إثم من راءى بقراءة القرآن ، أو تأكل به أو فجر به) .

فانظر أخي المسلم كيف يقرؤون القرآن ، ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ؟! وكيف أن النبي ﷺ أوصى من لقيهم بأن يقتلهم ، نصرة لهذا الكتاب ، وغَيْرةً على هذا الدين ؟! وأن الله لن يضيع أجر من يقتلهم ، فإن الله سوف يحفظ له الأجر ، ويدّخر له الثواب ، ويُعد له النُزل ، وذلك يوم القيامة ؛ لأنه صادق في موالاته ، مخلص في حبه ، غيور على دينه ، ناصر لكتاب ربه .

إنهم يقرؤون القرآن ويتسمون بأسمائنا ، ويندسون في صفوفنا لكي يقضوا على ديننا ، وينزعوا منا كتاب ربنا ، يريدونه أوراقًا على الرفوف ، وينزعونه من الصدور ، ويقصرونه على التبرك به في الحفلات ، وبداية الندوات واللقاءات ، ويفصلونه عن الدولة ، ويُبعدونه عن الحكم ، وينحونه عن التشريع ، ويقضون على هيمنته وسلطانه ، ليسهل بعد ذلك القضاء على الإسلام والمسلمين ، فهو سرُّ قوتهم ، وأصل صلابتهم وحبل نجاتهم ، وبر أمانهم ، ومفتاح سعادتهم ، ومدخل عزتهم وكرامتهم ، فمتى فصل عن حياة المسلمين ، وعزل عن الحياة ، ولم يَعُد منهاج الحياة ، سَهُل على أعداء الدين النيل من كل المسلمين ، وتحقيق أهدافهم اللعينة ، ومؤامراتهم الخبيثة وأضغانهم الدفينة .

ولكن هيهات لهم هيهات أن ينالوا من أمة محمد ﷺ ، وفيها رجال باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، رجال أحبوا كتاب ربهم ، رجال أخلصوا ولاءهم لقرآنهم ، فالحذر كل الحذر من هؤلاء المنافقين ، وهؤلاء المارقين ، الخارجين على القرآن والدين ، ولقد عدَّد علينا رسول الله ﷺ بعض أوصافهم :-

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع**

صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئًا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ، ويتمارى في الفوق »[(١)] .

* * *

(١) رواه البخاري كتاب (فضائل القرآن) باب (إثم من راءى بقراءة القرآن ، أو تآكل به أو فجر به) .

[الفصل الثانى]

﴿ ولاء المؤمن لدين الله ﴾

المبحث الأول : حب هذا الدين .

المبحث الثاني : تعلُّم أحكام الدين وشرائعه .

المبحث الثالث : نشر الدين :

المطلب الأول : نشر العلم والتعريف بمحاسن الدين.

المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله .

المبحث الرابع : الذب عن الدين :

المطلب الأول :

[غيرة المسلم على دينه ـ صور من الذب عن الدين]

المطلب الثاني :

[بعض الافتراءات على الدين والرد عليها] :

أ - قسوة الحدود في الدين الإسلامي .

ب- عدم صلاحية الدين الإسلامي لمواكبة العصر.

ولاء المؤمن لدين الله تعالى

لقد منَّ الله تعالى على البشرية بأن اختار لهم الإسلام دينًا ، وجعلنا سبحانه وتعالى حماة للإسلام وحراسًا للعقيدة ، فكان من أوجب الواجبات على أمة الإسلام [موالاةً لهذا الدين ونصرةً له] ، حمله إلى أنحاء المعمورة وتبليغه لكل حيٍّ ينبض ، فهذه أمانة يجب تأديتها ، حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة المخلوقات إلى عبادة الخالق ، وحتى يروا طريق النور والهدى والرشاد ، وحتى يُخلِّصوا أنفسهم من النار ، ويكونوا من أصحاب الجنان ، نعم إنها الموالاة لدين الله الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينًا قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾[1] فليس هناك دين للخلق إلا هو ، ومن حَادَ عنه واتبع غيره فهو من الخاسرين ومن الهالكين ولن يقبله الله منه قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2] .

فيجب نشر هذا الدين ولا يكون ذلك إلا بعد أمور ثلاث :-

١- حب هذا الدين حبًا صادقًا .

٢- حب الشهادة في سبيل الله تعالى .

٣- احتساب الأجر عند الله تعالى .

فحينئذ يتحرك المسلم بهذا الدين ينشره يمينًا ويسارًا باللسان تارة ، وبالقلم

---

(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

تارة ، وبالسيف تارة أخرى ، يتحرك عن موالاة لهذا الدين ، وعن حب وإخلاص ، ونية صادقة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم وعن حب للاستشهاد في سبيل الله تعالى لنيل الجنة التي هي أغلى أماني المسلم .

فهنيئًا لهذا المسلم الذي جعل هذا الدين همه وشغله الشاغل ، هنيئًا لمن باع الدنيا الفانية واشترى الآخرة الباقية .

هنيئًا لمن حمل روحه على أكفه حبًا لهذا الدين ونشرًا له في أنحاء المعمورة ، فهؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأخلصوا لله دينهم ووالوا لهذا الدين حق الموالاة ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك دين القيمة.

- وإن هذا الولاء لدين الله له صور شتى تعبر عن هذا الولاء لهذا الدين ، ونلقى ـ بإذن الله ومشيئته ـ الضوء على بعض هذه الصور ، فمنها ما يلي :-

[المبحث الأول]

﴿ حب هذا الدين ﴾

المبحث الأول
حُبُّ هذا الدين

إن من صور الولاء لهذا الدين [حب الدين] ، فهذا الحب من دعائم الولاء وأصوله ، التي يُبنى عليه ، فكما قررنا أن الولاء والموالاة تدور حول [الحب والنصرة] ، فهذا الحب أحد ركني الموالاة ، وهو ركن من أركان الدين ، وأصل من أصوله ، فلا يُطلق لفظ الإيمان على أحدٍ إلاَّ إذا تحقق له هذا الحب وينتفي لفظ الإيمان عمَّن لم يحقق هذا الحب ، وكذلك من باب أولى مَنْ أبغض هذا الدين ، فلا يكون مؤمنًا ، ولا يكون من أتباعه ، بل هو من أعدائه . وخرج من الموالاة لهذا الدين إلى المعاداة ، وخرج من جند الله إلى جند الشيطان ، وانخلع من حزب الرحمن وانحاز إلى حزب الشيطان .

- ويبين لنا الله تعالى في كتابه العزيز أهمية هذا الحب وأنه من أصول الإيمان ولا يقوم الإيمان إلاَّ بتحقيقه ، وأن من لم يحققه قد وقع في الشرك ، وخرج من دائرة الإيمان ، وتجرد من الإسلام ، قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾[١] .

فحب الدين من حب الله تعالى ، وبغض الدين من بغض الله تعالى ، فحب الله يعني حب الدين ، وبغض الله من بغض الدين ، إذًا فحب الله هو ميزان ومقياس حب الدين .

---

(١) البقرة: ١٦٥ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : -

« يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة ، حيث جعلوا له أندادًا أي أمثالاً ونظراء ، يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه [وهو الله لا إله إلاَّ هو] ولا ند له ولا شريك معه .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ .

ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له ، لا يشركون به شيئًا بل يعبدونه وحده ويتوكلون ويلجأون في جميع أمورهم إليه »[١] .

فقضية الحب هي من صميم التوحيد ، ومفرق الطريق ، بين الكفر والإيمان ، وبين الشرك والتوحيد .

فلا إيمان لمن لم يحقق هذا الحب لهذا الدين [المتمثل في حب الله وحب رسوله ﷺ وحب تشريعه . .] .

ويُتحفنا الأستاذ / سيد قطب قائلاً :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ... ﴾ كانوا على عهد المخاطبين بهذا القرآن أحجارًا أو أشجارًا ، أو نجومًا وكواكب ، أو ملائكة وشياطين . . وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء ، أو أشخاص ، أو إشارات ، أو اعتبارات . . وكلها شرك خفي أو ظاهر ، إذا ذكرت إلى جانب اسم الله ، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله ، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه، وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلاَّ لله ؟ !!!

إن المؤمنين لا يحبون شيئًا حبهم لله ، لا أنفسهم ولا سواهم ، لا

---

(١) تفسير ابن كثير (لسورة البقرة) آية (١٦٥) [١/ ١٩٢] .

أشخاصًا ، ولا اعتبارات ، ولا شارات ، ولا قيمًا من قيم هذه الأرض التي يجري وراءها الناس .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ أشد حبًا لله ، حبًا مطلقًا من كل موازنة ، ومن كل قيد ، أشد حبًا لله من كل حب يتجهون به إلى سواه .

والتعبير هنا بالحب تعبير جميل ، فوق أنه تعبير صادق ، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله من صلة الحب ، صلة الوشيجة القلبية ، والتجاذب الروحي ، صلة المودة والقربى ، صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود »(١) .

إن المؤمن حينما يحب هذا الدين ولاءً له ، وحبًا وإخلاصًا لربه ، إنما يعلم قيمة هذا الدين ، هذا الدين الذي امتنَّ الله به على عباده ، ووفق إليه من شاء من عباده ، وهدى إليه من اصطفى من خلقه ، فهذا الدين الذي هو خير الأديان ، هو الذي أخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس ، وهو الذي جعله الله سببًا للنجاة من النار لكل مَنْ آمن به ، وأحبه ، والتزم به ، وجعله سببًا لدخول أتباعه الجنة ، فحُقَّ لهذا المؤمن أن يحب هذا الدين ويواليه .

ويعبر الرسول ﷺ عن مدى هذا الحب من العبد المؤمن لهذا الدين تعبيراً جميلاً ، تعبيرًا حسِّيًا يُجسِّد لنا مدى حب المسلم لدينه وتمسكه به ، وكرهه وبغضه للرجوع عنه للكفر والعياذ بالله . كما أنه يكره أن يُقذف في النار .

- فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن**

(١) (في ظلال القرآن) للأستاذ/ سيد قطب (سورة البقرة) آية (١٦٥) [١/ ١٤٨] .

يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »[1] .

التحذير من حب أي شيء أكثر من هذا الدين :

لقد هدد الله سبحانه وتعالى وحذَّر وتوعد كل من فضل أي شيءٍ مهما كان بالحب على هذا الدين ، مهما كانت منزلته ، ومهما كانت قرابته ، ومهما كانت الأسباب والمبررات ، ولو كان من الآباء أو الأبناء أو الإخوان أو الأزواج والعشيرة ، أو شيء من الأموال والتجارة والمساكن . فيفضل حبهم أو حب أحدهم على حب الدين [المتمثل في حب الله ، وحب الرسول ﷺ وحب الجهاد في سبيل الله] . فلقد جَرَحَ إيمانه ، وأخلَّ توحيده ، وزلزل عقيدته ، وتعرض لغضب ربه ، وانتقام مولاه .

قال تعالى : **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[2] .

قال ابن كثير رحمه الله :- « أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله . .

«فتربصوا» ، أي فانتظروا ما يحل بكم من عقابه ونكاله بكم »[3] .

---

(١) رواه البخاري كتاب (الإيمان) ، باب (حلاوة الإيمان) .

ورواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) .

(٢) التوبة : ٢٤ .

(٣) تفسير ابن كثير سورة التوبة آية (٢٤) [٢/ ٣٣٠] .

وقال مجاهد والحسن رحمهما الله :

« ﴿**حتى يأتي الله بأمره**﴾ : بعقوبة آجلة أو عاجلة »[١] .

وقال العلامة الزمخشري رحمه الله :

« وهذه الآية شديدة لا تُرى أشد منها »[٢] .

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله :-

« وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك ، وأن ذلك مقدَّم على كل محبوب »[٣] .

* * *

---

(١) انظر تفسير القرطبي سورة التوبة آية (٢٤) [٨/ ٩٥ - ٩٦] .

(٢) انظر تفسير الكشاف سورة التوبة آية (٢٤) [٢/ ١٨١] .

(٣) انظر تفسير القرطبي سورة التوبة آية (٢٤) [٨/ ٩٥] .

[المبحث الثاني]

﴿ تعلُّم أحكام الدين وشرائعه ﴾

المبحث الثاني
تَعلُّم أحكام الدين وشرائعه

إن من مظاهر وصور الموالاة لهذا الدين تعلُّم أحكامه وشرائعه ، فهذا المؤمن الذي أحبَّ هذا الدين واعتنقه ، وأخلص له ، وصار من أتباعه ، فإن من مظاهر هذا الولاء ولوازمه أن يتعلَّم هذا المؤمن أحكام هذا الدين ويتعلَّم شرائعه ، ليكون على علم بما يثبِّت إيمانه ، ويرسخ عقيدته ، ويلصقه أشد الالتصاق بهذا الدين ، ويجعله يدور دائمًا في دائرته ، ويجعله دائمًا من أتباعه ، وداخل حظيرته .

وهذا العلم أيضًا يجعله يعلم ما يرضي ربه الذي ارتضى له هذا الدين ، فيجعله دائمًا على الجادة ، وعلى الصراط المستقيم ، لا يحيد عن هذا الطريق ، ولا ينحرف عن هذا الدين ، ولا يُغضب رب العالمين .

فبهذا العلم يحمي نفسه ـ بإذن ربه ـ من الشرك ، والكفر ، والضلال ، والفسق ، والإلحاد ، فبهذا العلم يمتلىء قلب العبد خشية لله تعالى مما يجعله يأتمر بأمر الله تعالى ، وينتهي عن نواهيه ، ويكون صورة مشرِّفة لهذا الدين ، ولذلك قال تعالى مبينًا أثر هذا العلم بالالتزام بالدين وبخشية الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[1] .

وجعل سبحانه وتعالى العلماء في مرتبة عالية ، ومكانة خاصة ، لا يرتقي

---

(١) فاطر : ٢٨ .

إليهم ولا يدانيهم غيرهم ، ممن لم يُحصِّلوا مثلما حصَّل هؤلاء العلماء وهؤلاء الذين يعلمون : حيث قال تعالى : ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[١] .

إن الذين يتعلمون العلم ، ويتفقهون في دين الله تعالى هم أولى الناس بهذا الدين ، وأحق الناس به ، وأشد الناس التزامًا بهذا الدين ، وأخلصهم حبًا له ، وأشدهم دفاعًا عنه وذبًا عنه ، وحماية له ضد كل من أراد به سوءًا ، وعلى ذلك فهم أشد الناس موالاة وولاء لهذا الدين ، وأشد الناس عداوة وبغضًا لمن سولت له نفسه للنيل من هذا الدين . ولذلك رفعهم الله عز وجل درجات عالية ، وأعدَّ لهم مقامات رفيعة ، ونُزلاً محمودة . قال تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[٢] .

فضل طلب العلم :-

إن فضل طلب العلم عظيم عند رب العالمين ، فهو يجزل العطاء على طلب العلم ، ما لا يجزي على غيره ، فديننا مبني على العلم ، وبالعلم يسود المرء على أقرانه ، ويعلو مقامه فوق الرؤوس ، ويهتدي الطريق الحق ، وينير الطريق لإخوانه ولكل من حوله ، فالعلم أصل من أصول الدين ، ولذلك فإن الله عز وجل بدأ به قبل العمل : حيث أمر رسوله ﷺ بذلك قائلاً جل في علاه : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾[٣] .

- ولذلك فقد بوَّب [الإمام البخاري] رحمه الله بابًا وقال : [العلم قبل

(١) الزمر (٦) .

(٢) المجادلة: ١١ .

(٣) محمد: ١٩ .

العمل لقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، ورثوا العلم ، من أخذه بحظ وافر .

- ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة (١) .

- وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢) .

- وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾(٣) .

- وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٤) .

- وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٥) .

- وقال النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه »(٦) .

- وإنما العلم بالتعلم(٧) .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء) باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر) .

(٢) فاطر : ٢٨ .

(٣) العنكبوت : ٤٣ .

(٤) الملك : ١٠ .

(٥) الزمر : ٩ .

(٦) رواه البخاري كتاب (العلم) باب (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) .

(٧) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» هو حديث مرفوع أيضًا ، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضًا بلفظ : « يا أيها الناس تعلموا ، إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وقال الحافظ ابن حجر أيضًا : إسناده حسن . فتح الباري شرح صحيح البخري كتاب العلم [١/ ١٩٤] .

- وقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها .

- وقال ابن عباس : كونوا ربانيين حكماء فقهاء .

- ويقال : [الرباني الذي يُربِّي الناس بصغار العلم قبل كباره][1] .

قال ابن المنير رحمه الله :- [أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلاَّ به ، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبَّه المصنف (البخاري رحمه الله) على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : «إن العلم لا ينفع إلاَّ بالعمل» تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه » .

قال ابن حجر رحمه الله : «قوله (فبدأ بالعلم) [أي قول البخاري رحمه الله] . . أي حيث قال « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ثم قال : «واستغفر لذنبك» . والخطاب وإن كان موجهًا للنبي ﷺ فهو متناول لأمته .

واستدل سفيان بن عيينة بهذه الآية على فضل العلم .

- وقوله (طريقًا) نكَّرها ونكر «علمًا» ليتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية ، وليندرج فيه القليل والكثير .

- وقوله (سهل الله له طريقًا) أي في الآخرة ، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلي الجنة ، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه ؛ لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة .

- وقوله تعالى (لو كنا نسمع) أي سمع من يعي ويفهم (أو نعقل) عقل من يميز ، وهذه أوصاف أهل العلم . فالمعنى لو كنا من أهل العلم لعلمنا ما

---

(١) صحيح البخاري كتاب (العلم) باب (العلم قبل القول والعمل) .

يجب علينا فعملنا به فنجونا .][1]

- فإن فضل طلب العلم كبير وعظيم ، ويرضي الله عز وجل ، فإن طالب العلم تضع له ملائكة الرحمة أجنحتها رضىً بما يصنع ، ويدعو له كل مَنْ حوله وكل مَنْ يمر عليه من الشجر والحجر حتى الحوت في قاع البحار والمحيطات يستغفر لطالب العلم ، بل إن الأمر ليصل إلى لما هو أعلى من ذلك فيُعدّ طلب العلم نوعًا من أنواع الجهاد ، وطالب العلم هو في سبيل الله حتى يرجع ، وقد عده الله عزّ وجلّ من النفير في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[2] .

فضل مجالس العلم والذكر :-

إن هذه الدنيا فيها من الملاهي وما يشغل المرء على دينه الكثير والكثير ، من النساء ، والأموال ، والأولاد ، ومجالس اللهو واجتماعات الباطل ، ومزامير الشيطان ، ونزعات النفس ، ومهاوي الشهوات ، ومدراك الضالين ، مما يلهي المسلم عن دينه ، ويشغل المؤمن عن تعلم أحكام هذا الدين ، ومما يُبعد عامة المسلمين عن مجالس العلم ، وحلقات الذكر ، ومما يثبط الهمم عن ورود أماكن الطاعات ، حيث نزول الرحمات ، وإحاطة الملائكة ، ونزول السكينة ، وعموم الطمأنينة .

- ولكن لله عباد باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، رجال لا يراهم الله حيث نهاهم ، ولا يفتقدهم حيث أمرهم ، لا يَرِدون مجالس اللهو ، ولا يَغْشَون أماكن

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب (العلم) [١/ ١٩٣] .

(٢) التوبة: ١٢٢ .

الباطل ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[١] فيسلمون من كل سوء ، وينجون من كل ضلال ، ويبرؤن من كل إثم ، قلوبهم ساجدة لله تعالى ، وألسنتهم رطبة من ذكر الله ، ولانت جلودهم لذكر الله ، واقشعرت أبدانهم من خشية الله ، فلا عجب أن يذكرهم الله فيمن عنده من ملأ الملائكة الكرام المقربين . فلقد شاركوهم في صفاتهم ، وشابهوهم في طاعة ربهم ، حيث أخبر الله عنهم قائلاً: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢] .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « **من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه** »[٣] .

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله عزّ وجلّ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٤].

وفي هذه الرواية الثانية ليس فيه التقييد بالمسجد ، بل تفيد الإطلاق الذي

(١) الفرقان: ٧٢ .
(٢) التحريم: ٦ .
(٣) رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء) باب فضل (الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).
(٤) رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء) باب (استحباب الاستغفار والاستكثار منه).

يتناول جميع المواضع والأماكن فهنيئًا لأصحاب هذه المجالس فإن الله يباهي بهم الملائكة ، ويذكرهم في الملأ الأعلى ، وأعدَّ لهم الدرجات العلا .

- ونسوق هذا الحديث بشرى لكل طالب علم ، ولكل حريص على مجالس الذكر ، ولكل محب لهذا الدين ، ولكل شغوف بذكر الله رب العالمين، عسى أن يكون شاحذًا للهمم ، دافعًا للاستمرار ، مشجعًا على الثبات ، مصبرًا على الطاعة ، فإن الصبر على الطاعة من أعلى وأرقى وأعظم أنواع الصبر .

- فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟

قالوا : جلسنا نذكر الله .

قال : آلله ما أجلسكم إلاَّ ذاك ؟

قالوا : والله ما أجلسنا إلاَّ ذاك .

قال : أما إني لم أستحفلكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني . وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : **«ما أجلسكم»** ؟.

قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا .

قال : **« آلله ما أجلسكم إلاَّ ذاك »** ؟.

قالوا : والله ما أجلسنا إلاَّ ذاك .

قال : **« أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة »**[1] .

---

(١) رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء والتوبة) باب (استحباب الاستغفار والاستكثار منه).

قال الإمام النووي رحمه الله :

« قوله ﷺ : « **إن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة** » معناه يظهر فضلكم لهم ، ويريهم حسن عملكم ، ويثني عليكم عندهم ، وأصل البهاء الحسن والجمال »[1] .

فهيا يا أصحاب الحسن والجمال ، يا أصحاب الذكر والثناء ، يا طلاب العلم والجنان ، يا خطاب الحور الحسناوات ، استزيدوا من الطاعات ، وحافظوا على الصلوات ، واذكروا ربكم في كل الأوقات ، فوالله إنها ليست جنة واحدة ، بل هي جنات .

علاقة طلب العلم بالولاء للدين :

وقد لا تتضح الرؤية ، ولا تظهر الصورة كاملة عند البعض ، في العلاقة ووجه الصلة بين طلب العلم وتعلم أحكام الدين وشرائعه بالولاء لدين الله تعالى والأمر واضح جليّ لا يحتاج إلى كثير عنت ، ولا طول تفكير ، ولا إمعان نظر بل إن الصلة وثيقة بينهما من عدة وجوه ، نذكر منها ما يلي :-

١- أن طلب العلم وتعلم أحكام الدين وشرائعه لن يكون ولن يحدث من مسلم إلاَّ عن حب لهذا الدين ، وهذا الحب أحد جناحي الولاء ، وأحد عنصري الموالاة ، [الحب والنصرة] . فمن هنا كان تَعلُّم أحكام هذا الدين وشرائعه من الولاء والموالاة لهذا الدين ، لأنها تعبير صريح عن شدة الحب والإخلاص لهذا الدين .

٢- أن تعلم أحكام الدين وشرائعه تجعل المسلم يفقه هذا الدين ويعلم ما يصحح عقيدته ، ويرسخ إيمانه ، ويحقق عبوديته لله تعالى ، ويتعلم ما يجعله

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي كتاب (الذكر والدعاء) [٦/ ١٩٠] .

دائمًا في دائرة هذا الدين ومن أتباعه وصفوته ، فيعمل كل ما أمر به هذا الدين الحنيف ، وينفذ أوامره ، ويطبق أحكامه ، ويقيم شعائره ، ويعمل بشرائعه ، وبلا شك فإن هذا التعلُّم يكون سببًا في تحقيق المسلم للولاء لدينه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1] .

٣- إن تعلم أحكام الدين وشرائعه يجعل المسلم يعلم ما يجرح إسلامه ، وما يخدش عقيدته ، وما ينقض إيمانه ، وما يخرجه من الدين ، ويوقعه في الشرك ، وما يهوى به في الكفر ، فيبتعد عنه ويجتنبه ، حبًا لهذا الدين ومحافظة على الانتساب إليه ، والانطواء تحت لوائه نعم إنها قمة الحب والحرص على الانتساب لهذا الدين ، والموالاة له .

وكان حذيفة بن اليمان يقول : « كان الناس يسألون الرسول ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني »[2] .

٤- إن تعلم أحكام الدين وشرائعه من أجل تعليم المسلمين وأبناء المسلمن أمور دينهم حتى يعبدوا الله على علم ، وبعبادة صحيحة خالية من الشرك والرياء والسمعة ، فهو من باب حب المسلمين ، وتَجْمعُ الجميع بوتقة الدين ، فإن هذا الدين هو الذي جمعهم وآخى بينهم جميعًا ، وجعل هذا المسلم يتعلم ويعلم إخوانه المسلمين حبًا وموالاة لإخوانه ، وحبًا وموالاة لهذا الدين . فهو يوالي هذا الدين ويوالي كل من أحبه ، وكل من اتبعه إنها الموالاة في صورها المشرقة .

٥- إن هذا المسلم الذي تعلم أحكام هذا الدين وشرائعه ليحمله لكل

---

(١) فاطر: ٢٨ .

(٢) رواه البخاري (كتاب المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام).

الناس ، ولينشر هذا الدين ، وليعلنه للجميع ، وليعرِّف الناس جميعًا [قيم ، ومباديء ، وعدالة ، وإنصاف ، وشمولية ، وعالمية . . .] هذا الدين ، فوالله إنها نعم الأمانة ونعم الجهاد ، ومن أعلى مراتب الولاء لهذا الدين الحنيف ، ومن أعظم الموالاة التي يحث عليها هذا الدين . إنها إخراج الناس من الظلمات إلي النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى الإسلام ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2] .

* * *

---

(١) يوسف : ١٠٨ .

(٢) فصلت: ٣٣ .

[المبحث الثالث]



﴿ نشر هذا الدين ﴾

المطلب الأول : نشر العلم والتعريف بمحاسن الدين .

المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله .

المبحث الثالث
نشر هذا الدين

إن الولاء لهذا الدين الحنيف ، ليس كلمة تُقال ، ولا أُنشودة يُتغنى بها ، ولا شعاراً يُستتر خلفه ، ولا معنًى مجرداً من الحقيقة ، ولا خيالاً بعيداً عن الواقع ، بل إنَّ هذا الولاء ، قول وعمل ، معنى وحقيقة ، شكل وموضوع ، ظاهر وباطن ، مثال وواقع ، حب وإخلاص ، اتباع وانقياد ، بذل وتضحية ، عطاء وسخاء ، تسليم واقتناع ، تفويض وإنابة ، خشوع وخشية ، رجاء ورهبة .

فهذا المسلم الذي توجه بالولاء لهذا الدين ، عن اقتناع وعقيدة ، وعن تسليم ورضى ، وعن حب وإخلاص ، فإنه جنَّد نفسه لهذا الدين فهو يريد له ما أراده الله تعالى وهو أن يكون دين كل الخلق كما قال تعالى : **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾**[١] وقوله عز وجل : **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٢] .

ويريد الله سبحانه وتعالى أن يكون الدين كله له جل في علاه ، قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾**[٣] .

فيأبى الله تعالى إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فإن الإسلام دين الله ،

---

(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

(٣) الأنفال: ٣٩ .

وهو حافظه ، وهو حارسه ، وهو مبلغه لجميع خلقه ، ويُسخِّر لهذا الدين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه من تبليغ هذا الدين ونشره في أنحاء المعمورة ، حتى يشهد لهم الجن قبل الإنس ، والحجر والشجر أنهم بلغوا هذه الأمانة حق التبليغ ، عن حب ورضى ، واقتناع وفكر ، وعزيمة وتصميم ، على نشر هذا الدين ، وتبليغه للثقلين وصدق الله القائل فيهم : **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**[1] .

نعم إنها الموالاة في أعلى مقاماتها ، وأسمى صورها ، وأرق معانيها ، وأشرق بطولاتها . حينما يدفع المسلم أغلى ما يملك ، ويضحي بأحب الأشياء ، وأقرب الأقربين ، حينما يفضل دينه على ماله ، وعقيدته على أولاده ، وإيمانه على زوجاته ، بل أعظم من ذلك وأرقى أن يقدِّم هذه الروح رخيصة زهيدة في سبيل الله تعالى ، ويحمل هذه الروح ويقدمها على طبق من الفداء والتضحية في سبيله ، وإعزازًا لهذا الدين ونشره وتبليغه لكل العالمين ، حبًا وموالاة ، وإخلاصًا لله ولدينه الحنيف .

ويُنشر هذا الدين بطرق عديدة ووسائل شتى منها ما يلي :-

---

(١) الأحزاب: ٢٣ .

[المطلب الأول]

﴿ نشر العلم والتعريف بمحاسن الدين ﴾

المطلب الأول
نشر العلم والتعريف بمحاسن الدين

إن من صور الولاء لهذا الدين الحنيف ، ومن وسائل نشر هذا الدين القويم هو نشر العلم ، فإن تبصير الناس بهذا الدين السمح ، دين العدالة ، والإنصاف ، والمساواة ، دين احترام حقوق الإنسان ، واحترام آدمية الإنسان حيث إنه إنسان قد كرمه الله عز وجل حيث قال : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾[1] هذا الدين الذي هو رحمة للعالمين ، الذي أراده الله للبشرية ، ليخلص العباد من عبودية بعضهم لبعض ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجور إلى العدل ، ومن الذل إلى العزة ، ومن المهانة إلى الكرامة ، إن تعليم الناس وتعريفهم بهذا الدين الذي يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر من أعظم أنواع الولاء لهذا الدين قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[2] .

إن تعليم الناس بآداب وأخلاق ، وقيم ، ومبادىء هذا الدين ، وعدالته ، ورحمته ، وأحكامه وشرائعه ، إنه لمن أكبر الأسباب لاعتناق الناس هذا الدين

(١) الإسراء: ٧٠ .

(٢) النحل: ٩٠ .

والدخول فيه ، والانطواء تحت لوائه ، وما ملك الحبشة عنا ببعيد حينما سأل عن محمد ﷺ ذلك الرسول الجديد ، سأل عن هذا الرجل الذي جاء ليدعي شيئًا ما يدعيه الكثير ، ولا يزعمه الزعماء ، ما هي دعوته ؟ وما هي مبادؤه ؟ وإلى أي شيء يدعو ؟ فما وصله عنه ، وما عَلِمَ من أمره إلاَّ الصدق ، الصدق في ذات محمد ﷺ (الداعي) ، وفيما يدعو إليه (دعوته) .

فما وُصِفَ إلاَّ بالصدق والأمانة ، وما وُصِمَ ما جاء به إلاَّ بكل فضيلة ، فهو :-

١- يأمر بعبادة الله وحده وترك ما عداه من الشركاء .

٢- يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى .

٣- ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .

٤- يأمر بكل مكرمة وكل خلق كريم .

٥- ينهى عن كل رذيلة وعيب وقبيح .

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يعدد محاسن الدين :-

وها هو فارس من فرسان الصحابة رضي الله عنهم ، وبطل من أبطال الرعيل الأول ، الذين دافعوا عن الدين ، والذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم ومسقط رأسهم في سبيل هذا الدين ، وفي سبيل الدعوة إلى هذه العقيدة ، ونشرًا لهذا التوحيد ، فإنه يعدد على النجاشي (ملك الحبشة) وعلى البطارقة والأساقفة محاسن هذا الدين ، يُعلمهم عقيدة التوحيد ، يُعلمهم مبادىء الإسلام ، وقيمه ، وأخلاقه ، وإلى أي شيءٍ يدعو ، وعن أي شيءٍ ينهى ، وما انتهى هذا البطل العالم المُعلم الداعية إلى الله حتى بكى النجاشي ، هذا الملك

المتوج حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم لمَّا سمعوا ما قاله من الحق ، ومما تُلي عليهم من آيات الذكر الحكيم ، إنه العلم ، والتحرك بهذا الدين ، ونشر أحكامه ، وشرائعه ، وآدابه ، وما حث عليه من الفضيلة ، وما نهى عنه من الرذيلة ، وتخويف الناس من عذاب الله وغضبه ، وتأميلهم فيما عند الله من الأجر والمثوبة . قال تعالى : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرءانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾(٣) .

- وتروي لنا أم سلمة رضي الله عنها القصة قائلة (٤) :-

« قال جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وكان هو المتكلم عن المسلمين : « أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونُسيء الجوار ، ويأكل منا القوي

---

(١) الأنعام: ١٩ .

(٢) آل عمران: ١٨٧ .

(٣) الأحزاب: ٣٩ .

(٤) انظر قصة الهجرة إلى الحبشة كاملة في (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير [٢/ ٦٤:٧٦] ، وانظر (زاد المعاد لابن القيم) [١/ ٩٧ : ١٠٢] وانظر (سيرة ابن هشام) [١/ ٣٣٤:٣٣٨] . وانظر : مختصر السيرة للشيخ عبد الله النجدي ص (٩٦ : ٩٨) . وانظر : (الرحيق المختوم) لصفي الرحمن المباركفوري ص (٩٣ : ٩٥) .

الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من دين الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي :

وهل معك مما جاء به من الله من شيءٍ ؟ فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ «سورة مريم» .

فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال لهم النجاشي : إن هذا (يقصد القرآن الكريم) والذي جاء به عيسى (يقصد الإنجيل) ليخرج من مشكاة واحدة (يقصد من مصدر واحد أي من عند الله تعالى) .

- انْطَلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون . [يخاطب عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ـ مندوبا قريش إلى النجاشي] .

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار »

ثم أسلم بعد ذلك النجاشي (ملك الحبشة) وأحسن إسلامه ، وأسلم معه كثير من الأساقفة والبطارقة ، وكثير من النصارى في تلك البلدة ، وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل العلم ، والتحرك لنشر العلم ومباديء وأخلاق وقيم وتشريعات وأحكام هذا الدين الحنيف . فرضي الله عنِ الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فلقد ضربوا لنا المثل الأعلى في التحرك بهذا الدين ونشره ، و نشر العلم ، والفضيلة ، والأخلاق والقيم ، ففتح الله على أيديهم البلاد ، وهدى بهم العباد ، فجاهدوا في الله حق الجهاد ، باللسان وبالسيف فرضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك دين القيمة .

فضل تبليغ العلم :-

إن العلم من أعظم الأمانات التي يتحلمها المرء ، فيجب عليه أن يؤدي هذه الأمانة حق التأدية ، فإن الله سائله عن هذه الأمانة ، وعن هذا العلم ماذا فعل فيه ؟ هل عمل به وانتفع به ؟ هل بلغه وعلَّمه لغيره ؟ هل نشر هذا العلم وبلغه لكل من استطاع أن يبلغه إياه ؟

ولا فرق في ذلك بين العلم الكثير والعلم القليل ، فلقد أمرنا الرسول ﷺ بتبليغ العلم ، وأن نبلغ عنه كل ما علمناه وكل ما عرفناه .

- فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « **بلِّغوا عني ولو آية ، وحدثوا**

عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[١] .

فهذا أمر صريح من الرسول ﷺ ، وتوجيه نبوي إلى حتمية وضرورة ووجوب تبليغ العلم وذلك لنشر الدين ، ورفع الجهل ، والقضاء على الشرك ، ولكي يكون الإسلام هو دين البشرية جمعاء .

وإن في تبليغ هذا العلم ، وفضله ومكانته جاءت الآيات والأحاديث التي تبشر المسلمين وتحث العلماء على نشر هذا العلم ، والتحرك به في أنحاء المعمورة ، وتبليغه لجميع الناس ، قال تعالى مثنيًا على الذين يبلغون رسالات الله تعالى ، حبًا لله وموالاة للدين ، ونشرًا للعلم قائلاً جل في علاه : ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً** ﴾[٢] .

- ويقول الرسول ﷺ لعلي رضى لله عنه ، بل إنه ليقسم بالله وهو الصادق المصدوق وذلك لتأكيد ما سيقوله ، ويقين ما سيعلِّمه إياه ويُخبره به فقال له : «**فوالله لأن يُهْدَى بك رجل واحد خير لك من حُمر النَّعم »**[٣] .

وحمر النَّعم هذه كانت عند العرب خير وأجود أنواع النَّعم ، وهو أعلى وأعظم ما يملك الأعرابي ، وهو كناية عن نعيم الدنيا وخير ما يملك المرء فيها . فإن الله عز وجل إذا استعملك في هداية رجل واحد ، فهذا علامة على رضى الله عنك ويأتي في ميزان حسناتك يوم يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل ، ويأتي النبي ومعه الرجلان ، ويأتي النبي ولا أحد معه ، فهذا شرف لأفراد هذه الأمة ،

(١) رواه البخاري كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (ما ذكر في بني إسرائيل) .

(٢) الأحزاب: ٣٩ .

(٣) رواه البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة) .

الدعاة منهم والعلماء الذين يبلغون دين الله وينشرونه ، ويشتغلون بهداية الناس والأخذ بأيديهم حتى ينجوا ، من حبائل الشيطان والعياذ بالله ، ولكي يكونوا من عباد الرحمن لا من عُبَّاد الشيطان .

- ولذلك فإن الله عز وجل ليباهي ملائكته بهؤلاء الذين حصَّلوا العلم ، وداوموا على حِلَق الذكر ثم انطلقوا بهذا الدين يُعلِّمونه لمن خلفهم ، بل إن الملائكة لتسعد بهم ، وكل المخلوقات مِنْ حولهم لتستغفر لهم وتدعوا الله لهم حتى هذه النملة الصغيرة في جحرها ، وحتى هذا الحوت في قاع البحر ، وإن الكون كله ليسعد ويَهْنأ بمُعلِّم الناس الخير ، والدين ، وما يصلح آخرتهم .

- فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم** » ثم قال رسول الله ﷺ : « **إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على مُعلِّمي الناس الخير** »[1] .

قال العلامة المباركفوري :

« (**على معلمي الناس الخير**) قيل أراد بالخير هنا علم الدين ، وما به نجاة الرجل ، ولم يطلق المعلم ليُعْلَم أن استحقاق الدعاء لأجل تعليم علم

---

(١) رواه الترمذي باب (في فضل الفقه على العبادة) حديث رقم (٢٨٢٥) وقال : حديث حسن غريب صحيح .

وقال الإمام المنذري : رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً قال : « معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر) . انظر تحفة الأحوذي شرح الجامع للترمذي . للمباركفوري [٧/ ٤٥٧] .

وانظر : كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي كتاب العلم حديث رقم (١٣٨٥) ص (٣٨١) .

موصل إلى الخير ، وفيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعد ونفع العبادة قاصر » .

وقال : «وأهل السماوات» أي في ملك السماوات ، والمعنى أن أهل السماوات يدعونه كبيراً ، لكبر شأنه ، لجمعه العلم والتعليم »[١] .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله :

« عالم عامل يُدْعى كبيراً في ملكوت السماوات »[٢] .

فضل مَنْ عَلِمَ وعَلَّمَ :

إن طلب العلم له فضيلة عظيمة ، ومكانة مرموقة في الإسلام ، فإن طالب العلم له من المكانة والمنزلة والقدر الكثير والكثير عند الله تعالى وعند الناس ، ويزيد الفضل ، وترتفع المنزلة ، وتعلو المكانة ، إذا انتفع طالب العلم بما تعلم ثم تحرك بهذا العلم ينشره ويعلمه غيره ، فلقد حصَّل الخير وانتفع به ، وجَادَ به على غيره ، فتعدى هذا الخير ، وانتشر هذا العلم ، وانتفع به العباد ، فرضي ربُّ العباد عن العَالِم والمُتعلِّم .

- ولقد أمر رسول الله ﷺ بتبليغ هذا العلم حيث قال ﷺ في خطبة الوداع بعد أن علَّم الناس وأرسى أسسًا ، وقعَّد قواعد ، وأوصى بأهم الوصايا فقال ﷺ: **«ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه »**[٣] .

- ويضرب لنا الرسول ﷺ مثلاً واقعيًا محسوسًا يبين لنا بصورة حسية فضل هذا الذي تعلم وعلَّم غيره ، ونشر العلم ولم يكتمه ، ولم يقصر نفع هذا العلم

---

(١) ، (٢) انظر تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للعلامة المباركفوري [٧/٤٥٧] .

(٣) رواه البخاري كتاب (العلم) باب (قول النبي ﷺ « رب مُبلغ أوعى من سامع » .

على نفسه ، بل عداه إلى غيره ، فانتفع بعلمه ونفع غيره . وذلك ليرغبنا في نشر العلم ، الذي هو نشر للدين وموالاة لهذا الدين الحنيف .

- فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** »[1] .

- فلقد قسم الرسول ﷺ من يتلقى العلم إلى ثلاثة أقسام هم :-

١- **العالم العامل بعلمه المعلِّم غيره** : ومثَّله الرسول ﷺ بالأرض الطيبة التي جاءها الغيث فشربت فانتفعت في نفسها ونفعت غيرها وذلك بأنها ارتوت (فنفعت نفسها) وأنبتت الكلأ والعشب (فنفعت غيرها) فكذلك من تعلم العلم وعمل به ونفع نفسه به ، وعلَّمه غيره فانتفع به ، فتعدى الخير .

٢- **العالم الذي علَّم غيره ولم ينفع نفسه بعلمه :-**

ومثَّله النبي ﷺ بالأرض التي جاءها الغيث فتحبس الماء فينتفع به الناس ، فتنفع غيرها ، ولا تنتفع هي بما أمسكت ، فلم تخرج زرعًا ولا نبتًا .

٣- **من سمع العلم ولم يحفظه ولم يبلغه :**

ومثَّله الرسول ﷺ بالأرض السبخة أو الملساء التي لا تبقل الماء أو تفسده، فلا أمسكت الماء ، ولا انتفعت به في نفسها ، ولا نفعت غيرها بهذا الماء ، فذهب هباءً منثوراً .

---

(١) رواه البخاري كتاب (العلم) باب (فضل من عَلِمَ وعَلَّم).

قال الإمام القرطبي رحمه الله :-

« ضرب رسول الله ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث ، العالم الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يُحيى البلد الميت فكذا علوم الدين تُحيى القلب الميت .

ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث .

- فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها .

- ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء ، فينتفع الناس به وهو المشار إليه بقوله ﷺ « **نضر الله امرءً سمع مقالتي فأداها كما سمعها** » .

- ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ، ولا يعمل به ، ولا ينقله إلى غيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها »[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب العلم [١/ ٢١٢] .

[المطلب الثانى]

﴿ الجهاد فى سبيل الله ﴾

المطلب الثاني
الجهاد في سبيل الله

إن من وسائل نشر الدين الإسلامي ، ونشر العقيدة السليمة والصحيحة ، ونشر التوحيد ـ [الجهاد في سبيل الله تعالى] ـ فإن المجاهد في سبيل الله ليعلن عن أعلى مراتب الولاء وأسمى صور الموالاة ، وأرقى معاني الحب لهذا الدين الحنيف ، إن المجاهد في سبيل الله تعالى قد زهد في الدنيا ، وعزف عنها ، وترك زينتها ، وتخلى عن بهرجها ، طمعًا فيما هو أعلى وأكبر ، وأسمى وأرقى ، إنه يطمع ويطمح لما هو عند الله في جنات عرضها كعرض السماوات والأرض اشترى بالدنيا الآخرة ، والباقية بالفانية ، فأجزل الله له العطاء ، ومنَّ عليه بالرضوان ، وأسكنه أعلى الجنان .

وكيف لا والله أكرم الأكرمين . أفيقدِّم هذا المجاهد نفسه وروحه رخيصة زهيدة في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل دين الله ، ولنشر هذا الدين ولتعبيد الناس لرب العالمين ، ويتركه الله ؟ ويخذله الله ؟ وينقصه حقه ؟ ويحرمه كرمه ؟ ويمنعه فضله ؟ !!!!

كلا والله فإن الله أكرم الأكرمين ، وذو الفضل العظيم ، وصاحب المنِّ والإحسان ، والفضل والعطاء .

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم**

وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو أن يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة »[١] .

نعم إن هذا المجاهد إذا خرج في سبيل الله فإن له الفوز والفلاح ، فإما أن ينال شرف الشهادة في سبيل الله تعالى ويسكن الجنان ، وإما أن يرجع إلى أهله فائزًا منتصرًا ، معه الأجر أو الغنيمة ، أو يجمع الله له بين الأجر والغنيمة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده فهنيئًا لمن كان هذا الدين همه ، وشغله الشاغل ، وكان نشر الدين هو بغيته ، وموالاة هذا الدين في صميم عقيدته ، ونصرة هذا الدين هي كيانه ، وإعزاز دين الله أسمى أمانيه .

فضل الجهاد في سبيل الله :

إن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى عظيم ، وأجره وفير ، تكفَّل به رب العالمين ، فإن الجهاد في سبيل الله تعالى أعظم تجارة مع الله تعالى ، فإنها تنجي من عذاب الله ، وهي سبب لغفران الذنوب ، وستر العيوب ، وتطهير القلوب ، ورضى علام الغيوب ، إنها تجارة مع الله تعالى ، وإن سلعة الله غالية كما أخبر الرسول ﷺ ، فإن سلعة الله هي الجنة .

الجنة بما فيها من الخيرات ، وبما فيها من المكرمات ، وبما فيها من الدرجات ، فهي والله جنات ، والمجاهد بإذن ربه في أعلى الجنات ، وأعظم المقامات .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ**

---

(١) رواه البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) .

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١] .

قال ابن حجر رحمه الله :

« قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾ .. قد روى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير «أن هذه الآية لما نزلت قال المسلمون : لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزلت : ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ .

وروى هو والطبراني : من طريق قتادة قال : « لولا أن الله بينها ودلَّ عليها لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها حتى يطلبونها »[٢] .

– وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله** » .

قالوا : ثم مَنْ ؟

قال : « **مؤمن في شعب من الشعاب**[٣] **يتقي الله ويدع الناس من شره** »[٤] .

---

(١) الصف: ١٠ - ١٢ .

(٢) فتح الباري كتاب (الجهاد والسير) [٦/ ٩] .

(٣) وهذه الحالة مقيدة بوقوع الفتن . فتح الباري [٦/ ٩] .

(٤) رواه البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب (افضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) .

فانظر أيها المسلم كيف أن الرسول ﷺ جعل الجهاد في سبيل الله تعالى بالنفس والمال هو حيثية تفضيل المؤمن وجعله أفضل الناس على الإطلاق وذلك لفضيلة هذا الجهاد ومكانته عند لله تعالى .

قال ابن دقيق العيد رحمه الله :

« والقياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل ؛ لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره ، وإخماد الكفر ودحضه ، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك . والله أعلم . »[١] .

- وقال تعالى : ﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[٢] .

قال الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله :

« فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا فنصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب رضي الله عنه يجاهد في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية .

فأخبر أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ أن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله ، وأن الآية في ذلك نزلت ، ورُوي مثله عن ابن عباس وحذيفة والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم » .

---

(١) «فتح الباري» كتاب (الجهاد والسير) [٦/٨] .

(٢) البقرة: ١٩٥ .

ويقول رحمه الله :-

« . . . وعلى هذه المعاني يحمل تأويل من تأول حديث أبي أيوب أنه ألقى بيده إلى التهلكة « يعني الذي دفع بنفسه في وسط العدو » بحمله على العدو إذ لم يكن عندهم في ذلك منفعة ، وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن يتلف نفسه في غير منفعة عائدة على الدين ولا على المسلمين .

فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾[٣] .

في نظائر ذلك من الآي التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله ، وعلى ذلك ينبغي أن يكون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أنه متى رجا نَفْعًا في الدين فبذل نفسه فيه حتى قتل كان في أعلى درجات الشهداء . »[٤] .

من منهج الإسلام في الجهاد :-

إن من منهج الإسلام في الجهاد [عدم الإكراه في الدين] ، فلا يُجبر أحدٌ

(١) التوبة: ١١١ .

(٢) آل عمران : ١٦٩ .

(٣) البقرة: ٢٠٧ .

(٤) (أحكام القرآن) للإمام أبي بكر الرازي الجصاص [١/ ٣٦٠ : ٣٦١] .

ولا يكره على اعتناق الإسلام والدخول فيه ، فإن الإسلام أعظم من ذلك ، وأرفع من أن يكون أتباعه مكرهين ، ويُحْمَلُوا عليه حملاً .قال تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1] .

ولكن الأمر في الجهاد لُبه وخلاصته هو توصيل الدعوة إلى الناس ، وذلك ليهتدي من اهتدى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ، وحتى لا يكون للناس على الله حجة ، وحتى تصل الدعوة لكل البشرية ولذلك فإن أي جيش إسلامي يتحرك لنشر الدين ، وتوصيل الدعوة ، يكون نصب أعينه ثلاثة أمور[2] :-

[الأمر الأول الدعوة] :

دعوة الناس وتعليم الدين ، وبيان أحكامه ، وإقامة الحجة ، وذلك ليتعرف الناس على هذا الدين وعلى ما يدعو إليه ، وما يأمر به وما ينهى عنه ، فإن أسلموا ، فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين .

[الأمر الثاني الجزية] :

فلو أنهم بعدما دعوا إلى الإسلام ، وبُين لهم الدين ، ومحاسنه ، وأحكامه ومبادئه وقيمه . . . ثم بعد ذلك رفضوا الدخول في الدين ، وأصروا على المقام على دينهم . فيتركوا ودينهم ، ولكن لابد من أن يخضعوا لسلطان الدولة الإسلامية وعليهم دفع الجزية .

[الأمر الثالث القتال] :

ولو أنهم رفضوا اعتناق الإسلام ، وأبَوْ الدخول في الدين ، ورفضوا إعطاء

---

(١) البقرة: ٢٥٦ .

(٢) انظر كتاب (معالم في الطريق) للأستاذ/ سيد قطب فصل الجهاد ففيه كلام طيب .

الجزية ، فإنهم يقاتلوا حتى يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

- وأيضًا لو أن هناك من الناس أو الحكام حال بين المسلمين وبين تبليغ الدعوة للناس وجب قتالهم حتى يُفصح عن هذا الدين ، ويبلغ هؤلاء الناس فإن أسلموا وإلا دفعوا الجزية وإلاَّ قوتلوا . قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾(١) .

يقول ابن كثير رحمه الله :

«وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف ، دين الإسلام ، فإن أبى أحدٌ منهم الدخول ولم ينقد له ، أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى لا إكراه »(٢) .

❊ ❊ ❊

(١) الأنفال: ٣٩ .

(٢) تفسير ابن كثيرة سورة البقرة آية (٢٥٦) [١/ ٢٩٤] .

[المبحث الرابع]

﴿ الذب عن الدين ﴾

المطلب الأول:-

١- غيرة المسلم على الدين .

٢- صور من الذب عن الدين .

المطلب الثانى:-

[بعض الافتراءات على الدين والرد عليها] :-

أولاً : قسوة الحدود فى الدين الإسلامي .

ثانيًا : عدم صلاحية الدين الإسلامي لمواكبة العصر .

[المبحث الرابع]

« المطلب الأول »

﴿ ١- غيرة المسلم على دينه ﴾

﴿ ٢- صور من الذب عن الدين ﴾

١ - غَيْرة المسلم على الدين

إن أغلى ما يملك المسلم هو دينه ، وعقيدته ، فإن الإنسان بلا دين كالجسد بلا روح ، وكالرأس بلا عقل ، وإن أفضل الأديان ، وأعظم الأديان هو الإسلام ، فهو الدين الذي ارتضاه الله لخلقه أجمعين ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾(١) . ولن يقبل الله من أي إنسان دينًا غيره ، ولا معتقداً سواه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . قال تعالى : ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(٢) .

ولن يدخل الجنة إلاَّ من كان مسلمًا موحدًا ، ويتشرَّف المسلم بانتسابه للمسلمين ، ولانضمامه لزمرة الموحدين قال تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**﴾(٣) .

- فيجب على هذا المسلم أن يُخلص لهذا الدين ، ويحبه كمال الحب ، [ويواليه حق الموالاة] . ومن مقتضيات هذه الموالاة ، ومن لوازم هذا الولاء ، الذب عن هذا الدين والدفاع عنه ضد كل جاحد ، ومعاند ، ومكابر ، وكل من أراد به سوءًا ، أو أراد أن ينال منه .

- إن هذا الدفاع ، وهذا الذب لن يأتي من فراغ ، ولن يظهر ويتجسد

---

(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

(٣) الحج: ٧٨ .

عشوائيًا ، ولن يكون أمرًا عابرًا في حياة المسلم . بل هو من صميم عقيدة هذا المسلم ، ومن دوافع داخلية في قلبه ، ومنطلقة من عقيدة راسخة ، ويقين ثابت ، وإخلاص ومحبة لله تعالى ، ولدينه الحنيف .

إن الولاء الذي ثبت ورسخ وتمكن من فؤاد المسلم ، ومن سويداء قلبه ، ليتحرك ويثور ، بل يتفجر كالبركان إذا أُهين الإسلام ، أو كشر له أعداؤه عن أنيابهم ، يثور المسلم وينفجر كالبركان ، غَيْرة على هذا الدين ، ونصرة لعقيدته، وموالاة لله تعالى ولدينه الحنيف .

- إن هذا الولاء ليتجسد في هذه المواقف ، وهذه البطولات ، وتلك الفدائيات ، إننا لنرى هذا المسلم وهو يضرب المثل الأعلى في الذب عن هذا الدين والدفاع عنه ، وإعلانه خالص الولاء ، وأصدق الموالاة ، وإن هذه المعاني ، وتلك الروحانيات ليعجب لها المرء ، ويحار لها العقل .

- إذ كيف يحمل هذا الولاء صاحبه على دفع روحه وماله وأغلى ما يملك في سبيل الدفاع والذب عن هذا الدين ؟ !!

ما هو الدافع ؟ ! ، ما هي المحركات الحقيقة ؟ ما هي الكوامن الخفية في قلب هذا المسلم ؟ !!

هل هذا الولاء ، وهذه الموالاة لهذا الدين هي الدافع ؟ !!

- هل هي هذه الموالاة التي ينظر إليها الكثير على أنها معانٍ مجردة من الحقيقة ، وروحانيات بعيدة عن التجسيد ، ومثال بعيد عن الواقع ؟!!

- إنه لأمر عجيب حينما تصل هذه الموالاة ذروتها ، ونرى هذا المسلم صاحب (العقيدة الصافية) صاحب (العقيدة الصحيحة) ، صاحب (التوحيد السليم) .

يتجرد من كل الماديات ومن كل عوائق الدنيا الفانية ، ويتعلق في الآخرة الباقية ويُسخِّر كل ما يملك فداءً لهذا الدين ، وخدمة له ، ونشراً له ، ودفاعًا عنه ، وذبًا عن مقدساته .

إنها الموالاة في أرقى وأنقى ، وأسمى ، صورها ، وأشرق وأبهى وأنضج معانيها .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[1] .

نعم والله فليستبشر كل منا ببيعه الذي بايع به ، فليستبشر جند الله بهذا البيع فإن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة .

---

(١) التوبة : ١١١ .

٢- صور من الذب عن الدين

فهؤلاء الجند مرابطون في سبيل الله ، فمنهم مَنْ يدافع عن دين الله ويذب عنه بروحه ، ومنهم مَنْ يذب عنه بسلاحه ، ومنهم مَنْ يذب عنه بلسانه ، ومنهم من يذب عنه بقلمه . . . والكل مرابطون ، والكل في خندق واحد ، ويسدون ثغور الإسلام ، ويحمون الدين . حقًا وربي ذلك الفوز العظيم .

إن الذب عن الدين له صور متعددة ، وأشكال متنوعة ، وذكرنا منها في الفصل السابق (الجهاد في سبيل الله) وذلك عن طريق القتال ، وشهود ميادين الوغى .

ولكن في العصر الحديث (في القرن العشرين الميلادي) يتعرض الدين الإسلامي لهجوم عنيف وحملات شرسة من أعدائه المجرمين ، من اليهود والنصارى والمنافقين (يهود العرب) . يريدون التشكيك في الدين ، وصدّ الناس عنه ، بل وصرف أبنائه عنه وإغوائهم وإضلالهم وذلك عن طريق الطعن في هذا الدين وفي قيمه ، ومبادئه وشرعيته ، وأحكامه وأوامره ونواهيه . . . . وذلك لأنهم وجدوا الطريق المسلح ، والاحتلال العسكري ، طريقًا معقدًا ، ومسلكًا صعبًا ، خسروا فيه الكثير والكثير من الأموال والأنفس ، علاوة عما وصلوا إليه من أن المسلم يغار على دينه ويدافع عنه بكل ما يملك وبأغلى ما عنده ، خاصة لو كانت الحرب تحت شعار العقيدة ، فأرادوا أن يخدعوا المسلم ويُصيبوه من مكمن وفي مقتل ، فدخلوا له تارة عن طريق التقدم والمدنية ،

وتارة عن طريق التقدم الفكري والنضوج العقلي ، وتارة عن طريق الإصلاح والمساواة ، وتارة عن طريق حقوق الإنسان ، وتارة عن طريق الحرية والديمقراطية ، . . . . ومعظم هذه الطرق والوسائل عن طريق وبواسطة المنافقين من المدعين الإسلام والمتظاهرين بالالتزام بالدين . ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(١) .

إنها معركة من نوع جديد ، من نوع خاص ، إنها معركة تحتاج للمثابرة وللخطباء ولأصحاب الأقلام وللمؤلفين وللكتَّاب ، وللمفكرين الإسلاميين وللعلماء وللدعاة ولطلبة العلم . . . . . لكي يكشفوا مخططات هؤلاء المجرمين والمزورين ، وحتى يوضحوا ويثبتوا كذبهم وافتراءهم ورُب كلمة يقولها العبد (أو يكتبها) من رضى الله تعالى يسكن بها الجنة .

والمسلم مطالب بالإعداد دائمًا لهؤلاء الكفرة والمنافقين ، بكل أنواع الإعداد ، المادي والمعنوي والفكري ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(٢) .

« اهجهم وروح القدس معك » :-

« هكذا كان رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وهو ينافح بشعره عن الدعوة ، وعن رسول الله ﷺ ، ونفهم من هذا التوجيه النبوي لحسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ لا مجرد الإباحة بل الحث والتحضيض . . . بل أحس كأنه تكليف .

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

فمن حق الدعوة على الذين وهبهم الله موهبة البيان أن يعطوها حقها مما وهبهم الله . . . . ولكنه على أي حال فرض كفاية . . . إذا قام به البعض سقط الإثم عن بقية الأمة ، وجاز لبقية من يملكون الموهبة البيانية أن ينصرفوا لهمومهم الخاصة .

ولكن هناك فرض عين عليهم جميعًا . . . على كل مسلم يملك الموهبة البيانية والقدرة على التعبير الفني أن يلتزموا في نشاطهم التعبيري بمقررات الإسلام . وهذا هو المقتضى التعبيري للا إله إلاَّ الله »[١] .

حرب شرسة على الدين :-

« إن الدعوة في حاجة دائمة لمن يذود عنها ، فالحرب قائمة أبدًا لا تفتر ، لأنها حرب الشيطان التي توعد بها البشر .

- قال تعالى حكاية عن - إبليس - عليه لعنة الله - : **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**[٢] .

وقال تعالى : **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**[٣] .

ولابد من وجود مؤمنين يجاهدون فيدفع الله بهم قوى الشر لكي لا تَفْسد الأرض .

---

(١) (لا إله إلاَّ الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ/ محمد قطب ص (١١٧) .

(٢) الأعراف: ١٦، ١٧ .

(٣) ص: ٨٢، ٨٣ .

قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] .

والحرب على الدعوة ـ اليوم ـ تُستَخدم فيها كل صنوف التعبير ، سواء كانت هجومًا مباشرًا على الإسلام ، ومبادئه ومفاهيمه وعقيدته وشريعته وتقاليده ، أم كانت إفسادًا للأخلاق وشغلاً للناس بالتوافه وسفاسف الأمور ، فهذا وذاك جزء من الجهد المبذول لغواية الناس عن الحق ، وزحزحتهم عن طريق الله .

- والمسلمون أولو الموهبة التعبيرية عليهم أن يردوا هذا العدوان الدائم ، سواء ببيان حقيقة الإسلام ، أو بتعرية الجاهلية المعاصرة ومفاهيمها الضالة وموازينها المختلفة ، وكشف ما يقوم به شياطينها من جهد تخريبي ، أو بدعوة الناس إلى الارتفاع عن اللهو والعبث وسفاسف الأمور ، وليس أقسى على الشيطان وأولياء الشيطان من أن ينصرف الناس عن اللهو والعبث وسفاسف الأمور »[2] .

فيجب التصدى لهذه الحروب التي تُشن على الدين للطعن فيه ، وللتشكيك فيه ، وللنيل منه ، ومن أجل صرف أبنائه عنه ، ولصدٍّ كل من فكَّر في اعتناق هذا الدين والدخول فيه ، فيجب التصدى لكل هؤلاء موالاة للدين ودفاعًا عنه .

* * *

---

(١) البقرة: ٢٥١ .

(٢) (لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ/ محمد قطب ص (١١٩) .

[المطلب الثاني]

﴿ بعض الافتراءات على الدين والرد عليها ﴾

الافتراء الأول : - قسوة الحدود في الدين الإسلامي

الافتراء الثاني: - دعــوى عــدم صلاحيـــة الدين الإسلامي لمواكبة العصر

الافتراء الأول : - قسوة الحدود في الدين الإسلامي (١)

إن أعداء الإسلام ما زالوا يكيدون لهذا الدين ويحاولون النيل منه ، بكل وسيلة ، وعلى أي حال ، وبأي ثمن ، إن كل هممهم وشغلهم الشاغل هو كيف يقضون على هذا الدين ، كيف ينزعونه من صدور المسلمين ، كيف يثنون المسلمين عنه ، فيحاولون التشكيك ، ويحاولون التضليل ، ويحاولون تفريق الجمع ، وتفتيت الصف ، وإضعاف القوى ، وصرف الهمم عن هذا الدين القويم ، إن كل أمانيهم أن يتخلصوا من هذا الشبح الذي يهددهم (شبح الإسلام القادم) . فيحاولون تشويه الصورة ، وإظهار الإسلام بمظهر يجعل أبناءه ينصرفون عنه ويزهدون فيه ، وأيضًا يجعلون غير المسلمين يصدون عنه ، ولا يفكرون في الدخول فيه ، ومن هذه الافتراءات والأكاذيب . ادعاؤهم ظلمًا وعدوانًا أن هذا الدين كله قسوة ، دين لا يرقى إلى حس المجتمع الراقي التقدمي ، دين ليس فيه رحمة ، ولا يُراعي الإنسانية ، دين كله بشاعة ، ولا يعرف شيئًا عن الرحمة ، يصورونه على أنه دين ليس فيه نبض ولا حياة ، ومجرد من الأحاسيس ، دين لا يَصْلُح لبني البشر ، بل يصلح ليكون قانونًا في الغابة ، يحكم بين السباع والنمور ، والأسود .

- فما هذا الدين الذي يجعل هذا العزيز في قومه ، المُكرم بين طبقات المجتمع ، يقف أمام الناس ، وعلى مرأى من الجميع لكي يُجْلَدْ ؟!!!

---

(١) انظر كتاب «شبهات حول الإسلام» للأستاذ / محمد قطب ففيه رد على كثير من الشبهات والافتراءات على الدين وهو كتاب جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه .

- أي دين هذا الذي يحكم على مَنْ نفَّسَ عن بشريته وجامع امرأة ـ ولو كانت غريبة عنه ـ بالرجم ؟!!!

أيدفع روحه ثمنًا لقضاء وطره ، ولشهوة ما استغرقت ربما إلاَّ دقائق؟!!!

أتكون نهايته الرجم ، كرجم الكلاب ، وحرمانه من الحياة كلها ؟!!

- وهذا الذي شرب الخمر لكي يُرَوِّح عن نفسه ، [وما هي إلاَّ الحرية الشخصية] فيكون عقابه الفضيحة والجلد والإهانة ؟!!

- وأي دين هذا الذي يقطع يد السارق ، حتى ولو كان شيئًا يسيراً (لا يسيل له اللُعاب) ليكون معظم أفراده أصحاب عاهات ، وأنصاف رجال ، وشبه عجزى؟!!!

وما هذا الدين الذي يُصَفِّى أبناء مجتمعه فيقتل القاتل ، ويقتل الزاني المحصن (الذي سبق له زواج شرعي) . . .؟!!!

ونقـــول :

إنه الافتراء كل الافتراء ، والحقد كل الحقد ، والجهل كل الجهل ، بل والكيد المبين ، والضلال المستبين ، والحقد الدفين للإسلام وللمسلمين .

- إن هؤلاء أعداء الدين سواء منهم العارفين والمطلعين على الدين ، والذين يحاربون الدين عن علم ويقين ، أم هؤلاء الذين هم من الغفلة الضالين ومن الجهلة بهذا الدين ، فالكل يحاول أن يصيب هذا الدين ، ويصبو لتحطيم المسلمين ـ [موالاة منهم للكفر وللكافرين] ، [وبراءة من المسلمين والمؤمنين]، عن حقد وحسد وإصرار على الكفر ومحاربة للدين . ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ**

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[١] .

- إنهم ليعلنون الحرب على دين الله تعالى وعلى شريعته وعلى رسوله ﷺ ، بل هم في الحقيقة يعلنون الحرب على الله تعالى : **﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** [٢] .

إن حقدهم وغلهم وسوء نيتهم أعماهم عن الحق ، فلا يروا إلاَّ الباطل . بل زين لهم الشيطان الباطل وجعله في أعينهم حقًا ، وقلب الحق عندهم باطلاً، والباطل حقًا . قال تعالى : **﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾**[٣] .

وقال تعالى : **﴿ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[٤] .

إنهم شياطين الإنس وشياطين الجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليصدوا عن سبيل الله ، يبغونها عوجًا ، وهم للحق كارهون .

قال تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ**

---

(١) الصف: ٨ .

(٢) يوسف : ٢١ .

(٣) العنكبوت: ٣٨ .

(٤) الأنعام: ٤٣ .

وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(١) .

- أما الجلد :

فنحن نسأل هؤلاء المبطلين أيهما أزكى وأكرم وأفضل للبشرية وللمجتمعات أن يجلد الزاني ويُشَّهر به ، أم يُترك المجال ، ويُفسح الطريق للاعتداء على الأعراض مِنْ كل مَنْ سولت له نفسه ، وتكون الأعراض شيئًا مباحًا لكل من أراد أن يستمتع بشهوة حيوانية غادرة ، ويكون العِرْض والحُرمات نهبًا لكل مسعور متأجج ، متفلت من القيم ، ساخرٍ من الأخلاق ، مستعلٍ على الآداب، مستهتر بكل فضيلة ، رافض لكل المبادئ ؟!!!. أيهما أكرم أن يُرْدَعَ هذا المتمرد على الأخلاق والفضيلة بهذه الجلدات عقابًا له وردعًا لأمثاله من الساقطين ممن توسوس لهم أنفهسم بهذا الإفساد ، أم تكون المجتمعات كالغابة ، فينقض هذا الساقط علي البيت الشريف ويفعل ما يشاء ويلعب بالقيم ، ويلوث الأعراض ، ويخلط في الأنساب ، ولا يلتفت له المجتمع ، أو يعاقبه عقوبة باردة لا ردع فيها ولا عبرة ، فيسجن أيامًا ، أو يدفع غرامة مالية لا تؤثر عنده بشيء ، أو حتى [يترك ولا يعاقب أصلاً بحجة أنها ليست عملية اغتصاب ، بل إن حالة الزنى تمت برضى من الطرفين ـ الرجل والمرأة ـ فلا حق لأحد ولا حتى للدولة أن تتدخل] تلك هي المدنية ، وهذه هي الحرية ، وهذه هي القيم ، وهذا هو المجتمع الذي يريدون أن يتردى فيه ، ويهوى إليه المسلمون والمؤمنون.

- وهذا الذي [شرب الخمر] ، وغاب عقله وهزي وخرج عن وعيه ، وقال

---

(١) الأنعام: ١١٢ .

من الكلام ما يندى له الجبين خجلاً ، وسب وقذف الأحرار والحرائر ، ونال من الأشراف والشريفات ، هل يتركه المجتمع ، أم هي حرية شخصية ؟ !!

أي حرية شخصية هذه التي يعتدي فيها الفرد على حقوق الآخرين بالقول والفعل بالسب ، والشتم ، والقذف ، وكم يتم من إفساد وتخريب لممتلكات الآخرين؟!!

أيُجلد هذا أشرف وأكرم للمجتمع ، أم يحدث هذا الهزو وهذا الفجور وهذا السب والشتم والقذف والإفساد والعربدة ؟!!

إن الجواب لا يحتاج إلى فكر كبير أو إلى عقل ذكي ، ولا إلى كثرة إمعان . فإن الجواب واضح لأصحاب النهى ولمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . قال تعالى : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[1] .

أفحكم الله عزّ وجلّ الخالق للبشر والذي يعلم السرَّ وما يخفى ، والذي يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده ، أفحكم الله أحْكَمُ وأحسن وأفضل ، أم حكم البشر للبشر ، بما فيه من النقص والقصور ، والهوى ،وحب النفس ، والميل للشهوات والإفساد ؟ !!!

ولكن الأمر يحتاج لقوم يوقنون ، يوقنون بأن الله هو الخالق ، يوقنون بأن الله علام الغيوب ، ويعلم السرَّ وأخفى ، يوقنون بأن الله هو الإله ، يوقنون بأن

---

(١) المائدة: ٥٠

الله له حق الحكم بين عباده ، يوقنون بأن الله له حق التشريع لخلقه ، يوقنون بأن الله له الخلق والأمر .

أما حدُّ القتل :

إن الله عز وجلّ خلق هذا الإنسان وكرَّمه ، وجعل له حُرمة ، فحرَّم دمه ، وماله ، وعِرْضه ، إلاَّ بحق لا إله إلا الله ، فما دام هذا الإنسان لم يرتكب ما يُهْدَرُ به دمه ويحل به ماله ، فليس لأحد حق التجرُّؤ عليه ، وعلى دمه وماله وعرضه ، فإن هذا هو أعظم الإنصاف ، وهذا هو احترام الإنسان وتكريمه ، في أشرق صُوَره ، وأسمى معانيه ، وهذه هي حقوق الإنسان الحقة ، [لا التي يتشدق بها الشرق والغرب الآن وهم أهدر الناس لهذه الحقوق] .

- فإن حُرْمة هذا الإنسان وحقه في الحياة التي أرادها الله له حق لهذا الإنسان ، فإذا جاء من يهدم هذه البنية ، ويقضي على هذا الجسد ، ويُزهق هذه الروح ، ظلمًا وعدوانًا إنه الفساد بعينه ، الفساد الذي لم يرده الله [١] في الأرض: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣] .

---

(١) إن الله لم يرد هذا الفساد شرعًا ، ولكنه أراده كونًا إذ لا يكون في هذا الكون شيء إلا بإرادته وبعد مشيئته سبحانه وتعالى .

(٢) البقرة: ٢٠٥

(٣) الأعراف: ٥٦

وهذا الإفساد ، وهذا القتل ، وسفك الدماء ، هو ما أشارت إليه الملائكة في قوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

- فإن هذه الروح مِلْك لله تعالى فإذا جاء من يتعدى على ما لا يملك فهو يحارب الله تعالى ، وكأنه يريد أن يشارك الله تعالى في ربوبيته وألوهيته ، فالله عزّ وجلّ هو الذي يخلق ويحيي إذا أراد ، وهو الذي يقبض ويميت وقتما شاء ، فلا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، سبحانه وتعالى في عليائه ، فهذا الذي يتعدى على أرواح الناس ، ويُزهق أرواحهم ، قد أساء الأدب مع الله خالقه ، وظلم الناس وتعدى على أرواحهم . فلابد وأن يعاقب العقوبة التي يستحقها ، والتي تكون عبرة لغيره وزجراً لأمثاله ، ولابد وأن يشرب من نفس الكأس ، فلابد من حرمانه من الحياة ، كما حَرَمَ نفسًا من الحياة ـ بإذن الله وبعد مشيئته ـ فكما كان سببًا في إزهاق هذه الروح ، فلابد من إزهاق روحه ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾(٢) ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾(٣) ، ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٤) .

- إن قتل القاتل ليس حبًا في القتل ، ولا شهوة في إراقة الدماء ، بل إن قتل القاتل ما هو إلاَّ حقنًا للدماء ، ومحافظة على الأرواح ، وتوطيدًا للأمن ، ونشرًا للأمان ، وتكريمًا للإنسان ، وبناءً للمجتمعات ، وتشييدًا للحضارات ،

---

(١) البقرة: ٣٠

(٢) النبأ: ٢٦

(٣) الفجر : ١٤

(٤) الحج: ١٠

وفق منهج رباني ، وتشريع إلهي ، وفي دائرة الدين ، وفي حضرة الضمير ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

أما حدُّ السرقة (قطع اليد) :

إن الدين الإسلامي لا يريد لأبنائه أن يكونوا عجزى ، ومعوقين ، ومعطلين عن العطاء لأمتهم الإسلامية ، كما يدعي هؤلاء الجهلة المُغرضون ، بل إن الإسلام أراد لأبنائه أن يكونوا أداة فعالة ، أن يكونوا عنصرًا إيجابيًا في المجتمع المسلم ، أراد منهم أن يعطوا ويعطوا الكثير والكثير ، أراد منهم البناء لا الهدم ، أراد منهم التقدم لا التأخر ، أراد منهم الريادة لا التقهقر ، أراد منهم العطاء لا السرقة والنهب وأخذ أموال وحقوق الآخرين ، إن الشريعة الإسلامية ، والمنهج الرباني ، أراد لهذا الكون أن يكون وفق ما أراده الله له من الأمن والأمان، والسعادة والهناء ، والشرف والعفة ، والسمو والرفعة .

- وما هذه الحدود إلا حلقة من حلقات هذا المنهج الرباني لتطهير المجتمع من الفساد والانحلال ، ومن الغي والضلال ، ومن انتهاك حقوق الإنسان .

وحد السرقة (قطع اليد) ما هو إلا حلقة أخرى في «عِقْد الحدود» التي شرعها الله تعالى لحفظ أموال الناس وممتلكاتهم ، والله عزّ وجلّ هو الذي خلق هذا الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، ويعلم ما يصلحه ، ويعلم ما يردعه إذا انعوج ، فما لهؤلاء الأذناب ينعقون كما تنعق الغربان على الخرائب ، ما لهم

(١) البقرة: ١٧٩

يعترضون على خالقهم ، ويردون حكمه ، ويستنكفون على شرعه ، أم لهم شرك في السماوات والأرض ؟ !! أم لهم إله غير الله يُشرِّع لهم من دون الله تعالى؟!!!

الله الذي خلق ، والله أحق بالحكم ، والله أحسن من يُشَرِّع ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(١) .

- إن تطبيق حد السرقة وقطع يد السارق ليست قسوة بل هي رحمة :

أولاً: كفارة لمن وقعت منه هذه الجريمة .

ثانيًا : ردعًا لمن سولت له نفسه بالوقوع في مثل هذه الجريمة .

ثالثًا : حماية لأموال المسلمين وممتلكاتهم .

رابعًا : أمن وأمان للمجتمع المسلم قاطبة .

يقول الأستاذ/ محمد قطب حفظه الله : (٢)

«يلفت نظرنا كذلك في هذا الدين كون التشريع واحدًا من الأدوات التي يصان بها المجتمع من الفساد ولكن الشريعة لا تعمل وحدها . ومن ثم فليس الأمر فيها أنها (قانون) يمكن أن يُستبدل به قانون آخر إنما هو كتاب أحكمت آياته وفصلت من لدن عليم حكيم .

- إنه منهج متكامل في معالجة الأمور . . . لا يأخذ الأمور فرادى ، ولا يضع العلاج لها فرادى ولنأخذ نموذجًا من تطبيق الحدود : -

---

(١) المدثر: ٤٩ - ٥١

(٢) (لا إله إلاَّ الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ/ محمد قطب ص (٧٨: ٨٠).

حد السرقة (قطع اليد) :

وحين نعرض المسألة من خلال هذه الجزئية وحدها تتحفز بعض الألسنة للاستنكار باسم «إنسانية» التعامل مع المجرم . . . وتتململ بعض الأفكار في بعض الرؤوس : أو لم يكن الأنسب أن تكون العقوبة أقل قسوة ؟ !!

السجن مثلاً مدة من الزمن ؟!!

وينطلق هؤلاء وهؤلاء من جهل مطبق بالإسلام ، وانبهار بالغرب يستعبد الأرواح . . . إن الإسلام لا يأخذ الأمر من جانب العقوبة وحدها ، ولا يبدأ العلاج بتطبيق العقوبة ، إنما [العقوبة آخر شيء يلجأ إليه الإسلام] .

إنما المنهج الرباني يهدف إلى منع أسباب الجريمة أولاً لكي لا تحدث ابتداءً.

- يبدأ بترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإيجاد الصلة الحية بين العبد وربه الصلة التي تولد في القلب الحياء من الله ، والحب الذي يؤدي إلى الطاعة ، والخوف الذي يؤدي إلى الامتناع عما يغضب الله تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾(١) .

- ثم يقوي أواصر التواد والتراحم في المجتمع ، وترسيخ «الأخوة» بين المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢) .

- ثم يشد رباط الأسرة ، وهي المحضن الذي يتربى فيه الطفل صغيراً ،

---

(١) الإسراء: ٥٧

(٢) الحجرات: ١٠

لينشأ على أخلاقيات الإسلام .

- وبالإضافة إلى هذه «المعنويات» كلها - وإن كانت كلها معنويات ذات واقع حسي - يجعل في أموال الأغنياء فريضة يجمعها ولي الأمر - ويقاتل من يمتنع عن أدائها - وينفقها على المحتاجين إليها .

ويجعل بيت المال في النهاية مسئولاً عن كل من قعدت به ظروفه عن العمل، أو جعلته دون المستوى اللائق بالنسبة لحال الأمة من الغنى والفقر .

فإذا كان ذلك كله فلماذا يسرق السارق ؟ !!

إنه - إن فكر في السرقة - فهو غير معذور !!

وعندئذ تكون قسوة العقوبة التي تنتظره وسيلة لصده عن التفكير في ارتكاب الجريمة .

- ومع ذلك كله فإنه إن سرق بالفعل فلا يطبق عليه الحد حتى يتأكد الحاكم أنه غير معذور !!

[سرق غلمان لحاطب بن بلتعة - رضي الله عنه - ناقة لرجل من مُزينة ، فأُتي بهم إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ، فلما ولَّى رده وقال لحاطب : والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم فتجيعونهم ، حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له . . . لقطعت أيديهم .

فإذ لم أفعل فلأغرمنك غرامة توجعك . ثم التفت إلى المُزني فقال : بكم أُريدت منك ناقتك ؟

قال : بأربعمائة .

فقال لحاطب : اذهب فأعطه ثمانمائة !!.]

- أي روعة في العدل الرباني المتمثل في شريعة الله !

أين يذهب (العلمانيون) من وجه الله وهم يرفضون هذا الهدى الرباني الرائع ويبحثون عن قوانين ظهر فسادها في بلادها ، وضجرت منها مجتمعاتها؟!

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] .

رحمة الإسلام وبشاعة الطغاة :

وبعد هذا وغيره من عظمة الإسلام وحرصه على أمن وأمان ، ودماء وأموال وأعراض الناس ، نريد أن نسأل هؤلاء الذين يَنْعقون ليلاً ونهاراً يهاجمون ويحاربون دين الإسلام ، ويحاولون النيل منه ، وتشكيك الناس فيه ، ووصفه بما ليس فيه ، وتجريده مما يتصف به .

أين أنتم من الرحمة ؟ أين العلمانيون ، والشيوعيون من الرحمة ؟

أين النصارى من الرحمة ؟! أين اليهود من الرحمة ؟ أين أنتم يا أحفاد القردة والخنازير من الرحمة والشفقة ؟!

أين أنتم يا عُبَّاد البقر ويا عباد النار من الرحمة ؟!!

أين أنتم يا طواغيت الأرض جمعاء من الرحمة ؟!!

وأنتم ليلاً ونهاراً تسفكون دماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،

---

(١) المائدة: ٥٠

وتستبيحون حرماتهم وتنتهكون أعراضهم ، وتسلبون أموالهم وأراضيهم ، وتدنسون مقدساتهم .

- أين هذه الرحمة حينما سحق (الاتحاد السوفيتي الهالك) أكثر من (مليوني مسلم) في [أفغانستان] أين الرحمة وإخواننا يذبحون تذبيح الشياة في [طاجستان] ، ويقهر وينسف الشعب الشيشاني المسلم ، ويباد إخواننا في [كشمير] ، وحَدِّثْ ولا حرج فيما يقع من وحشية ونذالة مع إخواننا المسلمين في [البوسنة والهرسك] من الصرب المجرمين الحاقدين على مرأى ومسمع من العالم بل بيد جميع قوى الباطل وملل الكفر ، فترتكب أبشع المجازر ، وتنتهك الأعراض بالآلاف ، وتهدم المساجد وتُبَاد مدن وقرى بأكملها .

أين هؤلاء النَّعاقون ، أين هؤلاء الضالون المضلون مما يحدث لإخواننا في [بورما والهند] ؟! إن البوذيين والهنادكة عليهم لعنة الله أجمعين ليحرقوا المسلمين هناك تحريقًا .

- يا دعاة العلمانية والاشتراكية والإلحاد ، يا دعاة الكفر والطغيان إن الإسلام لم يُخرِّج طواغيت ولا مفسدين ، ولكن خرَّج دعاة رحمة ، وأئمة هدى ، رحموا الكبير والصغير ، والمرأة والشيخ ، والطفل ، حتى الزرع والحرث ، إنهم دعاة رحمة وليسوا مفسدين في الأرض إن الإسلام خرَّج [أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وخالد

ابن الوليد ، وعمر بن عبد العزيز ، وصلاح الدين ....] .

- فماذا خرَّجتم أنتم .أنسيتم أم تناسيتم؟ فالتاريخ والواقع يشهدان عليكم.

طواغيت أوربا والاتحاد السوفيتي :

إن هذا القرن الذي شهد ـ في أوربا ذاتها ـ أعتى طغاة التاريخ :

١- (هتلر) في ألمانيا .

٢- (وموسوليني) في إيطاليا .

٣- (فرانكو) في إسبانيا .

٤- (تيتو) في يوغوسلافيا .

- أما (الاتحاد السوفيتي) الذي هوى فهو عالم وحده ، فريد في طواغيته، وعلى رأس ـ هؤلاء الطغاة والجبابرة الذي يشهد عليهم التاريخ ، وعلى إفسادهم في الأرض ، وعلى سفكهم للدماء ، وعلى إهلاكهم للحرث والنسل ، عليهم لعنة الله تعالى ، وعلى رأس قائمتهم السوداء الزعيم الجبار (ستالين) ، الذي قال عنه (خروشوف) ـ بعد أن مات : ـ إنه كان سفاحًا مجرمًا متعطشًا للدماء ، وغلطة لا يجوز أن تتكرر .

- إنهم من سلالة فرعون وهامان عليهم لعنة الله أجمعين . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ولكن الله صادق وعده ، وناصر

---

(١) القصص: ٤

عباده وهازم الأحزاب وحده ، وسوف يُشرق فجر الإسلام وإن طال ليل الطغاة .

القصاص منبع الحياة : [١]

إن القتل هدم لبناء أراده الله تعالى وسلب لحياة المجني عليه ، واعتداء على عصبته الذين يعتزون بوجوده وينتفعون به ، ويحرمون بفقده العون ، ويستوي في التحريم قتل المسلم والذمي وقاتل نفسه .

وذلك لأن الإسلام جاء ليبني لا ليهدم ، جاء لعيطي لا ليأخذ ، جاء لِيُؤَمن لا ليروع ، جاء الإسلام لينشر الأمن والسلام ، وما شرع القصاص إلا حماية للنفس وحفاظًا عليها واحترامًا لها ولحرمتها ، فبالقصاص تحفظ جميع النفوس ، تحفظ نفس من سولت له نفسه بالقتل ، فهو حينما يتذكر مصيره وأن عقابه هو الموت قصاصًا فسوف يمتنع عن القتل .

وفيها حفظ أيضًا لمن كان سيقتل ؛ فإن رجوع الذي نوى قتله عما همَّ به حفظ بذلك حياته ، فالقصاص كان سببًا لردع الأول ونجاته من القصاص ، وكان القصاص أيضًا سببًا في إبقاء حياة الثاني ونجاته .

ولو تأملت قول الله تعالى : **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[٢] .

١- بدأت الآية الكريمة بكلمة : **﴿وَلَكُمْ﴾** وفيها إشعار بأن ما سيأتي

---

(١) كتاب (البيان في صفات عباد الرحمن) سيد سعيد عبد الغني ص (١٦٢ : ١٦٣).

(٢) البقرة: ١٧٩

بعدها هو عطية من الله تعالى لعباده وشيء فيه منفعة ، فهو لكم يا بني البشر وفي صالحكم وفيه خيركم ، فهو ينسب لكم ، ويضاف إليكم ، وهو حري أن يكون من ممتلكاتكم ، فهو أغلى من أموالكم ؛ لأن فيه سر حياتكم .

٢- ﴿فِي الْقِصَاصِ﴾ ونرى تعبير الله تعالى ورسمه لهذه الصورة الجذابة التي تشد انتباه القاريء والسامع فكيف يكون هنالك حياة في القصاص والتعبير بحرف (في) تعبير رائع جميل معجز وفيه دلالة رائعة وتصوير مبهر ؛ وهو أن هذا القصاص ليس سببًا في الحياة ، بل إن القصاص هو منبع للحياة ؛ فإن الحياة تنبع وتتفجر من خلال ومن ثنايا هذا القصاص ، فكان هذا القصاص مصدراً ومنبعًا لكل حياة .

٣- ﴿حَيَاةٌ﴾ والتعبير هنا عن الحياة بصيغة النكرة له دلالة عظيمة ، ومعانٍ رفيعة ، وغايات سامية ، وأهداف رشيدة ، فإن النكرة تفيد التعظيم وتفيد التنويع ، فهذه الحياة المنبثقة من القصاص حياة عظيمة آمنة حياة لكل شيء للنفس ، وللروح وللقيم ، وللمباديء ، وللمثل ، وللإخلاص ، إن وراء تنكير كلمة حياة معانٍ يتذوقها المتذوقون ويفهمها ويشعر بها الفاهمون والمتدبرون ، ويعجز عن التعبير عنها الكاتبون والملسنون .

٤- ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ نداء من الله عظيم ، نداء من الله حكيم ، نداء من الله لكل عاقل لبيب ، وكأن هذه الأحكام وهذه الحدود وهذا القصاص لا ولن يعرفه ويدرك أبعاده ويعلم فوائده ويقنع بنتائجه ويؤمن بإعجازه ، إلا أولئك القوم أصحاب الألباب الذين لهم قلوب يعقلون بها ويهتدون بها إلى حكمة تشريع ربهم .

٥- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فإن ختم الآية وانتهائها بذلك التعليل وهو أن ما شرع

لكم وما جعل لكم وما فرض عليكم ـ إن من ورائه غاية سامية وهدفًا نبيلاً ألا وهو التقوى ؛ تقوى لأنفسكم من القتل في الدنيا ، تقوى ووقاية من سفك دمائكم ، تقوى ووقاية من انتشار الذعر والخوف في المجتمعات ، تقوى ووقاية من القصاص ، تقوى ووقاية من نار الله ، تقوى ووقاية من عذاب الله ، تقوى ووقاية من غضب وسخط الله ، تقوى ووقاية من انتقام الله .

* * *

الافتراء الثاني : دعوى عدم صلاحية الدين الإسلامي لمواكبة العصر

- فما زال أعداء الله يلهثون خلف قافلة الإسلام ، ويحاولون أن ينالوا منه، موالاة منهم للشيطان وللكفر وللكافرين ، وبراءة من الإيمان والإسلام والمؤمنين .

- وما زال رجال الإسلام ، وجنود الإيمان ، وعباد الرحمن ، يتصدون لكل حاقد ، ولكل كافر وملحد ولكل منافق ومُعْرض ، ولكل من أراد سوءًا بهذا الدين أو بالمؤمنين ، موالاة منهم لله ولدينه ولرسوله ﷺ ، وبراءة من الكفر والشرك والإلحاد والنفاق .

قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1] .

- من هذه الدعاوى التي يروجون لها ، وينعقون بها ، ويدسون بها السُّم، ويحاولون تفتيت الصف المسلم ، وتحطيم العقيدة ، وذبح الإسلام ، والقضاء على الدين ، وصرف المسلم عن دينه ، وصد الناس عامة عن دين الإسلام «دعوى عدم صلاحية الدين الإسلامي لمواكبة العصر» .

فيدّعون كذبًا وافتراء أن الدين الإسلامي دين جاء لأُناس كانوا يعيشون في الصحراء ، حفاة عُراة ، يأكلون التمر ، ويشربون مياه الآبار ، ويركبون البغال

---

(١) البقرة: ١٠٩

والحمير ، فكان هذا يناسب هؤلاء الناس ، ويلائم تلك الفترة ، فانتشر هذا الدين ، وسَادَ أتباعه ، أما الآن وقد مرَّت الأيام ، وتعاقبت القرون ، وتغيرت الأحوال ، وتبدل الناس ، واختلف الوضع نهائيًا عن سابقه ، وشُيِّدت الحضارات ، وتقدمت الأمم ، وحلَّت المدنية ، وتقدمت التكنولوجيا ، وجاء من المخترعات ما لا يعلمه إلاَّ الله ، علاوة عما سوف يأتي ، وما سوف يتوصل إليه الإنسان من تقدم واختراعات .... فيدّعون بجهلهم وغبائهم أن هذا الدين وإن صَلُح قبل ذلك لفترة معينة من الزمان ولنوعية خاصة من الإنسان ، فهو عاجز عن أن يقف أمام هذا التقدم ، أو أن يساير هذه المدنية ، أو أن يواكب هذا العصر وغيره من العصور ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾[1] .

ونقول :

أولاً : إن الذي جئتم به ليس بدعًا من الأمم ، بل سبقكم به أمم من الذين ضلوا وأضلوا ، ومن الذين زاغوا عن الحق ، واتبعوا الشهوات ، واتبعوا خطوات الشيطان ، وحادوا عن الصراط المستقيم .

- إن هذا التكذيب وهذا الصدّ ليس بغريب على أمثالكم في قافلة الكفر ، ومعسكر العصيان ، وحزب التمرد ، فما من رسول أرسله الله ، وما من كتاب أنزله الله ، إلاَّ وجدَ من يُكذِّب به ومن يفترى عليه ، ومن يحاربه موالاة للكفر وللشرك وللنفاق ، وبراءة من الإيمان ، وهجراً للتوحيد ، وهُروبًا من الإسلام ،

---

(١) الكهف : ٥

ومنابزةً للمؤمنين ، ومحادّة لله ولرسوله ، قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] .

قال ابن كثير رحمه الله :

«عن ابن عباس رض الله عنهما ـ قال : قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ : يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله في ذلك قوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] . . . . .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب ، وعتوهم ، وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو [الكفر والمعاندة] كما قال مَنْ قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم .

- ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في [الكفر والعناد والعتو] .

- ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى لمن أيقن وصدّق واتبع الرسل وفَهِم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى ، وأما من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فأولئك قال الله فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ

---

(١) ، (٢) البقرة: ١١٨

عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[1] . »[2]

فلقد أوضح الحافظ ابن كثير رحمه الله وبيَّن بما يشفي الصدور ، شرحًا وتفسيرًا لآيات الذكر الحكيم .

فإن الأمر كما قال رحمه الله ، ما هو إلاَّ [الكفر والعناد والعتو] . وأن ملة الكفر واحدة وأصل النفاق واحد ، وأن الزيغ عن الحق هو دأبهم ، وأن الدفاع عن الباطل هو مبدؤهم ودحض الحق هو ديدنهم ، ورفض الدين هو هدفهم ، واتباع الشهوات هو مأربهم .

- والله عزّ وجلّ يُعريهم ويفضحهم في كتابه العزيز على لسان نبيه الشريف ﷺ فهم لا يجادلون من أجل غاية نبيلة ، ولا يسألون ويناقشون من أجل الوصول إلى الحق . بل من أجل تلبيس الحق بالباطل ، وتصوير الحق على أنه هو عين الباطل ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، قال تعالى : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

حقًا فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ، فسوف يعذبهم الله بأيدينا ، ولهم في

---

(١) يونس : ٩٦ - ٩٧

(٢) تفسير ابن كثير سورة البقرة آية (١١٨) : [١/ ١٥٤] .

(٣) البقرة: ٤١ - ٤٢

الآخرة العذاب الشديد .

ثانيًا : -

إن هؤلاء ينعقون بهذه الأقاويل ، ويتلفظون بهذه الأباطيل ، ويتفوهون بتلك الأكاذيب ، نقول لهم لقد كفرتم - إن كنتم قد دخلتم في الإيمان أصلاً - فإن مثل هذه الأقاويل ، وتلك الافتراءات لها من التبعات واللوازم ، ما إن اعتقدها موحد لأشرك ، ولو اعتقدها مؤمن لكفر .

فإن الذي جئتم به ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾[1] ونسأل هؤلاء المشككين بعض الأسئلة :-

- فهل الله سبحانه وتعالى حينما أنزل القرآن الكريم لم يكن يعلم أنه آخر كتاب سينزل إلى الخلق ؟!!

- ألم يكن الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذا الكتاب لابد وأن يَصلُح لكل الخلق، وإلى قيام الساعة ؟ !!

- ألم يكن في علم الله تعالى أن هذا الدين (الدين الإسلامي) هو دين البشرية إلى قيام الساعة ؟!!

- هل يرتضي الإسلام دينًا للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة ويكون فيه قصور؟!! أو يكون عاجزًا عن الإيفاء بحاجة البشر ومتطلباتهم ؟!!

- هل يُعقل أن يكون الإله الخالق أنزل هذا الكتاب وأرسل هذا الرسول الكريم (محمدًا ﷺ) وعَلِمَ أنه آخر كتاب وأنه الرسول الخاتم ، ثم لم يجعل

---

(١) مريم: ٩٠

فيهما شفاءً للناس ورحمةً ، ونوراً وهدًى ؟!!!

- أيجعل الله تعالى شريعة الإسلام هي آخر الشرائع منذ بعث محمد ﷺ إلى قيام الساعة ، ولا يجعل فيها ما يلائم كل العصور ، ويُصلِح كل الناس ، ويتمشى مع كل الأزمان ؟!!

- أيجهل الله (سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً) ـ حينما حكَمَ بأن الدين الإسلامي هو دين البشرية ـ بأن الناس سوف تتغير ، وأن أحوالهم سوف تتبدل ، وأن أمزجتهم سوف تتباين وأنه سوف يَجِدُّ من المتغيرات في الكون الكثير والكثير؟!!

- أيخلق الله الخلق ويجهل أمرهم ؟!!

- أيقضي سبحانه وتعالى في كونه وفي خلقه ما لا يعلمه وما لا يراعيه ؟!!

- أيتعارض دين الله (الذين ارتضاه لخلقه) مع مخلوقاته ؟!!

- أتتهمون الله عزّ وجلّ بالجهل وعدم العلم ؟!! «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً».

- أتظنون أن الله عزّ وجلّ يقضي شيئًا بلا حكمة ؟!!

- أتظنون أن الله خلق الخلق وتركهم هملاً ؟!!

- أيكون الله هو الخالق وهو الإله ويَتْرك غيره يَحْكم ويُشرِّع لخلقه ؟!!

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] ، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[2] . ولكن

---

(١) القلم: ٣٦

(٢) النجم: ٢٢

الأمر لا يخفى على ذي عقل أو على مَنْ عنده ذرة إنصاف ، أو مَنْ ابتغى الحق وسعى إليه وطلبه . ولكن المنافقين والكافرين لا يتبعون إلاَّ الشهوات وما تهوى الأنفس ، الأنفس الشريرة الآثمة التي تريد أن تتفلت من أحكام الدين ، وتتحرر من التزامات الشرع ، الأنفس الخبيثة التي تعبد الشيطان وتسجد للشهوات ، وتركع للهوى .

قال تعالى : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٤] .

ويقول الأستاذ/ محمد قطب حفظه الله:

«ومنهم من يقول : إن الحياة الإسلامية جمدت في القرون الثلاثة الأخيرة بسبب ثبات أحكام الشريعة ، وعدم وفائها بالمستجدات الهائلة التي جدت في حياة البشر . وهؤلاء لا يدركون أنهم بهذه القولة [يخرجون من دين الله أصلاً] ، بل يخرجون من الباب الأكبر الذي يدخل منه المسلمون في دين الله ، وهو باب العقيدة ، لأنهم ـ وإن لم يعوا ذلك ـ ينفون عن الله ـ جل وعلا ـ صفة العلم

(١) النجم: ٢٣

(٢) الجاثية: ٢٣

(٣) المائدة : ٤٩

(٤) الجاثية: ١٨

وصفة الحكمة ، كأنهم يتصورون ـ في جهالتهم ـ أن الله لم يكن يعلم ـ وهو يفرض هذه الشريعة ـ أن أحوال الناس ستتغير في القرون التالية ، وأن الشريعة التي فرضها لن تصبح وافية بما جدَّ في حياة الناس !! كما أن فرض شريعة غير صالحة للتطبيق في الظروف المتجددة أمر لا حكمة فيه ، بل هو مجافٍ للحكمة تمام المجافاة !» [١] .

فلْيتق الله هــؤلاء وهؤلاء ، ولا يفتروا على الله الكذب ، ويتوبوا من قريب ، من قبل أن يأتي يوم ، لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ولا كرسي ولا عرش ، ولا جيش ، ولا قرش ، إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾[٢] .

- **ويقول فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله** وهو يُفَصِّل ويقسم أنواع كفر الاعتقاد الذي يخرج صاحبه من الملة ويجعله مرتدًا ، ويدخله في الكفر الأكبر والعياذ بالله . قال فضيلته :

«**والثاني**: (أي الحالة الثانية في كفر الاعتقاد) : - أن لا يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا ، ولكن اعتقد أن حُكمَ غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقًا أو بالنسبة إلى ما استجدَّ من الحوادث ، التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال ، وهذا أيضًا لا ريب (أنه كفر) ، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصِرْفُ حثالة الأفكار ، على حُكم الحكيم الحميد .

---

(١) (لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ / محمد قطب (ص٧٦) .

(٢) الشعراء: ٢٢٧

وحكم الله ورسوله (ﷺ) لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان ، وتطور الأحوال ، وتجدد الحوادث ، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلاَّ وحكمها في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، نصًّا أو ظاهراً أو استنباطًا أو غير ذلك ، عَلِمَ ذلك من علمِه وجَهِلَه من جهلِه . »[1]

ثالثًا :

نقول لهؤلاء المشككين في الدين ، الزاعمين أن هذا الدين ليس بصالح لمواكبة هذه الحضارة ، وليس بوسعه مسايرة هذا التقدم ، وليس بإمكاناته التمشي مع هذه المدنية، نقول لهم: سلوا أنفسكم سؤالاً فيه إنصاف بعيداً عن التعصب، ومجرداً من الهوى ، وخال من النفاق ، إن كنتم تريدون الحق ، وتبحثون عن الحقيقة ، وتبغون الفضيلة ، وتنشدون السعادة ، وتنادون بالإصلاح.

سلوا أنفسكم . . . هل هذا الدين تصادم مع أي مخترع جديد ؟! هل تعارض هذا الدين مع أي ظاهرة كونية ؟!! هل وجدتم في هذا الدين ما يخالف حقائق كونية توصلتم إليها ؟!!

- ألم يحث هذا الدين على التقدم والأخذ بأسباب القوة ؟!! ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[2] .

- هل وجدتم تحجراً من هذا الدين أمام أي تقدم حضاري إنساني قويم؟!!

---

(١) (تحكيم القوانين) لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٦ : ١٧) .

(٢) الأنفال: ٦٠

- هل تعارض دين الله تعالى مع كونه ؟!!

- هل تعارض دين الله تعالى مع مخلوقاته ؟!!

- فإذا كان هناك إخلاص وصدق في الإجابة فلن يكون إلاَّ الإذعان لهذا الدين ، والتسليم له كل التسليم ، والاعتراف الحق ، والقول الصدق بأن هذا الدين من عند الله ، وهو صالح لآخر الزمان ، وأن فيه صلاح الدنيا والدين .

- فإن أي مخترع جديد ، وأي اكتشاف حديث ، وأي تعرُّف جديد على الحقائق الكونية المحيطة بنا ، لها أصل في قرآننا ، إما صريح ، وإما مجمل ، وإما مشار إليه ، أو على الأقل لا يتعارض مع القرآن الكريم .

- فنجد مثلاً القرآن الكريم يسبق العلم الحديث بأن الحسَّ يكون في طبقة الجلد الخارجية حيث قال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾[1] .

فبيَّن سبحانه أن مراكز الحس في الجلد ، وهذه الآية كانت سببًا في إسلام كثير من العلماء الغرب .

- وأيضًا ما توصل إليه العلم أن الهواء يقل فيه الأكسجين كلما صعدنا إلى أعلى وهذا من اكتشافات العلم الحديث ، لقد سبق إليها القرآن الكريم بالإشارة في قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾[2] وما ضيق الصدر عند الصعود إلى السماء إلاَّ لقلة الأكسجين . وغير ذلك من الأشياء التي أشار إليها

---

(١) النساء: ٥٦

(٢) الأنعام: ١٢٥

القرآن الكريم وألمح بها ، ولكننا في الحقيقة لا نجعل ما توصلوا إليه من علم حجة على صدق القرآن وصحة الدين ، بل الأصل عندنا هو الإيمان بهذا الدين والتصديق به ، ولكن ما هو إلاً مجرد كشف بعض الحقائق لهؤلاء الكفرة والمشككين في الدين من باب إقامة الحجة عليهم . حتى لا يكون لهم حجة على الله ، وليهلك من هلك عن بينة .

- ولكن بقي لنا أن نتساءل ما هو أصل الداء ، وما هو أصل الفتنة ، ومَنْ الذين يروجونها ، يريدون شق الصف وإضعاف البنية ؟

أصل الفتنة :-

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله : «ووقعت الأمة في الفتنة من جانبين - جانب الطبالين والزمارين - [دعاة الغزو الفكري] - وجانب [علماء السوء] ، عبيد السلطان .

فأما الطبالون والزمارون فقد قالوا للأمة : لقد كنتم تطبقون الشريعة وتقيمون الشعائر وتملؤون المساجد فماذا أصابكم من ذلك كله إلا الضعف والتأخر والخذلان أمام الغرب ؟ وها هو ذا الغرب لا يحكِّم شريعتكم الجامدة! إنما يحتكم إلى قانون متطور مواكب للأحداث وها هو ذا لا يصلي مثلكم ولا يصوم. . فأين هو وأين أنتم؟ هو في القمة وأنتم في الحضيض ! فدعوكم من تلك الأغلال التي كانت تكبلكم . . . وانطلقوا . . . انطلقوا إلى الحضارة والقوة والرقي والتقدم !

وأما علماء السوء فقد اتكؤوا على الفكر الإرجائي : من قال لا إله إلا الله

فهو مؤمن ، ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام!! ربكم رب قلوب!! ما دام قلبك عامراً بالإيمان فلا يهمك شيء ـ لا يضر مع الإيمان معصية !

وتلاقت الفتنة من هنا ومن هناك . . . واندفعت الأمةُ في التيه!

فأما «الطيبون» فقد ظلت عواطفهم مع الإسلام ، ومع كتاب الله ، ولكنهم جلسوا يتحسرون على الأيام الفائتة ، ويقولون لأنفسهم : ما حيلتنا؟ لقد تغير الزمان! ولم يَعُد في الوسع الرجوع إلى ما كان !

وأما العملاء فقد فركوا أيديهم سروراً بتخلص البلاد من عدو أسيادهم الذين يدينون لهم بالولاء !

وأما جموع أخرى من الناس فقد وقفوا حائرين : هل من المعقول أن يكون هؤلاء «الإفرنج» الراقون المتحضرون المتقدمون ، الذين نجلس نحن عند أقدامهم ـ إن سمحوا لنا أن نجلس هناك ـ هل من المعقول أن ينطبق عليهم ما جاء مِنْ وصف في القرآن : أنهم هم الخاسرون . . . أنهم هم الضّالون . . أنهم هم الصم الذي لا يسمعون ، العمي الذين لا يبصرون؟!

وي !

ومَنْ الرابح إذن ومَنْ المهتدي . . . ومن المفتوح البصر والبصيرة ، الواصل إلى جوهرة المعرفة وعلم اليقين ؟!

كلا ! لابد أن يكون القرآن يصف قومًا آخرين . . كانوا في الماضي . . أما حاضر الغرب فلا يمكن أن ينطبق عليه الوصف !

ونحن أيضًا !

أتنطبق علينا الأوصاف الواردة في القرآن إذا قلدنا الغرب وحاولنا أن نصنع

مثلما يصنع ؟

حين نتعلم مثلهم ، ونرتقي مثلهم ، ونحطم الأغلال مثلهم ، ونحرر المرأة مثلهم ، ونشرِّع لأنفسنا مثلهم . . . أنكون عندئذ في حكم «الجاهلية» كما يقول القرآن؟!

كلا ! كلا !

إما أن القرآن قد نزل لقوم معينين ، كانت أحكامه صحيحة بالنسبة إليهم، لأنهم كانوا في بداوتهم لا يملكون فكرًا راقيًا ينظمون به حياتهم ، فكان القرآن رفعًا لهم وتقدمًا بالنسبة إليهم ، وإما أن الدين كله ـ كما تقول أوربا ـ قد أخلى مكانه اليوم للتقدم البشري المبني على «العلم» . . . فلا علينا إذن أن نخالف أحكامه ونحن مطمئنون !» (١)

- ولكن البشرى كل البشرى بهذه الصحوة المباركة ، التي جاءت للأمة في وقت حرج لكي تردَّ الناس إلى دين ربهم ، وتوقفهم على أرض صلبة ، وعقيدة راسخة ، جاءت لتعري الباطل وأهله من كفرة ومنافقين ، جاءت لتكشف علماء السوء (علماء السلاطين والحكام) ، جاءت لتضع أقدام الأمة على الطريق المستقيم، طريق الحق والصلاح ، والخلاص من أدران الماضي ، ومن شوائب التيه ، جاءت لتأخذ بيد الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، وإلى مجد أسلافها، وإلى انتهاج نهج السلف الصالح ، والسير على درب أهل السنة والجماعة ، في طريق الهدى ، ومسلك السعادة .

---

(١) (هلم نخرج من ظلمات التيه) للأستاذ/ محمد قطب ص (٥٩ : ٦١) .

رابعًا ما هو البديل ؟!! :-

ونقول لهؤلاء الكفرة والملحدين والمنافقين إذا كنتم قد وصلتم من النضج الفكري ، والكمال العقلي الذي جعلكم تتمردون على خالقكم ، وتتكبرون على شـرعه ، ولا تنقادون لحكمه ، فما هو البديل عندكم ؟ ، وما هو المخرج لديكم ؟ ، وما سبيل الفكاك من أسر هذا الدين ؟ ، وما هي الطريقة للخروج على هذا الشرع ؟ ، وما الحيلة للتخلص من هذا المنهج الرباني القويم ؟!!

ما هو الشرع الذي ستحكُمون به وتتحاكمون إليه ؟ ، وما هو المنهج الذي ستسيرون عليه ؟ ، ومَنْ الذي سوف يشرِّع لكم ؟ ، وما هو مذهبكم ؟ ، وما هي عقيدتكم ؟، وأين وجهتكم ؟ ، وأين تولون وجوهكم ؟ !!

ما هو البديل عندكم ؟ أهي [الديمقراطية الفاسدة] ، أم هي [الاشتراكية الظالمة] ، ﴿ **قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾[١]

أتستبدلون شرع الله تعالى الخالق العليم الخبير عالم السر وأخفى ، بحثالة فكر البشر ، وبأهواء المفسدين الضالين المنحرفين ، أتُحكِّمون الظَّلمة والطغاة ، والمتكبرين والجبابرة في خلق الله وفي عباد الله تعالى . أيكون لهم حق التشريع من دون الله تعالى ، فلقد ظلمتم أنفسكم وجنيتم على غيركم وحِدتم عن الحق ﴿ **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ** ﴾[٢] .

- وإن ظلم هذه المذاهب والنظم العلمانية والاشتراكية والإلحادية وفسادها

---

(١) البقرة: ٦١ .

(٢) النجم: ٢٢ .

ثبت للجميع مما لا يدع مجالاً للشك أو للمراء ، فلقد أثبتت التجارب ، وحكم الواقع المشاهد الملموس جَوْر وفساد وضلال وانحراف هذه المذاهب والنظم ، مما يؤكد للجميع وجوب الرجوع لشرع الله الحنيف ولدين الله القويم ، الذي فيه صلاح الدنيا والدين ، وفيه الفلاح والرباح ، والعزة والكرامة ، والعدل والإنصاف.

البديل الجائر : [الديمقراطية ... الاشتراكية ...]

«حين جاءت الديمقراطية وتشكلت الأحزاب وخاضت «المعارك» ضد بعضها البعض ، هلَّل الدعاة وكبروا ، وقالوا : الآن تحررت الأمة وارتقت ، وأصبحت تعبر عن إرادتها من خلال الأحزاب . . وحين جاءت الدكتاتورية الاشتراكية ، قام الدعاة يلعنون «العهود البائدة» التي أفسدت الأمة بالصراعات الحزبية ، وشتت كلمتها ، وأفقدتها وحدتها . . . ويعلنون في الوقت ذاته أنه قد آن الأوان للأمة أن تتوحد ، وتتحرر من الفساد ، وتستعيد شخصيتها المفقودة ، وتسير في طريق الفلاح . . . !

ويدور الطبالون والزمارون . . . كتَّابًا وصحفيين ، وخطباء وفنانين ، وقصاصين ومسرحيين . . . والأمة تدور وراءهم في ظلمات التيه !

ومن بركات هذه الأنظمة !!!

فجواسيس الحاكم يَعُدون على الناس أنفاسهم . والويل لمن تكلم بكلمة ينتقد فيها عملاً واحدًا من أعمال الفرعون الجبار. . . السجن والتعذيب والتشريد. . وقد يلقى حتفه في معتقله في ليل أو نهار في أثناء التعذيب ، فلا يجرؤ أهله ـ لا نقول أن يشتكوا ـ بل حتى أن يسألوا عنه : أحيٌّ هو أم ميت. .

ومن سأل فجزاؤه على سؤاله أن يؤخذ إلى حيث يعود أو لا يعود !

وألوان من التعذيب تعف عنها الوحوش . .

فالوحش يفترس ليأكل ، فإذا شبع انصرف وكف عن الافتراس ، ولكنه لا يفترس من أجل تعذيب فريسته ، والتلذذ برؤية العذاب ينصب عليها ، كما يصنع الإنسان حين يفقد آدميته ، وينتكس أسفل سافلين .

وقد مارس العسكر هذه الوحشية كلها وهم «يحررون» الشعب من الخوف! ويحررونه من الذل ! ويحررونه من الاستعباد ! وكان أحد هؤلاء الطغاة ينادي وهو يمارس أبشع أنواع الإذلال لشعبه : ارفع رأسك يا أخي ! فقد مضى عهد الاستبداد !!

ذَلَّ الناس . . وانكسرت نفوسهم . . وشملهم الرعب القاتل من «زائر الليل» الذي ينتزع الناس في جوف الليل من ديارهم وأزواجهم وأطفالهم ، ليلقيهم في ظلمات لا يعلم أَحَدٌ مداها ، بل أُخذت النساء كذلك لأول مرة في تاريخ الأمة ليعذبن داخل السجون .

ومع الفزع عمَّ الفقر الشعب كله ، إلا المحظوظين الذين اكتنزت جيوبهم بالمال المسلوب من الأمة تحت سطوة القهر . . وطُحنت مع كرامة الأمة أخلاقياتها ومُثلها وقيمها ، وأصبح الهم الأكبر للناس البحث عن لقمة الخبز ، لهثًا وراءها حتى يجدوها ـ إن وجدوها ـ منقوعة في الذل والخوف والهوان .

ولحساب من يحدث هذا كله ؟!

لحساب من يُسحق الشعب ، وتُلقى كرامته في الأرض ، وتداس بأقدام الطغاة .

لحساب الصليبية العالمية والصهيونية العالمية ، حتى تأمن إسرائيل وتستقر وتتوسع ، والشعوب الإسلامية حولها مسحوقة لا تملك الاعتراض ، فضلاً عن الرفض . . فضلاً عن الجهاد المقدس ضد الغاصبين .

وهذا الذي ظفرت به الشعوب التي ثارت على مظالم العثمانيين!!

مرة أخرى نقول : لم تكن مظالم العثمانيين مقبولة ولا كان السكوت عليها مقبولاً في شرع الله . ولكن العلاج الذي تناولته الأمة ـ في التيه ـ كان أفظع بكثير ، وأمرَّ بكثير . . . كان هو الذل والهوان والضياع .

ومن عجب أنه كان في التيه ـ دائمًا ـ طبالون وزمارون ، يطبِّلون ويزمِّرون لكل مرحلة من مراحل التيه . فإذا جاء غيرها لعنوا الأولى التي كانوا يطبِّلون لها ويزمِّرون ، وبدأوا طبلهم وزمرهم للمرحلة الجديدة بنفس الحماسة ونفس «الولاء»! [1] .

فهل هؤلاء هم البديل الذي من أجله لفظتم الإسلام ، وحاربتم الدين ، وفرطتم في العقيدة ، وتخبطتم في ظلمات التيه ؟!!!

فأين عقولكم ؟!!! وأين كرامتكم حينما تُسلِّمون زمامكم وجميع شئونكم لهؤلاء الطواغيت ، وهؤلاء الجبابرة العتاة الظالمين ؟!!

أتـفرون من الرحمـــة إلى القســوة ؟!!! ومن الحرية إلى العبودية لبشر مثلكم ؟!!

أتشترون الذُلَّ بالعزة والكرامة ؟!!! أتصبون إلى الشقاء بعد ما جاءتكم

---

(١) انظر (هلم نخرج من ظلمات التيه) الأستاذ/ محمد قطب (ص ٥٠ : ٥٣) وذلك بتصرف بسيط .

السعادة ؟!! أتقذفون بأنفسكم في النار بعدما كنتم على أبواب الجنة ؟!!!

إن هذا لشيءٌ عجاب !!!!

❋ ❋ ❋

[الفصل الثالث]

﴿ ولاء المؤمن للرسول ﷺ ﴾

المبحث الأول : [وجوب الولاء للرسول ﷺ]

المبحث الثاني : [صور من الولاء للرسول ﷺ]

١- حب الرسول ﷺ

٢- طاعته ﷺ

٣- نصر سنته ﷺ ومحاربة البدع وأهلها

[المبحث الأول]

﴿ وجوب الولاء للرسول ﷺ ﴾

وجوب موالاة الرسول ﷺ

إن الله تعالى اختار نبيه ﷺ واصطفاه ، وأوجب علينا محبته ونصرته وموالاته ، فإن موالاة الرسول ﷺ من أوجب الواجبات على المسلم ، ومن أفضل الطاعات والقربات إلى الله تعالى .

فهو ﷺ المُبلغ عن ربه والذي كشف الله به الغُمة ومَحَا به الظلمة ، فكان من أصول هذا الدين موالاة الرسول ﷺ بكل صور الموالاة ، وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الحب والإخلاص والنصرة .

فلا يتحقق الإيمان ، ولا تصح العقيدة إلا بتحقيق تلك الموالاة للرسول ﷺ . فإن الموالاة كما أسلفنا تدور حول [الحب والنُّصرة] ، والله عزّ وجلّ فرض علينا حبَّ هذا النبي ﷺ بأشمل معاني الحب ، وبأدق معاني الوفاء ، حبًّا ينسى فيه المرء نوازع نفسه ، ونوازع عرقه ونسبه ، حبًّا يفوق ويفضل أي حب ، حتى يفوق حب النفس .

- وفرض الله أيضًا علينا نصرة هذا النبي ﷺ ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من الدفاع والذب عن هذا الرسول ﷺ ، ومن نشر سنته ومحاربة كل من أراد بهذه السنة سوءًا ، أو أراد أن يستبدلها ببدعة ، فيكون المسلم كالسيف المسلول يدافع عن هذه السنة المطهرة ، وينشرها في أرجاء المعمورة ، حبًّا لله ، وحبًّا لدين الله تعالى وحبًّا للرسول ﷺ ، ونصرة للدين ، وموالاة للرسول ﷺ .

ويبيِّن لنا الله تعالى وجوب هذه الموالاة للرسول ﷺ في كتابه العزيز حيث

قال جلّ شأنه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) .

وهاهنا يحصر الله تعالى موالاة المسلم في موالاته لله ، ولرسوله ﷺ ، وللمؤمنين ، فكانت هذه الآية بهذا الحصر موجبة لموالاة المؤمن للرسول ﷺ ، وملزمة له بإخلاص تلك الموالاة لهذا الرسول الكريم ﷺ .

- وبيَّن الله سبحانه وتعالى أن هذه الموالاة التي أَمَرَ بها ، وحصرها وحددها للمؤمنين أن من تمسك بها ، ومن حققها ، وصرفها كما أمره الله عن حب وإيمان وعقيدة وإخلاص ، فإنها سبب في الغلبة في الدنيا ، والفوز والفلاح في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٢) .

من حقق هذه الموالاة فاز بشيئين :

إن من حقق هذه الموالاة التي أشار الله إليها ، ومنها موالاة الرسول ﷺ، فقد فاز بخصلتين ، وتمتع بمنحتين يمنحه الله إياهما :-

١- أنه من حزب الله ، فمن حقق هذه الموالاة فهو من حزب الله ، وهو من جند الرحمن ، سِلْمًا على عباد الله ، حَرْبًا على حزب الشيطان ، فلقد حقق الإيمان ، وسلك طريق الصلاح ، وكان في زمرة عباد الله الموحدين ، وأوليائه المخلصين .

٢- ومن حقق هذه الموالاة ، (التي منها موالاة الرسول ﷺ) فإن له الغلبة والنصر ، والفلاح والرباح ، وقد جمع الله له الدنيا والآخرة ، وأصبح من

---

(١) المائدة: ٥٥ .

(٢) المائدة: ٥٦ .

الغالبين ، ومن المنصورين ، فالله في عونه ، والله مؤيده ، والله ناصره ، والله جاعله غالب على عدوه ، يبشره بالنصر ، ويُطمئن قلبه بالغلبة ، ويُريح قلبه بالإخلاص ، ويثبت فؤاده بالإيمان ، ويُنير بصيرته بالتقوى ، ويشرح صدره بالتوحيد ، ويُمكِّنه في الأرض بالمتابعة ، ويعزه بتلك الموالاة ، وينصره بهذا الدين ، فهنيئًا لمن حقق هذه الموالاة ، والسعادة لمن أحْيا هذه النصرة ، والفلاح كل الفلاح لمن تحرك بهذا الدين ، ونَشَرَ هذه السنة ، ووالى في الله، وعادى في الله ، فحقًا إن حزب الله هم الغالبون .

قال ابن كثير رحمه الله : [1]

«فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة لهذا قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[2] .

موالاة الرسول ﷺ سبب في النصر والغلبة :

ما أمرنا الله بأمر في كتابه العزيز ، أو على لسان رسوله الكريم ﷺ إلاَّ وفيه خيرنا ، وصلاحنا ، وفلاحنا ، وفوزنا في الدنيا والآخرة .

وما نهانا الله عزّ وجلّ عن شيءٍ في كتابه العزيز ، أو على لسان نبيه الكريم ﷺ إلاَّ حفاظًا علينا وحفظًا لنا من كل سوء ، وسلامة لنا من كل مكروه ، وسببًا في اجتناب كل خطر ، والابتعاد عن كل ضرر ، والنأي عن أسباب الضلال

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة المائدة آية (٥٦) [٢/٦٩] .

(٢) المائدة: ٥٦ .

والخسران ، وحفظًا لنا من أسباب الخزي والذُل والعار .

والتاريخ يشهد ويسجل على مرِّ العصور بصدق هذا الكلام ، وبتصديق تلك الحقيقة :-

فسلفنا الصالح على مختلف العصور ، وفي كل زمان ومكان حينما تمسكوا بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، ووالوا هذا الدين الحنيف ، ووالوا هذا النبي الكريم ﷺ ، ونصروا هذه السُّنة المطهرة ، كان لهم النصر والغلبة ، وكان لهم النصر والتمكين ، وكان لهم العزة والكرامة ، وكانت لهم السيادة والزعامة ، وكان لهم الشرف والمهابة ، أعزَّ الله بهم الدين ، وأعزهم بالدين ، ونصرهم على خلقه ، وكانوا في مقدمة الأمم ، وعلى رأس الحضارات ، وأناروا الطريق لكل ضال ، وأخذوا بيد كل شارد ، وأصلحوا كل مُفسد ، وقوَّموا كل معوج ، وهدَوا كل حائر ، ونصروا كل مظلوم ، وردوا كل ظالم ، وأمَّنوا كل خائف ، وأطعموا كل جائع ، وكسوا كل عارٍ ، وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الغي والضلال ، إلى الهدى والرشاد ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وأخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة فرضي الله عنهم ورضوا عنه . حقًا إنه دين القيمة .

قال تعالى : **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[1]

- وأما حينما فرَّط بعض الخلف في هذا الدين ، ولم يحققوا تلك الموالاة

---

(١) المائدة: ١٥، ١٦ .

لله ولدينه وللرسول ﷺ ، فما جنى هؤلاء إلاَّ التخلف والرجوع والتقهقر ، وأصبحت الأمة الإسلامية ـ وللأسف ـ في أذيال الأمم ، بل كساها العار ، وحلَّ بها الشنار ، وعلاها الذُلُّ ، وغشيتها المهانة ، ولبست ثوبًا من الخزي والاستعباد، وأصبح ديدنها الانكسار ، فأصبح دم المسلم أرخص دم ، وعرض المسلم أهون عرض ، وأرضه مسلوبة ، ومقدساته مدنسة ، وحرماته منتهكة ، وأمواله مباحة .

فالمسلم يذبح ذبح الشياة ، وتنتهك أعراض المسلمات ليست بالعشرات ، ولا بالمئات ، ولا بالألوف ، بل بعشرات الألوف ، والمساجد تهدم وتدك بالمصلين ، والأراضي والبلاد تغتصب بلا حدود ، وما الأندلس عنا ببعيد ، وما نسينا فلسطين والقدس السليب ، وها هي البوسنة والهرسك تسلب أمام أعيننا الآن ولا من مغيث ، ولا من مروءة ، ويا حسرة على الرجولة ، ووداعًا للنخوة، وسلامًا على الشهامة ، ويرحم الله الغَيْرة ، [إلاَّ مَنْ رحم ربي] .

نعم إنه شوءم المعصية ، وإنه نتاج الإعراض عن الله وعن دين الله ، وحصاد ترك موالاة الرسول ﷺ وترك موالاة سنته المكرمة .

إنها النتيجة الطبيعية ، وسنة الله في خلقه ، لكل من ترك موالاة الله ، وموالاة رسوله ﷺ ، وموالاة المؤمنين ، إنها النتيجة الحتمية وقضاء الله على كل من وَالَى الكفرة . فهل من رجعة قبل أن تُستأصل شأفتنا من على الأرض ؟!!

هل من توبة إلى الله قبل أن يُؤتى على آخرنا ؟!!

هل من عودة إلى ديننا قبل فوات الأوان ؟!!

هل من رجوع إلى موالاة الله ورسوله والمؤمنين لكي يُكتب لنا النصر والغلبة ؟!!

هل من إقلاع عن موالاة الكفار والمشركين والملحدين والمنافقين حتى يرفع الله عنا ما نحن فيه من ذلة وعار ومهانة ؟!!

هل من رغبة حقيقية في الخلاص وإصلاح الأمة ؟!!

هل نحن فعلاً صادقون في حبنا لديننا ولرسولنا ﷺ ؟!!

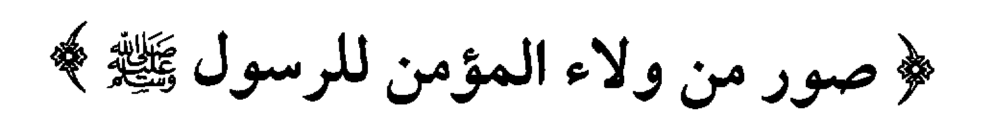
هل بحق نحن طلاب للجنة ونعيمها ؟ وفُرَّار من النار وعذابها ؟!!

قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾[1] .

* * *

(١) الأنعام: ١٥٣ .

[المبحث الثاني]



﴿ صور من ولاء المؤمن للرسول ﷺ ﴾

١ – محبة الرسول ﷺ .

٢- طاعته ﷺ .

٣- نصر سنته ﷺ ومحاربة البدع وأهلها .

صور من ولاء المؤمن للرسول ﷺ

إن موالاة الرسول ﷺ ليست كلمات تقال ، ولا أماني يتمناها المؤمن ، ولا ادعاء يدعيه كل مدعٍ ، وليست معانٍ جوفاء ، خالية من الواقع الملموس ، ومجردة من التطبيق المحسوس ، وخاوية مما يُربي النفوس .

- إن موالاة الرسول ﷺ ، هي بمثابة انقلاب في حياة المسلم ، لابد وأن تظهر هذه الموالاة في حياة المسلم ، وفي سلوكه ، وفي عباداته ، وفي معاملاته، وقبل ذلك في يقينه ، وفي عقيدته .

لابد وأن تترجم هذه الموالاة إلى واقع ملموس محسوس ، لابد وأن تنزل مثالياتنا إلى أرض الواقع لكي تُثمر في حقل البشرية ، لابد أن تظهر هذه الموالاة في ثوبها الذي يليق بها ، وتظهر بالمظهر اللائق بالعقيدة ، والمُشرِّف للمسلم.

فإن أناسًا ادعوا موالاتهم للدين ولله تعالى ، ولرسوله ﷺ ، وهم أبعد ما يكونون عن دين الله ، ورسول الله ﷺ منهم براء ، يدَّعون كذبًا وزوراً نصرهم للسنة ، ومحاربتهم للبدعة ، فإذا جئنا إلى [عقيدتهم] فهي شركية ، وإذا فتشنا عن [إسلامهم] فهو مجروح وإذا نظرنا إلى [إيمانهم] فهو مدخول فيه ، وأما [ولاؤهمّ] فللكفار وللمشركين وللملحدين والمنافقين ، وأما [براؤهم] فمن الدين ومن الرسول ﷺ ومن المؤمنين ، [قوانين] وضعية ، من وضع البشر [شريعتهم] علمانية أو اشتراكية ، من حثالة فكر البشر ، [مناهجهم] وضيعة ، [أهدافهم] خبيثة وملعونة ، [غاياتهم] خسيسة وكلها أنانية [وسائلهم] وحشية وحقيرة.

- إن الموالاة للنبي ﷺ لابد وأن يكون لها واقع في عالم الحياة ، وفي عالم البشر ، وفي عالم الواقع ، لابد من ظهور تلك الموالاة في واقع الأمة ، وفي حياة المسلمين ، وفي تعاملهم مع المسلمين وغير المسلمين ، فليس الإيمان بالتمني ، وكذلك ليست الموالاة بالقول فقط ، بل لابد من القول والعمل ، وكفانا تخديراً للموحدين ، وكفانا خداعًا وغشًا للمسلمين ، وكفانا تضليلاً للأمة، وكفانا طمسًا لمعالم (الولاء والبراء) ، وكفانا تمييعًا لقضية (الموالاة والمعاداة) ، فلابد من التطبيق والعمل .

- إن لهذه الموالاة للرسول ﷺ صوراً عديدة نذكر بعضًا منها تذكرة لكل مؤمن سائر على درب الإيمان :

١- محبة النبي ﷺ :

إن لكل قول حقيقة ، وحقيقة الموالاة هي الحب الخالص ، والصفاء الراقي ، والنقاء الزاهي ، فإن من دعامة الموالاة الحب الصادق من القلب ، فمن كان يوالي الرسول ﷺ ، حق الموالاة ، فعليه أن يحبه حق الحب ، الحب الخالص من أي شوائب ، النقي من أي معكّر .

فإن هذا الحب في القلب للرسول ﷺ ، هو الانطلاقة المباركة للمتابعة ، وللاقتداء ، [فمن أحبَّ أطاع] ، ومن لم يحب فهو أبعد ما يكون عن الطاعة . فهذا الحب عنوان لهذه الطاعة ، ودافع للانقياد والإذعان .

ولذلك حرص القرآن الكريم ، وحرصت السنة النبوية على غرس هذا الحب في قلب المسلم ليسهل عليه بعد ذلك الامتثال والانقياد والإذعان والقبول عن الله وعن الرسول ﷺ . وأَمرَ الله ، وأَمرَ رسوله ﷺ أن يكون هذا الحب في

أعلى مقاماته ، وفي أسمى وأرفع صوره ، فمدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين قائلاً : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...﴾[1] فهم يحبون الله تعالى ويحبون من يُبلغ عن الله ، يُحبون من جاءهم ليعرِّفهم بالله تعالى . ولذلك فقد حذَّر الله سبحانه وتعالى أن يكون هناك شيئًا ، أحبّ للمؤمن من الله ومن رسوله ﷺ مهما كان هذا المحبوب، ومهما كانت منزلته ، حتى ولو كان أبًا أو أمًا ، أو أبناءً ، أو إخوانًا، أو زوجات، أو عشيرة ، أو أموالاً ، أو تجارة ، أو مساكن وقصوراً ، أو بيوتًا ودورًا .

ويأبى الله أن يداني حبه وحب رسوله ﷺ أي حب ، ومن لم يحقق ذلك فما هو من المؤمنين ، وأصبح من المشركين ، وصرف ولاءه لغير رب العالمين ولم يوالِ رسوله الأمين - ﷺ - قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2] .

فهذا تحذير رباني شديد للذين يضعف إيمانهم ، وللذين لا يحافظون على ولائهم ، ويحاول الشيطان أن يجعلهم يُغلِّبون حبَّ أي شيء على حب الله ورسله . فإن حبَّ الرسول ﷺ باب من أبواب العقيدة ، فلابد وأن يحققه المؤمن على مراد الله تعالى ، وابتغاء مرضاة الله ، ويتعبد به المسلم ربه ،

(١) البقرة : ١٦٥ .

(٢) التوبة: ٢٤ .

ويتقرب به إلى مولاه جلّ في علاه ، فحب الرسول ﷺ من الإيمان ومن أجلّ علاماته ، فيجب على المؤمن أن يكون الرسول الكريم ﷺ أحب إليه من نفسه ووالده ، وولده ، وأهله ، وماله ، والناس أجمعين . موالاةً للرسول ﷺ وعبادةً لله تعالى .

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن هشام ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : «يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي» فقال النبي ﷺ : **«لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»**. فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي» فقال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»** [(١)] .

قال الإمام الخطابي رحمه الله :

حب الإنسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه .

قلت : فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الاختيار ، ولذلك حصل له الجواب بقوله : **«الآن يا عمر»** أي الآن عرفت فنطقت بما يجب [(٢)] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الأيمان والنذور) (باب ـ كيف كانت يمين النبي ﷺ) .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/٥٣٦) كتاب الأيمان والنذور (باب كيف كانت يمين النبي ﷺ) .

ويزيد النبي ﷺ الأمر وضوحًا على وجوب محبته ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال : «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»(١) .

ومن رواية أنس رضي الله عنه (عند الإمام مسلم) أنه ﷺ قال: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**» (٢) .

ونلحظ هنا أن الإمام مسلم رحمه الله بَوَّبَ لهذا الباب بعنوان «باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة» .

قال [**الإمام أبو سليمان الخطابي**] : فمعناه لا تَصْدُق في حُبي حتى تُفْنِي في طاعتي نَفْسَك وتؤثر رضاي على هواك ، وإن كان فيه هلاكك .

وقال ابن بطال : رحمه الله :

« ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان عَلِمَ أن حق النبي ﷺ آكد من حق أبيه وابنه والناس أجمعين ، لأنه به ﷺ استُنْقِذنا من النار ، وهُدينا من الضلال»(٣) فمحبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمة وهي من باب موالاته ﷺ . ولذلك توعد الله تعالى من حاد عن هذه الموالاة وعن هذا الحب بالعقاب والنكال . وذلك في قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (حب الرسول ﷺ من الإيمان) .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب «وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين» .

(٣) انظر شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١/ ٢١١ : ٢١٢) .

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم [٢] .

وقال مجاهد والحسن رحمهما الله : في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ : أي بعقوبة آجلة أو عاجلة » [٣] .

ويقول العلامة الزمخشري رحمه الله : في تفسير هذه الآية : «وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها» [٤] .

٢- طاعته ﷺ :-

ومن مظاهر الموالاة للرسول ﷺ طاعته ﷺ في كل ما جاء به وأمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر ، موالاةً له ، وعبادةً لله ، وطاعةً للمولى عزّ وجلّ . فقد أمرنا الله تعالى بطاعته بقوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

---

(١) التوبة : ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير سورة التوبة آية (٢٤) [٢/ ٣٣٠] .

(٣) انظر تفسير القرطبي لسورة التوبة آية (٢٤) .

(٤) انظر تفسير الكشاف للزمخشري سورة التوبة آية (٢٤) .

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [(١)] وقوله تعالى : **﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** [(٢)] .

فعلّق الله تعالى رحمته لعبادة على طاعتهم له ولرسوله ﷺ بل عدَّ الله تعالى طاعة العباد لرسوله ﷺ طاعة له سبحانه لأنه مُرسل من عند ربه ومبلغ عن ربه سبحانه وتعالى ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ، وأَمْرُ الله تعالى لعباده المؤمنين بطاعة رسوله ﷺ يقتضي الوجوب وهو عَيْن الموالاة والإذعان والحب والنصرة . بل عدَّ الله سبحانه وتعالى عدم طاعة الرسول ﷺ موجبة لإحباط وإبطال العمل كما قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾**[(٣)] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى عمن كَفَرَ وصَدَّ عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتدَّ عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يَضُرَّ الله شيئًا وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يُثِيبَه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقَه بالكلية كما أن الحسنات يذهبن السيئات [(٤)] .

ولقد ضرب لنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم المثل الأعلى في طاعته ﷺ وامتثال أوامره ، في سرعة تلبية ، مع حب وإخلاص ، وموالاة للرسول ﷺ وطاعةً وعبادةً لله تعالى . وكل ذلك مُحلى بالتسليم والرضى ، والشعور

---

(١) آل عمران: ١٣٢ .

(٢) النساء: ٨٠ .

(٣) محمد: ٣٣ .

(٤) تفسير ابن كثير سورة محمد آية (٣٣) [٤/ ١٧٥] .

بحلاوة الإيمان ، ولذة الطاعة .

١ - «موقف إيماني» : فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال : «أُكلت الحُمُر» . فسكت

ثم أتاه الثانية فقال : «أكلت الحُمُر» فسكت

ثم أتاه الثالثة فقال : «أُفنيت الحُمُر»

فأمر مناديًا فنادى في الناس : «**إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية**» فأُكفئت القدور وإنها لتفور باللحم [١] .

هكذا كان امتثال الصحابة رضوان الله عليهم لأوامر الرسول ﷺ في قمة الإخلاص وشدة حب ، فهم يعلمون أن المحب لابد وأن يكون لمن أحب مطيعًا ، فنرى سرعة التلبية والاستجابة لأمره ﷺ . فلم يقولوا ننتظر حتى نتبين من الأمر ، أو لعل الأمر خاص بالبعض دون الآخرين ،أو أن النهي عن الذبح في المستقبل ، أما ما ذُبح وطُبخ فلا بأس به ، فكل ذلك فلسفات جوفاء لا تحدث من هؤلاء الصحابة الأعلام الذين حققوا الموالاة للرسول ﷺ في أكمل صورها وأعظم مثالها وأعلى وأشرف حالاتها .

٢- « **ونلمح موقفًا آخر** » : **لهؤلاء الصحابة الكبار العظام يترجم لنا هذه الطاعة في أسمى معانيها .**

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : «كنت ساقي القوم في منزل طلحة ـ رضي الله عنه ـ وكان خمرهم يومئذ الفضيح ، فأمر الرسول ﷺ مناديًا ينادي : «**ألا إن الخمر قد حُرمت**» . قال : فقال لي أبو طلحة : «اخرج

---

(١) رواه البخاري (كتاب المغازي) باب (غزوة خيبر) .

فأهرقها» فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة [1] .

الله أكبر !!! إنها الطاعة كل الطاعة ، والانقياد تمام الانقياد .

والموالاة في صورها المُشْرقة والمشرِّفة . فلا جدال ولا مراء ، ولا ميوعة ولا ليونة ، ولا تباطوء ولا تخاذل ولا تأخير ولا تسويف . حتى في الخمر التي تعود عليها القوم ، ونشأ عليها الكل ، وتوارثها الأبناء عن الآباء . ولكن هو الإسلام الذي يصنع الرجال ، ويهذب النفوس ، ويقوِّم الفِطَر ، ويُصلح الأمزجة، ويُسعد البشرية .

والعجب كل العجب ليس في هذه الطاعة المطلقة ولكن شدة العجب في أن هذه الطاعة ناشئة عن حب ورضى وتسليم فقد مَلَكَ الإسلام من هؤلاء الرجال أجسامهم وقلوبهم وأرواحهم على السواء .

فلم يقل أحدهم دعونا نتحقق من الأمر !!! ولم يقل الآخر لعلها مرحلة أخرى من تحريم الخمر فدعونا ننظر في الأمر ، ولم يقل ثالث دعونا نفرغ مما أمامنا من الخمر !! ولم يقل رابعهم دعونا نستفيد بهذا الخمر ونحوله إلى خلٍّ أو غير ذلك . وذلك لأنها النفوس السليمة والطبائع السوية ، والأمزجة المعتدلة ، المطيعة لربها ولرسولها الكريم ﷺ .

ويَحْضُرني في هذا المُقام ذكر قصة الشاعر الكافر الفاسق امرؤ القيس حينما كان جالسًا في مجلس الخمر واللهو . وجاءه خبر مقتل أبيه الذي هو سبب وجوده في الحياة ، وأغلى ما يعتز به العربي ، ولكن هي الخمر التي تملك النفوس الضعيفة وتستعبدها . فقال امرؤ القيس قولته المشهورة [اليوم خَمر وغدًا

(١) رواه البخاري (كتاب المظالم) باب (صب الخمر في الطريق) .

أمر] فلقد ملكت عليه الخمر كل كيانه فلا يستطيع أن ينفك من أسرها ، ولا يستطيع أحد أن يفرق بينه وبينها حتى ولو كان مقتل أبيه ، الله أكبر !! الفرق واضح ، والبون شاسع وفرق بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان . فرق بين من والى في الله ومن والى في الشيطان وفي الشهوات ، كالفرق بين السماء والأرض وبين الجنة والنار .

فلا عجب أن يرضى الله عن هؤلاء الصفوة من الصحابة الكرام الذين والوا رسول الله ﷺ حق الموالاة وضربوا بذلك المثل الأعلى لكل من أراد أن يسلك الطريق ، أو يسير على الدرب لينال رضى الرب في علاه .

٣- نصر سنته ﷺ ومحاربة البدع وأهلها :-

إن من أعظم الموالاة للنبي ﷺ نصر سنته وحملها للعالمين لإخراج العباد من الظلمات إلى النور ومن عبودية العباد إلى عبادة رب العباد ، فإن المسلم مطالب تجاه سُنة نبيه ﷺ بأمور عدة منها :

١- معرفة هذه السُنة والتفقه فيها .

٢- العمل بهذه السُنة وتطبيقها في جميع شئون الحياة .

٣- تبليغ هذه السُنة لجميع العباد فهي أمانة لابد من تأديتها وتوصيلها في جميع أنحاء المعمورة .

٤- يجب على المسلم بعد ذلك الدفاع عن هذه السُنة ونصرتها والذب عنها والوقوف في وجه كل حاقد وحاسد ممن يحاربون هذه السُنة ويحاولون نشر البدع في الدين بغضًا لهذا الدين ومحاربة لهذه السُنة المطهرة . ولكن المسلم الحق الذي والى في الله وعادى في الله ، الذي أخلص الموالاة لهذا الدين ولنبيه

محمد ﷺ يعمل دائمًا في جد ورجولة على نصرة هذا الدين وإحياء هذه السُنة المطهرة ، ويدافع عنها باللسان والقلم ، واليد والسيف ، غير مبال بعواقب الأمور ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فلا يشغله إلاَّ هذا الدين ، وكيف يُبَلِّغه لجميع الخلق وكيف يحميه من حقد الحاقدين ، وكيف يدحض حججهم ، ويعري عقائدهم الباطلة ، ومبادءهم الفاسدة ، وأفكارهم الهدامة ، وكيف يفضح نواياهم الخبيثة ، كل ذلك وهو ثابت راسخ ، يتحرك من خلال عقيدة صحيحة ثابتة واضحة ، لا يخشى إلا الله ، بل عنده من العزيمة ما تتزلزل الجبال وهي ثابتة ، وتقتلع الأوتاد من أماكنها وهذه العقيدة تأبى إلا الثبوت والرسوخ ، وذلك لأن العبد المؤمن الذي والى في الله ووالى سُنة رسوله ﷺ ، يحتسب الأجر والمثوبة عند الله تعالى ، فهو واثق في ثواب الله له فينطلق لنشر هذا الدين وهذه السُنة وهو يحمل روحه على أكفه زهيدة رخيصة فداء لهذا الدين وحفاظًا على هذه السنة من التحريف أو التبديل أو الطمس أو الاستهزاء .

رجال يستعذبون كل مُر ، ويستسهلون كل صعب ، ويُقربون كل بعيد ، ويحققون كل مستحيل ، وذلك لاعتقادهم أنهم لابد وأن يقدموا أرواحهم وأموالهم وأولادهم وأهليهم وكل غال وثمين فداء لهذا الدين ، الذين أعزهم الله به وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، ونجاهم به من النار ، ووعدهم بدخول الجنان .

فيوم يكون هذا الدين وهذه السُنة المطهرة شغلنا الشاغل سوف تُكتب لنا العزة والكرامة ، ونترفع عن كل ذل ومهانة ، سوف يكتب لنا التمكين في الأرض ، فإن وعد الله لنا حق ، فما منا إلا أن نرجع ونعود إلى ربنا ، ونعتز بديننا ونُحيي سُنة نبينا ﷺ قبل أن نُتخطف من الأرض ، ويقضى على أولنا

وآخرنا . فالموقف جد خطير ويحتاج إلى مراجعة النفس مرة تلو الأخرى قبل فوات الأوان . وخاصة ونحن نرى أحوالنا وما يحدث لإخواننا في مشارق الأرض ومغاربها ، وما يُنتهك من أعراضنا ، ويُسفك من دمائنا ، وما يُستباح من محرماتنا ، وما يُهدَّمُ من مساجدنا ومقدساتنا ، وما يُسلب من أراضينا ، وفوق ذلك كله ما يستهزأ به من ديننا وسُنة نبينا ﷺ فالحذر كل الحذر من الركون إلى الدنيا الرخيصة الزهيدة والرضا بالذل والهوان (فلا نامت أعين الجبناء) فإذا فُعل ذلك بنا ونحن نفضِّل الركون إلى الدنيا ، وكراهية الموت ، وذبح الجهاد فإن (باطن الأرض أولى بنا من ظهرها) . فماذا نحن قائلون لربنا إذا سألنا عن هذا الدين ؟!!!

وماذا نحن قائلون لمحمد ﷺ إذا سألنا عن سنته الشريفة ؟!!!

وأين نذهب من هؤلاء الصحابة الكرام الذين بذلوا أرواحهم ودماءهم فداءً لهذا الدين ليصل لنا سهلاً طيبًا ثم فرطنا نحن فيه . الله أكبر ، الله أكبر يا أمة الإسلام!!! الله أكبر يا أمة الجهاد !!! الله أكبر يا أحفاد الصحابة !!! وإلى الله المشتكى . . .

* * *

[الفصل الرابع]



١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- اللين وخفض الجناح .

٣- المحبة والمودة .

٤- الحفاظ على حرمة المسلم .

٥- النصرة وصورها :-

أ- النصرة بالنفس .

ب- النصرة بالمال .

جـ- النصرة بأن يخلفه في أهله وماله .

د- النصرة بالدعاء وتحديث النفس بالغزو .

ولاء المؤمن للمؤمنين

بعدما ألقينا الضوء على موالاة المؤمن لكتاب الله تعالى ، ولدين الله تعالى، ولرسوله ﷺ ، ينبغي أن نلقي الضوء على نوع آخر من أنواع الموالاة ـ وهو موالاة المؤمن لإخوانه ، المؤمنين ـ فهم حلقة في هذه السلسلة الذهبية ، وهم خيط في هذا النسيج الرائع المُبْدَع ، بل هم عماد هذه الموالاة وأركانها ، وهذه الموالاة هي ثمرة من ثمار هذه العقيدة الإسلامية بل هي ركيزة من ركائزها، فالمؤمن مع المؤمن يكتمل الصف ، ويُلتم الشمل ، ويُوَحَّدُ الهدف ، وتتجمع القوى ، ويظهر الدين ، وتُرفع الراية ، ويُقْهر العدو ، فلابد من هذه الموالاة بين المسلمين ليُنْشر الدينُ وتعلو راية التوحيد ، ويُحمى حماه .

وموالاة المؤمن لإخوانه المؤمنين تتجسد في صور كثيرة نلقي الضوء على بعض منها عسى أن تكون حافزاً لكل مؤمن على معرفة كل ما يجب عليه تجاه إخوانه المؤمنين موالاة لهم ومعاداة للكافرين .

ومن هذه الموالاة :

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يتناصرون ويتعاضدون وذلك يكون بوسائل شتى وطرق عدة وعلى رأس ذلك كله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] .

فإن أول صفة لهؤلاء الأولياء من المؤمنين والمؤمنات أنهم يأمر بعضهم بعضًا بالمعروف وينهى بعضهم بعضًا عن المنكر .

فإذا كانوا يتحركون بهذا الدين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر فبعضهم أولى ببعض بهذا الأمر وبهذا النهي .

ونتذكر في هذا المقام الصحابي الجليل [أنس بن النضر - رضي الله عنه] حينما أخلص الموالاة للرسول ﷺ وهو سيد المؤمنين فقام وقاتل تحت رايته رغم إشاعة خبر موته ﷺ . (وذلك في غزوة أحد) .

- وتظهر الموالاة أيضًا حينما [نهى أصحابه عن المنكر] بتركهم القتال والاستسلام لخبر موت النبي ﷺ . فقال لهم : «ما يجلسكم» ؟!!

فلما قالوا له : «قتل الرسول ﷺ» ! نهاهم مرة ثانية عن هذا المنكر وهو الجلوس وترك الجهاد . قال لهم : «فماذا تصنعون بالحياة بعده» ؟!!

- ثم يأتي دور [الأمر بالمعروف] فقال لهم: «قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ» . هكذا تتجلى عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المسلم مع إخوانه وأخواته من المؤمنين والمؤمنات ، فهم أحق الناس بأن يتوجه إليهم هذا النفع ، وحماية لهم من أي ضرر قد يقع فيه أحدهم ، ولذلك وصفهم الله بخير أمة أخرجت للناس لهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

---

(١) التوبة: ٧١ .

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

٢- اللين وخفض الجناح :

إن من مظاهر الموالاة في الله أيضًا اللين وخفض الجناح للمؤمنين ، فإن هذا الدين فريد في خصائصه ، يصنع نوعًا خاصًا من الرجال يجمع بين اللين والشدة ، والرقة والغلظة ، والذلة والعزة ، وبالمصطلح العقدي يجمع بين [الولاء والبراء] ، (ولاء للمؤمنين) فنرى اللين والرقة والذل وخفض الجناح ، . (وبراء من الكفرة والمشركين والمنافقين) فنرى الشدة والغلظة والعزة والكبرياء . ويصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الذي تتحكم فيه العقيدة فتوجه المؤمن من حيث الولاء والبراء ، تتحكم في سلوكه ، وتوجه مشاعره وأحاسيسه ، انطلاقًا من مباديء هذا الدين وانتهاءً بأحكامه ومعاملاته ، فالمؤمن وفق ما أراده له الله ، ووجهه إليه رسوله الكريم ﷺ ، لا يملك إلاّ السمع والطاعة في عزة وكرامة ، وفي حُب وولاء ، وعن اقتناع وعقيدة ـ قال تعالى في وصف هذا الولاء والبراء : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] .

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[3] .

ثم بعد هذا اللين نرى التوجيه الرباني لنبي ورسول هذه الأمة محمد بن عبد الله ﷺ أن يعلن ولاءه للمؤمنين وأن يترجم هذا الولاء في سلوك إيماني جميل ورقيق ، كله رفق وحنان ، وأمن وأمان ، حيث قال له الله تعالى في كتابه

---

(١) آل عمران: ١١٠ .

(٢) المائدة: ٥٤ .

(٣) الفتح: ٢٩ .

العزيز: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لمن اتبعك من الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] الله أكبر على هذا اللين !!! وخفض الجناح للمؤمنين !!!.

- «وتتطامن نفس المؤمن مع أهل الإيمان تواضعًا ولينًا ورفقًا لتتآلف قلوبهم على محبة الله وتتوثق عرى أخوتهم على دينه وقد أمر الله رسوله ﷺ بخفض جناحه لأولئك الذين يستجيبون لدعوته كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط .

وهذه أعلى مقامات اللين والتواضع في صورة حسية مجسمة معبرة ، والأمة الإسلامية المتراحمة ، يحنو فيها الكبير على الصغير ، ويعطف الغني على الفقير ، ويذل القوي للضعيف ؛ لأن هذه صفات الإيمان ، فلا تفاخر ولا تعالي ، ولا تعاظم ولا ظلم » [٢] .

- « فإنه لم يُرد بهذا الذل ـ الذل والهوان الذي صاحبه ذليل ـ وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول ـ فالمؤمن ذلول كما جاء في الحديث [٣] : « **المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف ، إن قيد انقاد ، وإذا أُنيخ على صخرة استناخ**» [٤] .

فهذا هو اللين وخفض الجناح الذي هو إعلان عن الولاء لعباد الله المؤمنين.

---

(١) الحجر : ٨٨ .

(٢) انظر كتاب «الحديث والثقافة الإسلامية» (مناع خليل القطان) نقلاً عن كتاب «البيان في صفات عباد الرحمن» سيد سعيد عبد الغني .

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان » والحديث (حسن) .

(٤) نقلاً عن كتاب (البيان في صفات عباد الرحمن) سيد سعيد عبد الغني .

٣- المحبة والمودة :

ومن مظاهر الولاء للمؤمنين أيضًا ـ [المحبة والمودة] فإن من ركائز الولاء هي المحبة ، بل يدور الولاء على هذا الأصل ، فأصل الولاء والموالاة يقوم على المحبة التي هي نابعة من القلب ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (١) فهذه المحبة من دعائم الإيمان وأصوله، فحب المؤمن واجب كحب النفس ولا يطلق مطلق الإيمان ولا مطلق الولاء لمن لم يحب المؤمنين ، بل ويحب لهم ما يحبه لنفسه .

- بل نرى الصحابة رضي الله عنهم ، يضربون لنا المثل الأعلى في هذا الحب فهم قد علوا على هذه المنزلة ـ وهي الحب للغير ما يحبه المؤمن لنفسه ـ لقد فاتوا هذه المرتبة ، وعلوا على هذا المقام ، فكان أحدهم يحب لأخيه أكثر ما يحبه لنفسه ، والقرآن الكريم خير شاهد على هذا السمو والارتقاء ، والطهر والنقاء، والعلو والارتفاع عن حطام الدنيا وما فيها ، والنفس وما جُبلت عليه قال تعالى معبرًا عن هذا النموذج الفريد ، والمثال الأشم الأعظم وعن هؤلاء الصفوة: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾(٢) .

فبلغت بهم المحبة والمودة والموالاة أنهم يفضلون ويؤثرون إخوانهم في الله على أنفسهم بمالهم الذي هو مِلْكُهم الخاص ، وديارهم التي هي ممتلكاتهم الخاصة وذلك لمّا دخل الإيمان في قلوبهم ومَلك عليهم أفئدتهم أنساهم أموالهم

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) .

(٢) الحشر : ٩ .

وممتلكاتهم فرأوا إخوانهم أحق منهم مما في أيديهم ، !!! نَعَمْ ، إنها العقيدة الحقة ، إنها الموالاة في الله وابتغاء مرضاة الله فرضي الله عن هؤلاء القوم ورضوا عنه ، حقًا ورب الكعبة إنه دين القيمة .

فضل الحب في الله :

أما عن فضل الحب في الله فحدِّث ولا حرج ، فإن هذه المحبة في الله بين المؤمنين موالاة لله تعالى وولاء للمؤمنين ، فهي سبب لحب الله تعالى ورضاه على المؤمن ، فالله يحب من يحب عباده المؤمنين ، ويبغض من أبغض عباده المؤمنين .

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلِّي**»[1].

- قال الإمام النووي رحمه الله :

«المتحابون بجلالي» أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا .

وقوله تعالى: «يوم لا ظلّ إلاّ ظلِّي» أي أنه لا يكون من له ظل مجازًا كما في الدنيا .

قال القاضي عياض : ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق .

---

(١) رواه مسلم (كتاب البر والصلة) باب (فضل الحب في الله) .

قال عيسى بن دينار : ومعناه كفه عن المكاره ، وإكرامه ، وجعله في كنفه وستره .

وقيل : يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم . يقال : هو في عيش ظليل أي طيب» [١] .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى ، فَأَرْصَدَ الله له على مدرجته ملكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها ؟ قال: لا ، غير أني أحبه في الله عزّ وجلّ . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» [٢] .

فانظر يا أخي كيف كانت هذه الموالاة ، وهذا الحب ، وهذه المودة في الله سببًا في حب الله للعبد ؛ لأن بالحب والودّ ، والتماسك والتراحم ، تقوى الشوكة ، ويظهر الدين ، وتكون الغلبة لعباد الله المؤمنين ويتحقق فيهم «الجسد الواحد» الذي أخبر به النبي ﷺ في حديثه الشريف .

- فعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**» [٣] .

وفي رواية أخرى يمثل النبي ﷺ الجسد [بالرجل الواحد] تجسيداً للوحدة،

---

(١) انظر «شرح صحيح مسلم للإمام النووي» (كتاب البر والصلة) باب (فضل الحب في الله) [٦/٩٦] .

(٢) رواه مسلم كتاب (البر والصلة) باب (فضل الحب في الله تعالى) .

(٣) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) .

وحثًا على الاجتماع والتماسك والاعتصام بحبل الله .

- فعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : **«المؤمنون كرجل واحد إنِ اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»** [1] .

٤- الحفاظ على حرمة المسلم :

إن من أهم أبواب الموالاة ومبادئها في الإسلام أن يعلم المؤمن والمسلم حقوق أخيه المسلم وما يجب عليه تجاهه ، وأن يعلم أن للمسلم حرمة يجب الوقوف عندها وعدم انتهاكها فهذه من أعلى مباديء الموالاة أن يصون المسلم حرمة أخيه المسلم في حضوره وفي غيابه .

وهذه الحرمة لها صور كثيرة . وللأسف يقع فيها كثير من المسلمين وفي ذلك انتقاص من الموالاة لإخوانه المسلمين . ونلمح بعضًا من هذه الحقوق في حديث النبي ﷺ :

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امريءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** [2] .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **أتدرون ما الغيبة؟** قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل : أفرأيت

---

(١) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) .

(٢) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم ظلمه وخذله واحتقاره) .

إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**» (١) .

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن محمداً ﷺ قال : «**ألا أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس** » (٢) .

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولاتدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » (٣) .

- فمن هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تظهر لنا حقيقة الموالاة في الله للمؤمنين وكيف أن المسلم مطالب بل هو فرض عليه حفظ وصون حرمة أخيه المسلم في حضوره ، وفي غيبته ، ويشمل هذا الأمر جميع حرمات المسلم الحسية والمادية والمعنوية .

ولقد اشتملت هذه الأحاديث على بعض هذه الحقوق نلقي الضوء عليها سريعًا للتذكرة لإخواننا المسلمين ، عسى أن يلتزموا بهذه التوجيهات المحمدية ، وينتهوا عن هذه المحرمات اللاأخلاقية .

بعض حرمات المسلم :

١- ألاَّ يحسد المسلم أخاه المسلم بتمني زوال النعمة عنه .

---

(١) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم الغيبة) .

(٢) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم النميمة) .

(٣) رواه مسلم : كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم التحاسد والتباغض والتدابر).

٢- ألاَّ يتعامل المسلم بالنجش مع أخيه المسلم وألاَّ يبيع على بيع أخيه.

٣- ألا يبغض المسلم أخاه المسلم [لأن البغض لا يكون إلا للكافرين].

٤- ألاَّ يتدابر المسلمان بأن يعرض كل منهما عن الآخر .

٥- ألاَّ يظلم المسلم أخاه المسلم بأي نوع من أنواع الظلم ما كَبُرَ منه وما صَغُرَ .

٦- ألاَّ يحقر المسلم أخاه المسلم بل يتواضع له في لين وذلة وخفض للجناح .

٧- ألاَّ يتجسس المسلم على أخيه المسلم وهو سماع حديثه بدون علمه .

٨- ألاَّ يتحسس المسلم على أخيه المسلم وذلك التحسس بالبحث عن عورات أخيه المسلم . بل هو مطالب بستر عورات إخوانه المسلمين من باب الموالاة في الله .

٩- عدم الظن السوء بالمسلمين بل يجب على المسلم حسن الظن بإخوانه المسلمين من باب المحبة والموالاة .

١٠- ألاَّ يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث إن اضطر إلى امتداد الهجر إلى ثلاث لأن الأصل هو سرعة إزالة الشحناء من بين المسلمين .

١١- ألاَّ يغتاب المسلم أخاه المسلم وذلك بذكر عيوبه .

١٢- ألاَّ يقع في البهتان وذلك بذكر ما ليس في أخيه من العيوب وغير ذلك.

١٣- أن يحذر المسلم أن يقع في النميمة وهي الإفساد بين الناس عن طريق نقل الكلام والافتراء وغير ذلك .

١٤- أن يحذر المسلم من أن يأكل مال أخيه المسلم بالباطل فمال المسلم حرام إلا ما كان عن طيب نفس .

١٥- الحذر من انتهاك عرض المسلم فعرض المسلم كله حرام .

١٦- الحذر من سفك دم المسلم فالمسلم دمه حرام فزوال الدنيا أهون عند الله من قطرة دم من مسلم تسفك بغير حق .

٥- النصرة :

إن من مقتضيات الموالاة في الله لإخواننا المؤمنين «النصرة» وهي نصرة المسلمين في كل مكان ، وفي كل بلد ، وعلى كل أرض ، وفي أي وقت ، وفي كل عصر فالنصرة حق إسلامي ، وواجب إيماني ، وموالاة في الله تعالى.

ونحن حين نتكلم عن النصرة أول ما يخطر ببالنا ، ويمر على أذهاننا موقف الجيل الأول رضوان الله تعالى عنهم من هذا الدين ومن بعضهم البعض فلقد جسَّدوا هذه النصرة في مواقف إيمانية رائعة ومدهشة ، أوضحت المقصود من تلك الكلمة ومن هذا التعبير (النصرة) .

فنرى المهاجرين يهجرون أوطانهم ومسقط رؤوسهم ويتركون أهليهم وأموالهم ، ويُخَلِّفون أولادهم وراءهم في مكة المكرمة ويهاجرون إلى المدينة نصرة لله ولرسوله ﷺ ونصرة لهذا الدين .

وفي المقابل نجد نصرة أخرى ومن نوع خاص ومن طراز فريد من هؤلاء الأنصار رضي الله عنهم جميعًا ينصرون إخوانهم في الله من المهاجرين فيأوونهم في أرضهم ويغدقون عليهم من أموالهم ومما في أيديهم من فضل الله تعالى في

سخاء وجود ، إيثاراً لهم على أنفسهم حتى ولو كانوا في شدة أو ضيق .

- فنرى هذا الذي يكفل أخًا له من المهاجرين ، وهذا الذي يهبه داره ، وثالثًا يشاطره ماله ، ورابعًا يعرض عليه أن يطلق له إحدى زوجتيه لكي يعفه ونصرة له ، الله أكبر إنها النصرة في الله تعالى والموالاة لعباد الله المؤمنين في أعلى صورها المُشَرِّفة والمُشْرِقة . ويُعبر لنا القرآن الكريم عن هذا الموقف ويرسم لنا هذه الصورة في أروع تعبير ، وأوضح بيان وأبدع تركيب ، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[1] .

ويعلل الله تعالى لهذه المواقف الإيمانية وهذه الموالاة وهذه النصرة بأن ذلك من مقتضيات الموالاة في الله تعالى وأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[2] .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

ذكر الله تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى [مهاجرين] خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك .

وإلى [أنصار] وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم

---

(١) الحشر: ٩ .

(٢) الأنفال: ٧٢ .

المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم «فبعضهم أولياء بعض» أي : (كل منهم أحق بالآخر من كل أحد) ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث [١] .

ويزيد الله الأمر تأكيدًا ووضوحًا في وجوب النصرة بين المؤمنين بعضهم وبعض وذلك بأمر صريح ، وخاصة إذا كانت هذه النصرة في قتال ديني فإنه يزيد الأمر وجوبًا لأنهم إخوانهم في الدين تجمعهم أخوة الدين التي هي أوثق من أخوة النسب . وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** ﴾[٢] .

ثم بعد هذا الأمر من الله تعالى بالنصرة للإخوان في الله وفي الدين بين سبحانه أن المؤمنين ليس لهم أولياء إلاَّ إخوانهم في الإيمان ، أما الكافرون فبعضهم أولياء بعض . قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾[٣] .

يقول الحافظ ابن كثير : - لمّا ذكر الله تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار [٤] .

ثم يأتي بعد ذلك التحذير الرباني من التخلف عن هذه النصرة في الدين ، وترك موالاة المؤمنين وطمس قضية [الولاء والبراء] وطرحها من عقيدة المسلم .

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة الأنفال آية (٧٢) [٢/٣١٧] .

(٢) الأنفال: ٧٢ .

(٣) الأنفال: ٧٣ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير لسورة الأنفال آية (٧٣) [٢/٣١٨] .

قال تعالى محذرًا من ذلك بعد الأمر بالنصرة : ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[١] «أي إن لم تُجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلاَّ وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل » [٢] .

وبعد هذا العرض السريع لبعض مفهوم النصرة في الدين نستطيع أن نحدد بعض نقاط من النصرة في الدين ونذكر من ذلك ما يلي :-

١- النصرة بالنفس :

وهذه النصرة في الدين بالنفس من أعلى مقامات النصرة والموالاة وذلك بأن المؤمن فيها يحمل روحه على أكُفه لنصرة إخوانه في الدين ، وحماية لعرض المسلم ، وصونًا لمقدسات المسلمين ، وحقنًا لدم المسلم ، وحفاظًا على أرض الإسلام والمسلمين ، فيهب المسلم في المشرق لنصرة أخًا له في المغرب ، تحقيقًا للموالاة ، وانطلاقًا من الأخوة .

فلا يبالي المسلم الحق بأي خطر ، ولا يحمل همَّ أهل ولا ولد ، ولا تمنعه زوجة ولا رغد العيش ، عن نصرة إخوانه في الله ، فكل شيء يضعف وتقل قيمته أمام هذا الواجب الإيماني في نصرة المسلم في أي مكان كان ، ومهما كان لونه ، ومهما اختلفت لغته ، ومهما بَعُدَ قُطْره ، فهو حلقة في هذا العقد الإسلامي الواحد المترابط ، وهو عضو في هذا الجسد الإسلامي الواحد ،

(١) الأنفال: ٧٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة الأنفال آية (٧٣) [٢/٣١٨] .

فياله من دين عظيم يُربِّي رجالاً عظامًا ، يأبون إلا العزة والكرامة والريادة والقيادة فحقًا ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾(١) .

٢- النصرة بالمال :

فقد يعجز المسلم عن نصرة إخوانه في الدين والعقيدة بالنفس ولكن باب النصرة أوسع من أن يغلق . فقد يَحْبس الرجل المرض ، أو يَحُول بينه وبين الجهاد في سبيل الله ونصرة إخوانه أي عائق من العوائق . فلا يقف المسلم موقف المتفرج من إخوانه . فهؤلاء الإخوان يحتاجون إلى المال لشراء السلاح والعُدة والعتاد ، فمن جهز غازيًا فقد غزا كما ورد عن النبي ﷺ فتجهيز الغازي وإطعامه وإخلافه في أهله فإن ذلك يُعدُّ جهادًا في سبيل الله ونصرة في الدين .

والآيات كثيرة جدًا في القرآن تحث على الجهاد بالمال قبل النفس ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً** ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .** ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ**

---

(١) المنافقون: ٨ .

(٢) النساء: ٩٥ .

(٣) الأنفال: ٧٢ .

وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً ...﴾[1] .

وتقديم المال على النفس لأنه قد تكون الحاجة ماسة للمال أكثر من الرجال لشراء السلاح والعتاد والطعام وغير ذلك من لوازم القتال فرحم الله هذه الأمة التي تقدم أموالها وأنفسها فداءً لهذا الدين وإعزازًا للدين وموالاة للمؤمنين.

فضل الجهاد بالنفس والمال من السُّنَّة :-

كما ذكرنا أن من أنواع النصرة التي هي من الموالاة في الله أن تكون هذه النصرة بالنفس والمال . وما ذلك إلا جهاد في سبيل الله تعالى ولقد جاءت الآيات بالحث على هذا الجهاد بنوعيه في القرآن الكريم ، وأيضًا جاءت السنة المطهرة بالحث على الجهاد بالنفس والمال ، والرباط في سبيل الله تعالى ، وفضل الاستشهاد في سبيل الله ترغيبًا للمسلمين لنيل هذه الدرجة ، وتحقيقًا للنصرة والموالاة في الله ونصرة لهذا الدين ، ونشرًا له ، وتبليغًا للدعوة ، وتأدية للأمانة ، وهي أمانة توصيل هذه الدعوة لكل البشرية سيرًا على درب محمد ﷺ .

ومن هذه الأحاديث :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«تَضَمَّنَ الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله إلاَّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِمَ لونه لون دم ، وريحه مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ،**

---

(١) التوبة: ٢٠ .

ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١) .

فانظر أخي المسلم كيف تَضَمَّنَ الله للمجاهد في سبيله أن يدخله الجنة ، أو النصر والظفر والغنيمة .

وكذلك انظر إلى هذه الكرامة في دمه لونه لون الدم ورائحته رائحة المسك وكيف كان حُب الرسول ﷺ للجهاد وكيف تمنى أن يقتل في سبيل الله مرات ومرات لما في ذلك من الكرامة .

- وعن أنس بن مالك رضي الله عن النبي ﷺ قال : «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ، ولا أن لها وما فيها إلاَّ الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيُقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة» (٢) .

وفي رواية : «فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»(٣) .

الله أكبر . الله أكبر . إنها أكبر أمنية عند هذا الشهيد الذي وجد من التكريم والكرامة عند ربه ما جعله يتمنى أن يرجع لهذه الدنيا من أجل أن يقتل عشر مرات في سبيل الله تعالى .

ما تمنى أن يرجع ليكمل رسالة الدكتوراة ولا من أجل أن يتزوج المرأة الرابعة، ولا من أجل أن يكمل مسيرته المالية ليكون ملياردير اً ، ولا من أجل أن

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل الجهاد في سبيل الله).

(٢) ، (٣) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل الشهادة في سبيل الله) .

يتربع على كرسي العرش ويظفر بالحكم والإمارة ، ولا غير ذلك من أمور الدنيا الفانية ، بل يريد أن يتشرف مرات ومرات بهذا اللقب وهو [الشهيد] وهذه المنزلة وهي [الشهادة] .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**مَثَلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**» (١) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ولروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها**» (٢) .

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**يا أبا سعيد مَنْ رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ، وجبت له الجنة**» فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها عليَّ يا رسول الله ، ففعل ، ثم قال : «**وأخرى يُرْفَعُ بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**» . قال ما هي يا رسول الله ؟ قال : «**الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله**» (٣) .

هكذا يا أخي المسلم الأحاديث في هذا الباب كثيرة وكلها تبين عظم وقدر ومكانة المجاهد في سبيل الله تعالى يالها من منزلة وياله من شرف فالفوز كل الفوز ، والرباح كل الرباح ، والسعادة كل السعادة لمن شرفه الله بالجهاد في

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل الشهادة في سبيل الله) .

(٢) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل الغدوة والروحة في سبيل الله).

(٣) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (بيان ما أعده الله للمجاهد) .

سبيله وكرّمه بالشهادة في سبيله تعالى ، فيا إخوة الإسلام هيا إلى جنات عرضها كعرض السماوات والأرض .

٣- النصرة بأن يخلفه في أهله وماله :

إن من النصرة أيضا أن يخلف المسلم أخاه المسلم في أهله وماله وهذه نصرة من نوع آخر وإن لم يكن ظاهراً في ميدان المعركة وعلى أرض القتال ، فإن له عظيم الأثر على نفسية المجاهد ومعنوياته ، فإن المجاهد يشعر بنوع من الطمأنينة على أهله وماله ، ويذهب عنه القلق والهمّ ، ويبعث على الشجاعة والإقدام ، وعدم مهابة الموت لأنه يعلم أن الله لن يضيعه في أهله وماله ، وأن الله قد سخرّ له إخوة له في الله يخلفونه في الأهل والمال ويحافظون عليهم ، ويراعون حرمتهم وكأنه موجود بل ربما أكثر من حالة وجوده .

ولذلك قد بيَّن الرسول ﷺ مدى أجر وفضل من قام بهذا النوع من النصرة والموالاة وذلك بقوله ﷺ في الحديث الذي رواه زيد بن خالد الجهني قال : قال نبي الله ﷺ : **«مَنْ جَهَّز غازيًا فقد غزا ، ومن خلف غازيًا في أهله فقد غزا»**(١) .

- وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لَحيَان **«ليخرج من كل رجلين رجل»** ثم قال للقاعد : **«أيكم خَلَفَ الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج»** (٢) .

والخُلف يكون ببرِّهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ، ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها .

---

(١) ، (٢) رواهما مسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل إعانة الغازي بمركوب وغيره) .

حرمة نساء المجاهدين :-

إذ كان للمسلم على المسلم أن يتقي الله في حرماته وفي نسائه ، فإن هذا الحق يتأكد فيمن غاب عن أهله من أجل نصرة إخوانه في الدين ، ونشراً للدين ودفاعًا عن المقدسات ، وحفاظًا على الأرض ، وصونًا للعرض .

فكان من أوجب الواجبات لهذا المسلم ، ومن أعظم الحقوق حفظ عرض هذا المجاهد في غيابه وعدم التعرض لنسائه بريبة من [نظر محرم ، أو خلوة ، أو حديث محرم ، أو غير ذلك . .] .

وجاء التحذير الشديد من الرسول ﷺ في هذا الأمر حتى لا يقع أحد في هذا الإثم العظيم . وبلغ من شدة التحذير من نساء هؤلاء المجاهدين بأن جعلهن الرسول الله ﷺ في الحرمة كحرمة الأمهات .

- فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «**حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما مِنْ رجل مِنَ القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلاَّ وقفَ له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم**» (١) .

وفي رواية : فقال : «**فَخُذْ من حسناته ما شئت**» فالْتَفَتَ إلينا رسول الله ﷺ فقال : «**فما ظنكم؟**» (٢) .

٤- النصرة بالدعاء وتحديث النفس بالغزو :

ومن أنواع النصرة والموالاة الدعاء لكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها وخاصة المجاهدين منهم ، الذابين عن الدين وحماة التوحيد ، وحُرَّاس العقيدة

(١) ، (٢) رواهما مسلم كتاب (الإمارة) باب (حُرمة نساء المجاهدين) .

فمن عجز عن النصرة بالنفس والمال ، فلا يعجزه الدعاء لإخوانه بالنصر والتمكين ، وسحق أعداء الدين ، وإظهار الحق وأهله وإبطال الباطل وأهله . ولعل دعوة مخلصة من قلب مسلم صادق ينصر الله بها جيشًا ، ويحقق بها نصرًا وظفرًا ، ويهزم بها عدوًا ، ويُحِقُّ بها حقًا ويُبطِلُ بها باطلاً ، فإن من أقرب الدعاء للاستجابة دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب .

وأيضًا من أنواع النصرة في الدين ، أن يُحدث المسلم نفسه بالغزو في سبيل الله فإن كان قد حُرِمَ الجهاد والنصرة [لظروف في نفسه] من مرض أو فقر أو غير ذلك أو حِيْلَ بينه وبين الجهاد في سبيل الله فعليه أن يحدث نفسه إذا أُزيل هذا المانع ، وذهب هذا العائق ليكوننَّ في أوائل صفوف المجاهدين ، نصرة لله وللمؤمنين .

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«من مات ولم يَغْزُ ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق»** (١) .

قال الإمام النووي رحمه الله :

«والمراد أن من فعل هذا [لم يَغْزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو] فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف . فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق .

وفي الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها ، لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها . (٢)

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (ذم من مات ولم يغز) .

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووي في شرحه لحديث (ذم من مات ولم يغز) (كتاب الإمارة) [٥/ ٥٠] .

ولهذا التحديث [أي تحديث النفس بالغزو] الأجر العظيم عند الله تعالى وخاصة إن كان عند صدق وإخلاص فإن الله يجزل لصاحبه العطاء نتيجة لهذه النية الصالحة ، والعزيمة الصادقة .

- فعن جابر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في غَزَاةٍ فقال : «**إن بالمدينة لرجالاً ، ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض**» . وفي رواية «**إلا شَرِكُوكم في الأجر**» (١) .

وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير ، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وكلما حدَّث الإنسان نفسه بالخير كلما أعطاه الله من الأجر على قدر نيته وإخلاصه .

* * *

(١) رواه مسلم كتاب (الإمارة) باب (ذم من مات ولم يغز) .

[الفصل الخامس]

﴿صور من ولاء الصحابة رضي الله عنهم﴾

أولاً : فضل الصحابة رضوان الله عليهم ومكانتهم .

ثانيًا : صور من ولاء الصحابة رضي الله عنهم .

١- الموقف الأول : أنس بن النضر رضي الله عنه .

٢- الموقف الثاني : البراء بن مالك رضي الله عنه .

٣- الموقف الثالث : عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

٤- الموقف الرابع : خبيب بن عدي ، وزيد بن الدِّثنة رضي الله عنهما .

أولاً : فضل الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم

إن الله عز وجل ارتضى لعباده دين الإسلام ، وجعله سبحانه وتعالى خير الأديان وأشرفها . بل هو الدين الذي لا يقبل من أحد سواه . وجعل سيدنا محمداً ﷺ هو نبي الإسلام الخاتم ، فاصطفاه وفضله على باقي الأنبياء والمرسلين، وفضل أمته ﷺ على باقي الأمم ، واصطفاها من بين العالمين ، واصطفى الله سبحانه وتعالى الصحابة الكرام ليكونوا أفضل صحبة لأفضل نبي ، وليحملوا أشرف رسالة ، وليبلغوا أشرف كتاب ، وليتحركوا بأفضل منهج ، وليبلغوا عن أفضل رسول ﷺ ، فهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين ، رضي الله عنهم ورضوا عنه . قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١) .

[﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ، ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وهي الطمأنينة ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام والمستمر المتصل بفتح خيبر ، وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى :

---

(١) الفتح: ١٨- ١٩ .

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[١]] .

[وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . قال[٢] : كنا يوم الحديبية (وهي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية) ألفًا وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : «أنتم خير أهل الأرض اليوم» .][٣]

- فلقد شهد الله ورسوله ﷺ لهم بالخيرية وأنهم أفضل الخلق (بعد الأنبياء) ولذلك فلا عجب حينما نرى هؤلاء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يجسدون لنا هذا التوحيد ، ويطبقون عقيدة [الولاء والبراء] خير التطبيق ، ويُنزلون مُثل وقِيَمَ ومباديء وعقيدة هذا الدين إلى واقع الحياة الملموس والمُشاهد ، فنرى التطبيق العملي والجاد والمشرِّف لأصول هذا الدين ولفروعه ، في قمة وعلو ، وفي شرف ورفعة ، وعزة وكرامة ، وفي قيم ومُثل وفي ارتفاع عن نوازع النفس ، وهفوات البشر ، ومدارك الانحطاط ، ومهاوي الردى ، إن هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ضربوا لنا أروع الأمثال في تحقيق عقيدة [الولاء والبراء] و[الموالاة والمعادة] ـ وفي تطبيقها حق التطبيق بكل ما تحمله من معاني وبكل ما تعنيه من توابع ولوازم . فهم خير مَنْ فهموا هذا الدين وخير من طبقه، وخير مَنْ تحرك به ، وخير من دعا إليه .

فهم خير مَنْ أحب الله تعالى وأحب رسوله ﷺ ، وأحب دين الله تعالى ، وأحب كتابه العزيز .

وهم خير مَنْ نصر دين الله تعالى وخير مَنْ نصر رسول الله ﷺ ، وخير

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة الفتح آية (١٨- ١٩) [٤/ ١٨٥] .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير (سورة الفتح) باب «إذ يبايعونك تحت الشجرة» .

(٣) تفسير ابن كثير لسورة الفتح آية (١٠) [٤/ ١٨٢] .

مَنْ نصر الله تعالى وكتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾(1).

ولذلك فقد كتب الله لهم العزة في الدنيا ، وأعد لهم دار الكرامة في الآخرة، ومَنَّ الله عليهم بالنصر والتمكين في الأرض . قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(2) .

- إنهم خير من حقق وطبق عقيدة [الولاء والبراء] إنهم فهموا معناها ، وعرفوا مكانتها من هذا الدين ، وعلموا مدى وجوب الالتزام بهذه العقيدة ، وفطنوا لمغبة وسوء عاقبة التخلي عن هذه العقيدة ، وعلموا أنها حقيقة [لا إله إلاَّ الله] . فإن لا إله إلاَّ الله تعني لا ولاء ولا محبة ولا نصرة إلاَّ [لله ولرسوله ـ ﷺ ـ ولدين الله ولكتابه العزيز ، ولعباد الله المؤمنين] .

وهي تتضمن أيضًا ـ البراء والمعاداة والمجافاة والعداء [للكفر والشرك والإلحاد والنفاق وللكفار وللمشركين والملحدين والمنافقين . .] .

فهم خير من فهموا وعلموا حقيقة [لا إله إلاَّ الله] . ولذلك هم خير من حققوا عقيدة [الولاء والبراء] ، وجسدوها في واقع الأمة الملموس والمحسوس والمشاهد .

- وأخيرًا ونحن نتجرع آلام انطماس [معالم الولاء والبراء] ، وآلام فرقة هذه الأمة ، وتخاذلها عن نصرة دين الله تعالى ، وعن الذب عن سنة رسول الله ﷺ ، وتقاعسها عن نصرة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . نذكر مواقف لبعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم تبين مدى تطبيق هؤلاء العظماء لعقيدة [الولاء والبراء] ، وتوضح مدى فهمهم لهذه العقيدة ، ومدى تطبيقهم لها ، وإلى

---

(1) محمد : ٧ .

(2) الروم: ٤٧ .

أي حدٍ وصل حبهم لله تعالى ولدينه الحنيف ومدى ولائهم لرسول الله ﷺ ونصرتهم له . ولعل هذه السطور القليلة ـ بإذن الله تعالى ومشيئته ـ تكون سببًا في إثارة أحاسيسنا ودفعًا لنا لنسير على دربهم ، ونقتفي آثارهم لعل الله يعزنا كما أعزهم ويرضى عنا كما رضي عنهم سائلين المولى عزّ وجلّ أن يحشرنا معهم هو ولي ذلك والقادر عليه ، ومن هذه النماذج ما يلي :-

ثانيًا : صور من ولاء الصحابة رضوان الله عليهم

١- الموقف الأول :

[أنس بن النضر رضي الله عنه يبذل نفسه في سبيل الله]

لقد غاب أنس بن النضر ـ رضي الله عنه ـ عن صفوف المسلمين في يوم بدر وكان ذلك يؤلمه شديد الألم وكان يقول ـ لقد تخلفت عن أول قتال قاتل فيه رسول الله ﷺ المشركين (يقصد يوم بدر) ولكنه عاهد الله تعالى لئن أشهده قتالاً مع الرسول ﷺ للمشركين لسوف يبلي بلاء حسنًا .

وكان ذلك كذلك يوم [أحد] . وكما نعلم ما حدث يوم أحد من تفكك صفوف المسلمين واضطراب الموقف وذلك بسبب عصيان أمر الرسول ﷺ .

وجاء دور هذا البطل المغوار الذي صدق ما عاهد الله عليه فقد أبلى بلاءً حسنًا في جهاد المشركين موالاة لله ولرسوله ورفعًا لراية التوحيد عالية خفاقة .

فلقد أشيع بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل . فجلس بعض الصحابة متأثرين بهذا النبأ وأخذهم شيء من الدهشة لهذا الخبر المفجع ، وقد ألقوا ما بأيديهم ، فانتهى إليهم أنس بن النضر ـ رضي الله عنه ـ فقال لهم : «ما يُجلسكم»؟!!!

قالوا : «قُتِل رسول الله ﷺ»

قال : «فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رســـول الله ﷺ » [١]

- ويزيدنا الإمام البخاري بيانًا وتوضيحًا في الحديث الذي رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال أنس ابن النضر : (وهو عم أنس بن مالك) : «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء» - يعني أصحابه - «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء» - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ - رضي الله عنه - فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد » .

قال سعد - رضي الله عنه - : «فما استطعت يا رسول الله ما صنع» .

قال أنس - رضي الله عنه - : «فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مَثَّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه » .

قال أنس - رضي الله عنه - : «كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾[٢] فرضي الله عن أنس بن النضر وأرضاه [٣] .

دروس من هذا الموقف البطولي المُشرِّف :-

إن هذا الموقف كله دروس وعبر ينبغي لنا الوقوف عندها والأخذ منها ،

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٠) و«السيرة النبوية» لابن حبان (ص ٢٢٥) .

(٢) الأحزاب: ٢٣ .

(٣) رواه البخاري (كتاب الجهاد) باب قول الله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...﴾ .

والاقتداء بها ومن هذه الدروس والعبر ما يلي :

١- **حب فعل الخيرات** : ومن ذلك حُزن أنس بن النضر - رضي الله عنه - لما فاته من الخير وذلك يوم بدر فلم يَنَلْ من ذلك (شرف البدرية) هكذا شعور المسلم إذا فاتته فرصة لفعل الخير واكتساب الأجر والحسنات .

٢- **العزم على فعل الطاعات** : وذلك من تحديث أنس بن النضر نفسه إذا أُتيحت له الفرصة مرة ثانية في جهاد المشركين أن يكون بلاؤه حسنًا .

هكذا ينبغي للمسلم أن يحدِّث نفسه بالخير ويعزم على إتيانه فكما جاء في الأثر «نية المرء خير من عمله» فقد ثياب المرء على عمل نوى فعله ولكن أُحيل بينه وبين فعله .

٣- **الوفاء بالعهد** : فقد وفَّى أنس بن النضر بالعهد الذي أخذه على نفسه بقتال المشركين فلما كان يوم أحد كان من أوائل المتقدمين للقتال .

٤- **الثبات عند الشدائد** : ونلحظ ذلك من موقف أنس بن النضر - رضي الله عنه - حينما قال لبعض الصحابة الذين فترت عزائهم «ما يجلسكم ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ » .

٥- **شدة الموالاة والحب للرسول ﷺ** : ونلحظ ذلك في قوله للصحابة - رضي الله عنهم - «فماذا تصنعون بالحياة بعده » أي بعد الرسول ﷺ فيالله على هذه الموالاة وهذا الحب الذي يعجز القلم عن وصفه والتعبير عن بيانه ، والبيان عن رسمه .

٦- **موالاته للمؤمنين** : ونلحظ ذلك في قولته عن أصحابه «اللهم إني أعتذر لك مما صنع هؤلاء» . فرغم حزنه من فعل أصحابه إلا أنه يلتمس لهم العذر عند ربه ويدعوه لأن يغفر لهم هذه الذلة .

٧- **براءته من المشركين** : ونلحظ ذلك في موقفه كله من ندمه في أول الأمر لعدم حضوره يوم بدر ، وفي قتاله للمشركين يوم أحد . وفي هذه المقولة التي قالها : - «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء» يعني المشركين الذين قاتلوا المسلمين ونالوا من رسول الله ﷺ فهو يتبرأ منهم ومن عقيدتهم ومن آلهتهم ومن شركهم ومن فعلهم ومن إيذائهم للرسول ﷺ .

٨- **التطلع دائمًا إلى الجنة** : ونشم هذه الرائحة العطرة من قول أنس بن النضر - رضي الله عنه - لسعد بن معاذ «الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد» فهنيئًا لهم الشهادة في سبيل الله - نحسبهم كذلك والله حسيبهم - وأولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . فهيا يا طالب الجنة فهلاً دَفَعْتَ المهر أم تمنيتَ على الله الأماني ونمتَ في الفراش وأعرضت عن ميادين الجهاد .

٩- **الاعتراف للإخوان بفضلهم** : - ونرى هذا الوفاء ونحسه ونلمسه في اعتراف سعد بن معاذ - رضي الله عنه - بفضل وشجاعة أنس بن النضر - رضي الله عنهم جميعًا - فقال عنه : «فما استطعت يا رسول الله ما صنع» فهو يمدح شجاعة هذا الصحابي الجليل بأنه كان يصول ويجول ويقاتل المشركين ويقتلهم في شجاعة وإقدام ! رغم أن أنسًا رضي الله عنه قد مات فهو لا يجامله ولا يلاطفه فما هو إلاَّ الإخلاص وإعطاء الإخوان حقهم في غيبتهم .

بل الأمر تعدى ذلك إلى أنه انتقص من نفسه أمام فعل هذا الصحابي الجليل وشجاعته فقال عن نفسه : «فما استطعت يا رسول الله ما صنع» .

الله أكبر !!! إنه الإخلاص في قمته والموالاة في أسمى معانيها .

فمن الذي يتعلم ؟ وأين الذين ينهلون من هذا الفيض العظيم ؟!!

فهؤلاء هم الصحابة كل منهم مدرسة مستقلة تفيض منهم الدروس والعبر .

١٠- **الشجاعة وعدم الخور** : هكذا أقدم أنس بن النضر ـ رضي الله عنه ـ في وسط المشركين غير مبال من موت ولا قتل ولا تمزيق ولا تمثيل فللَّه دره وعلى الله تعالى أجره ، فلقد مَثَّل به المشركون وأخفوا معالمه ولكن ما يضره فإن الله يعرفه ، وإن الله مطلع عليه يحصي عمله ويوفيه ، أجره .

وهكذا يقدم كل مسلم حرٍّ على فعل ما يرضي ربه وإن خالف العُرف والعادات والتقاليد ، وإن غضب الغاضبون ، وإن سخط الساخطون فكل همه رضى رب العالمين ، ورفع راية الدين ، رغم أنف الجاحدين ، مفوض أمره لربه وقد استودعه ماله وأهله ، ونذر لله ولده ، فهنيئًا لهؤلاء الرجال موالاتهم لله وللرسول وللدين ، فعزُهم في قلوبهم وإن عذبهم قومهم ، وإن فصلوا بين اللحم والعظم ، وإن هددوا بإزهاق الروح ، والاعتداء على العرض ، فالله يثبِّتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والله غالب على أمره ولو كره الكارهون فهو سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل حتى إذا أخذهم لن يفلتهم ، يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ألا إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ؟؟؟ بلى ورب العالمين إنه لقريب .

موقف آخر :

[البراء بن مالك رضي الله عنه]

بعدما عشنا هذه السطور القليلة مع هذا الصحابي الجليل [أنس بن النضر] رضي الله عنه . ورأينا هذه الموالاة وهذا الحب لهذا الدين ولرسول الله ﷺ فلا نكاد نتحول عن استنشاق هذا العبير حتى نجد أنفسنا في بستان آخر من بساتين الصحابة الكرام لننتعش برائحة سيرتهم العطرة لعلنا نفيق على آثارها .

والآن مع الصحابي الجليل «البراء بن مالك» رضي الله عنه وذلك في [معركة اليمامة] حينما انطلق المسلمون بقيادة أبي بكر الصديق رضي الله عنهم

خليفة رسول الله ﷺ يحثهم ويوجههم لقتال من زاغ عن الدين وافترى على الله الكذب ـ ومن هؤلاء ـ مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، ويروي لنا القصة الإمام الطبري رحمه الله :-

« ثم زحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة : (حديقة الموت) وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب ، فقال البراء بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة» وفي رواية قال : «يا معشر المسلمين ارموني عليهم في الحديقة» .

فقال الناس : «لا تفعل يا براء» .

فقال : «والله لتطرحنِّي عليهم فيها» .

فاحتُمِل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة ، حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ، فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدو الله » [1] .

نعم إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فها هو الصحابي الجليل البراء ابن مالك يقدم روحه رخيصة في سبيل الله وموالاة لله ولدينه ولرسول الله ﷺ ورفعًا لراية الإسلام والتوحيد ، وتنكيسًا لراية الشرك والكفر ، رجل أمة وحده ، يأمر بأن يُلقى به في وسط جيش وحده ليواجههم بعقيدته قبل سيفه نصرة للدين وطلبًا للشهادة ، ولكي يكون مثالاً يحتذي به كل مسلم من بعده .

لا خوف ولا خور ، ولا مساومة ولا مداهنة على دين الله فهو أغلى ما نملك ، به نعتصم ، وبه نعتز فرضي الله عن (البراء بن مالك) وعن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠) .

موقف ثالث :

[عبادة بن الصامت رضي الله عنه]

ونتوج كلامنا عن موالاة الصحابة لنصرة الدين وسُنة النبي ﷺ بالحديث عن بطل آخر من أبطال الصحابة ألا وهو الصحابي الجليل «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه وأرضاه .

وهذا الموقف هناك على حدود مصر حيث تحرك الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الدين لينشروه في مشارق الأرض ومغاربها فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء فلولا الله تعالى ثم هؤلاء الصفوة من الرجال كان أحدنا من أبوين نصرانيين أو يهوديين أو مجوسيين . فللَّه درهم وعلى الله أجرهم .

وهذا المشهد الذي نريد الوقوف معه لحظات هو موقف هذا الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ حينما قال ـ للمقوقس زعيم الأقباط في مصر معبراً له عن عقيدة هؤلاء الصفوة ، وعن حقيقة موالاتهم لله وللدين وللرسول ﷺ ، قال له : ـ

«وما منا من رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وألاَّ يردَّه إلى بلده ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده . وليس لأحد منا همٌّ فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا» [1] .

إنها المواقف تلو المواقف لا نجد إلا الوقوف أمامها بدهشة وانبهار ، إنهم أحبوا هذا الدين بكل أحاسيسهم وبكل نبضاتهم ، فملك عليهم أرواحهم وأفئدتهم فضلاً عن أجسامهم وعقولهم فمنَّ الله عليهم بالتمكين في الأرض ، وأعزهم بين خلقه ، طلبوا الشهادة فوهب الله لهم الحياة ، وطلبوا الآخرة فمنَّ

(١) انظر «فتوح مصر وأخبارها» (ص٤٥) .

الله عليهم بالدنيا والآخرة لم يحملوا همَّ الأهل والأولاد فحفظهم الله لهم وبارك فيهم وجعلهم قرة أعين لهم .

موقف رابع :

[خبيب بن عديّ وزيد بن الدِّثِنة]

مع موقف رابع لهؤلاء الأبطال الذين أخلصوا لله دينهم ، وباعوا لله أنفسهم وأرواحهم ، وأحبوا نبيهم محمداً ﷺ أكثر من أنفسهم وأهليهم وأولادهم وضربوا لنا أروع الأمثلة في الثبات على الدين ، والتضحية والفداء .

تروي لنا كتب السِّير أن [زيد بن الدِّثِنة] رضي الله عنه اشتراه صفوان بن أمية ، ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وخرجوا بزيد إلى التنعيم (حيث الحِلْ) أي خارج حدود مكة المكرمة . واجتمع رهط من قريش وكان فيهم أبو سفيان بن حرب ـ وذلك قبل إسلامه ـ فقال له أبو سفيان ـ حين قُدِّم ليُقتل ـ:

أنشدك بالله ـ يا زيد ـ أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال زيد ـ رضي الله عنه ـ : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي .

قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً . ثم قام نِسْطاس ـ مولى صفوان بن أمية ـ فقتل زيد بن الدِّثِنة رضي الله عنه .

وقبل أن نندهش بهذه الرجولة وبهذا الفداء العظيم ، وبهذه الموالاة الإيمانية الحقة ، وقبل أن نفيق من هذا الجو الإيماني الرباني ، الذي يعلو فيه هذا الصحابي الجليل على كل المثاليات ، ويطفو فوق كل الروحانيات وتتجلى عنده أنقى وأرقى معاني الأخوة في الله والمحبة الصادقة لرسول الله ﷺ . الذي

يأبى أن يكون ﷺ في مكانه بين أصحابه وأهله ـ فضلاً عن أن يكون بين يدي الكفار والمشركين ـ يأبى ويفدي رسول الله ﷺ بروحه ولا يشاك ﷺ بشوكة . الله أكبر ، الله أكبر ، إنها الترجمة الفعلية الحقة لحقيقة التوحيد والعقيدة الإسلامية التي هي الجديرة بصُنع الرجال ، وتربية الأجيال ، وبناء الأمم والحضرات ، وإبهار العقول والأذهان .

[خبيب بن عدّي ـ رضي الله عنه ـ]

قبل أن نفيق من هذا المشهد الإيماني نجد أنفسنا أمام بطل آخر يقف نفس الموقف فالأمر ليس مجرد حالة فريدة شاذة ، بل هو جيل تخرَّج من مدرسة واحدة ، وتربَّى على يد معلم واحد ، وانتهل من منهل واحد ، جيل دينه الإسلام ، وشريعته القرآن ، وقدوته محمد سيد الأنام ﷺ .

ها هو البطل الآخر والصحابي الجليل : [**خبيب بن عدّي**] رضي الله عنه يمرُّ بنفس المحْنة التي مرَّ بها أخوه في الله [**زيد بن الدِّثِنة**] رضي الله عنهما .

أخرج الطبراني : حديث عروة بن الزبير بطوله وفية : وَقَتَلَ خُبيبًا ـ رضي الله عنه ـ أبناءُ المشركين الذين قُتلوا يوم بدر .

فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادَوه وناشدوه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : لا والله العظيم . ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه . فضحكوا !!!

وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه إلى الخشبة :-

لقد جمَّع الأحزاب حولي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمع
وقد جمَّعوا أبناءهم ونساءهم وقُرِّبتُ من جِذْع طويل ممنَّع

إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبِّرني على ما يُراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقَدْ بَان مظمعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزَّع

لعمري ما أحفِلْ إذا مِتُّ مسلمًا ... على أي حال كان لله مضجعي

- وقد ذكر الأبيات ابن إسحاق كما في (البداية) فزاد بعد البيت الأول :

وكلهم مُبدي العداوة جاهدٌ ... عليَّ لأني في وثاق بمَضْيَع

- وزاد بعد البيت الخامس :-

وقد خيَّروني الكفر والموتُ دونَه ... وقد هَمَلت عيناي من غير مجزع

وما بي حِذارُ الموت إنِّي لميتٌ ... ولكن حِذاري حجم نار مُلَفَّع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مضجعي

فلست بمُبْدٍ للعدو تخشُّعًا ... ولا جَزَعًا إنِّي إلى الله مرجعي [1]

وهكذا : لا أقول يسقط الجسد الشريف على الأرض ، ولكن أقول رُفعت هذه الروح الطيبة الطاهرة إلى خالقها عزيزة مكرمة ، أبت أن تركع أو تسجد لغير الله تعالى في عزة وإباء ، وكرامة ورفعة ، وكلها موالاة لله ولدين الله ولرسول الله ﷺ . ضاربة لنا المثل الأعلى لنحتذي به في الاعتزاز بديننا ، والدفاع عن عقيدتنا ، وعدم مهابة أعدائنا ، واسترخاص المال والأهل والولد في سبيل الله مولانا ، وسعينا للاستشهاد في سبيل الله الذي هو أغلى أمانينا .

---

(١) تراجع قصة زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدي - رضي الله عنهما - في كتب السير مثل «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٨١) و(البداية والنهاية) لابن كثير (٤/ ٦٣ ، ٦٧) .

وذكر القصة العلامة الكاندهلوي في كتابه «حياة الصحابة» (٢/ ١٠٥ : ١١١) .

ولكن :

بقي لنا أن نتساءل ما هو واجبنا نحو هذا الدين ؟ وما هو موقفنا من سيرة سلفنا الصالح ؟ هل نكتفي بتذكر تلك البطولات وقصها على الإخوان والأولاد؟ فيكون ذلك بمثابة التخدير لنا ، ونكتفى بأن يكون لنا ماض وسلف مشرِّف ؟ فنعكف على ماضينا ونترك حاضرنا ؟ فنكون بئس الخلف لهؤلاء السلف ؟

لا والله إنها العِبَرُ والدروس التي نستفيد منها لنُعيد مجدنا ، ونُحْيِي سنة نبينا ، ونُعيد تلك الصور المشرفة ، وتلك البطولات المُبهرة وكما قيل : «لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها» وهو التمسك بدينها وبكتاب ربها ، وبالعمل بسنة نبيها ، وبنشر هذا الدين ، وبالذب عنه ، وبمواجهة كل من أراد أن ينال من هذا الدين موالاة لله ولدينه ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين .

فإن أعداء الله يريدون أن يفصلوا بين المسلم ودينه ، ويفصلوا بين المسلم ورسوله ﷺ ، ويفصلوا بين المسلم وسلفه الصالح . وهم في طريق تحقيق هذا الهدف يسلكون كل مسلك يوصلهم لغايتهم وهدفهم .

فتارة يصورون للمسلم أن كل ما يسمعه عن دينه وسلفه الصالح ما هو إلا أساطير وأكاذيب اخترعها بعض الرجال وألفها بعض المؤلفين ، وتارة يصورون للمسلم أن دينه هذا دين مبتور ، وما يفتخر به أكذوبة ، فهو في وهم وخيال ، حتى لا يعتز المسلم بدينه ، ولا يقتدي بسلفه ولا يدين لهم بالولاء والمحبة ، ولا الاتباع ولا النصرة ، وفي نفس الوقت يصورون له الشرق والغرب أنهم هم القادة ، وهم أصحاب الزعامة والريادة ، وهم الأبطال وأصحاب التاريخ فمن أراد الوصول لما وصلوا إليه فعليه اتباعهم والسير على دربهم ، وسلوك مسلكهم ، وإخلاص الولاء لهم في المحبة والتقدير والتعظيم والاحترام والتوقير

والاتباع فيقع المسلم في شرك المحبة وشرك الاتباع حتى يخرج المسلم من دينه كلية . خسر دينه ولم ولن يصل لما وصلوا إليه فيخسر دينه ودنياه .

وتارة يثبتون هذه البطولات الإسلامية ، والمواقف العظيمة المشرّفة ، لا من أجل الثناء على هذا السلف الصالح ، ولكن من أجل تخدير المسلم . وتثبيط الهمم ، وحتى يعيش المسلم يحَلُمُ بهذه البطولات والأمجاد ويتغنى بهذا الماضي ، ويترك الحاضر ، ويلهو عن المستقبل ، فالماضي يكفيه ، والحاضر يعجزه ، والمستقبل يستحيل أن يلحق بالماضي ، ومهما فعل المسلم أين هو من هذا الماضي ، فليس عليه إلاً العكوف عليه والاعتزاز به وألاً يحاول إعادته ، فإعادته مستحيلة ، والعمل على دربه صعب ، فالماضي ذهب بما فيه ، والواقع صعب وأليم ، فينفصل المسلم عن ماضيه ، ويترك هدي سلفه ، ويُسلِّم للشرق والغرب ، وكأن الكرَّة لهم ، والدور عليهم فعلينا الصمت والسكون بين التغني بالماضي ، والإعجاب والانبهار بما وصل إليه الشرق والغرب واليهود والنصارى .

وبذلك يكونون قد سلبوا من المسلم ولاءه لدينه ولإخوانه المؤمنين وسلفه الصالح . فالحذر كل الحذر من الوقوع في حبائلهم ، والحذر من ترك هدي سلفنا الصالح رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، عسى الله أن يُبلغنا مبلغهم ، ويُمكّن لنا كما مكّن لهم ، ويُعزنا كما أعزهم ، وأن يحشرنا معهم هو ولي ذلك والقادر عليه .

* * *

[الباب الثاني]

﴿ الولاء غير المشروع ﴾

الفصل الأول : الولاء للكفار والمشركين .

الفصل الثاني : الولاء لليهود والنصارى .

الفصل الثالث : الولاء للمنافقين وأصحاب البدع .

[الفصل الأول]

﴿ الولاء للكفار والمشركين ﴾

١ – حكم موالاة الكفار والمشركين .

٢ – خطورة تمييع قضية الولاء والبراء .

٣ – العقيدة فوق القرابة .

٤ – الولاء للكفار والمشركين من نـواقض لا إله إلاّ الله .

٥ – صور لموالاة الكفار والمشركين .

٦ – خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء للكفار.

الولاء للكفار والمشركين

قد تكلمنا في الصفحات الماضية عن بعض الولاء المشروع ، الذي شرعه الله ورسوله وجاء في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ . مثل ولاء المسلم لربه ، ولكتابه ، ولدينه ، ولرسوله ﷺ ، وللمؤمنين ، ولاءً قلبيًا وعمليًا ، ويُحب فيهم ، ويبغض من أجلهم ، متقربًا إلى الله تعالى بهذا الاعتقاد ، وبهذه العبادة . فكان من المستحسن الإشارة هاهنا إلى بعض الولاء غير المشروع . الذي حرَّمه الله تعالى ، وحرَّمه رسوله ﷺ ، وهو مما يفسد على المسلم اعتقاده ويذبذب توحيده ، ويُعرِّض إسلامه للخطر وإيمانه للزوال فإنه لا يجتمع لمسلم واحد في قلبه ولاء لله وولاء للشيطان ، ولا ولاء للقرآن وولاء لأحكام الجاهلية ، ولا ولاء للرسول ﷺ وولاء للجبت والطاغوت ، ولا ولاء للمؤمنين وولاء للكفَّار والمشركين والملحدين .

فلا يجتمع نقيضان للمسلم في قلبه ، فإما [قلب مسلم ، كله ولاء لله ولدينه ولكتابه ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين] ، وإما [قلب كافر كله ولاء للشيطان والكفرة والمشركين والمنافقين الطواغيت. . .] فوجب على المسلم أن يحذر من أن تنزلق قدمه في إحدى هذه المهالك سواء المُخرج منها من الملة أو ما ينقص الإيمان أو يخدش التوحيد أو يُذبذب العقيدة .

وهذه الموالاة غير المشروعة والمنهي عنها لها صور شتى ، وأنواع متعددة نشير إلى بعضها في هذه السطور بعون الله تعالى ومشيئته : وهو بـ [الولاء للكفار والمشركين] :-

١- حكم موالاة الكفار والمشركين :-

لقد حصر الله تعالى الموالاة التي يجب أن يكون عليها المسلم أن تكون لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين : حيث قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ...** ﴾[١] .

فبمقتضى هذه الآية تخرج أي موالاة لغير المؤمنين عن هذا الحصر الرباني فمن صَرَفَ هذه الموالاة لغير المؤمنين من الكفار والمشركين والملحدين وغيرهم مِمَّنْ عادى الله ورسوله وعباده المؤمنين فقد خرج على أمر الله ، وعَرَّض نفسه للهلاك وسوء المصير . فكيف يوالي المسلم من عادى الله؟ وكيف يناصر المسلم من حارب دين الله ؟ ، وكيف يحب المسلم من بغض رسول الله ﷺ وكَفَرَ به ؟ !!

بل لابد من المعاداة والبراء وعدم الموالاة ، وإلاَّ فهي الخيانة لله ولدينه ، ولرسوله ، وللمؤمنين .

- ويأتي التحذير الرباني في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه للمؤمنين ألاَّ يتولوا الكافرين وبعدم اتخاذهم أعوانًا وأنصاراً وأولياء من دون المؤمنين . وأن من فعل ذلك الأمر المشين فليس من الله في شيء . فهو ليس على منهج الله ، ولا على سنة رسول الله ﷺ ، وهو على

---

(١) المائدة: ٥٥ .

خطر الشرك ، وأوشك أن يخرج من دائرة الإسلام ، ويهوى في مدارك الشرك والضلال .

قال تعالى : ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾(١) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يُسرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ** ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله . وقوله تعالى : ﴿ **إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته . كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال : إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم .

وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التُقية بالعمل إنما التُقية باللسان .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ أي يحذركم نقمته في مخالفته ، وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ أي إليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله (٢) . فهذا التحذير واضح وصريح من الله تعالى لكل من والى

---

(١) آل عمران : ٢٨ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة آل عمران آية (٢٨) [١/ ٣٣٧] .

الكفار والمشركين أعداء الله تعالى . وإن في هذا النهي وهذا التحذير لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ومن وقع في هذا الولاء للكفار والمشركين فقد هوى في مدارك الشرك ، وارتد عن دينه ، وخرج من دائرة الإسلام وأصبح من الكافرين .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله :

«من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد بَرِئَ من الله وبَرِئَ الله منه بارتداده ودخوله في الكفر ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتُضمروا العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل »[1] .

ونلحظ أن ابن جرير الطبري رحمه الله يُصرح بأن من يقع في هذه الموالاة فقد كفر بالله وخرج من إسلامه . فالقضية إذًا قبل أن تكون [ولاء وبراء] فهي [إسلام وكفر] ، ويترتب عليها الجنة أو النار . فالأمر جد خطير والقضية قضية عقيدة وتوحيد ، فهي أصل من أصول الدين ، ليس كما يظن البعض [أو الأكثر] أنها قضية ثانوية فرعية ، ولا يُعوَّل عليها الكثير من الأمور ، وتختلط عليهم الأمور وتنزلق الأقدام .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

« . . . فما ولاء المؤمن إذن لأعداء الله ؟ إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم

---

(١) انظر تفسير الطبري لسورة آل عمران آية (٢٨) [٢٢٨/٣] .

فيتولون ويعرضون . . ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد ، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يُحكِّم كتاب الله في الحياة ، سواء كانت الموالاة بمودة القلب ، أبو بنصرة ، أو باستنصاره سواء .

« ليس من الله في شيء » . لا في صلة ولا نسبة ، ولا دين ولا عقيدة ، ولا رابطة ولا ولاية ، فهو بعيد عن الله ، منقطع الصلة تمامًا في كل شيء تكون فيه الصلات »[1] .

- ولكن قد يحاول بعض الذين في قلوبهم مرض أن يجدوا لأنفسهم بعض الحجج ويقتطفوا بعض الآيات أو الجزء من الآية ليُبَرروا ما هم عليه من خطأ ومن إعراض عن دين الله ومن تعطيل لكتاب الله تعالى ، ومن موالاة لأعداء الله تحت حجج واهية ، وشبهات بالية ، كاذبين على أنفسهم ، مخادعين لشعوبهم خاصة وللمؤمنين عامة ، مفترين على الله الكذب وهم يعلمون . فيعادون أولياء الله وكل من رفع كتاب الله ودعى لتحكيمه وتطبيقه والعمل بسنة نبيه ﷺ ، موالين لكل من حاد الله ورسوله ، وحارب دين الله ، وعمل (سواء علنًا أم في خفاء) على تعطيل كتاب الله ، موالين بذلك أعداء الله وأعداء الدين .

ولذلك جاء التحذير الرباني من الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فهو سبحانه مطلع على ما في الصدور ، سواء عنده ما أعلن وما أُخفِيَ . بل إنه سبحانه وتعالى يعلم كل ما في السماوات وما في الأرض ولا يعزب عن علمه شيء .

فبعد النهي عن هذا الولاء غير المشروع والمحرم يخاطب الله تعالى النفس البشرية وهو يعلم ما قد يتسرب إليها من محاولة للتحايل على شرع الله تعالى

---

(١) « في ظلال القرآن » الأستاذ / سيد قطب [١/ ٣٨٥ : ٣٨٦] .

وإرضاء النفس الأمارة بالسوء ، يخاطبها الله عز وجل ويخاطب هذا الضمير الإنساني ، فهو نداء من الله تعالى إلى عباده متحدثًا إلى داخلهم ونفوسهم وشعورهم وأحاسيسهم وخطرات أنفسهم . أن يعلموا ويوقنوا أن الله تعالى مطّلع عليهم وسوف يحاسبهم يوم القيامة ، يوم يرجعون إليه فيجدوا كل شيء قد سُطِّر في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ويجدون كل شيء حاضراً .

فيقول الله تعالى محذرًا بعد هذا النهي :

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] .

٢- خطورة تمييع قضية الولاء والبراء :-

إن قضية الولاء والبراء أصل من أصول الدين ، ومن عقيدة المسلم ولابد من وضوح هذه القضية نصب أعين المسلمين ، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، وحتى يُعلم المؤمن من الكافر ، والموالي من المُعادي ، ومن الذي يستحق الولاء ومن يستحق المعاداة ، وحتى يتميز الصف المسلم المُوحِد ، من الصف الكافر المشرك ، وحتى يكون الدين كله لله ، وحتى يخرج الناس من عبادة المخلوقات إلى عبادة خالقها ، وحتى يهتدي من اهتدى علي بينة ويهلك من هلك عن بينة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . لابد من إيضاح هذه العقيدة للناس ، لابد من إجلاء الأمور وإظهار الحق واتباعه ، وتعرية

---

(١) آل عمران: ٢٩- ٣٠ .

الباطل واجتنابه ، فلا يجتمع (الكفر مع الإيمان) ، ولا (الولاء مع البراء) لشخص واحد وقوم بعينهم . [من الكافرين][١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

في قوله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[٢] قال : «أخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمنًا يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينافي أحد الضدين الآخر ، فإذا وجد الإيماني انتفى ضده ، وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب » [٣] .

فلابد من الفصل ، والفصل التام في قضية الولاء التي تُجمِّع بين الشتات وتؤلِّفُ بين القلوب ، وتآخي بين الأجناس في أخوة إيمانية ، لا يعرفها ، ولا يتصورها إلا من ذاق حلاوتها ، وعاش في ظلالها ، واستنشق رحيقها .

لابد وأن تُربى الأجيال على هذه العقيدة وعلى هذا الولاء لله ولدينه وللمؤمنين .

- والتحذير كل التحذير من الوقوع في الكِفة الأخرى فإن فيها الهلاك وإن ظن البعض أن فيها النجاة ، فتبًا لكل من والى غير المؤمنين ، ومن ودَّ وأحب من عادى دين الله ، وتقرب لكل من حادَّ الله ورسوله .

ويقول الأستاذ سيد قطب في هذا المضمار :-

«هكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين : حزب الله وحزب الشيطان ، وإلى

---

(١) هذا بالنسبة للكفار . أما المسلم العاصي فَيُوالَى لإسلامه ويُتَبَّرأ من معاصيه .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) كتاب [الإيمان] لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣) .

رايتين اثنتين : راية الحق وراية الباطل فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل ، وهما صفان متميزان لا يختطلان ولا يتميعان !!

لا نسب ، ولا صهر ، ولا أهل ، ولا قرابة ، ولا وطن ، ولا جنس ، ولا عصبية ولا قومية . . إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها .

فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله ، تختلف ألوانهم ، وتختلف أوطانهم ، وتختلف عشائرهم وتختلف أُسرهم ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله . فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة . ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة ، لا من أرض ، ولا من جنس ، ولا من وطن ، ولا من لون ، ولا من عشيرة ، ولا من نسب ولا من صهر . . لقد أنبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فأنبتت هذه الوشائج جميعًا . »[1]

فلابد من تربية الأبناء وتنشئة الأجيال على أن يكونوا من حزب الرحمن ، ومعادين لحزب الشيطان ، وأن يكونوا تحت راية الإسلام ، متبرئين من راية الكفر والإلحاد ، مخلصين في ولائهم لله تعالى ، مجتنبين موالاة الكفار والمشركين والملحدين وكل أعداء الدين ، حتى يُفصل بين الصفين ، وتتباين الرايتان .

(١) «في ظلال القرآن» للأستاذ / سيد قطب سورة المجادلة آية (٢٢) [٦/٣٥١٥: ٣٥١٦].

العقيدة فوق القرابة والرحم :

لقد أمرنا الله تعالى بصلة الرحم والإحسان إلى ذوي القُربة وبرهم ، وجعل ذلك قربة له تعالى ، بل أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح فيما يرويه عن رب العزة أن الرحم مشتقة من اسم الله تعالى فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله .

وأيضا بيّن النبي ﷺ أن صلة الرحم سبب في سعة الرزق وطول العمر . وغير ذلك مما هو مقرر في شريعتنا الغراء من فضل صلة الرحم والإحسان لذوي القربى وبرهم .

ولكن إذا تعارض هذا البر وتصادمت هذه الصلة مع العقيدة فلا مقارنة ولا مفاضلة ، بل يُضرب بهذه القرابة وهذا الرحم عُرض الحائط .

فإذا كان المقام مقام التوحيد ، والقضية قضية العقيدة فلا يوضع أمامها في الكفة المقابلة أي شيء . فما وَصَلْنا هذا الرحَم ، وما أحسنا إلى هؤلاء الأقرباء إلا من منطلق هذه العقيدة وإلا تعبداً لله الذي فرض علينا هذه العقيدة وتعبدنا بها ، فالعقيدة هي الأصل الثابت الذي يتلاشى أمامه أي شيء يعارضه أو ينقص منه شيئًا .

ويأتي هذا الفصل الربّاني في هذه المسألة واضحًا جليًا يقرع الآذان ويُحيي الضمائر ، ويرسخ أمر العقيدة في القلوب ، ويبين مكانه من دين الله تعالى قال تعالى :

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... ﴾[1] .

يقول الأستاذ/ سيد قطب رحمه الله :-

«فروابط الدم والقرابة هذه تتقطع عند حد الإيمان ، إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين : لواء الله ولواء الشيطان .

والصحبة المعروفة للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان ، فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد.

ولقد قتل أبو عبيدة أباه يوم بدر . وهمَّ أبو بكر بقتل ولده عبد الرحمن .

وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير .

وقتل عمر وحمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم .

متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة . وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله . »[2]

ويزيد الإمام المحدث ابن كثير رحمه الله الأمر تفصيلاً فيقول :

«ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق رضي الله عنه بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم .

(١) المجادلة (٢٢) .

(٢) «في ظلال القرآن» سورة المجادلة آية (٢٢) [٦/ ٣٥١٥] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا أرى ما رأى يا رسول الله . هل تمكني من فلان (قريب لعمر) فأقتله ؟ ، وتمكن عليًا من عقيل ، وتمكن فلانًا من فلان ، [ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين] .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ ﴾ . أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته .

وقوله تعالى : ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ . سرٌ بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر [في الله] عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم .[1]

٤- الولاء للكفار والمشركين من نواقض لا إله إلاَّ الله :

إن الولاء عقيدة ، وعبادة ، يتعبد بها المسلم لربه سبحانه وتعالى ، ويدين له بها ، فهي من مقتضيات لا إله إلا الله ، فلا إله إلا الله تقتضي أن نوالي أنصارها ومعتنقيها .

ولا إله إلاَّ الله تقتضي البراء ومعاداة من يعادي هذه الكلمة ومن يحاربها ، ومن لم يدين بها ، فهذه هي عقيدتنا ، وهذا هو ديننا .

يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله :

«وقد أباح الله للمسلمن في حالة الاستضعاف ألاَّ يُظهروا العداوة لأعدائهم، ولكنه لم يُبح لهم قط أن يوالوهم . . . فعدم إظهار العداوة شيء ، والموالاة شيء آخر . . الموالاة التي تشمل مودة القلب ، والتناصر ، والمحبة . . هذه لا

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة المجادلة آية (٢٢) [٣١٨/٤] .

تكون إلا بين المؤمنين بعضهم وبعض . ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1] . نعم ، يحذركم الله نفسه ، وهو المطلع على دخائل نفوسكم ، وعلى مداخل الشيطان إليها ، أن يدخل إليكم من باب الاستضعاف والخوف فيقول لكم : لا عليكم أن توالوا الكفار لتأمنوهم وتصرفوا شرهم عنكم ! كلاَّ ! لا ولاء ! حتى في الاستضعاف لا ولاء ! إنما هو فقط عدم إظهار العداوة لهم ، وعدم استفزازهم للاعتداء عليكم وأنتم لا تستطيعون ردَّ بأسهم . أما الولاء القلبي فغير جائز ؛ لأنه ينقض لا إله إلاَّ الله ، ولأنه يُذيب الحاجز النفسي الذي يفصل المؤمن عن أعداء الله ، فيميل إليهم ، فينسى دينه ويصبح مثلهم : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[2] . هذا في ولاء القلب . . فكيف بالتعاون معهم ، لا على البر والتقوى ! ولكن على حرب الإسلام والمسلمين ؟!

تلك كلها نواقض للا إله إلاَّ الله ، يقع فيها كثير من الناس في وقتنا الحاضر دون أن يدروا . »[3]

---

(١) آل عمران : ٢٨ .

(٢) النساء: ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) (لا إله إلاَّ الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ/ محمد قطب ص(١٦٤ : ١٦٥).

٥- صور لموالاة الكفار والمشركين : [١]

١- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة [٢] .

٢- التولي العام واتخاذهم أعوانًا وأنصارًا وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾[٣] .

٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** ﴾[٤] .

٤- مودتهم ومحبتهم . وقد نهى الله عنها بقوله : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ..** ﴾[٥] .

---

(١) انظر «كتاب الولاء والبراء» للشيخ محمد سعيد القحطاني (٢٣٠ : ٢٤٧) وذلك باختصار وتصرف بسيط ويُراجع كُتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه رحمهم الله فتعتبر كتبهم أصل في هذا الموضوع .

(٢) انظر «نواقض الإسلام» في «مجموعة التوحيد» ص (١٢٩) .

(٣) آل عمران: ٢٨ .

(٤) النساء: ٥١ .

(٥) المجادلة: ٢٢ .

٥- الركون إليهم . لقوله تعالى :

﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾(١) .

٦- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين :-

قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(٢) .

٧- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين . لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

٨- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به . ودليل ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾(٥) .

---

(١) هود: ١١٣ .

(٢) القلم: ٩ .

(٣) آل عمران: ١١٨ .

(٤) الكهف: ٢٨ .

(٥) آل عمران: ١٤٩ .

٩- مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1] .

١٠- توليتهم أمراً من أمور المسلمين : - (ومن ذلك الإمارة ، والكتابة وغيرها) والتولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوع من توليهم وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم . والولاية تنافي البراءة «فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا» .

١١- استئمانهم وقد خونّهم الله تعالى . حيث أخبر أن منهم من لا يؤدي الأمانة من تلقاء نفسه ، ولا خوفًا من الله تعالى إلاّ إذا اضطر إلى تأديتها . قال تعالى:- ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

١٢- الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيّ بزيهم .

١٣- البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم .

١٤- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم .

١٥- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم .

١٦- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم : (على سبيل الإكرام والتعظيم).

(١) النساء: ١٤٠ .

(٢) آل عمران: ٧٥ .

١٧- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم .

وقد قال رسول الله ﷺ : «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**» [١] .

وقوله ﷺ : « **لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا** » [٢] .

١٨- التآمر معهم وتنفيذ مخططاتهم والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم ، والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم والقتال في صفهم [٣] .

١٩- من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضًا للمسلمين وحبًا للكافرين [٤] .

٢٠- من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية ، والاشتراكية ، والقومية والماسونية ، وبذل لها الولاء والحب والنصرة [٥] .

* * *

---

(١) رواه أبو داود (كتاب الجهاد) حديث رقم ٢٧٨٧ ، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٢) رواه الحاكم في (المستدرك) (٢/ ١٤١) وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٣) كتاب «الإيمان ـ حقيقته ـ أركانه ـ نواقضه» للدكتور / محمد نعيم ياسين (ص ١٤٧).

(٤) كتاب [الردة بين الأمس واليوم] (ص ٣٣) لمحمد كاظم حبيب .

(٥) كتاب [الردة بين الأمس واليوم] (ص ٨٠) لمحمد كاظم حبيب .

٦- خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء للكفار :-(١)

١- أن منها ما هو كفر محض وانسلاخ من الدين مثل :

أ - التولي المطلق .

ب- مودتهم لأجل دينهم وسلوكهم ، والرضا بأعمالهم ، وتمني انتصارهم على المسلمين .

جـ- طاعتهم في أمور التشريع .

د - اعتقاد مساواتهم بالمسلمين ، وأن المسلمين لا ميزة لهم .

هـ- الوثوق بهم وائتمانهم دون المسلمين .

و - نصرتهم ومساعدتهم على حرب المسلمين .

ز - التشبه بهم إعجابًا واستحسانًا في قضايا التوحيد والعبادات ، وكذلك التشبه المطلق بهم .

٢- ومنها ما هو كبيرة من الكبائر ، يكفر إذا استحلها مثل :

أ- اتخاذهم بطانة .

ب- مداهنتهم والتذلل لهم ، وملاينة الحربيين منهم .

جـ- المبالغة في تعظيمهم ورفع شأنهم .

د- الدخول في سلطانهم بدون حاجة ولا اقتضاء مصلحة عامة .

هـ- التشبه بهم في أخلاقهم وشعائرهم كالموالد والأعياد .

---

(١) انظر : «الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم» للدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الطريفي (٦٨ : ٧٤) وذلك بتصرف .

و- الإقامة عندهم لمن لا يستطيع إعلان دينه مع قدرته على الهجرة .

٣- ومنها ما هو أقل من ذلك نحو :

أ- ميل القلب غير الإرادي إلى الزوجة الكتابية ، أو الابن غير المسلم أو من بَذَلَ إلينا معروفًا ، أو من كان صاحب خُلُق وأدب .

ب- مدحهم والثناء عليهم بدون مسوّغ شرعي بغض النظر عن دينهم .

جـ- مصادقتهم ومعاشرتهم .

د- الثقة فيهم .

هـ- العمل لديهم مع وجود الإهانة والاحتقار .

و- إلقاء السلام عليهم .

ز- الدعاء لهم بالصحة والعافية وطول العمر ودوام الاستقرار .

ح- تهنئتهم في المناسبات العادية والأفراح مثل الزواج والسلامة من كارثة فهذه تتراوح بين التحريم والكراهة بحسب الحال والملابسات .

٤- وهناك أشياء مباحة لا تُعدّ موالاة ، مثل :

أ- معاملتهم بالحسنى واللطف ـ لا سيما المسالمين منهم ـ .

ب- الصدقة على محتاجيهم [١] .

جـ- الإهداء إليهم وقبول هديتهم .

د- تعزيتهم في مصائبهم على الوجه المشروع [٢] .

---

(١) انظر : «الأموال» لأبي عبيد (ص ٥٤١) .

(٢) انظر : «أحكام أهل الذمة» [١/ ٢٠٤] .

هـ- ردّ التحية عليهم ، وردّ السلام إذا سلموا تسليمًا صحيحًا [(١)] [بقول «وعليكم»] .

و- معاملتهم في العقود المالية المباحة .

ز- تأجيرهم المساكن والدور ، بشرط ألاّ تتخذ بؤرة للفساد .

ح- استعمالهم عند الحاجة إليهم في الأمور العادية .

ط- السفر إليهم لأغراض مباحة ، مع القدرة على إعلان الدين [(٢)] .

ي- الإقامة عندهم لغرض صحيح ، مع القدرة على إظهار الدين .

ك- زيارتهم لغرض مشروع [(٣)] .

[وذلك كما زار النبي ﷺ اليهودي عند احتضاره وتلقينه الإسلام].

ل- شمولهم بالرحمة العامة كما في الحديث الصحيح : «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**» .

م- أخذ الجزية منهم وإقرارهم على دينهم .

ن- مصالحتهم ومسالمتهم عند الحاجة ، أو عندما يطلبونها .

س- مخالطتهم عند اللزوم ، مع عدم الركون إليهم .

ع- الاستفادة مما عندهم في شؤون الحياة الدنيا ـ كالصنائع والنظم مما لا يدخل في التشريع [(٤)] ـ.

---

(١) انظر : «أحكام أهل الذمة» [١/ ١٩٧] و«فتح الباري» [١١/ ٤١ - ٤٦] .

(٢) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي [٦/ ١٣] .

(٣) انظر : «عمدة القاري» [٨/ ١٧٥] .

(٤) انظر : «مجموع فتاوى ابن تيمية» [٤/ ١١٤] .

ف- أكل طعام أهل الكتاب ، والزواج من نسائهم عند الحاجة .

ص- ائتمان بعضهم على بعض الأمور العادية [١] .

فهذه وما أشبهها كلّها مباحة - بل بعضها ربما يكون - مطلوبًا - بشرط ألا تتجاوز الحدود والقيود التي وضعت لكلّ منها - .

وبهذا يتبين لنا أن القول بإطلاق تحريم الموالاة بحيث تشمل الصور المباحة التي ذكرناها ؛ أنه أمر يفقد الدقة والموضوعية ، وكذلك التساهل في العلاقة مع غير المسلم فإنه يخل بالعقيدة . والله أعلم .

* * *

(١) انظر : «مجموع فتاوى ابن تيمية» [٤/ ١١٤] . و«فتح الباري» [٥/ ٣٣٨] .

[الفصل الثاني]

﴿ الولاء لليهود والنصارى ﴾

أولاً : حكم موالاة اليهود والنصارى .

ثانيًا : طبيعة المعركة مع اليهود والنصارى .

ثالثًا : اليهود والنصارى يستهزئون بالإسلام .

رابعًا : من مكائد اليهود والنصارى :-

(أ) محاولة إدخال المسلمين في دينهم .

(ب) إضلال المسلمين [فصل الدين عن الدولة ـ عدم مسايرة الدين للعصر ـ إن التمسك بالدين رجعية وتخلف ـ إن الدين لله والوطن للجميع ـ الدعوة إلى الوطنية والقومية] .

(جـ) العمل على تكفير المسلم :-

(د) العمل على تنحية شرع الله .

خامسًا: الأمر بمخالفة اليهود والنصارى .

سادسًا: حتمية مقاتلة اليهود .

سابعًا : أخي المسلم لا تنسى عداوة اليهود .

الفصل الثاني
الولاء لليهود والنصارى

لقد بيَّن الله تعالى في كتابه العزيز أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والمشركون ثم النصارى . فهم من أشد الناس عداوة للمؤمنين ، ويحاربون دين الإسلام ويبغضون الرسول ﷺ ، ويتربصون بنا الدوائر . قال تعالى : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ [١] .

ولن يرضوا عنا حتى نكفر بربنا ونرتد عن ديننا ، وهيهات لهم هيهات .

قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[٢] . فالعداوة متأصلة في القلب ، والحرب حرب عقيدة ، وهم يتربصون بالإسلام الدوائر مهما ظهر منهم من ودّ ومحبة ولطف في المعاملة ، وبشاشة في المقابلة فأصل العداوة في قلوبهم ، ولن تنتهي الحرب ، ولن يتلاشى البغض إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين بزعمهم . والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

فإن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية ، وأرسل به خير البرية محمداً ﷺ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[٣] وحَذَّر من اتخاذ أي دين آخر غير هذا الإسلام . وأن من أعرض عنه فهو من الخاسرين . قال تعالى:

---

(١) المائدة: ٨٢ .

(٢) البقرة: ١٢٠ .

(٣) آل عمران: ١٩ .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١) .

أولاً : حكم موالاة اليهود والنصارى :

إن من العجب كل العجب أننا نرى ممن ينتسبون للإسلام من يوالي اليهود والنصارى ، ويتودد إليهم ، ويُظهر لهم المحبة ، ويكنّ لهم في صدره الاحترام والتقدير ، حتى يصل به الأمر إلى الافتتان بهم ، والسير على دربهم ، واقتفاء آثارهم .

والأعجب من ذلك أننا نرى مَنْ هو من جلدتنا ، وينتسب لنا ، ويتسمى بأسمائنا ، ويدَّعى أنه على ديننا ، ثم بعد ذلك يوالي اليهود والنصارى في علاقات اقتصادية ، وتعاملات مادية ، وعلاقات جيرة ، وصحبة ، ومحبة ، بدون ضرورة ولا مسوغ شرعي !!

ما هو إلا المحبة والموالاة وقد يكون ذلك على حساب موالاة المؤمنين . حتى قد يصل الأمر إلى نبذ المسلم صاحب العقيدة الصحيحة وتقريب اليهودي والنصراني وتفضيلهم على المسلم .

وتأتى الطامة الكبرى حينما يتشرب حب اليهود والنصارى في قلوب هؤلاء المنخدعين ، ويصل الإعجاب بهم إلى حد الجنون والذهول فيأخذون من كلام هؤلاء أحفاد القردة والخنازير حتى ولو عارض كلام الله تعالى ، وحتى لو تصادم مع هدي النبي محمد ﷺ .

بل إننا لنجد في واقعنا المعاصر الأمر الأليم والمحزن والمخزي . نرى من نحَّى شرع الله كلية لكي يحل مكانه نظريات وفلسفات ونُظم وقوانين هؤلاء اليهود

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

والنصارى أحفاد القردة والخنازير ، فإنه والله العارُ كل العار لهؤلاء المنتسبين إلى الإسلام الموالين لأعداء الله ، المحاربين لشرع الله تعالى . إنها والله الردة والانتكاسة التي يندى لها الجبين أسى وحسرة . إنها الموالاة المحرمة والمشئومة ، والمشبوهة ، والتي حاربها الإسلام ، وحرمها الله في كتابه العزيز ، وحذَّر منها الرسول ﷺ قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

فهذا نهي صريح من الله تعالى لكل مؤمن ، يؤمن بالله تعالى ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ألاَّ يتخذوا اليهود والنصارى أولياء يتقربون إليهم ويفضلونهم على المسلمين .

فبعضهم أولياء بعض فهم أصحاب ملة واحدة وهي ملة الكفر ، فمن والاهم فهو منهم ووقع في ملتهم ، وصار حكمه حكمهم . وأصبح من أهل عقيدتهم ، وإن لم يغير اسمه وإن استمر على مخادعته ، وإن لم يُعلن خلع ربقة الإسلام من عنقه ، فقد خُلعت وإن لم يعلنها ، وخرج من الإسلام ، وإن ادعى أنه من المصلحين ، فهو من ألد أعداء الدين ، ومن الذين يُلَبِّسون على الناس دينهم ولا شك في كفره .

قال ابن حزم الظاهري رحمه الله :

«صح أن قول الله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر في جملة الكفار ، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من

---

(١) المائدة: ٥١ .

المسلمين . . . »[1]

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

«ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله ، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال : **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾** .

وعن عياض أن عمر بن الخطاب أَمَرَ أبا موسى الأشعري ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد . وكان له [أي لأبي موسى الأشعري] كاتب نصراني . فرفع إليه ذلك فعجب عمر وقال : إن هذا لحفيظ . هل أنت قاريء لنا كتابًا في المسجد جاء من الشام . فقال : إنه لا يستطيع . فقال عمر : أجُنُبٌ هو؟ . قال : لا بل نصراني قال : فانتهرني وضرب فخذي ثم قال : أخرجوه ثم قرأ : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾** .

وقال عبد الله بن عتبة :- ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر .

وقوله تعالى : **﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾** . أي شك وريب ونفاق **﴿يسارعون فيهم﴾** أي يبادرون إلى موالاتهم ومودّتهم في الباطن والظاهر . »[2]

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :-

«من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم . أي من أهل دينهم وملتهم . فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض.

---

(١) انظر : «المحلى» لابن حزم الظاهري [١٣/ ٣٥] .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة المائدة آية (٥١) [٢/ ٦٥ : ٦٦] .

وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه »[١] .

ويقول ابن القيم رحمه الله :

«إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم . وهذا عام ، وخُصّ منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يُقر ولا تُقبل منه الجزية . بل الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع » [٢] .

ويقول الأستاذ / سيد قطب رحمه الله :-

«إن موالاة غير الجماعة المسلمة معناه [الارتداد عن دين الله تعالى] ، والنكول عن هذا الاختيار العظيم ، والتخلي عن هذا الفضل الجميل ، وهذا التوجيه واضح في النصوص الكثيرة في هذا الدرس . . . » [٣]

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :- [٤]

فيزيد المسألة وضوحًا ويفصِّل القول فيها ، ويبين لنا بعض أنواع الموالاة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى وحكم هذه الموالاة ، مع اختلاف نوع

---

(١) انظر تفسير الطبري لسورة المائدة آية (٥١) [٦/ ٢٧٧] .

(٢) انظر : «أحكام أهل الذمة» لابن القيم [١/ ٦٧ : ٦٩] وانظر : كتاب «الولاء والبراء» للشيخ محمد سعيد القحطاني (٢٣٣ : ٢٣٦) .

(٣) «في ظلال القرآن» تفسير سورة المائدة [٢/ ٩٠٨] .

(٤) انظر : «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية [٢٨/ ٢٠١ : ٢٠٢] .

الموالاة ، وما يترتب على هذه الموالاة من أحكام فقهية ، وواجب الأمة تُجاه هؤلاء الذين خرجوا على دين الله تعالى ، ووقعوا في حبائل موالاة اليهود والنصارى وانسلاخهم عن هذا الدين فيقول رحمه الله :-

«فمن كان من هذه الأمة مواليًا للكفار : من المشركين وأهل الكتاب [اليهود والنصارى] ببعض أنواع الموالاة ، ونحوها : مثل إتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من مقالهم ، وفعالهم الباطلة كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك

- وذلك مثل متابعتهم في آرائهم وأعمالهم كنحو أقوال الصابئة وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم المخالفة للكتاب والسنة .

- ونحو أقوال اليهود والنصارى وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة ، ونحو أقوال المجوس والمشركين ، وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة .

- ومن تولى أمواتهم أو أحياءهم بالمحبة والتعظيم والموافقة [فهو منهم]. . .» .

ويأتي حكم شيخ الإسلام على هؤلاء بعد هذا العرض وهذا البسط لبعض أنواع الموالاة ، يأتي الحكم واضحًا جليًا موافقًا للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة .

فيقول رحمه الله :-

«ولا ريب أن هذه الطوائف : وإن كان كفرها ظاهراً ، فإن كثيراً من الداخلين في الإسلام حتى من المشهورين بالعلم ، والعبادة ، والإمارة قد دخل في كثير من كفرهم ، وعظَّمهم ، ويرى تحكيم ما قرروه من القواعد ونحو ذلك .

وهؤلاء كثروا في المستأخرين ، ولبَّسوا الحق الذي جاءت به الرسل -

بالباطل الذي كان عليه أعداؤهم.»

ولكن لابد من تحديد الصف ، وبيان الهوية ، وإعلان المنهج ، ورفع راية محددة ، واعتناق دين واحد ، ليُعرف المسلم الحق من الكافر والمنافق ، ولتتحدد وتتحقق قضية [الولاء والبراء] ، وتكون عن بينة ، ليحق الله الحق بكلماته ، ويمحق الله الكافرين ، ويميز الله الخبيث من الطيب .

فيقول رحمه الله أيضًا :-

«والله يحب تمييز الخبيث من الطيب والحق من الباطل ، فيعرف أن هؤلاء الأصناف منافقون ، أو فيهم نفاق ، وإن كانوا مع المسلمين ، فإن كون الرجل مسلمًا في الظاهر لا يمنع أن يكون منافقًا في الباطن فإن المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر والقرآن قد بين صفاتهم وأحكامهم . . .» .

ثانيًا : طبيعة المعركة مع اليهود والنصارى :

كما ذكرنا قبل ذلك أن المعركة التي بيننا وبين اليهود والنصارى هي معركة «عقيدة» وقضية [إيمان وكفر] فهم يريدون أن يستأصلوا شأفة المسلمين ، ويقضوا على الإسلام . فكيف يُؤْمَنُ جانبهم ؟!! وكيف يواليهم بعض المغفلين من المسلمين ؟ ناسين أو متناسين هذه العداوة ، وهذا البغض وهذه الكراهية التي في صدورهم ، وغلهم للإسلام ، وحقدهم الدفين ، فكيف يكون بينهم وبين بعض المنتسبين إلى الإسلام التحالف والتناصر والحب والودّ ؟!

والله إنها الانتكاسة والردة عن دين الله تعالى ، والخيانة لهذه العقيدة الإسلامية ونبذًا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وراء الظهر ، إنه الانطماس لمعالم الفطرة ، وقلب الموازين ، وكفر بنعمة الله ، والرجوع عن نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والطغيان ، وشراء الدنيا بالآخرة ، والسعي إلى النار وسوء المصير.

لابد وأن تتضح الرؤية في أذهان المسلمين كلهم أجمعين ، أنه ليس هناك مثقال ذرة من حُب أو إخلاص في قلوب اليهود والنصارى لأي مسلم ولا للإسلام ، وأن كل ما يفعلونه ويتظاهرون به من باب الخداع والمراوغة فهم لا يألون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا عهد لهم ولا ميثاق . فالحذر كل الحذر أن يخدعونا ليسلبوا منا إسلامنا ويُلَبِّسوا علينا ديننا . فإذا كانوا بخبثهم افتروا على الله الكذب وحرّفوا الكلم عن مواضعه فهل يتورعون عن الكذب علينا وخداعنا؟ وكيف نأمن جانبهم والله عز وجل يحذِّرنا من خداعهم ومكرهم في كتابه العزيز في آيات كثيرة ومواضع شتى قال تعالى : **﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . . .﴾**[1] .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد (ﷺ) لعلنا نفتنه عن دينه ، فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وإنّا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا . وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن ونصدقك فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل فيهم : **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك...﴾**[2] .

ويقول الأستاذ/ سيد قطب رحمه الله عن هذه المعركة :

«ثم يربِّي القرآن وعي المسلم بحقيقة أعدائه ، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه ، إنها معركة العقيدة ، فالعقيدة هي القضية

---

(١) المائدة: ٤٩ .

(٢) المائدة (٤٩) . تفسير ابن كثير لسورة المائدة آية (٤٩) [٢/٦٥] .

القائمة بين المسلم وكل أعدائه ، وهم يعادونه لعقيدته ودينه قبل أي شيء آخر . وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ لأنهم هم فاسقون عن دين الله ، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (١) .

فهذه هي العقيدة وهذه هي الدوافع الأصلية . .

والنصوص في هذا الدرس لاتقف عند كشف بواعث المعركة في نفوس أعداء الجماعة المسلمة ، بل تكشف كذلك طبيعة هؤلاء الأعداء ومدى فسقهم وانحرافهم ، ليتبين المسلم حقيقة مَنْ يحاربه ، وليطمئن ضميره إلى المعركة التي يخوضها . ، وليقتنع وجدانه بضرورة هذه المعركة ، وأنه لا مفرَّ منها . » (٢)

ثالثًا : اليهود والنصارى يستهزئون بالإسلام :-

إن اليهود والنصارى يكنُّون العداوة والبغضاء في قلوبهم للإسلام ، ويتربصون به الدوائر ويحاولون جاهدين من آن لآخر النيل من الإسلام كلما سنحت لهم الفرصة ، وتهيأ لهم الأمر ، وكلما وجدوا لذلك سبيلاً ، فهم يسخرون من الإسلام . ومن المسلمين ، ويبلغ من جراءتهم على الله تعالى أن يسخروا من شعائر الله ، ومن شرائع الإسلام .

ويعلنون ذلك تارة ويخفونه تارة ، حسب قوتهم ، وتمكينهم في الأرض ، ولكن أصل العداوة موجود ولا يزول ، ولن يتحول .

فهم لا يحبون الإسلام وليس له مكان في قلوبهم ويشعرون أن هذا الدين

---

(١) المائدة: ٥٩ .

(٢) « في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب سورة المائدة [٢/٩٠٨] .

لما جاء وبُعث به محمد ﷺ قد سلب منهم شرف وكرامة انبعاث الأنبياء والمرسلين منهم ، ولذلك حملوا هذا الحقد الدفين في قلوبهم لهذا الدين ولمحمد ﷺ ولأتباعه من المسلمين .

وقال الله تعالى عنهم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(1) ولذلك جاءهم الأمر الرباني بالإيمان بهذا الدين وعدم تكذيب هذا الرسول الموجود عندهم في التوراة والإنجيل ، ولا يكونوا أول المسارعين بالكفر به .

قال تعالى : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾(2) .

وأمرهم تعالى أن ينطقوا بالحق ولا يكتمونه ، ولا يُلبِّسوا على الناس الأمر وأن يصدعوا بالحق ، ويظهروه للناس ، وأن يشهدوا بما علموا ، وبما علَّمهم الله وبما كُتب عندهم في التوراة والإنجيل .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(3) .

ولكن لم يكن منهم إلا الكفر ، ولم يصدعوا إلا بالباطل ، وكتموا الحق ، وكذبوا وتولوا وكانوا أول الكافرين .

وحملهم هذا البغض وهذا الحقد إلى السخرية والاستهزاء بالدين الإسلامي

---

(1) البقرة: ٨٩ .

(2) البقرة: ٤١ .

(3) البقرة: ٤٢ .

الذي جاء به خير البرية محمد ﷺ ، وقد سجَّل الله هذا الاستهزاء في كتابه العزيز حيث قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١) .

قال ابن كثير رحمه الله :

«وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوًا ويستهزئون بها لعبًا ، يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد ، وفكرهم البارد كما قال القائل :

وكم مـن عـائب قولاً صحيحًا ... وآفته من الفهـم السـقيم .»(٢)

وقد توجه أهل الكتاب إلى أعظم شعائر الإسلام ألا وهي الصلاة وأخذوا يسخرون ويستهزئون منها ومن الأذان الذي هو الإعلام بدخول وقتها وخاصة وأن في هذا الأذان من التوحيد ومن ذكر اسم الرسول ﷺ [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله] تلك الكليمات التي تمزق قلوبهم ، وتحرق أفئدتهم ، وتُميتهم غيظًا . قال الله تعالى عنهم : ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾(٣) .

فالعجب كل العجب أن نجد من المنتسبين إلى الإسلام ، والمحسوبين أنهم

---

(١) المائدة: ٥٧ .

(٢) انظر : «تفسير ابن كثير» لسورة المائدة آية (٥٧ : ٥٨) [٦٩/٢] .

(٣) المائدة: ٥٨ .

من أتباعه ، من يوالي هؤلاء القوم [اليهود والنصارى] ، يوالي أهل الكتاب وهذه صفاتهم ، وتلك خصالهم وهذا ديدنهم ، فأي دين عند هؤلاء المارقين من الإسلام؟!!! أي عقيدة عند هؤلاء الخارجين عن الإسلام ؟!!! أي غَيْرةٍ عند هؤلاء المتبلدين ، الذين مات عندهم الحس ، وانعدم عندهم الشعور ، وماتت فيهم الرجولة والنخوة ؟!!!

فكيف يوالون قومًا عادوا الله ، وسخروا من دين الله ، واستهزؤوا بشعائر الإسلام ، وشرائعه المطهرة ؟!!!

فما هو والله إلاَّ الركون إلى الدنيا ، وشراء الدنيا بالآخرة ، وخيانة الأمانة والردة والانتكاسة ، أيبتغون عندهم العزة؟!!!

كلا والله فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فلن ينالوا إلاَّ الخزي والعار ، والذل والمهانة ، وخسران الدنيا والآخرة .

والواقع والتاريخ خير شاهدين على ذلك ، فما والَى المستسلمون اليهودَ والنصارىَ والكفارَ وما ابتغوا عندهم العزة إلا كانت سُنة الله في خلقه ، وخسران الدنيا والدين .

وما نحن فيه اليوم من تسلط اليهود والنصارى علينا ، ومن سلب مقدساتنا ومن سفك دمائنا ، وانتهاك أعراضنا ، والاستخفاف بمحرماتنا ما ذلك كله إلا بسبب الإعراض عن كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ والوقوع في موالاة أعداء الله تعالى من الكفرة واليهود والنصارى واتخاذهم أولياء من دون المسلمين ، واتخاذهم مُشرِّعون من دون الله تعالى ، واصطفائهم من دون المسلمين ، واتخاذهم أصدقاء وأحباب وأخلاء ، والله ينهى عن ذلك في كتابه حيث أمر عباده المؤمنين وحذَّرهم من الوقوع في ذلك قائلاً : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن

دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[1] .

يقول ابن العربي رحمه الله :

«فالمقصود بالبطانة إذن : المقربون لدى الشخص ، فالمسلمون لا يجوز لهم اتخاذ الكافر ـ سواء أكان فردًا ، أم جماعة ، أم دولة ـ بمنزلة صاحب السرِّ ، بحيث يُقرَّب ويُعظَّم ويُرجع إليه في عظائم الأمور ومهامها ، ويُفضى إليه بأسرار المسلمين »[2] .

وفي تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله :-

«وكل ذلك يُعدّ موالاة دون ريب ، وقد يكون كفرًا إذا اختصهم دون المؤمنين ، ورأى أنهم أوثق وأجدر منهم ، أو حرضهم ضد المسلمين ، ويلحق بذلك اتخاذهم أصدقاء مخلصين»[3] .

رابعًا : اليهود يستهزئون بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم :

لقد استهزأ اليهود والنصارى بشرائع الإسلام المشتملة على خيري الدنيا والآخرة . واتخذوها هزوًا واستهزؤوا بها لعبًا واستخفافًا منهم بالإسلام وبالمسلمين ، وبكل ملتزم بشرائع الدين ، وبكل غيور على شعائر هذا الدين الحنيف ، وحقدًا وبغضًا لكل من اتبع الرسول الكريم ﷺ .

وما أشبه الليلة بالبارحة فإن هؤلاء الحاقدين الذين سخروا أمس بالصلاة

---

(١) آل عمران: ١١٨ .

(٢) انظر : «أحكام القرآن» لابن العربي [٤/ ١٧٨٣] .

(٣) انظر : «تفسير الطبري» [٤/ ٤٠] .

التي هي أعظم أركان هذا الدين ، وبالأذان الذي هو إعلام بدخول وقت هذه الصلاة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ ... ﴾ الآية[١] . نراهم اليوم أيضًا يكملون مسيرتهم اللعينة ، ومخططاتهم الخبيثة ، ومؤامراتهم اللئيمة ، ضد قرآننا الكريم الذي هو كلام ربنا ، والذي هو منهجنا وشريعتنا وضد رسولنا الكريم محمد ﷺ ، الذي بلَّغ عن ربه ، وكشف الله به الغمة ، ومحا به الظلمة ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن النار والعياذ بالله إلى الجنة ورضوان الله تعالى ـ بمشيئته ومنّه ـ .

واليوم وفي القرن الخامس عشر الهجري يسخر هؤلاء اليهود أحفاد القردة والخنازير ، وألعن خلق الله ، وأجبن وأحقر من عرفتهم البشرية ، ويسخرون من الرسول ﷺ ويصورونه على هيئة خنزير ويكتبون عليه (محمد) ـ ﷺ ـ . ويأتي دور السخرية والاستهزاء بالمصحف الشريف ، بكتاب الله العزيز ، وذكره الحكيم الذي نزله على نبيه محمد الأمين ﷺ بواسطة أمين وحيه جبريل عليه السلام فيضعون هذا المصحف تحت قدم الخنزير فيكون الحاصل ـ [صورة خنزير مكتوب عليه محمد وتحت قدم الخنزير القرآن الكريم] .

أي سخرية هذه ؟!!!

أي تعدٍ واستهزاء هذا ؟!!!

أي تجرؤٍ هذا ؟!!!

أي محاربة تلك ؟!!!

إنهم يستهزئون بكل الأمة ، ويسخرون من كل الملّة ، في تحدٍ سافر ، وبقلب فاجر ، وتبعدٍ غاشم ، ومعتقدٍ فاسد ، وعلانية وسفور ، وعلى مرأى

---

(١) سورة المائدة : ٥٧ : ٥٨ .

ومسمع كل الحاكمين ، دون تردد أو رجوع عن باطل أو فجور .

فأين أمة الإسلام ؟ وأين المسلمين ؟!!!

فأين أصحاب العزة والكرامة من أصحاب الذلة والمهانة ؟!!!

أين أصحاب المجد والبطولة من أصحاب العار والخنوثة ؟!!!

أين أحفاد الصحابة من أحفاد القردة والخنازير ؟!!!

أوَماتت الأمة ؟ أوَفُقِدَت العزة ؟ أوَ دُفِنَت الكرامة ؟ أوَهان الدين ؟ أوَ رخُصَ القرآن ؟!!!

كيف تصل الجرأة بهؤلاء الشرذمة أن يفعلوا ما فعلوا باسم رسولنا ﷺ وبقرآننا المجيد ؟!!!

بل كيف تتلقى الأمة هذا الخبر وترى هذا المشهد ثم يهنأ لها بعد ذلك عيش ، أو تغمض لها عين ، أو يَقَرُّ لها قلب ، أو تسكن لها جارحة قبل القضاء على هؤلاء الشرذمة ، والثأر لديننا ولرسولنا الكريم ﷺ ولقرآننا المجيد .

والله إن لم تفعل الأمة فباطن الأرض أولى بها من ظهرها .

فالأمر والله محزنٌ ومخزٍ . فيجد المسلم نفسه حيران ومندهشًا بين ما وصل إليه هؤلاء اليهود من الجرأة وتعليق هذه الصور في أرض فلسطين الحبيبة السليبة وبجوار المسجد الأقصى الحبيس الأسير ، في جهر وعلانية ، وسفور وتبجح ، وبين هذه الأمة الساهية ، اللاهية ، الضائعة التي أصبحت لا تملك إلاّ الاستنكار والاستنكاف والتنديد ، [وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه الحرُّ فيهم].

فلقد ضاعت الأمة ، يوم تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذُلّت يوم ذبحت الجهاد على أعتاب الشرق والغرب . فوصلت إلى ما هي فيه من الذل

والعار ، والمهانة والانكسار .

فالعودة العودة يا أمة الإسلام إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ .

العودة العودة إلى العزة والكرامة .

العودة العودة إلى الشرف والمهابة .

العودة العودة إلى الزعامة والقيادة .

العودة العودة إلى الإباء والرجولة .

العودة العودة إلى حب الدين ، والذب عن العقيدة ، وتحكيم شرع الله ، ونصر السُّنَّة ، ومحاربة البدعة ، وتحقيق عقيدة [**الولاء والبراء**] بكل ما تحمله من معان [**الحب والنصرة**] لله والدين للقرآن وللرسول ﷺ وللمؤمنين .

وبكل ما تحمله من [**البغض والكراهية والقهر**] لكل كافر ومشرك ومنافق ولكل عدوٍ لهذا الدين .

فالعودة العودة قبل أن يأتي يوم نهون فيه على الله وتُستأصل شأفتنا من على الأرض ولا تقوم لنا قائمة وإنا لله وإنا إليه راجعون .

خامسًا : من مكائد اليهود والنصارى:

كما ذكرنا أن العداوة متأصلة في قلوب اليهود والنصارى ، والبغض متشعب في صدورهم للإسلام وللمسلمين ، ولن يرضوا عن المسلمين حتى يتركوا دينهم ، وينفضوا عن سنة نبيهم ﷺ قال تعالى : ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[1] .

وطالما المسلم متمسك بإسلامه ، قابض على دينه ، متبع لسنة نبيه ﷺ

---

(١) البقرة: ١٢٠ .

فسوف تستمر المعركة ، ويظل الجهاد قائمًا ، وسوف تَتَفتَّح أبواب الجنة لاستقبال الشهداء الذابين عن الدين، الرافعين راية التوحيد ، المحبين لسنة سيد المرسلين محمد ﷺ .

- وعداوة اليهود والنصارى ومكائدهم لها صور شتى ، وطرق عدة ومن ذلك :

[أ] محاولة إدخال المسلمين في دينهم :

فهذا همهم الأكبر أن يتحول المسلمون عن دينهم ويقعوا في دينهم فيكفروا بكفرهم ، ويشركوا بشركهم فيكونون سواء وحينئذ تهدأ المعركة ، ويحل السلام ولكنه السلام الذي يعقبه غضب الله تعالى ، ودخول جهنم والعياذ بالله . كما قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...** ﴾(١) .

بل زعموا أن في دينهم الهدى ، والحق ، والنجاة ، ظلمًا وعدوانًا فردَّ الله عليهم هذا الكيد وهذا المكر أن الهدى هو هدى الله تعالى وأنهم هم الكافرون الكاذبون . قال تعالى : على لسانهم : ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٢) .

[ب] إضلال المسلمين :

فإذا عجز اليهود والنصارى عن إدخال المسلمين في دينهم فإنهم يحاولون جاهدين إخراج المسلمين من الإسلام وتلبيس الأمر عليهم وإضلالهم حتى يتذبذب المسلم ويشك في دينه ويتخبط خبط العشواء .

---

(١) البقرة: ١٢٠ .

(٢) البقرة: ١٣٥ .

قال تعالى : ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] واتخذوا لذلك وسائل شتى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] .

«وهذه مكيدة أرادوها ليلبِّسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يُظهروا الإيمان أول النهار ويُصلُّوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ، ليقول الجهلة من الناس إنما ردَّهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين » .

قال مجاهد رحمه الله :

«يعني يهودًا صلت مع النبي ﷺ صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرًا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه » .

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه : «قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره فصلّوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا» [3] .

فهذه هي خططهم ، وهذا هو مكرهم ، ويتجدد المكر ويختلف باختلاف الزمان ، والناس وتغيُّر الظروف .

ومن مكائدهم في هذا العصر :

* **[فصل الدين عن حياة المسلم]** ومحاولة زرعهم في نفس المسلم أن الدين لا

---

(١) آل عمران: ٦٩ .

(٢) آل عمران: ٧٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير لسورة آل عمران آية (٦٩ : ٧٢) [٢/ ٣٥٢] .

يكون إلاَّ في المسجد ولا علاقة له إلاَّ بالسجادة والمسبحة ، فإذا قضى المسلم صلاته وسبح تسبيحاته وطوى سجادته التي صلى عليها ، فلا علاقة له بالدين حتى يعود مرة أخرى ليؤدي هذه الركعات الجوفاء ، فقط ، وأما غير ذلك فلا دخل للدين بحياة المسلم .

* [**عدم مسايرة الدين لمتطلبات العصر**] وهذه أيضًا من النعرات الشيطانية الخبيثة التي يحاولون بها سلخ المسلم من دينه ، ليقع في حبائلهم ونظرياتهم الخبيثة ، وقوانينهم اللئيمة ، ودستورهم اللعين ، وحثالة أفكارهم العفنة ، وأخلاقهم المنحلة وعقائدهم الفاسدة وترك دين الله والعزوف عن شرع الله تعالى والله عز وجل يرد عليهم وعلى أمثالهم بقوله تعالى : ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾(١) .

* [**أن التمسك بالدين رجعية وتخلف**] ويحاولون جاهدين أن يُأصِّلوا في ذهن كل مسلم أن التمسك بالدين وبالشرع هو في حقيقته إصرار على التخلف والرجعية ، والتقهقر للخلف ، فيصفون كل ملتزم بالشرع الحنيف أنه يعيش في عصر الصحراء ، ويحتاج إلى ناقة وحمار ، ويمكث تحت نخلة ليأكل من ثمرها ، ويرعى الغنم فيشرب من لبنها ويأكل من لحمها ويلبس من صوفها ووبرها .

وإذا كان هناك سبب لتخلف المسلمين هو هؤلاء البقية الباقية المتمسكون بالدين .

فأي كفر هذا الذي يقولونه ؟!! وأي فساد هذا الذي يريدونه ؟!!!

وأي انحلال هذا الذي يعيشونه ؟!!! . وأي ضلال هذا

---

(١) المائدة: ٥٠ .

الــذي يدعون إليه؟!!!

خرست ألسنتهم بما قالوا ، وشلت أيديهم بما كتبوا ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا ، ومأواهم جهنم وبئس المصير .

* [**أن الدين لله والوطن للجميع**] وأيضًا من وسائل إضلالهم ومكائدهم للمسلمين إشاعة هذه المقولة والعمل على نشرها بين المسلمين ولكي يعتقدها كل مسلم . وخلاصة هذه المقولة وهذا الشعار هو القضاء على [الولاء والبراء] في المجتمعات ، وتمييع قضية المحبة والعداوة ، وعدم التمييز بين الخبيث والطيب ، فيعيش المسلم مع الكافر والمشرك واليهودي والنصارى دون تحديد شخصية ولا معرفة دين ، ولا بيان معتقد ، ويعيش الجميع تحت راية واحدة ، منفصلين عن الدين ، وتكون المحبة والولاء والعداوة والبراء مرتبطة بالمصالح الشخصية ، والمنافع الدنيوية ، والعلاقات المادية ، منفصلة عن الدين والعقيدة ، فلا بأس من بغض المسلم ونبذه إذا كان في ذلك مصلحة شخصية ، ومنفعة مادية ، ويجب محبة اليهودي والنصراني وتقريبه وتفضيله ومدحه إذا كان من وراء ذلك المنفعة والمصلحة والظهور والشهرة !!!. ولكن هيهات لهم هيهات، فالمسلم هو المسلم ، والكافر هو الكافر ، واليهود والنصارى أعداؤنا وأعداء ديننا ، ولا ولاء ، ولا محبة ، ولا صفاء إلاَّ للمسلم ، والبغض كل البغض والكراهية بجميع أشكالها وأنواعها لأعداء الدين ولكل مفسد في الأرض من الكافرين ومن أحفاد القردة والخنازير .

ونعلنها لهؤلاء جميعًا أن العاقبة للمتقين ، وأن العدوان على الظالمين وأن الله مظهر دينه ، ومؤيد جنده ، ومُعز حزبه ، ولو كره الكافرون .

* [**الدعوة إلى القومية والوطنية**] وهذه الدعوة أيضًا ما هى إلا حلقة من حلقات الإضلال اليهودي والنصراني للمسلم ، ومحاولة للقضاء على الإسلام ،

ونزع العقيدة من قلب المسلم ، و«تغير معايير الولاء والبراء» في قلب وذهن المسلم فبدلاً من أن يكون ولاء المسلم للموحدين من المسلمين ولأصحاب العقيدة الصحيحة والسليمة ، يكون ولاؤه لأهل قوميته سواء كانت العربية ، أو الهندية.. أو غيرها من القوميات المزعومة الباطلة .

بل إن [الوطنية] تدعو لما هو أقبح من ذلك فبعد أن يتعصب مثلاً المسلم للقومية العربية وللعرق العربي ، فتضيق به الدائرة ، فيتعصب لأهل بلدته ومسقط رأسه من دون غيرهم حتى من العرب أنفسهم ، فيفخر كل واحد بمسقط رأسه وبلدته على غيرها من البلدان المسلمة العربية التي تجاوره . وإن في ذلك ما فيه من القضاء على شخصية المسلم ، وتمزيع وتمزيق المسلمين حتى يسهل على أعداء الله القضاء عليهم قومية قومية ، وبلد بلد ، والكل يتفرج وحجتهم هو أن بلدتهم سالمة لم يمسها السوء ، وما لنا وغيرنا ، وكيف نضحي بأبناء بلدتنا من أجل بلد آخر مجاور ؟!!! وتناسوا أن هناك عقيدة ودينًا يجمع بينهم جميعًا ولم ينتبهوا أن الدائرة عليهم ، وسوف يأتي دورهم ، وأنهم حُكم عليهم بالفناء يوم فُني أولهم وهم يتفرجون ، وما ذلك كله إلا ليسهل على أعداء الله القضاء عليهم من أولهم إلى آخرهم .

«ولقد كان المسلم يخرج من طنجة حتى ينتهي به المقام في بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية وإنما يحمل شعارًا إسلاميًا هو كلمة التوحيد ، فكلّما حلّ أرضًا وجد فيها له إخوة في الإيمان ، وإن كانت الألسن مختلفة ، والألوان متباينة لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية .

ولكنه نتيجة لضعف المسلمين وتمكينهم عدوهم من أنفسهم سَهُلَ استعمارهم من قِبَل أرذل خلق الله . وهم اليهود والنصارى ومن جاء بعدهم

كالملاحدة الشيوعيين »[١]

«وخلاصة القول في القومية : أنها شرك بالله لإنها بإيجابها العمل بها وحدها ، والتضحية والجهاد في سبيلها ، وصرف الكُره والبراء وما يتبعهما ضد كل خارج عن القومية ، وصرف الحب والولاء وما يتبعهما للقوميين ومن والاهم . فهي بهذا تكون نداًّ يُعبد من دون الله ؛ لأن ذلك يقوم مقام النفي والبراء والإثبات والولاء وهما ركنا الألوهية أو العبادة في قول (لا إله إلا الله) فلا إله «نفي وبراء» ، إلاَّ الله «إثبات وولاء» لله لا شريك له والدليل قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾[٢] .

[جـ] العمل على تكفير المسلم :-

فما يزال الحقد والحسد يحركان اليهود والنصارى للقضاء على هذا الدين متمثلاً في أتباعه من المسلمين ، فيحاولون بكل جهدهم ردّ المسلمين عن دينهم إلى الكفر والشرك حتى يكون الكل سواء في الكفر والشرك . قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[٣] .

فيدبرون لذلك ، ويجمعون كل قواهم لتحقيق هذا الهدف ، وهذه الأمنية ويوقفون على ذلك الأموال والأنفس ، وكل غال ورخيص ، ويسهرون الليالي ويعقدون المؤتمرات ، ويضعون الخطط ، ويحاولون توحيد الصف ما دام العدو هو الإسلام ، وما دام الهدف هو المسلم . وذلك على الرغم مما هم عليه من الخلافات والتشتيت ولكن الكفر كله ملة واحدة وهدفه واحد ، وهو القضاء على

---

(١) انظر : (الولاء والبراء في الإسلام) للشيخ محمد سعيد القطحاني (٤١٩) .

(٢) انظر : «الولاء والبراء في الإسلام» للشيخ محمد سعيد القطحاني (٤٢٥) .

(٣) النساء: ٨٩ .

الإسلام والمسلمين ، العدو اللدود الذي يهددهم وينذر بزوال عرشهم وملكهم كما أزال من قبل عرشي كسرى وقيصر .

قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (١) .

وفي هذه الإشارة من الله تعالى تحذير لنا من اتباع سبيل اليهود والنصارى وبيان مدى الحقد والحسد الذي في قلوبهم ، وعملهم الدؤوب وجهدهم المضني لإخراج المسلم مِنْ دينه .

فعن ابن عباس رضي الله عنه :

«كان حُيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام ما استطاعوا فأنزل الله فيهما : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً...﴾(٢) .

وعمل اليهود والنصارى اليوم لا يقل عن عملهم بالأمس بل إن الأمر ازداد وأعلن التحدي وإن كان تحت شعارات ومسميات فيها خداع للمسلمين وتغريراً لهم .

[د] العمل على تنحية شرع الله :-

ومن أهم القضايا الموجودة على الساحة الآن التي يحارب بها اليهود والنصارى الإسلام والمسلمين هي [تنحية شرع الله تعالى والحكم بغير ما أنزل

---

(١) البقرة: ١٠٩ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير لسورة البقرة آية (١٠٩) [١/١٤٦] .

الله] تحت شعارات وفلسفات ومبررات واهية ، يخدعون بها المسلمين ويبررون لهم أعمالهم ويزينون لهم خروجهم على دين الله تعالى .

ومن ذلك : أن هناك متغيرات عصرية ، ومستجدات حضارية ، وتَغَيَّر الناس واختلفت الأحوال ، وتقدم الزمن ، ولابد من قوانين وتشريعات توافق هذا التطور ، وتواكب هذا التحضر ، حتى يسعد الناس ، ونكون على مستوى الفكر المعاصر الجديد .

وغير ذلك من الحجج الشيطانية ، والتلبيسات الإبليسية ، والفلسفات اللاعقلية ، والشعارات الكُفْرية .

فيجب الحذر كل الحذر من مكائدهم ، ومن خططهم ، والتمسك بدين الله تعالى . والعض على سُنة رسول الله ﷺ بالنواجذ ، حتى نفوز برضا ربنا ونَسُودَ في دنيانا وآخرتنا .

سادسًا : الأمر بمخالفة اليهود والنصارى :-

إن الشريعة الإسلامية تُربّي المسلم تربية خاصة ، وتنشئه تنشئة مميزة ، وتجعل له التميز والتفرد ، والقيادة والزعامة ، وتُريد له الريادة والتقدم ، وتُهيئه للأخذ بزمام الأمر ، وقيادة الركب ، فيتقدم المسلم للأخذ بزمام السفينة لينجو العالم من مهاوي الشرك والضلال ، ويصلوا إلى بر الأمن والأمان وإلى شاطيء الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين دينًا .

فهو مشعل هداية ، ومنبع حياة كريمة لكل من أراد أن يكون عبدًا شكورًا ولكل من كان له قلب رشيد ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

فالمسلم أراد له ربه في علاه أن يُتَّبع ولا يتبع ، وأن يكون قائدًا لا مقودًا، أن يكون سائدًا لا مسودًا ، أن يكون في المقدمة وليس في المؤخرة ، وأن يكون

عزيزًا وليس ذليلاً ولذلك :-

«جاءت النصوص المتواترة في النهي عن التشبه بغير المسلم ، وأن المسلم لابد أن يتميز عن غيره في كل أحواله ، سواء في العقائد والتصورات ، أم في العبادات والسلوك ، أم في المعاملات والعلاقات ، أم في العادات والتقاليد ، ففي كلها يلتزم المسلم بالمشروع أو المعروف المألوف .

والسرُّ في هذا واضح ، إذ الجماعة المسلمة مستقلة عن الجماعات الأخرى ومتميزة عنها في كل أمورها .

ولو أَذِنَ الإسلام بالأخذ عن العدو كل شيء ومتابعته فيما يريد والتشبه به ، لتَلاشت معالم الإسلام وأحكامه ، ولذابت شخصية المسلم ، وحسبك واقع المسلمين اليوم في كثير من البلدان الإسلامية .

ولهذا جاء الأمر بالتزام الصراط المستقيم والنهي عن سلوك السبل ، قال تعالى : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه**(1) ﴾(2) .

ويأتي أيضًا النهي والتحذير من النبي ﷺ عن مطلق التشبه بغير المسلمين من الكافرين والمشركين واليهود والنصارى وغيرهم ممن ليسوا على ملة التوحيد قال ﷺ : «**من تشبه بقوم فهو منهم**» (3) .

---

(1) الأنعام: ١٥٣ .

(2) انظر : كتاب «الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم» : للدكتور/ عبد الله إبراهيم الطريقي (٥٥ : ٥٩) .

(3) حديث صحيح : رواه الإمام أحمد في مسنده [٢/ ٩٢] ، وأبو داود وسكت عنه (في كتاب اللباس بابا في لبس الشهرة [٤/ ٤٤] .

وقال ابن حجر : صححـه ابن حبـان (بلوغ المرام) ص (٢٧٢) ، وقـال شـيخ الإسـلام=

ففي هذا الحديث الشريف تحذير من الرسول ﷺ من التشبه بغير أهل الملة لأن التشبه قد يكون عنوانًا على الرضى عن دين المرء وخُلُقه ، فيكون ذلك مدعاة لأن يُحشر معه يوم القيامة على دينه وملته .

وإن كان هذا التحذير عامًا في كل ملل الكفر والإلحاد ، إلاَّ أن النبي ﷺ حذرنا خاصة من اليهود والنصارى في مناسبات عديدة ومواقف مختلفة .

ومن ذلك قوله ﷺ : «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**» (١) .

فدل ذلك على أن المراد هو مطلق المخالفة ، حتى يكون للمسلم الشخصية المميزة ، التي يتفرد فيها عن غيره ، ولا يكون تابعًا لأحد ، فهذه من أعلى مقامات التربية ، تربية النفوس ، وبناء الشخصية ، وتحديد الهوية ، وإعداد الرجال ، وبناء الأمم ، وقيادة الركب ، والتفرد والتميز ، حتى في صغائر الأمور التي قد يظنها البعض أنها لا تتعدى العادات ، والتي لا تدخل في تربية الأجيال ، وتنشئة الأمم .

فإن الرسول ﷺ يتعامل مع النفوس ، ويخاطب الضمائر ويُربّي الحس والمشاعر . فهو ﷺ بمثابة الطبيب الذي يحافظ على صحة من حوله ويحذرهم مما قد يؤثر على صحتهم من قريب أو بعيد ، وقبل أن يقع بهم الداء ، ويستفحل المرض ، وتنتشر العدوى ، فكما قيل :

«إن الوقاية خير من العلاج» فهو ﷺ رحيم بهذه الأمة يرشدها لكل ما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة ، ويحذِّرها من كل شر وسوء . فجزاه الله عنا

ابن تيمية : إسناده جيد (اقتضاء الصراط المستقيم) ص (٨٢) .

(١) رواه البخاري كتاب (الأنبياء) باب (نزول عيسى عليه السلام) ورواه مسلم كتاب (اللباس والزينة) باب (استحباب خضاب الشيب).

وعن المسلمين والعالمين خير الجزاء . خير ما جزي به نبيًا عن قومه ورسولاً عن أمته .

[والعجب] كل العجب بعد هذا التحذير الرباني من اتباع اليهود والنصارى في كتاب ربنا وفي سنة النبي ﷺ . وبعد استعراض القرآن الكريم لمواقف اليهود والنصارى العدوانية ، وأنهم يكنّون لنا في صدورهم الغل والحقد والحسد ، وأنهم يتربصون بنا الدوائر ، ويريدون لنا الضلال والهلاك والبعد عن ديننا الحنيف ، وكتاب ربنا العظيم ، وسنة نبينا ﷺ .

بعد كل ذلك نجد من يتشبه باليهود والنصارى ومن يُكنُّ لهم في صدره الاحترام والتعظيم ، بل ويقع البعض في محبتهم وتفضيلهم على بعض المسلمين ومنهم من يتشبه بهم في كل أمور وشئون حياته ، فالصَّحُ ما قالواه ، والحق في معتقده ما فعلوه ، فلا يتكلم إلاَّ بكلامهم ، ولا يعمل إلاَّ بعملهم ، ولا يعتقد إلا فيما جاء من عندهم .

بل قد يصل الأمر إلى تقديم كلامهم وما جاء عنهم على كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ ويُأخذ منهم الحلال والحرام ، والشريعة والمنهج والطريقة والسنة ، حتى يصل بالبعض أن يجعل قدوته في صعلوك من صعاليكهم ، ويخجل أن يراه أحدٌ وهو متلبِّس بسنة من سُنن النبي ﷺ .

إن الأمر جد خطير فلقد ألغى بعض المتتسبين للإسلام عقولهم ، وأصبحوا بلا عزيمة ولا إرادة وأصبح كل الذي يأتي عن هؤلاء اليهود والنصارى هو رمز القوة والحضارة ، والمدينة والتقدم !!!

وصدق الرسول ﷺ الذي أخبر عن مثل هؤلاء في الحديث الصحيح **«لتتبعن سنَن من كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراعًا ذراعًا حتى ولو دخلوا جحر ضب تبعتوهم»** .

(فقال الصحابة) قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ (١) .

الله أكبر ، الله أكبر ، لقد تحقق كلام الرسول ﷺ كلمة كلمة ، وحرفًا حرفًا ، فهذا هو الاتباع الأعمى الذي نراه ونعيشه اليوم أكبر دليل على صدق هذه النبوءة المحمدية فلننظر للمثل الذي ضربه الرسول ﷺ لبيان شدة الاتباع وعدم تحكيم الشرع ولا حتى العقل . حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب وهذا حيوان صغير يعيش في الجحور الصغيرة الضيقة تحت الأرض ، فإن بعض المسلمين تأخذه التبعية ، وشدة التشبه وإلغاء العقل ، حتى أنه لو رأى اليهود أو النصارى يدخلون هذا الجحر الصغير الضيق لدخله ظنًا منه واعتقادًا أن هذا هو التحضر وتلك هي المدنية ، وهذا سبيل التقدم ، فالقول لهم ، والفعل فعلهم ، ولا يسعهم إلا الاتباع الأعمى ، والتقليد الحرفي ، والتشبه المحض .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيجب على الأمة الإسلامية أن تفيق من غفوتها ، وأن تستقيظ من نومتها بل وإن صح التعبير [أن تحيا من موتتها] فبعض المسلمين والعياذ بالله لا يحتاجون إلى الاستيقاظ بل يحتاجون إلى بعث ، فالاستيقاظ يكون من الحياة أما البعث يكون من الموت ، وبعضهم والعياذ بالله أموات غير أحياء ، أموات ولكن في هيئة الأحياء!!!

لابد من تدارك المواقف قبل فوات الأوان ، لابد من تضافر الجهود من العلماء ، وولاة الأمور ، ومن طلاب العلم ، والدعاة إلى الله ، ومن أصحاب الكلمة ، وأصحاب الأقلام . فالكل مسئول والكل على ثغرة من ثغور الإسلام فالله الله أن يُأتى الإسلام من ثغر أحدنا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) رواه البخاري كتاب (الاعتصام) باب (قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم).

سابعًا : حتمية مقاتلة اليهود :-

إن هؤلاء اليهود الذين عادوا الله وحاربوا دين الله ، وبغضوا الرسول ﷺ وكادوا للمؤمنين ، وتربصوا بهم الدوائر ، وسعوا في الأرض فساداً .

- قال الله معبراً عن حقدهم وبغضهم : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[1] .

وحذّر سبحانه وتعالى من مكرهم وأنهم يريدون أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ويردّوهم بعد إيمانهم كفاراً :-

- فقال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[2] .

وبيّن سبحانه وتعالى أن هذا الأمر نصب أعينهم ويتمنونه بقلوبهم وجميع أحاسيسهم ، فهم يودون ذلك ويسعون إليه .

- قال تعالى : **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾**[3] .

وإذا عجزوا عن رد المسلمين عن دينهم فهم لا ييأسون فيحاولون المرة تلو الأخرى ، فهم يريدون أن ينالوا من المسلمين أي شيء وبأي وسيلة فإن عجزوا عن إخراج المسلم عن دينه بالكلية ، حاولوا إضلاله وتشكيكه في دينه وفي ذلك

---

(١) آل عمران: ١١٨ .

(٢) آل عمران: ١٠٠ .

(٣) البقرة: ١٠٩ .

يقول الله تعالى : -

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(١) .

ولذلك جاء التحذير الإلهى بعدم اتباع هؤلاء الكافرين وعدم طاعتهم فإن في طاعتهم الهلاك والخسران قال تعالى : -

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾(٢) .

[والبشرى] كل البشرى يبشرنا بها الرسول ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى نقاتل هؤلاء اليهود أحفاد القردة والخنازير ، وأنه لابد من اللقاء ، ولابد من المواجهة ، وأنه سيأتي اليوم ، وتأتي الساعة التي يشفي فيها الله صدور قوم مؤمنين ، سوف يأتي اليوم الذي نثأر فيه لديننا ولرسولنا ﷺ(٣) ، وللمؤمنين ، فلكم لُطخت أيديهم بدماء إخواننا ، ولكم عبثوا بمحرماتنا، ولكم انتهكوا أعراضنا ، واغتصبوا مقدساتنا ، وسلبوا أرضنا ، ونهبوا أموالنا ، فلم يحترموا مقدسًا ، ولم يعفُّوا عن محرم ، ولم يرحموا شيخًا ، ولم يتورعوا عن عجوز ، ولم يشفقوا بطفل ، بل لم يسلم منهم زرع ولا شجر .

- إنها البشرى من رسولنا الكريم ﷺ بيوم يعذبهم الله فيه بأيدينا ويشفي صدورنا ، ويفرح المؤمنون وتسعد جميع الخلائق ، حتى الحجر والشجر

(١) آل عمران: ٦٩ .

(٢) آل عمران: ١٤٩ .

(٣) وفي ذلك إشارة إلى أن اليهود قد سمّوا الرسول ﷺ حيث أنه قبل موته قال لعائشة رضي الله عنها إني لأجد أثر السُّم .

يشاركون المؤمنين فرحتهم ويعلنون عن سعادتهم بإخبارهم للمسلم عن اليهودي ويدلونه على مكانه ليقتله ، فحقًا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾(١) .

قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله**» (٢) .

فصبرًا يا يهود ، صبرًا يا أحفاد القردة والخنازير ، فإن جيش محمد ﷺ لآت وإن موعدكم الصبح . أليس الصبح بقريب ؟

فيجب على كل مسلم أن يعمل لهذا اليوم وأن يستعد له بكل ما استطاع من قوة ، وبكل ما أُوتي من جهد كما قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٣) .

فلابد من العدة ولابد من الإعداد لكي نرهب عدو الله وعدونا ولكي نرفع رأس المسلم بعد ما نُكِّست وأذلت في كثير من أنحاء الأرض .

لابد من رفع الراية ، راية التوحيد ، راية [لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله] عالية خفاقة ، تناطح الشمس في عليائها ، وتزاحم الكواكب في مجراتها ، وتضاهي البدر في بريقها .

ولكن الأمر جد صعب وخطير ويحتاج إلى رجال باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، رجال يحملون أرواحهم على أكفهم ، رجال يستعذبون كل مرٍّ في سبيل

---

(١) المدثر : ٣١ .

(٢) رواه مسلم : كتاب (أشراط الساعة) باب (علامات قيام الساعة) .

(٣) الأنفال : ٦٠ .

الله وفي سبيل إعزاز دينهم ، رجال يضحون بكل غالٍ ورخيص ، وبكل حبيب وقريب ، رجال أرواحهم معلقة بالجنة ، رجال يأبون إلاَّ العزة ، ولا يرضون إلاَّ بالكرامة ، نفوسهم زكية ، همَمُهم عالية ، أهدافهم سامية ، غاياتهم نبيلة ، أخلاقهم محمدية ، مناهجهم قرآنية ، دولتهم إسلامية ، عزائمهم فتية ، معاملاتهم دعوية [١] ، ودعوتهم إصلاحية ، لا يعرفون الوطنية ، وتبرؤوا من القومية ، ولم يعرفوا الحزبية ، وكفروا بالعصبية الجاهلية ، وأعلنوها إسلامية إسلامية ، لا شرقية ولا غربية .

فالنصر آت ، ووعد الله حق ، والغلبة للمسلمين ، والحسرة والندامة على الكافرين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والعاقبة للمتقين ، والله غالب على أمره رغم أنف الكافرين .

قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٢] .

ثامنًا : أخي المسلم لا تنسى عداوة اليهود :-

أخي المسلم عَبِّر هذه العداوة التي في قلبك ، ومن خلال هذا البغض التي

---

(١) أي أن المسلم في معاملاته رجل دعوة يدعو الناس بأخلاقه الحسنة ومعاملاته الطيبة فيكون عنوانًا طيبًا لدينه ومما هو معلوم ان كثير من البلدان دخلها الإسلام عن طريق الاختلاط والمعاملات الإسلامية الحسنة مثل الهند وغيرها من البلدان .

(٢) المائدة: ٥٩ - ٦٠ .

تُكنُّه لهؤلاء اليهود أحفاد القردة والخنازير . لا تنسى هذه العداوة التي في صدور اليهود للإسلام وللمسلمين والتي أخبر بها الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...**﴾[1] .

فهم أشد عداوة لنا من المشركين فيجب عليك أيها الأخ المسلم أن تضع هذه العداوة نصب عينيك فهي سوف تكون معينًا ومذكرًا لحتمية اللقاء . وتجعلك دائمًا في رباط في سبيل الله تعالى معدًا للعدة للقاء هذا العدو اللدود .

[قال ابن كثير رحمه الله]: «وما ذاك إلاَّ لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم . ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء حتى هموا بقتل الرسول ﷺ غير مرة وسمّوه وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة»[2] .

* * *

(١) المائدة: ٨٢ .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة المائدة آية (٨٢) [٢/ ٨٢] .

[الفصل الثالث]

﴿ الولاء للمنافقين وأصحاب البدع ﴾

١- حكم الولاء للمنافقين وأصحاب البدع .

٢- خطر النفاق .

٣- صور لموالاة المنافقين :-

المبحث الأول : في المعاملات [الإقبال عليهم والتلطف معهم ـ الصلاة عليهم وحضور جنائزهم ـ اصطفاؤهم من دون المؤمنين ـ توليتهم الولايات والمناصب .]

المبحث الثاني : تسليطهم على مناهج التعليم : [الموالاة المشئومة ـ إنه لشيء يُراد ـ من أقوال القس زويمر ـ رجال الصحوة في مجال التعليم ـ صعوبات على الطريق ـ مواقف في طريق الدعوة ـ أستاذة جامعية تحارب الحجاب ـ أولئك حزب الشيطان ـ لابد من الصبر والاحتساب]

المبحث الثالث : تمكينهم من وسائل الإعلام :- [الكتاب والقصة ـ المجلة والجريدة ـ الإذاعة والتليفزيون ـ وأخيراً الفيديو والدش ـ وقفات مع بعض الكتّاب الضالين] .

ثالثًا : الولاء للمنافقين وأصحاب البدع

كما قررنا سابقًا أن الولاء عبادة لابد أن يُقصد بها وجه الله تعالى . وأن هذا الولاء لابد وأن يُوجه الوجهة الشرعية . وألاَّ يُصرف إلاَّ لله تعالى ولدينه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .

أما أن يُضل الطريق ، وتُميع القضية ، وتُقلب الموازين ، وتُعكس الأمور، وتُطمس معالم الولاء والبراء ، ويصبح الخير شراً ، والشر خيراً ، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا . إذا حدث ذلك نتج ما نحن فيه الآن من ضياع هذه القضية ، ونقض هذه العقيدة ، وضياع التوحيد ، ووقوع الشرك ، وانتشار الجهل ، وغياب العلم ، واتخاذ رؤوس جهال يُفتون بغير علم يَضلون ويُضلون الأمة ، وتكون المصيبة ، وتحل الكارثة ، وتغيب شمس الإسلام الساطعة ، ويعم الظلام ، ويحل غضب الرب ، ويُمكَّن العدو من رقابنا ، ويطعنوننا في ديننا ، وتنزف قلوبنا ، وتتمزق أفئدتنا حزنًا وحسرة على ما فرطنا في ديننا ، ولأننا سلمنا زمامنا لمن ليسوا منا وإن تسمَّوا بأسمائنا ، وركنّا إلى الدنيا ، فخسرنا أولانا وآخرتنا . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

حكم الولاء للمنافقين وأصحاب البدع :-

إنه الولاء غير المشروع ، الولاء المشئوم ، إنه الولاء للمنافقين ، أعداء الله وأعداء الدين . إنه الولاء الذي حرمه الله تعالى وحذَّر منه ، وبين عاقبته الوخيمة على الفرد وعلى الأمة . كما قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[١] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه :

«لا تميلوا إلى الذين ظلموا ، وهذا القول حسن ، أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم رضيتم بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ أي ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ، ولا ناصر يخلصكم من عذابه »[٢] .

ففي هذه الآية الكريمة نهي عن الركون والميل والاستعانة ، والاطمئنان ، والثقة، والتسليم والتفويض لأهل الكفر والنفاق والظلم والبدع والانحراف عن منهج الله تعالى وعن دينه الحنيف .

وهذا النهي جاء عقب الأمر للرسول ﷺ وللمؤمنين بالاستقامة على الدين، والثبات عليه ولزومه ، وعدم الانحراف عنه فقال الله في الآية التي تسبقها : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] ، وبعدها جاء النهي عن الركون إلى الظَّلَمة . وفي هذا دلالة على أن الاستقامة على الدين تتنافى مع الركون إلى الظَّلَمة . وأن من أراد الاستقامة على الدين عليه التبرؤ والمجانبة من الظَّلَمة وأعداء الدين ومن المنافقين وغيرهم .

وأن من ركَن إليهم ووالاهم ، واطمأن إليهم وقربهم ، وعايشهم وصاحبهم، وألقى إليهم السلم ، وأظهر لهم الحُب والمودة ، فقد خرج عن

---

(١) هود: ١١٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة هود آية (١١٣) [٢/٤٤٥] .

(٣) هود: ١١٢ .

الجادة ومال عن الحق وانعوج به الطريق ، وضل سواء السبيل ، ولم يتبع سبيل المؤمنين وعرَّض نفسه لغضب رب العالمين وأصبح من الهالكين ؛ لأنه والى أعداء الدين ، وأحبَّ البغاة والظالمين ، وتقرب إلى المنافقين ، وما ربك بظلام للعبيد .

خطر النفاق :

إن النفاق شقيق الكفر إلاَّ أنه أكثر ضرراً على الإسلام والمسلمين ، فالكفر واضح ، ومُمَيَّزٌ أهلُه ، ومعروف داره ، ولكن النفاق هو الخطر الدفين ، والعدو اللدود ، والسمّ المدسوس في العسل ، وهو الذي يقلق وهو الذي يخلخل الصف ، ويضعف البنية ، ويُوجب الحذر ، ويُحتم بذل الجهد ، وتعرية الباطل وأهله ، وتوعية المسلم ونصحه ، والتكاتف من أهل الحق والتوحيد ، لحماية هذا الدين ، وحرصًا على المسلمين وسحقًا للمنافقين أعداء الدين ، وفضحهم في كل مكان ، ليأخذ منهم الحذر كل مسلم عاقل غيور على دينه ، مُحبًا لسنة نبيه ﷺ ، حريص على النجاة ، وموالٍ لله ولدينه وللمؤمنين ، ومعادٍ ومتبريء من كل منافق فاسق خارج عن الدين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

«والنفاق منه ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، كنفاق عبد الله بن أُبي وغيره ، بأن يُظهر تكذيب الوسول ﷺ ، أو جحود بعض ما جاء به ، أو بغضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله»[١].

فهؤلاء المنافقون يسوؤهم كل نصر للمسلمين وأي ظفر للموحدين ،

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٤٣٤).

ويفرحون بكل مصيبة تأتي ، وبكل ضرر يلحق بالمسلمين ، فهم دائمًا يحاولون زعزعة الأمن ، وتشتيت الشمل ، وتفريق الجمع وضرب الإسلام والمسلمين في مقتل .

فكيف بمن هذا دينهم ، وهذه عقيدتهم ، وتلك أمانيهم ، وهذا سَعْيُهم . كيف يُوالى هؤلاء ؟!! كيف يُصرف لهم الحب والودّ والإخاء ؟!! كيف تكون لهم النُصرة ؟!!!

إن موالاة هؤلاء المنافقين ما هو إلا حبٌ ، ورضًى بعقيدتهم ، ودخول في دينهم ، والحياة على ملتهم ، والسير على منهجهم .

وهو في الوقت نفسه ، خيانة للدين ، وخروج عن الملة ، وطعن في الدين وخداع للمؤمنين ، وسير على درب الظالمين ، الذين باعوا الدين ، ورضوا بالحُطام والطين .

تركوا موالاة المؤمنين ، الذين هم عباد الله الموحدين ، وانحازوا إلى أولياء الشياطين ، فلم ينالوا الدنيا ولا الدين ، وأصبحوا من الخاسرين ، وضربت عليهم الذلة إلى يوم الدين ، وهذا جزاء كل من حاد عن الدين ، وترك صراط الله المستقيم ، وعزف عن سنة سيد المرسلين ، ومال عن نهج سلف الأمة من المؤمنين الصالحين ، فالحسرة والندامة على الكافرين والمنافقين .

[المبحث الأول]



﴿ موالاة المنافقين فى المعاملات ﴾

١ - الإقبال عليهم والتلطف معهم .

٢- الصلاة عليهم وحضور جنائزهم .

٣- اصطفاؤهم من دون المؤمنين .

٤- توليتهم الولايات والمناصب .

صور لموالاة المنافقين في المعاملات

إن موالاة المنافقين تُغضب رب العالمين ، وهو طعن في الدين ، وخداع ومكر بعباد الله الموحدين ، وانحراف عن الصراط المستقيم ، فيجب الحذر من كل المنافقين ، حماية للدين ، وموالاة للمؤمنين ، وإعلانًا عن البراءة من كل من عادى الدين .

فيجب الحذر كل الحذر من هؤلاء المنافقين خاصة وأنهم يعملون بالليل وفي الظلام والخفاء ، ليتمكنوا من الإسلام والمسلمين ، ويعملوا على خلخلة الصف ، وتمزيق الجسد المسلم ، ولذلك تنوعت أساليبهم وكثرت مخططاتهم ، وتشعبوا في كل طبقات المجتمع ، حتى يستطيعوا أن يحكموا القبضة ، وينجحوا في توجيه الضربة ، وذلك في حين غفلة وفي وسط الدهشة من النائمين من المسلمين .

فماذا ينتظر المسلم ؟ هل ينتظر فوات الأوان ؟ !!! هل ينتظر هلاك الأمة؟!!! هل ينتظر الطامة الكبرى ؟!!!

لابد من معرفة العدو ، وتحديد الخصم ، وإعلان الولاء والبراء ، عن فكر ووعي ، عن عقيدة وإدراك ، عن فقه وعلم ، ولابد من مجاهدة هؤلاء المنافقين في كل بلد ومكان ، وفي كل قطر وزمان ، لابد من تعريتهم وكشف خططهم ومدبراتهم ، ويجب تحذير المسلمين وتوعيتهم وإيقاظهم من غفلتهم ومن نومهم ، وهذا نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى .

أما هؤلاد الخونة والمغفلون من أعداء الدين الذين يوالون الكفار والمنافقين فالحذر كل الحذر من انتقام رب العالمين ، فهو لا يُفلح الظالمين ، ولا ينصر الطاغين .

فالحذر كل الحذر من الوقوع في موالاة هؤلاء المنافقين . وهذه الموالاة ، وهذا الولاء له صور عديدة ، ومظاهر شتى ننبه على بعضها حتى يحذر هؤلاء المنخدعون وحتى نقيم الحجة على كل من ضل الطريق ، وحتى يقاومهم كل المسلمين ، وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيٍّ عن بينة .

ومن هذه الصور ما يلي :

١ - الإقبال عليهم والتلطف معهم :

إن الإقبال على المنافق ، والترحيب به ، والاحتفاء به ، والتلطف معه ، والتهليل في وجهه ، وغير ذلك من مظاهر الإقبال والترحاب والتلطف ، كل ذلك يُعدّ موالاة للمنافقين ، ونوعًا من الحب والمودة . وفيها تعضيد للمنافق وموافقة على نفاقه وتأييده عليه ، وعامل أساسي في تمادي المنافق في نفاقه ، بل والزيادة على ما هو عليه من الكفر والنفاق .

وقد نهانا الله عز وجل عن هذا الولاء وأمرنا بعكسه من جهاد هؤلاء المنافقين والغلظة عليهم والشدة معهم ، وازدرائهم ، واحتقارهم قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[1] . فهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ وللأمة بمجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، وقرن سبحانه هذه الغلظة بمجاهدة الكفار فدل ذلك على أن

---

(١) التوبة: ٧٣ .

الغلظة على المنافقين نوع من أنواع الجهاد الذي أمر الله به ، فالغلظة على المنافقين هي إعلان للبراءة منهم ومن نفاقهم وهذا هو منهج النبي ﷺ مع هؤلاء المنافقين الخارجين على الدين .

يقول ابن القيم رحمه الله :

«وأما سيرته ﷺ في المنافقين : فإنه أُمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة . وأمره أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يُبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم »[1] .

فهذا هو منهج الرسول ﷺ مع هؤلاء المنافقين :

١- قبول علانيتهم .

٢- يكل سرائرهم إلى الله .

٣- يجاهدهم بالعلم والحجة .

٤- الإعراض عنهم .

٥- الغلظة عليهم .

٦- أن يُبلغ بالقول البليغ إلى أنفسهم .

٧- عدم الصلاة عليهم .

٨- عدم حضور وشهود جنائزهم .

٩- عدم الاستغفار لهم .

---

(١) انظر (زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن القيم (٣/ ١٦١) .

أما أن نجد الإعراض عن هدي الرسول ﷺ مع هؤلاء المنافقين فنجد هذه الموالاة وهذا الإقبال وهذه المودة ، وتلك المحبة ، وكل أنواع البشاشة والتطلف في القول والفعل ، بل في الهمسات والابتسامات للمنافقين أعداء الله وأعداء الدين . فتلك هي عين الموالاة المشئومة والحُب المحرم ، والإقبال المرفوض ، والود الملعون .

فهؤلاء لهم حكم المنافقين ولابد من مقاومتهم والغلظة عليهم وإعلان البراءة منه ، والعداوة لهم جميعًا ، موالاة للإسلام وللمسلمين ، وتقربًا لرب العالمين .

قال تعالى محثًا على الإعراض عنهم :-

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾(١) .

فليحذر هؤلاء الموالون لكل منافق من أن يكونوا على ملته ، ويبعثوا على دينه ، ويحشروا معه لقوله ﷺ في الحديث الصحيح : عن ابن مسعود رضي الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**المرء مع من أحب**» (٢) . وفي حديث آخر : «**أنت مع من أحببت**» (٣) .

---

(١) النساء : ٨١ .

(٢) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (علامات الحب في الله) . ورواه مسلم : كتاب (البر) باب (المرء مع من أحب) .

(٣) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (علامات الحب في الله) . ورواه مسلم : كتاب (البر) باب (المرء مع من أحب) .

٢- الصلاة عليهم وحضور جنائزهم :

إن المنافق لابد وأن يُلفظ من المجتمع ، وأن يُهجر عقابًا له على نفاقه فحينما يجد نفسه منبوذًا مهجوراً ، مَعْبُوسًا في وجهه ، مُعْرَضًا عنه فلعله يُفكر ، ولعله يرجع عن نفاقه ، ويعود للصف المسلم مرة أخرى .

فهذا منهج إصلاحي ، ومبدأ إسلامي في هجر أصحاب البدع والنفاق إعلانًا للبراءة منهم ، وتقويمًا لهم لعلهم يرجعون .

ومن صور الولاء للمنافقين التي عمت بها البلوى في المجتمع الإسلامي أن يُحتفى بالمنافق في حياته ، ويُبش في وجهه عند لقائه ، والثناء عليه في مجلسه ، بل والصلاة عليه عند موته ، وحضور جنازته بل والدعاء والاستغفار له .

رغم التحذير الرباني والنداء القرآني في النهي عن ذلك .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وللأمة من بعده :-

﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : **﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾**(٢) .

فيجب نبذ كل منافق ، والإعراض عنه ، وهجره ، حتى يُنقى المجتمع من

---

(١) التوبة : ٨٤ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

هذه الحثالة ، ومن هذا الوباء ، وكذلك لابد أن يعامل كل من والى المنافقين ومجدهم وعظمهم ومدحهم ، وقربهم إليه وتقرب منهم ، حتى يشعر المسلم بعزة هذا الدين وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن الذلة والمهانة والانكسار والمسكنة للكفار والمنافقين ، وحتى لا ينتشر النفاق وحتى لا يتحكم فينا المنافقون .

فإذا رأى الجاهل هذه الموالاة لهؤلاء المنافقين هان عنده أمر النفاق واستهان به ، واستقل أمره ، ولربما دعاه ذلك للتقرب للمنافقين ظنًا منه أن هذا ليس له علاقة بالدين ، بل هي ضرورة اجتماعية ، وعلاقات شخصية ، ومعاملات إنسانية ، ومتطلبات حضارية ، وأن ذلك من الأمور الدنيوية . ولا علاقة للدين بها ، ولا دخل للعقيدة فيها .

بل ربما دعاه ذلك إلى الاقتداء ببعض المنافقين والعمل بعملهم ، والقول بقولهم . لأن المجتمع لا يُنكر ، والعرف لا يتعارض ، والكل في اندماج ووحدة ، فلا ولاء ولا براء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيجب الانتباه ، وتوعية المسلمين وكشف المنافقين ، والتحذير من موالاتهم والرضى بفعلهم ، والسير على دربهم ، والبشاشة في وجوههم والحذر من مجالستهم ومخالطتهم ، حتى لا يقع علينا غضب من رب العالمين .

٣- اصطفاؤهم من دون المؤمنين :

إن من أنواع وصور الموالاة للمنافقين هو اصطفاؤهم من دون المؤمنين وتوليتهم المناصب ، وجعل زمام الأمور في أيديهم بحيث يتحكمون في عباد الله الموحدين ، فهذا مما يُغضب رب العالمين ، ويُسخط كل الغيورين على الدين .

فنرى كثيرًا من المدَّعين للإسلام لا يصادق إلاَّ هؤلاء المنافقين ، ولا يجالس إلاَّ هؤلاء المشككين في الإسلام والدين ، ويجعلون خاصة مجالسهم واجتماعاتهم وحفلاتهم ونواديهم من هذه الطبقة ومن هؤلاء الحثالة من المنافقين ويُبعدون عنهم كل مُوحد ، ويَنْفرون من كل صاحب عقيدة سليمة ، ويفرون من كل ملتزم بدين الله ، ويحذرون كل متبع لسُنَّة رسول الله ﷺ . فهم يألفون ويحبون كل صاحب بدعة ، ويسخطون على كل من دعا إلى سنة ، فتطمئن قلوبهم ، وتنشرح صدورهم برؤية الاختلاط بين الرجال والنساء ، وظهور العورات من الرجال والنساء ، ومشاهدة أصحاب البدع ، بل ومشاهدة أفلام الجنس الخبيثة والعياذ بالله ، وفي الوقت نفسه يسوؤهم أن يروا اللحية أو يلمحوا السواك أو يروا الثوب الأبيض ، أو يشموا رائحة المسك ، أو أن ينتشر الحجاب .

لأن هذه الأشياء تدل على السنة ، ومن تراث المسلمين ، وعلامة على التأخر والتمسك بالدين ، والرجوع إلى الصحراء والناقة والجمل ، إنهم يكرهون كل شيء له صلة بالدين ، أو يدعوهم للتمسك بسنة سيد المرسلين .

إن اصطفاء المنافقين من دون المؤمنين هو إعلان عن الولاء لهم ومحبتهم وودهم . وفي الوقت نفسه هو التصريح بالبراء والعداوة للمسلمين . فلا يجتمع في قلب مسلم واحد حب للبدعة وحب للسنة فهما ضدان ، ولا يجتمعان في قلب واحد فإمَّا الحب للبدعة ولموالاة الكفار والمنافقين ، وإمَّا الحب للسنة ، ولموالاة المؤمنين وعباد الله الموحدين .

- فهذا الاصطفاء وهذه المحبة ، وتلك المودة تدل على أن قلوبهم مريضة وأذواقهم سقيمة ، وطبائعهم غريبة ، وفطرتهم منكوسة ، وميولهم عدوانية ،

وأهدافهم تخريبية ، وأساليبهم غير شرعية .

وكما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1] .

فكما قيل [الطيور على أشكالها تقع] ، وكما قال الشاعر عدي بن زيد العباديّ:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

فما ركنوا إليهم وما اصطفوهم وقربوهم إلاَّ لمرض في قلوبهم ، وتشابه في أفكارهم ، واتحاد في نياتهم ، وموافقة على أعمالهم فوقعوا في حبائلهم ، وأصبحوا منهم ، ولهم حكمهم ، بل هم ركنهم الركين ؛ وحصنهم الأمين فلولا هؤلاء الموالون ما كان للمنافقين قائمة ، ولا استطاعوا أن يدسوا سمومهم ، ولا يبثوا أفكارهم ، وما نالوا من المسلمين مآربهم فهم الذين فتحوا لهم الأبواب ، ويسروا لهم السبل ، وأناروا لهم الطريق إلى الظلام وبئس المصير .

ومن هذ التيسيرات والسُبل التي منحها هؤلاء الموالون للمنافقين :

٤- توليتهم الولايات والمناصب :

إن العجب كل العجب أن نرى هؤلاء المنافقين يتولون الولايات والمناصب في كثير من البلدان الإسلامية التي يحكمها من يتسموا بأسماء المسلمين ويدَّعون أنهم حُماة الإسلام وحُرَّاس العقيدة فنرى هذا يمسك وزارة كذا وهذا وزارة كذا ، فمنهم الوزير ، ومنهم المحافظ ،ومنهم رؤساء الدوائر الحكومية ، والمصالح

(١) البقرة: ١٠ .

الرسمية ، فهم يُختاروا اختياراً ، ويصطفوا اصطفاءً ، بل إننا نراهم يمسكون ويتحكمون في أخص خصائص الدولة ، المالية ، والسياسية والاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، بل ويتحكمون ويسيطرون على علاقات بلادهم الخارجية . فهم الذين يوجهون سياسة الدولة ، وهم الذين يحددون العدو من الصاحب ، والغث من الثمين ، ومَنْ يُقَرب ومن يُبْعد ، حتى إن قيادات الجيوش منهم قد يقربون أصحاب الديانات الأخرى من النصارى وأصحاب الأفكار والمذاهب من الشيوعيين والماسونيين والعلمانيين ويقلدونهم المناصب ويجعلونهم من أقرب الأقربين لهم ، ويجعلون لهم سلطانًا على المؤمنين الموحدين من الذين لا حول لهم ولا قوة .

إن تولية هؤلاء المنافقين الولايات والمناصب هو أكبر دليل على موالاتهم وعلى بُغض الدين وأهلِه ، وحُب الباطل وأهله ، فليحذر هؤلاء الموالون وهؤلاء المنافقون من يوم قريب ، يفضحهم الله فيه ويكشف سرائرهم ويُمكِّن المؤمنين من رقابهم ، وحينئذ سيشفي الله صدور قوم مؤمنين ، وينتقم من كل المنافقين ، ومَنْ والاهم ومَنْ أيدهم ، ومَنْ قَرَّبهم ، وذب عنهم واصطفاهم من دون المؤمنين .

ألا يتوبون من قريب ؟ ألا يرجعون إلى الله تعالى ؟ ألا يقلعون عما هم فيه من الغي والضلال ، والنفاق والهلاك ؟ ألا يطرقون أبواب الرحمة والمغفرة ؟ ألا يتوبون قبل أن يندموا ولا تنفعهم الندامة ؟! ألا يصلحون ما بينهم وبين ربهم ، ويخصلون دينهم لله تعالى ويوالون الله ودينه ورسوله وعباده المؤمنين ، حتى يفوزوا برضا رب العالمين ، ويكونوا من أصحاب الجنة ومن المقربين ، وتُقر أعينهم بالفردوس وبعليين . والله عز وجل ينادي عليهم وعلى أمثالهم : ﴿قُلْ يَا

عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١) .

والنبي ﷺ يفتح أمامهم أبواب الرحمة والمغفرة ، ويؤملهم فيما عند الله من الفضل وسعة الرحمة فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» (٢) .

فهؤلاء جُرمهم كبير ، وعملهم خبيث ، وقولهم مشين ، والتوبة واجبة ، وأبواب الرحمة مفتوحة ، وسُبل المغفرة كثيرة ، ورحمة الله واسعة ، والعمر محدود ، والموت محتوم ، والسعيد من تاب ، والذكي من أناب ، والشقي من أعرض ، وللأرض أخلد ، ولن تُعاد الكرة ، وليس بعد الحياة من مستعتب ، وليس بعد الدنيا من دار ، إلاَّ الجنة أو النار .

ألا يتوبون من قريب ؟!!!

وأسوق هذه الآية لهؤلاء المنافقين ولمن والاهم لبيان مدى سعة رحمة الله تعالى وأنه يقبل التوبة من عباده مهما بلغت ذنوبهم ، ومهما عظمت خطاياهم وأن من صفاته سبحانه وتعالى [الغفور الرحيم] يغفر لمن تاب إليه وأناب ويرحم كل من رجع إليه واستقام .

قال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾**(٣) .

---

(١) الزمر : ٥٣ .

(٢) رواه مسلم كتاب (التوبة) باب (غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش) .

(٣) البروج: ١٠ .

فلننظر كيف أن هؤلاء المجرمين عذبوا عباد الله المؤمنين وحفروا لهم الأخاديد وحرّقوا عباد الله الموحدين ، ورغم ذلك فإن الله تعالى يفتح لهم باب التوبة على مصراعيه ، ويرغبهم في الرجوع إليه ، ولا ييأسهم من مغفرته ، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي لو تابوا لتاب الله عليهم فإن الإسلام والتوبة يجبان ما قبلهما ، إنه الإله العظيم ، إنه الإله الرحيم إنه رب العرش الكريم ، فلا عذر لمُصرٍ على المعصية ، ولا لمتكبر على التوبة ، ولا ليائس من رحمة الله تعالى . فالله عز وجل يُمهل ولا يهمل ، ولكنه جل شأنه إذا أخذ فلا يُفلت ، وإن أخذه لشديد ، أخذ عزيز مقتدر .

* * *

[المبحث الثاني]

﴿ تسليط المنافقين على مناهج التعليم ﴾

١ - الموالاة المشئومة .

٢- إنه لشيء يراد .

٣- من أقوال القس زويمر .

٤- رجال الصحوة في مجال التعليم .

٥- صعوبات على الطريق .

٦- مواقف في طريق الدعوة .

٧- أستاذة جامعية تحارب الحجاب .

٨- أولئك حزب الشيطان .

٩- لابد من الصبر والاحتساب .

المبحث الثاني
تسليطهم على مناهج التعليم :

إن من أكبر ما ابتليت به الأمة الإسلامية هو تسلط المنافقين على مناهج التعليم ، والتحكم فيها وتوجيهها الوجهة التي يريدونها والتي يستطيعون من خلالها ضرب الإسلام والمسلمين ، وتدمير الشباب المسلم ، وفقد المسلمين لهويتهم ، وفصلهم عن دينهم ، وإبعادهم عن قيم دينهم ومباديء إسلامهم .

إن الذين يوالون هؤلاء المنافقين ويمكنونهم من مثل هذه الولايات وهذه الدور ، وهذه الوزارات والمراكز التعليمية والتربوية ، إنهم لَيُسلِّمون المسلمين لأعدائهم ، ويضعون الأمانة في غير موضعها ، وجعلوا الذئب راعيًا ، وجعلوا الخصم قاضيًا .

إذ كيف يُوالون هؤلاء المنافقين ويقربونهم ، ويُمسكونهم زمام الأمور في أحس وأدق مراكز التربية والتعليم ، وإعداد النشء والأجيال ؟!!!

كيف يُفوض إليهم مهمة تعليم وتثقيف أبنائنا ؟!!

كيف نأمنهم على تدريس ديننا وسيرة رسولنا ﷺ وسلفنا الصالح ؟!!!

كيف نوكل إليهم إعداد المناهج والبرامج التعليمية في بلادنا ؟!!!

كيف نوكل إليهم تعريف أبنائنا بربنا وبديننا ؟!!!

الموالاة المشئومة :-

إنها الموالاة المشئومة للمنافقين وللكافرين ولأعداء الدين جميعًا . أن يُقرب هؤلاء المنافقون ويُسلَّموا زمام الأمور ، ويُترك لهم الحبل على الغارب يتصرفون في الأجيال المسلمة ، ويوجهونها حيثما شاءوا وكيفما أرادوا ، فيخرج لنا جيل لا يعرف ربه حق المعرفة ، جيل بينه وبين دينه غُربة ، جيل بينه وبين سنة نبيه ﷺ وحشة .

أي إسلام هذا الذي يدعيه هؤلاء الموالون ؟ ، وأي دين هذا الذي يدندنون به في كل حين وفي كل مناسبة ؟ أي استهزاء هذا الذي وقعوا فيه ؟!!!

أيسخرون من الله ؟ أم من الدين ؟ أم من المسلمين ؟ أم من عقولنا ؟

أيُنبذ المسلم المؤمن الموحد ، ويُقرب المنافق الظالم الفاسق ؟!!!

أنخوِّن الموحد صاحب السنّة ومتبع السلف ، ونستأمن المنافق الفاسق المجاهر بالبدع ؟ أي قسمة هذه ؟ إنها والله قسمة ضيزى !!!!

بماذا نحكم عليكم أيها الموالون ؟ بل احكموا أنتم على أنفسكم في عدل وإنصاف إذا كان هذا هو حالكم . [موالاة وحُبٌّ للمنافقين ، براءة وعداوة للمؤمنين الموحدين] . ماذا أنتم قائلون لرب العالمين حينما يسألكم عن هذا الدين ، وعن هذه الأمانة التي وكلتموها لغير أهلها من المنافقين ؟

والله لتُسألون عن كل كبيرة وصغيرة ، والله لتُسألن عن هذا الجيل الضائع، هذا الجيل الحائر ، الذي تربى على مناهج وبرامج الشرق والغرب ، وعُزل عن دينه وسنة رسوله ﷺ ، وعتِّم عليه سيرة سلفه الصالح ، ماذا أنتم قائلون لربكم غداً أيها الموالون ؟!! وهذه الآيات تقرع الأذان ليلاً ونهاراً تحذركم وتنذركم

حساب يوم عظيم : قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(١) .

فسوف تجدون الصغيرة مكتوبة ومسطرة قبل الكبيرة ، في عدل من الله غير مظلومين ، أم أنكم في شك من يوم الدين ؟ أو في ريب من لقاء رب العالمين؟ ألم تسمعوا قول ربكم : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ۝٤٧ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً﴾(٢) .

فلما خان هؤلاء الموالون الأمانة ووكلوا أمر التعليم ووضع مناهجه وبرامجه لهؤلاء المنافقين موالاة لهم ، وعداوة للمؤمنين . وَجَدَ هؤلاء المنافقون الفرصة أمامهم سانحة لكي يُعبروا عن عداوتهم للإسلام ، ولكي ينفذوا مخططاتهم ، وليبثوا أفكارهم ، وليقضوا على الإسلام والمسلمين وذلك كله في ثوب جميل ، مظهره رائع ، وشكله جذاب ، ومنظره بديع ، ويعرضونه بعبارات برَّاقة ، وبأساليب ساحرة ، ليخدعوا المسلمين ، وليفصلوهم عن دينهم ، ويدسوا لهم السم في العسل .

فيأتون بالمناهج والبرامج الاستعمارية ، التي أُعدت خصيصًا لنا بأيدي اليهود والنصارى ـ عليهم لعائن الله إلى يوم الدين ـ ونجد كما أسلفنا العبارات التي يُخدرون بها الشعوب المسلمة . منها : [أن هذه المناهج كفيلة بأن تجعلنا

(١) الكهف: ٤٩ .

(٢) الكهف: ٤٧ - ٤٨ .

على طريق الشرق والغرب] ، [وهي الخلاص من التخلف والجهل] ، [وهي درب النجاة] ، [واللحاق بالمدنية الغربية] ، [وهي الكفيلة بأن تجعلنا على قدم المساواة مع الشرق والغرب] .

وخدعوا الشعوب ،وخانوا الأمانة ، وضيعوا الأمة ، وعمَّت الظلمة ، وحلَّت الغُمة ، وعظُمت المصيبة ، والأمة ساهية ، والأمة لاهية ، والأمة غافلة ، والأمة ضائعة ، تائهة ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم .

فالمناهج علمانية ، والأهداف اشتراكية ، والأفكار إلحادية ، والميول ماسونية ، والأساليب غير إسلامية ، والمعاملات غير أخلاقية ، والخطط صهيونية إفرنجية ، والدعوات كفرية ، علاوة على بث الوطنية والقومية .

إنه لشيء يراد :

نعم إن هذا كله لم يأتِ خبطًا عشوائيًا ، وليس وليد الفجأة ولم يأتِ اعتباطًا ، بل أُعد له في خفاء ، وخُطط له في الظلام ، ونفذ بأيدي العملاء ، وبتخصيص الكفار والمنافقين بالولاء .

ليخرج علينا هذا الجيل المُحطم ، هذا الجيل الضائع الذي درس وعَلِمَ من العلمانية والاشتراكية ما لم يعلم عن دينه ، ودرس حياة الملاحدة والكفرة ولم يعلم عن رسول الله ﷺ حتى نَسَبَهُ ، شباب قدوتهم ليس خالد بن الوليد ، ولا سعد بن أبي وقاص ، ولا مصعب بن عمير ، ولا أسامة بن زيد ،ولا علي بن أبي طالب شباب قدوتهم هذا الممثل العالمي ، وقائدهم هذا اللاعب الشهير ، وإعجابهم بهذا المُغني المخنث الساقط اللعين ، شباب صُنع على أعين اليهود والنصارى ، وتفرنج في دقة وإحكام ، ليَفْصلُوه عن الدين ، وليبعدوه عن رب العالمين ، ولا يعرف له سلفًا ولا ماضيًا مشرقًا ، شباب إما علماني ، وإما

شيوعي ، وإما ماسوني ، وإما لا ديني .

وهذا الكلام ليس فيه افتراء ولا افتعال . بل هم أنفسهم اعترفوا به بل ويتفاخرون لأنهم وصلوا لمآربهم ، وحققوا خططهم .

فيقول في هذا المعنى [القس زويمر] عليه لعنة الله -

«لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة ، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي ، أو التي يحكمها المسيحيون حكمًا مباشرًا ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات [لا تجوز الإشارة إليها] ؟؟!!! الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولاً وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في الحياة الإنسانية كلها .

إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم إليه كل التمهيد «إخراج المسلم من الإسلام».

إنكم أعددتم نشئًا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي : جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء» (١)

---

(١) انظر كتاب (جذور البلاء) للأستاذ عبد الله التل ص (٢٧٦) نقلاً عن كتاب الولاء والبراء للشيخ محمد سعيد القحطاني . ويراجع هذا الموضوع في كتاب الولاء والبراء (٤٠٠ : ٤٠٤) ففيه كلام طيب ومفيد .

هؤلاء هم أعداء الله من اليهود ، والنصارى ، والكفار ، والملحدين ، والمنافقين ، ومن والاهم وساعدهم على تنفيذ خططهم ومدبراتهم .

إنهم يريدون : «إخراج المسلم من الإسلام» .

: «جيلاً لا يعرف الصلة بالله»

: «نشئًا لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل»

: «جيلاً يتعلم ويجمع ويعيش للشهوات»

كل ذلك من شؤم الولاء لهؤلاء الكفار والمنافقين . فأعطوهم الفرصة لينالوا من الإسلام والمسلمين ويفصلوا المسلم عن دينه ، ويفرغوا عقله من كل القيم ، ويجردوه من كل المبادىء والأخلاق الإسلامية ، [فمادة الدين] ليس لها من المكانة والقدر والاحترام ما لغيرها . بل لها كُتيب صغير جداً ويُخصص لها حصة واحدة في الأسبوع ، وتكون الحصة الأخيرة ـ وكثيرًا لا يَحْضُرها المدرس أو يصرف الطلاب ولا يأخذونها ـ وذلك ليغرس في قلب الطالب الاستهانة بهذه المادة وبهذا الدين ، ويُنزع التوقير والاحترام الذي في القلوب للدين ، وبعد ذلك كله ، يأتي الاختبار في هذه المادة في آخر أيام الاختبارات ، ويأتي الاختبار سهلاً وبسيطًا ، ويقوم أحد المدرسين بتغشيش الطلاب ، حتى يَسْهُل أمر هذه المادة وينتشر أنها مادة سهلة وبسيطة ، واختبارها سهل ، ولجنة الاختبار فيها سهلة ومتعاونة ـ كل ذلك حتى لا يكلف الطالب نفسه بمذاكرة هذا الكتيب الصغير وقراءة ما فيه ، من كليمات صغيرة وخاصة ولا تُعلم دينًا ، ولا تُولّد موالاة ، ولا تبني أفكارًا ، ولا تُعدّ مسلمًا ، ولا تُخرّج رجالاً . ثم بعد ذلك يُعْلن أن مادة الدين لا تدخل في المجموع الكُلي ، ولا تؤثر على نجاح

الطالب أو رسوبه . وتأتي الطامة الكبرى ، فيطلع علينا وزير التربية والتعليم في إحدى البلاد الإسلامية بقرار وزاري بمنع الانتقاب في المدارس والجامعات (غطاء الوجه للمرأة) ثم بعد ذلك يتجرأ ويقول بمنع الحجاب كلية ويفرض على الطالبة المسلمة لبس ما يسمى البلوزا والجيبة لتظهر عنقها وساقيها وهذه المدنية وهذا هو الدين إيا الله على مكرهم وحقدهم ، وتدبيرهم وكيدهم للإسلام والمسلمين ولكن هيهات لهم هيهات . أن ينالوا مآربهم أو يحققوا ما في صدورهم فإن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

إن الله قيَّد لهذا الدين رجالاً باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رجالاً يدافعون عن هذا الدين بأرواحهم وأموالهم وبكل غال ورخيص ، رجالاً مصممين على إعلاء كلمة الدين ، وعلى إعزاز دين الله رغم أنف الجاحدين ، رجالاً يحملون أرواحهم على أكفهم ، يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وبفكرهم ، وبلسانهم وبأقلامهم ، يُعرّون الباطل وأهله ويكشفون المنافقين وأعوانهم ، ويُبيّنون الدين وقيمه ، ويعرِّفون الناس بربهم ، وينشئونهم على التوحيد ، والإخلاص لله رب العالمين وهذه الصحوة التي نعيشها الآن في القرن العشرين خير دليل على ما نقول وما نُؤمِل . فإن العاقبة للمتقين ، والهلاك والدمار للكفار والمنافقين وسوف يأتي اليوم الذي يُستأصل فيه كل منافق ويُبعد كل موالٍ له ويوكل الأمر لأهله ويُعد المسلم الرباني الذي تُقرّ به العيون ، وتثلج به الصدور ، ويُعز به الدين ، وتُرفع به الراية ، ويُفصل به بين [جنود الرحمن وجنود الشيطان] ويُميّز به بين [حزب الله وحزب الشيطان] ، ألا إن حزب الله هم الغالبون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين .

رجال الصحوة في مجال التعليم :

ومما يُسَرُّ به المسلم ، وينشرح به الصدر وتسعد له النفس ، ويطمئن له القلب ، أننا نجد شباب ورجال الصحوة يغزون مجالات التربية والتعليم في معظم البلدان الإسلامية ، بروح عالية ، وهمة فائقة ، وتصميم أكيد ، وعزم متين ، على إكمال المسيرة ونشر الفضيلة ، وتعميم السنة ، ومحق البدعة ، وإعلاء الدين ورفع الراية ، وتوعية الأمة ، ومحو الظلمة ، وكشف الغمة ، بعقيدة صافية ، وقدم راسخة ، وقلوب مطمئنة ، وحُجة حاضرة ، وهمة عالية ، عن فقه ووعي ، وفكر ومنهج ، وثبات وإقدام ، محتسبين الأجر ، راجين المثوبة من الله عز وجل ، ينشدون الفضيلة ، ويدعون إلى العفاف ، يُعرِّفون الأجيال بربهم ، ويُمسكونهم بسنة رسولهم ﷺ ، يُنيرون للناس الطريق ، ويُهيئون الأجيال الناشئة لحمل الراية ، راية الجهاد ، ولرفع اللواء ، لواء [لا إله إلا الله محمد رسول الله] ، يُعدِّون جيلاً ربانيًا ، القرآن منهجه ، والسنة طريقته ، والإسلام دينه ، والعزة عنوانه ، والكرامة شيمته ، ورضا الله بغيته ، والجنة هدفه ، والموت في سبيل الله أسمى أمانيه .

الله أكبر . الله أكبر . فالخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة ، والله يدافع عن دينه وعن عباده المؤمنين ، والغلبة للإسلام ، والعزة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين والذلة والعار والمسكنة على الكافرين والمنافقين .

إننا لنسعد أيما سعادة حينما نجد هذا المنظر في مجتمعاتنا وبين إخواننا ، حينما نرى هذا المعلم الذي يقف ليعلم أبناءنا وإخواننا . هذا المعلم صاحب السمت المحمدي ، هذا المعلم ذو اللحية ، وصاحب السواك ، قصير الثوب ، طيب الرائحة ، مبتسم الوجه ، مُبَشّر بالخير ، مُؤمل في النجاة ، مُطبق للسنة ،

مُحارب للبدعة ، حافظ لكتاب الله ، داعٍ للهدى ، مرشد للفضيلة ، حاث على الأخلاق الحميدة ، محذر من المعصية والرذيلة .

[موقف]

ولقد حدثني أخ لي في الله أنه قابل أخًا معلمًا راجعًا من المدرسة وفي طريقه للمنزل ولاحظ على وجهه الفرحة والسرور ، والبشر والابتهاج ، فقال له ما الذي أسرَّك وأدخل عليك كل هذه الفرحة ؟

فقال له الأخ المعلم : إنني اليوم في منتهى السعادة ، إن اليوم هو يوم الاثنين . وأنا اليوم ولله الحمد صائم لله تطوعًا .

فقال له صاحبه : وهذا الذي أدخل عليك كل هذا الفرح والسرور ؟

فقال له المعلم الفاضل رحمه الله(١) :- إن الذي زاد فرحتي أن كل الطلاب عندي في الفصل كانوا صائمين أيضًا تنفلاً لله تعالى واقتداءً بسنة النبي ﷺ .

الله أكبر ، هكذا تكون الريادة ، وهكذا تكون التربية ، وهكذا يُعدُ النشء ، وتُربى الأجيال ، هؤلاء هم معلمو الناس الخير ، هؤلاء هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هؤلاء هم أهل الأمانة ، وحماة الإسلام ، وحراس العقيدة ، وأمل الأمة .

هؤلاء هم الجديرون بتحمل الأمانة ، وإعداد النشء ، وتربية الأجيال ، وبناء الأمم ، وإنارة الطريق ، وكشف الغمة ، ومحو الظلمة ، وتبليغ الأمانة ،

---

(١) لقد توفي هذا الأخ المعلم الفاضل الكريم : بحريق أصابه وذلك في شبابه رحمة الله عليه ونحسبه شهيدًا ولا نزكي على الله أحدًا بعدما ربى إخوة كرامًا تعلموا منه الكثير ، ومنهم الدعاة الآن فجزاه الله خير الجزاء ورحمه رحمة واسعة .

وتوحيد الصف ولَمُّ الشمل ، وإعلاء الدين ، وإظهار الحق ، ومحق الباطل ، وإعادة الخلافة الإسلامية المفقودة والمنشودة .

- وهذا معلم آخر يتقدم الفصل ويأخذ طلابه إلى المسجد صفًا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص ، ويقف معهم في وضوئهم يرشدهم ويعلمهم في حب ولطف ولين كما قال تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] متقربًا إليهم ، خافضًا لهم جناحه . ثم يقودهم إلى الصلاة . ويأمهم في نظام وخشوع، ووقار وإجلال ، ليخرِّج لنا جيلاً انطلاقاتهم من المسجد ، أرواحهم معلقة ببيوت الله ، تربَّوا على مائدة الرحمن ، ونهلوا من معين سيد الأنبياء ، محمد بن عبد الله ﷺ.

- وهذا معلم ثالث يستخدم هذا التعليم ، وهذا المكان المؤثر لتعريف الطالب المسلم على سنة الرسول ﷺ والتمسك بها .

فيُسخِّر هذا المعلم الفاضل مبدأ [الثواب والعقاب] الذي هو مبدأ إسلامي تعليمي تربوي لنشر دعوته الإسلامية الإصلاحية ، فعندما يُحسن طالب في الإجابة أو يُحضر واجبه صحيحًا وفي موعده . يستعمل معه هذا المعلم ألفاظًا إسلامية تُرسِّخ في ذهن الطالب مفاهيم طيبة ، وعادات حميدة ، وتوثق العلاقة بينه وبين دينه الحنيف . فيقول هذا المعلم لذلك الطالب [بارك الله فيك] وللآخر [جزاك الله خيراً] والثالث [حفظك الله] والرابع [جعلكم الله زخراً للإسلام وللمسلمين] ، والخامس [جعلك الله قرة عين لوالديك] . . . . إلخ

فكل هذه الكلمات لها واقع مؤثر على قلب الطالب ، ومؤثر فعال على سلوكه فسوف تكون هذه الكلمات دائمًا على لسانه ، ويتعامل بها مع الآخرين .

---

(١) المائدة: ٥٤ .

وذلك بخلاف تلك العبارات التي يستعملها بعض المدرسين التي لها الطابع السيىء على الطلاب ومسخ روح الإسلام عندهم ـ مثل [برافو ـ فرى جود ـ جود لك ـ سوري. . .] وغيرها من العبارات المستوردة الدخيلة علينا التي لا تخلو من أن تكون نوعًا من الولاء للكفار والمشركين .

وأسلوب آخر من أساليب [الثواب والعقاب] في التعامل مع الطلاب المسلمين وفي مراحل إعدادهم وهو أسلوب [الإهداء] فحينما يُحسن طالب نجد هذا المعلم المربي صاحب المنهج الإسلامي ، والفكر المحمدي يهدي له مثلاً [مسواكًا] ليربطه بسنة النبي ﷺ فهو الذي أخبر أن هذا المسواك مطهرة للفم مرضاة للرب .

ومع طالب آخر يهدي له كتيبًا صغيراً لكي يتعلم أمور دينه ، ويُغنيه عن القصص الساقطة للكتّاب الساقطين التي تهدم الدين وتجرح العقيدة .

ومع طالب آخر يهدي له شريطًا إسلاميًا مُسجلاً عليه خطبة أو درس ، أو محاضرة لعالم من العلماء ، أو داعيه من الدعاة إلى الله تعالى ، ليوسع مدارك الطالب وليفقهه في دينه ، ويعلمه أحكام إسلامه ، وفي ذلك نشر للدين ودعوة للفضيلة ، وحث على مكارم الأخلاق ، ومحاربة للبدع والخرافات ، والضلال والانحراف ، ويكون هذا الشريط عوضًا للطلاب وبديلاً عن شرائط الأغاني والموسيقة واللهو وعن سماع ومشاهدة الأفلام والمسلسلات التي تُميت القلوب وتقتل الحياء ، وتذبح الأخلاق ، وتقضي على الفضيلة .

صعوبات على الطريق : -

لا يظن البعض أن الطريق سهل ، وأن الأمر هين ، وأننا سنجد الطريق مفروشًا بالورود ، وأن كل الناس سوف يكونون لنا أعوانا على الخير وعلى إكمال

المسيرة ، فالأمر جد صعب ، الأمر جد خطير ، وأعداء الله كثيرون ، وحزب الشيطان متيقظ ، وحلفاء الشر مجتمعون ، يفكرون ويخططون ، ويكيدون لنا كيدًا .

فإننا حينما نبني نجد في المقابل من يهدم ، حينما ندعو للإسلام ، هناك من يدعو للكفر والشرك والبدع ، حينما ندعو لكل فضيلة ، نجد من يدعو للرذيلة ، حينما ندعو للطهارة نجد من يدعو للنجاسة والخنوثة والدياثة ، حينما ندعو لحزب الرحمن ، نجد من يدعو لحزب الشيطان . وهذه الصعوبات قد يقابلها الطالب ، والطالبة ، والمعلم ، والمعلمة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما الطلاب :-

فهذا معلم من حزب الشيطان يسخر من طالب لأنه قصر ثوبه اتباعًا لسنة النبي ﷺ . وذلك بأحرج العبارات ، وبأردء التعبيرات ، وفي سخرية لاذعة ومعلم آخر يتسهزيء وينكر على طالب أعفى لحيته اقتداء بالرسول ﷺ ويتهكم عليه بأسوء العبارات التي تخرجه من الدين كلية وترده عن الإسلام [إن كان مسلمًا!!!] :

مثل [هذه وساخة] أو [خذ مني جنيهًا أو دينارًا واذهب واحلق هذه اللحية السوداء] أو [إن منظرك بهذه اللحية مثل الشيطان] . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرست ألسنتهم بما قالوا . ولعنوا حيثما كانوا ، وعليهم من الله غضب إلى يوم الدين [إلاَّ من تاب وأناب] .

- وتكون الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى إذا أراد الطالب أن يستأذن من المعلم ليقوم ليصلي الفريضة حيثما يدخل وقتها ، [ولربما تمتد المحاضرة مثلاً حتى يدخل وقت الفريضة التي تليها . .] فلا يُسمح للطالب ، علاوة على

السخرية اللاذعة التي يلقاها ، وفضلاً عن العبارات التي تتساقط عليه ، والنظرات التي يُرمى بها ، وكأنه والعياذ بالله أراد أن يشرك بالله أو دعا إلى فاحشة ، أو أمر بضلال . . .

ويُخيَّر الطالب بعد كل هذه الإهانات بين أن يخرج من المحاضرة ويشطب اسمه من الحضور ويخرج بلا عودة ، أو يمكث ويستمر في المحاضرة ويترك فريضة الله تعالى .

والله عز وجل يقول : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾[1] - وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾[2] .

أما الطالبات :

فَيُضَيَّق عليهن أشد ما يكون ، وتُجرح مشاعرهن كثيراً ، ويؤذين بالعبارات والنظرات ، فيُسخر من الحجاب ومن كل فتاة ارتدت هذا الزي الإسلامي ، ويُوبخن ويطردن من الحصص والمحاضرات وتُخصم منهن الدرجات ، ويُنصب لهن العداء ، لكي ترجع هذه الفتاة المسلمة عن عفافها ، وتنخلع من حيائها ، وتنسلخ من دينها .

وتُجبر الفتاة المسلمة أن تخلع لا حجابها فقط ، بل ملابسها وترتدي [فانلة وشورت] لكي تحضر حصة التربية الرياضية . وقد يكون في المدرسة مدرسون رجال . يدخلون عليهن ويمرون عليهن ، بل ربما جلس بعضهم ليشاهد البنات

(١) الكهف: ٢٨ .

(٢) آل عمران: ١٤٩ .

البالغات وهن يلعبن الكرة والسلة وغيرها وهن يرتدين الزي السالف الذكر . بل ربما كان مدرس التربية الرياضية في مدرسة البنات [الإعدادية والثانوية] مدرسًا (رجلاً) . ولو أبت الفتاة المسلمة أن تخلع زي الحياء والعفاف رُجِمَتْ بالألفاظ النابية ، ولُطِّخت بالعبارات الجارحة . وقد تضرب . ويُستدعى ولي الأمر لكي يحمل ابنته على ذلك وإلاَّ يأخذ ملفها معه وينصرف بها مفصولة مطرودة .

- والمصيبة تكون أشد حينما نجد من بين هؤلاء المعلمات المعلمة النصرانية التي تتحكم وتتهكم على الفتيات المسلمات صاحبات زي الطهر والعفاف ، ويصل الأمر إلى التحدي لكل فتاة بدت منها مصيبة التدين ، وخطر الالتزام ؟!!!

- وتأتي قاسمة الظهر . حينما يعلن وزير التربية والتعليم في إحدى البلاد التي تُشهر الإسلام ويتغنى ولاة أمرها بأنهم حماة الإسلام وبلد العلم والإيمان . ويخرج علينا بقرار وزاري ويوافق عليه مجلس الشعب [وهو ليس مجلس الشعب بل خائن الشعب] بمنع ارتداء الحجاب في المدارس ويُفرض على الطالبات زيًا موحدًا وهو [بلوزا وجيبة] : أو[بنطلون جنس وبلوزا] ـ المهم عندهم ألا يروا الحجاب ، وألاَّ يلمحوا العفاف وأن يقضوا على الطهر والحياء .

إنهم يريدون الفتاة تكشف عن شعرها ، وتظهر عنقها وجزءًا من صدرها ، وأن تَعْرِض ساقيها وذلك لإكمال المسيرة التي رسموها ـ مسيرة الغي والضلال ، والفسق والعصيان ، وموالاة الكفرة والشيطان ، ومحاربة ومعاداة حزب الرحمن.

ويَتْبع القرار قرار وقرار ـ ومن هذه القرارات قرار بمنع الانتقاب [غطاء وجه المرأة] على مستوى المدارس والجامعات والدوائر الحكومية جمعاء . وذلك

للنساء ، وأما الرجال فيمنع ارتداء الثوب [الجلبية] • ومن أصر علي ذلك يُنذَرُ ثم يُفصل فصلاً نهائياً •

ماذا يراد بالفتاة المسلمة ؟!!!

ماذا يراد بهذه الفتاة المسلمة ، ريحانة الحاضر ، وأم المستقبل ، التي تُعدّ الشعوب ، وتُربي الأجيال ، صانعة الأبطال ، رمز الحياء ، وعنوان العفة ، ومجمع الشّرف ، زيَّنها الإسلام بالحياء ، وصانها عن الابتذال وحفظها من الامتهان ، وحرَّم عليها السفور الاختلاط ،

لماذا يريدون تدمير هؤلاء القوارير ؟!!!

لماذا يحرصون على انتهاك سترهن ؟!!!

لماذا يُصرون على القضاء على حيائهن ؟!!!

إنهاء الخطة المدروسة ، والمؤامرة اللعينة ، والآيادي الملوثة ، والتقاء شياطين الأنس بشياطين الجن على مائدة الفسق والعصيان ، والعربدة والضلال ، والزيغ عن منهج الرحمن ، في غياب الدين ، والتجرد من الضمير والإحساس والشعور ، وفي بوتقة العلمانية ، وتحت شعار الاشتراكية ، ورفرفة اليهودية والنصرانية ، والأمة الإسلامية ساهية ، والأمة لاهية ، والأمة مُخدرة ، تخبط خبط عشواء ، أسلمت زمامها لعدوها ، وسلطت المنافقين علي أحسنَّ دورها ، وذابت شخصيتها ، ومات ضميرها ، دمها ينزف ، وجرحها يتسع ، وكاد قلبها يتوقف ، وأظلها الموت ، وحام عليها الهلاك ، كل ذلك في غياب المنهج الرباني ، والبعد عن الشريعة الغراء ، وجفاء سنة النبي العدنان ﷺ.

إن أعداء الإسلام يعلمون علم اليقين أن المرأة هي أشد سلاح وأقوى سلاح تُحارب به الأمم • فإذا استطاعوا أن يُخرجوا المرأة من خدرها ، وأن يجردوها من حيائها ، استطاعوا أن يتمكنوا من أي أمة وأن يدمروها مهما بلغت من التقدم والرقي ، ومن العلم والغنى ، فإن المرأة سلاح ذو حدين ، فإن صلحت صلح المجتمع كله ، وإن فسدت فسد المجتمع كله ، ولذلك حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء وفتنة النساء

قائلاً : « ماتركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»[١]

وفي رواية أخرى : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[٢]

وقال تعالى عن كيد الشيطان:﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾[٣]

وقال عن كيد النساء : ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾[٤]

فهم يريدون القضاء علي الأمة الإسلامية وأن يطعنونها في مقتل ، ويطمعون في استخدام المرأة المسلمة وسيلة لمحاربة هذا الدين ، ولطمس معالمه ، وللتمكن من رقاب أتباعه ، ولذلك يحاولون خداع هذه الفتاة المسلمة ، ،هذه المرأة العفيفة بهذه الشعارات الكاذبة ، الخدَّاعة ، المخدِّرة ، فتارة يقولون « الحرية الشخصية » ، وأخرى يقولون « حرية المرأة » ، وثالثة يقولون « مساواة المرأة بالرجل » ورابعة « المرأة نصف المجتمع » ،وخامسة « تحرير المرأة » .

فأي حرية هذه ؟!! ، وأي تحرير هذا أيها العبيد ؟!! ، ياعبيد الدنيا ، ياعبيد الشهوات ، ياعبيد الشيطان ، أتريدون أن تحرروا المرأة من دينها ومن شرفها ومن حيائها ومن عفتها ،

أتريدون أن ترفض المرأة المسلمة عبوديتها لله تعالى ، وتسقط في عبادة الشيطان ، وتغرق في عبادة الشهوات ؟!!!

إن المرأة المسلمة تعلم علم اليقين أن الإسلام هو الذي حررها من عبودية البشر واستعباد المخلوق ، وأن الإسلام هو الذي أعطى للمرأة كيانها وردَّ لها كرامتها ، فجعل لها الرأي والمشورة ، وجعل لها حق التملك ، وجعلها ترثُ ، وجعلها مكلفة كالرجل ،

(١) رواه مسلم كتاب (الرقاق) باب (أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء)
(٢) رواه مسلم كتاب (الرقاق) باب (أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء)
(٣) النساء (٧٦) (٤) يوسف (٢٨)

ووعـدها بالأجـر والثـواب مـثل الرجل ، وهي شـريكة الرجل في الجنة ، قـال تعالى ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾ (١)

فإن هذه هي الحرية يادعاة الفسق والضلال وهذا هو التحرر يادعاة الحرية الكاذبة والتحرر الخدَّاع ٠

أما ماتدعون إليه هو الضلال والهلاك ، وعبودية الشيطان ، وحب الفاحشة ، والله عزوجل يتوعدكم جميعاً من كفار ومنافقين ، ومن مؤيدين بقوله تعالى ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا لهم عذاب أليم في الدنياوالأخرة** ﴾ ٠ (٢)

فالله عزوجل يحذركم وينذركم فاتقوا الله في الاسلام وفي المسلمين ، وعودوا من قـريب ٠ من قـبل أن يأتي يوم لاينفع فـيـه مـال ولابنون ، ولاكـرسي ولامنصب ، ولاقـرش ولاعرش ، يوم تعرضون على الله تعـالى لاتخفى منكم خافيـة فإن دين الله لايُحـارب ، وشـرع اللـه لايُضـاهى ، واللـه غـالـب عـلى أمـره ولكن أكثـر الناس لايعلمون ٠

فيجب على الأمة الإسلامية أن توكل الأمانة لأهلها ، فلاتمكِّن من مناهج التعليم إلاالمـؤمنين الأتقيـاء ، ولايُسلط على دور التعليم إلا الأمناء والمصلحون ، وأن تكون المناهج إسلامية ، مجردة من العلمانية والإشتراكية ، والفسوق والإنحلالية ، لابد أن يُوضع الرجل المناسب في المكان المناسب ٠ وخاصة في دور الإعلام ، ومعاقل التربية والتعليم ٠ لابد من إعلان عقيدة (الولاء والبراء) في هذه الدُور وهذه المعاقل التعليمية والتربوية ٠

فمتى تقر أعيننا ، وتُثلج صدورنا ، وتُسرُّ أنفسنا ، حينما نرى المجال يُفسح لكل مسلمة عفيفة محتشمة وقورة ، وتصفدُّ الأبواب أمام كل متبرجة سافرة ، يوم يُحترم الدين

(١) آل عمران (١٩٥)
(٢) النور (١٩)

وأتباعه ، ويُحتقر الفسق وأهله ، يوم يُعز أهل الطاعة ويُذل أهل المعصية ويوم نرى المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية كلها مناهج إسلامية ، خالية من العلمانية والوجودية والإلحادية ، يوم تكون دور التربية والتعليم مصدراً من مصادر إعداد المسلم إعداداً إسلامياً ، وتُخرِّج لنا أجيالا تربوا تربية صحيحة • على منهج الله ، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعسى أن يكون قريباً •

أختي المسلمة الثبي على الحق :-

أختي المسلمة أوصيكي ونفسي بتقوى الله تعالى والثبات على الحق ، مهما لاقيتي من الصعوبات ومن الابتلاء ، تمسكي بالحياء ، وتزيني بالوقار ، وارفعي شعار العفة والإلتزام ، وعضي على الحجاب بالنواجذ والأنياب ، وكوني فتاة الشرف والكرامة ، وإياكي أن تقبلي الابتذال والإهانة ، وكوني فتاة ربانية ، تأبى الركوع والسجود إلا لرب العالمين ، ولاتطيعي أتباع الشياطين ، وأحفاد القردة والخنازير •

وأسوق اليك اختاه هذه القصة لتكون لكي سلوى في الإبتلاء ، وثباتاً على الحق عند الاختبار •

قال الله تعالى ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذقالت رب ابني لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين** ﴾ (١)

قال الإمام القرطبي رحمه الله :

قال يحي بن سلام :

ضرب الله مثلاً بإمرأة فرعون ومريم بنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين •

وقيل : هذا حث للمؤمنين علي الصبر في الشدة ، أي لاتكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون •

(١) التحريم (١١)

قال أبو العالية :

اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ماتعلمون في آسية بنت مزاحم فأثنوا عليها • فقال لهم : إنها تعبد رباً غيري •

فقالوا له : اقتلها • فأوتد لها أوتاداً وشدّ يديها ورجليها فقالت : « رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة » ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة •

فقال فرعون : ألاتعجبون من جنونها !! إنا نعذبها وهي تضحك • فقبض روحها•

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه :-

كانت تعذب بالشمس ، فإذا أذاها حرّ الشمس اظلتها الملائكة بأجنحتها •

وقيل : سمَّر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رحى فأطلعها الله حتى رأت مكانها في الجنة • وقيل أنه من درةٍ» (١)

وقال الاستاذ /سيد قطب رحمه الله :

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مَثَلٌ للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره • فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ• في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ماتشتهي •• ولكنها استعلت على هذا بالإيمان • ولم تُعرض عن هذا العرض فحسب ، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه ، وتتفلت عن عقابيله ، وتطلب النجاة منه !

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية •• وهذا فضل آخر عظيم • فالمرأة ـ كما أسلفنا ـ أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته • ولكن هذه المرأة •• وحدها •• في وسط ضغط المجتمع ، وضغط القصر ، وضغط الملك ، وضغط الحاشية ، والمقام الملوكي في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء •• وحدها في خضم هذا الكفر الطاغي !

---

(١) انظر تفسير الامام القرطبي [١٨/ ١٣٢] وتفسير ابن كثير [٤/ ٢٨٠] سورة التحريم آية ١١

وهي نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر ، وكل هذه المعوقات ، وكل هذه الهواتف • ومن ثم استحقت هذه الاشارة في كتاب الله الخالد • الذي تتردد كلماته في جنبات الكون وهي تتنزل من الملأ الأعلى • (١)

أما المعلم :

فهم يعلمون أنه أصل الداء ، وهو بيت القصيد ، وهو الذي نشر الوباء ، وشق عصا الطاعة ، فهو الذي ربىٰ ، وهو الذي علّم ، وهو صاحب الفكر ، وهو مرشد الطريق ، هو الذي اقتحم الحصن ، وأخرج أبناء المسلمين من ظلمات الجهل والاتباع الأعمى ، إلى نور الإسلام ، واتباع سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم •

إنه المعلم الذي خرّج الطبيب المسلم الواعي ، وخرّج المهندس المسلم صاحب الفكر السليم والعقل الرشيد ، وخرّج الضابط صاحب العقيدة الصافية ، والهمة العالية ، وخرّج المفكر الإسلامي،ومحارب البدعة وناصر السنة ، والسياسي المسلم المحنك ، والاقتصادي المحمدي المتَّبع •

إنه شبه انقلاب فكري عقائدي ، إنه خطرعظيم ، وهلاك مؤكد ، وضياع محتوم لابد من محاكمة هذا [المعلم) لابد من اعتقاله ، لابد من الحجر عليه وعلى فكره ، ولابد من عزله ، وعدم التخلية بينه وبين هذا النشء وهذا الجيل ، لانه سيقلب كل الموازين ، إنه سيساوي بين السيد والعبيد [من وجهة نظرهم الوضعية] إنه سينادي بشرع الله ، إنه سيطالب بالعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم إنه خطر الفناء •

---

١) تفسير في ظلال القرآن للاستاذ / سيد قطب سورة التحريم آية رقم (١١) [٦/ ٣٦٢٢]

لابد من موقف ، لابد من حل سريع ، لابد من إيقاف هذا الشبح الذي يهدد كل السادة والزعماء ، وكل الوجهاء والعظماء ، لابد من التدخل السريع ومحاكمة كل من له صلة بهذه الظاهرة غير الصحية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[(١)] .

وتأتي المضايقات والصعوبات لهذا المعلم المسلم ، صاحب الفكر السليم، والعقيدة الصحيحة ، والعقل المستنير ، والحجة الحاضرة ، والبرهان الساطع ، والدليل القاطع ، المحب للسنة ، المحارب للبدعة ، الموالي لله وللرسول ﷺ وللمؤمنين ، المعادي للكفار والمشركين والمنافقين وأصحاب البدع والضلال أجمعين فيتدخلون في زيه ، فيمنع من لبس أي زي له صلة بالدين ، أما إذا كان زيًا يشبه زي اليهود والنصارى فلا بأس ولا حرج بل هذا هو المطلوب .

ويُضيق عليه في العمل من رئيسه ومديره بل من بعض زملائه ، تضيق متعمد وتشديد مقصود . حتى يرجع عن دينه ، أو يترك فكره ، أو يعلن توبته. . . . . يُخصم من راتبه ، يُحوَّل للتحقيق للكبيرة والصغيرة ، وبسبب وبغير سبب يُوقف عن العمل أيامًا وأيامًا . ويُحذَّر من الكلام مع الطلاب بأي كلام ، ويوضع عليه الجواسيس والمراقبون ، بل يراقب في كل لحظة وترصد عليه كل أعماله وحركاته وأقواله بل همساته وسكناته .

وأخيرًا إنه الإبعاد عن مجال التربية والتعليم ، وإعداد النشء . حتى أصبح الأمر شبه معتاد أن كل صاحب لحية ، وكل صاحب دعوة إسلامية يُحوَّل إلى عمل إداري . بل ليس في المدرسة نفسها ، حتى لا يراه الطلاب وتنتشر العدوى [فهم يريدون القضاء على كل ما هو إسلامي] فإنه يحوَّل إلى عمل إداري في

---

(١) البروج : ٨ .

الإدارات العامة ، وكأنه [ملف] قد وضع على الرف . وإذا اعترض هذا المعلم الفاضل ، وغار على دينه وحنَّ إلى دعوته فلا خيار فإما السكوت والرضا والرضوخ وإما الفصل والطرد بلا رجعة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما المعلم الآخر : «**حزب الشيطان**» وفي وسط هذا التضييق المستمر ، والمضايقات الزائدة ، والحرب الشعواء ، على كل مُعلم ملتزم بالشرع ، وداع إلى السنة ، ومحارب للبدعة ومِوالٍ لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومعاد للكفار والمنافقين نجد في المقابل يُفسح المجال لكل معلم موالٍ للكفار والمنافقين ، ومعادٍ لله وللدين ، محارب للسنة ، ناشر للبدعة ، مجاهر بالمعصية ، معادٍ للفضيلة مُبغض للقيم والمباديء القويمة ، محب للرذيلة .

فنرى هذا الصنف من المعلمين ، ليس عنده أمانة في تربية هذا النشء ، وإعداد الأجيال ، وبناء الأمة ، وتشييد الحضارة ، فنراه في زيه مشابهًا لليهود والنصارى ، بل في قصة شعره فهو مقلد للاعب كرة ، أو ممثل معروف ، أو مغنٍ مشهور .

يلبس السلسلة في صدره ، ويلعق اللبان في فمه ، وأسورة في يده ، [التي هي من زينة النساء] وفي يده دائمًا علبة الدخان .

أما كلامه وسلوكه فكله ميوعة وخنوثة ، ويستعمل ألفاظًا ينكرها الشرع والعُرف ، ولربما تبادل الدخان مع الطلبة ، ويكون بذلك مدرسًا متحضرًا ومتمدنًا ، وأما ألفاظه فكلها مستوردة فإذا أراد الاعتذار قال «سوري» وإذا أراد الثناء قال «برافو» أو «فري جود» وإذا أراد الشكر قال : «ثانك يو» وإذا أراد أن يُكافيء طالبًا ربما أهدى له شريطًا موسيقيًا أو شريطًا لمغنٍ مشهور ، أو آخر أغنية في السوق .

وإذا أراد أن يتقرب إلى الطلاب ربما تبادل معهم أشرطة الفيديو ولربما

اصطحبهم في رحلة إما مدرسية أو غير مدرسية إلى أماكن اللهو والاختلاط ومعصية الرحمن .

وإذا ظهر طالب عنده ميول دينية ، أو مُحب للسنة ، أو ظهرت على وجهه علامات السنة فلوحظ باللحية تتسرب إلى وجهه ، أو ضُبط متلبسًا بالسواك ، أو دخل المسجد لأداء صلاة الضحى أو أداة الفريضة فالويل له كل الويل وتأتيه السخرية من كل مكان ويكون مُحَاربًا ومنبوذًا ويحاول الجميع النيل منه ، والتضييق عليه حتى يعود إلى رشده مرة ثانية ويستقيم في هذا الصف المنحل ، وينضم إلى هذا الطابور الإبليسي ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾(١) .

ومن هذه المضايقات والتطاول على كل من يريد التمسك بالدين أو بالسُنة من قِبَل هيئات التدريس في المدارس والجامعات ما يلي :-

« أستاذة جامعية » **تحارب الحجاب**:-

أستاذة جامعية تحارب الحجاب

فلقد عملت أستاذة في الجامعة لتربي الأجيال ولكن على أي شيء يا تُرى؟ سألَتْها ذات مرة الصحفية الفرنسية «كاتي برين» التي زارت مصر خصيصًا لإجراء حوار مع هذه السيدة المرموقة وكان مما سألت : «انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر ، فما رأي السيدة «- - -» في تلك الظاهرة » ؟

فقالت ـــــ ـــ ـ ـ : «إنني ضد الحجاب» لأن البنات المحجبات يُخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ . وقد قررت بصفتي مدرسة بالجامعة أن أطرد أي طالبة

---

(١) البروج: ٨ .

محجبة من محاضراتي فسوف آخذها من يدها وأقول لها : «مكانك بالخارج».

وفي نظري أن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات فهم سبب في انتشار هذه الظاهرة . فإذا قام أستاذ بطرد فتاة محجبة واحدة من محاضرته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب» .

وتقول أيضًا : «إن التحجب ليس بالشكل وبارتداء الأقنعة ، فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب . . . . .»

بدون تعليق :

إن ما قالته هذه المرأة لا يحتاج إلى تعليق ولا يحتاج لكثير فقه للحكم عليها وعلى أمثالها . ولاعجب فلقد قال «زوجها» عن حجاب المرأة المسلمة أنه [يشبه الخيمة التي لها ثقبان] ، وقال أيضًا عن المرأة المسلمة المحجبة: إنها [تشبه الغُراب] . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنهم ليصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا . فكيف بهذه المرأة تحارب شرع الله تعالى وتعادي عباده المؤمنين ، وتوالي الشيطان بل لا تكتفي بهذا الصد عن سبيل الله بل تدعو غيرها ممن على شاكلتها من أساتذة الجامعة من طرد كل فتاة متحجبة ، وبالطبع كل شاب ملتحٍ حتى لا يسمح للجلوس في الجامعات إلاَّ للمتبرجات المتفرنجات ولكل شاب مُخنث متحلل من كل القيم ومن كل المبادئ ، مُنسلخ من دينه وسنة نبيه ﷺ .

« أولئك حزب الشيطان » : قال تعالى : ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾(١) إن المنافقين والكافرين و المرتدين هم حزب

---

(١) المجادلة: ١٩ .

الشيطان ، سوّلَ لهم أعمالهم وزينها لهم بل اتخذهم جنوداً له يصدون عن سبيل الله كل من أراد أن يستقيم على صراط الله المستقيم يُريدونها عوجًا . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ** ﴾[1] نعم إنه الشيطان قد وسوس لهم وزين لهم الباطل ، فتربوا على مائدته حتى أصبحوا جنوداً له . بل لو صحَّ التعبير إنهم أصبحوا «قادة لإبليس عليه لعنة الله» إنهم لربما فعلوا أشياء وقالوا كلامًا ما أوحى به الشيطان لهم ، وما أمرهم به وما خطر ببال إبليس ـ عليه لعنة الله ـ ولكن هم شياطين الإنس ، وإنما هي النفس الخبيثة الأمارة بالسوء . قال تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾[2] .

قال ورقة بن نوفل للرسول ﷺ : إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي .

وقوله «شياطين الإنس والجن » بدل من «عَدوًا» أي لهم أعداء من شياطين الإنس والجن .

والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم .

بل إن شياطين الإنس من الذين عادوا الدين والرسل وعباد الله المؤمنين برعوا في عدوانهم فهم شر من شياطين الجن .

روى الإمام أحمد وغيره عن أبي ذر أن الرسول ﷺ قال : «**يا أبا ذر تعوذ**

---

(١) محمد: ٢٥ .

(٢) الأنعام: ١١٢ .

بالله من شياطين الإنس والجن ، قال: قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: نعم، هم شر من شياطين الجن» [١] .

قال الشاعر :

كنـت امرءً من جنـد إبليـس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وما كان ذلك ليكون من هؤلاء المنافقين والمرتدين إلاَّ لأنهم عادوا أولياء الرحمن ووالوا أولياء الشيطان ، فأصبحوا من (حزب الشيطان) وأخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢] .

إنهم آثروا رضا الشيطان على رضا الرحمن .. وقيدوا أنفسهم في حزب الشيطان بعدما خلعوا أنفسهم من حزب الرحمن ، إنهم والوا الشيطان وجنده ، وعادوا الرحمن وحزبه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون وحزب الرحمن هم المفلحون .

لابد من الصبر والاحتساب

نعم لابد من الصبر والاحتساب ، احتساب الأجر عند الله تعالى والصبر على أقدار الله تعالى ، وعلى ما يلاقيه العبد في سبيل الله وفي سبيل الدعوة إلى الله ، وفي سبيل تبليغ دين الله ورفع راية الإسلام عالية خفاقة على مشارق الأرض ومغاربها .

إنها سُنة الله في خلقه أن يتصارع الحق والباطل ، وأن يعادي أهل الباطل أهل الحق ، ولربما تمكنوا من أهل الحق فترة من الزمن ، ولربما أمسكوا بزمام

---

(١) قال الحافظ: ابن كثير في تفسير سورة الأنعام بعد رواية طرق متعددة لهذا الحديث. فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته [٢/١٥٩] .

(٢) الأعراف: ٣٠ .

الأمور في عصر من العصور ، فقتلوا عباد الله المؤمنين والموحدين ، وسفكوا الدماء وانتهكوا الأعراض واستباحوا الحرمات ، ولكن وعد الله حق ، والغلبة للمؤمنين ، والنصر لعباد الله الموحدين ، ولو طال ليل الطغيان ، واحلولك ظلامه ، فإن الفجر لآت ، والنور سيعم ، والضياء سينتشر في كل مكان قال تعالى : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١) فما على عباد الله المخلصين ، الداعين إلى الله على بصيرة ، إلاَّ الصبر على كل ما يلاقونه في سبيل هذا الدين ، ويحتسبوا الأجر عنه الله تعالى . فالأمر ليس بالسهل وسلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة .

وها هو عبد الله الصالح [لقمان] حينما كان يعظ ابنه ويرشده للخير ، ويأمره بالمعروف ، ويحثه على كل فضيلة فقال له فيما قال : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢) .

فدل اقتران الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصلاة على أشياء منها ما يلي :-

١- كما أن الصلاة فرض فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض أيضًا .

٢- وكما أن الصلاة عبادة لله وطاعة لله وقربة له فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضًا عبادة لله تعالى وطاعة لله وقُربة له .

٣- وكما أن الصلاة لها من المكانة والأهمية في الإسلام فإن مكانة الأمر

---

(١) هود: ٨١ .

(٢) لقمان: ١٧ .

بالمعروف والنهي عن المنكر لها من الاعتبار والأهمية ما جعلها تقترن بالصلاة.

٤- التكامل بين الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . حيث إنَّ الصلاة إصلاح لذات العبد ، [فهي علاقة بين العبد وربه].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إصلاح للمجتمع كله . فهناك تكامل بين هاتين العبادتين في إصلاح الفرد والمجتمع .

٥- أن من أصلح نفسه وما بينه وبين ربه ، ثم دعا إلى الله آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر فإنه لابد له من أن يصيبه أذى كَبَرُ هذا الأذى أم صَغُر . سواء أكان حسيًا أو معنويًا .

وأقول : [إذا عرفت طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرف الأذي طريقك] .

٦- إذا تصديت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تتحلى بالصبر ، وتتجمل بالحكمة ، وتتزين باللين ، وتتحصن بالعلم ، وتتسلح بالحجة ، وتتبع الدليل ، وتجادل بالحسنى ، وتضع ذلك كله في بوتقة الاحتساب ، احتساب الأجر عند الله تعالى .

فلابد من الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من حيثيات خيرية هذه الأمة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى : **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾**[1] .

وما يصاب به الدعاة في سبيل الله قد أُصيب به من قبلهم الأنبياء

(١) آل عمران: ١١٠ .

والمرسلون فصبروا على ما أصابهم في سبيل الله ، بل كلما كان في دين العبد صلابة كلما زاد ابتلاؤه ، وما ذلك إلاَّ ليعلم الله الصادقين من عباده ممن يعبد الله على حرف ، فينقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾(١) .

فلابد من الصبر والتجلد فلسنا بدعًا من الأمم . فهذه سُنة الله في عباده المؤمنين ليميز الله الخبيث من الطيب . قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾(٢) .

بل يريد الله تعالى أن يصطفي من خلقه شهداء يمنُّ عليهم بكرمه ويحل عليهم رضوانه ويُشرِّفهم بشرف الشهادة في سبيله ، أحياء عند الله يرزقون ، ربحت تجارتهم ، وتحققت أمانيهم ، ورُفعت درجاتهم ، وغُفرت ذنوبهم ، وزُفُّوا إلى زوجاتهم [من الحور] ، وشُفِّعوا في أهلهم . قال تعالى : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾(٣) .

---

(١) العنكبوت : ١ - ٣ .

(٢) آل عمران: ١٧٩ .

(٣) آل عمران: ١٤٠، ١٤١ .

فلابد من إكمال المسيرة وتحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتربية وتنشئة جيل مسلم يحمل مشعل الهداية إلى كل الكون ، ويسعد به كل الوجود ، ويُعز به الدين ، وتُنصر به السُنة ، ويحارب البدعة ، ويدعو إلى الله على بصيرة ، ويوالي الله وعباده المؤمنين ، ويعادي ويتبرأ من الكفار والمنافقين . والله غالب على أمره ولو كره الكافرون ، ولو أبى المنافقون .

* * *

[المبحث الثالث]

﴿ تمكينهم من وسائل الإعلام ﴾

المطلب الأول : الكتاب والقصة .

المطلب الثاني : المجلة والجريدة .

المطلب الثالث : الإذاعة والتليفزيون .

المطلب الرابع : الفيديو والدش .

المطلب الخامس: وقفات مع بعض الكتَّاب الضالين .

[المطلب الأول]

﴿الكتاب والقصة﴾

المطلب الأول
[الكتاب والقصة]

إن وسائل الإعلام بشتى أنواعها من [كتب ، قصص ، إذاعة ، وتلفاز ، ومجلة ، وجريدة . . .] وغير ذلك من وسائل الإعلام هي مصادر رئيسية ومهمة في توعية المجتمعات وتثقيف الأفراد ، وبث الأفكار ، وبناء الشخصيات ، وتوجيه الأمم ، فهي أهم مصادر التلقي والتوعية ، والبناء والتوجيه ، «إن لم تكن هي المصادر كلها» لدرجة إن صح التعبير أن [عقول وأفكار الأمم تقاس بوسائل إعلامها] وللأسف إننا نرى من مظاهر وصور الولاء في هذا العصر أن يُمكَّن المنافقون من وسائل الإعلام وتكون المقاليد في أيديهم فهم الذين يبثون ، وهم الذين يثقفون ، وهم الذين يعلِّمون ، وهم أصحاب الكلمة ويفسح المجال لكل منافق ومشكك في الدين أن يتكلم وأن يقول كل ما يريد في أي شيء شاء وخاصة في الإسلام والدين ، ومحاربة أصحاب السنة ودعاة الفضيلة ، والمتمسكون بالدين .

إنه الولاء المحرم ، والحب المحذور ، والعداء لهذا الدين ، أن يُمكَّن المنافقون وأعداء الدين من كل وسائل الإعلام ، ويُضيق على كل مَنْ له صلة بالدين ، أو دعا إلى فضيلة ، أو حث على مكْرُمَة ، أو أراد العزة للمؤمنين ، فإنه سرعان ما يكون من المُبعدين ، وكأنه ابتدع في الدين ، وخرج عن الصراط المستقيم .

فنرى كُتب المنافقين يُصرَّح لها ، ويُفسح لها ، وتُطبع ، وييسَّر لها جميع أمور ظهورها ونشرها . بل إنها لتُدعم من جهات مشبوهة ، وأماكن معلومة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وما ذلك إلاَّ لأن هذه الكتب تتكلم عن العلمانية ، أو تمدح الاشتراكية ، أو تدعو للشيوعية ، أو تهدف لنشر الماسونية ، أو تدعو للادينية . وفي الجانب الآخر يُضيق على كتاب يُبيّن للناس عقيدتهم الصحيحة ، ودينهم القويم ، ويُمنع أي كتاب فيه فكر إسلامي صافي ، ويُصادر كل كتاب ، يحث على الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين والمنافقين .

بل يُحاكم العَالِم الإسلامي الجليل من أجل كتاب ، ويُعْدم آخر من أجل فِكْره ، فالجهاد موضوع محذور ، والعزة لا يتكلم عنها أحد ، والخلافة طامة كبرى لمن وسوست له نفسه أن يرفع قلمه ليكتب فيها كلمة .

فلا مجال إذاً إلاَّ لهؤلاء الكُتَّاب الذين تخصصوا في [أدب الفراش] كما يقولون ، فلا كلام لهم ، ولا حديث لهم ، ولا مؤلف إلاَّ في الجنس والعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء ، بل والعلاقات التي تخالف الفطرة بين الرجال والرجال [اللواط] وبين النساء والنساء [السحاق] (١) .

وأما الصنف الآخر فهم كُتَّاب الجريمة والمغامرات ليعلموا النشء كيف يرتكبون الجريمة وكيف تكون السرقة . حتى يكون كل شاب مسلم بطل آخر من أبطال هذه القصص المأجورة .

---

(١) يحسن الرجوع لكتاب (الصحافة والأقلام المسمومة) للأستاذ أنور الجندي . فإنه يكشف فضائح هؤلاء الكتَّاب المأجورين ويبين حقيقة عقائدهم وأن منهم [العلماني - والملحد - والماسوني - والبهائي - واللاديني . . .] .

وأما الصف المقرب وهو الذي يهاجم الدين وأهله ويسخر من الإسلام والعقيدة ، فهم الأبطال المُقربون ، والأدباء المحترمون والموقرون .

حتى أن أحدهم يقول في إحدى قصصه [وهو نجيب محفوظ] «إن الله قد مات» (١) .

ويقول كاتب آخر في كتابه [التفكير فريضة إسلامية] :

«ما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية ، أو يعمل للاشتراكية ، أو يعمل للوحدة الوطنية ؟

وما الذي يمنع المسلم مِنْ أحْكَامِ دينه أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجودية في صورتها المثلى ؟........

إلى أن قال : إن عقيدة المسلم لا تمنعه من أن يكون اشتراكيًا » (٢) .

الله أكبر يريدون أن يُخرجوا المسلم من إسلامه كما قال : [القس زويمر] يريدونه اشتراكيًا ، أو علمانيًا ، أو وجوديًا ، أو وطنيًا ، أو قوميًا ، أو لا دينيًا... يريدون القضاء على معالم المسلم وسماته ، ودينه وخلقه .

إنهم يريدون طمس معالم الولاء والبراء . يريدون جيلاً يخرج علينا ولا يعرف من يوالي ومن يعادي ، جيلاً لا يحكمه دين ، ولا تقيده عقيدة ، جيلاً انفتاحيًا وانحلاليًا وحلوليًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولكنَّ الله تعالى يطمئن قلوبنا ، ويُهدئ من روعنا ويجلي همومنا ،

---

(١) انظر : «مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة» للأستاذ محمد قطب نقلاً عن (الولاء والبراء) للشيخ محمد سعيد القحطاني (ص ٤١٠) .

(٢) انظر كتاب «الولاء والبراء» للشيخ محمد سعيد القحطاني حول هذا الموضوع [٣٩٣:٤٠٤] .

ويُذهب عنا أحزاننا وينادي علينا من فوق سبع سماوات :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) .

ويقول كبيرهم الذي علمهم الجرأة [طه حسين] في كتابه : «مستقبل الثقافة في مصر» :- «لكن السبيل إلى ذلك - أي الرقي - ليست في الكلام يرسل إرسالاً، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة ، وإنما هي واضحة بيّنة ومستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي : أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يُحب منها وما يُكره ، وما يُحمد منها وما يُعاب .....» (٢)

فليس هناك حل في نظر هذا الكاتب الفذ ، وعميد الأدب العربي ، [بل هو العميل الأوربي] فليس هناك حل ولا مخرج إلاَّ في اتباع الأوروبيين ، الله أكبر!!! إنها السُنن يريدوننا نتبع خطواتهم ولو دخلوا جحر ضب ندخله (كما أخبر الرسول ﷺ) ونلغي عقولنا وتفكيرنا وننسلخ من ديننا ، ونأخذ كل شيء ، حلوه ومره ، خيره وشره . ويعني ذلك مثلاً . أن نأخذ منهم صُنْع الساعة ، ولابد من أخذ الزنا واللواط ، وإذا تعلمنا منهم صنع السيارة فيجب علينا أخذ الإباحية والانحلالية أيضًا ، فلا نفرق بين غث وثمين ، ولا نعرض شيئًا على ديننا ، فهم

---

(١) آل عمران: ١٣٩ .

(٢) انظر : «الاتجاهات الوطنية المعاصرة» للكتور محمد حسين [٢/٢٢٩] ، و«الفكر الإسلامي المعاصر» للأستاذ غازي توبة (ص١٠٤) و«الولاء والبراء» للشيخ محمد سعيد القحطاني (٣٩٦: ٤٠٠) .

القائلون ، وهم الفاعلون ، وهم المشرّعون ، ونحن الطائعون المتبعون . فما بقي إلا أن يضعوا في رقابنا حبلاً ويجروه . ويأتوا بالعَلَفِ والحشائش وأمامنا يضعوه !!!

«إن الهدف الأول والأخير من كل هذه المذاهب الكافرة هو :- إخراج المسلم من إسلامه ، وقطع ولاء المسلم بربه ودينه وإخوانه المؤمنين ثم العودة إلى روح الجاهلية التي تتمثل في الطاعة والانقياد والخضوع لهذه المذاهب الكافرة ، ولطواغيتها الذين يخططون لها .

والعودة أيضًا بالمسلمين إلى جاهلية العرق والنسب والتراب وسائر أنواع النتن التي أمر الله المسلمين بتركها لأنها تنقض عرى الإسلام عروة عروة وهذا الهدف تتفق عليه كل المذاهب الكافرة باتجاهاتها المختلفة وانتماءاتها المتنوعة. . . .»[1]

وأتذكر موقفًا : كنت في كلية دار العلوم [حفظها الله من كل سوء وحماها وجعلها زخرًا للإسلام والمسلمين] جامعة القاهرة أدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية وكان رئيس قسم الدراسات الأدبية ووكيل الكلية في نفس الوقت [وهذا أستاذ دكتور] يُدرس لنا مادة الأدب .

ومما كان مقرراً علينا دراسته عنده ، [فن القصة] .

والعجب كل العجب أنه قرر علينا قصص الأستاذ الكبير ، والراوي المحنك والمصلح الفذ [نجيب محفوظ] صاحب (أدب الفراش) كما يقولون . وهذه القصص بدون مبالغة . هي قصص غرام وحب وإن شئت فقل هي قصص [جنس] تحث على الرذيلة وتدعو للفحشاء ، وتوضح وتبين طرق المهالك

(١) (الولاء والبراء) (ص ٤١٩) للشيخ محمد سعيد القحطاني .

والتردي فهي تفتح الأبواب للشباب والشابات طرق الغي والفساد ، وترسم لهم طريق الهلاك ، وتوضح لهم معالم الانحراف ، وطرق الشيطان ، وتصور لهم كل هذا الضلال والفساد على أنه بطولات ومغامرات ، ولا يرمز لهذا الزاني وهذا السكران وهذا السارق ، وصاحب الفاحشة إلاَّ [بالبطل] فيقولون في أثناء القصة إشارة إلى هذا الساقط [وجاء البطل ـ وذهب البطل ـ وغضب البطل. . .] . وأما هذه الساقطة المنحلة التي تجردت من كل القيم والأخلاق ومن كل دين وعقيدة والتي تتردد على الخمَّارات والكازينوهات وعلى العمائر المشبوهة والشقق المفروشة يُشار إليها على أنها [البطلة] .

وأوجب علينا هذا الدكتور الفاضل شراء حوالي ست قصص من هذه القصص الساقطة وقراءتها والتمعن فيها وفهمها وهضمها حتى نختبر فيها آخر العام. وكانت هذه القصص هي مدار المحاضرات طول العام وهو يشرح فيها ويتغزل فيها ، ويخرج منها المعاني ، والمواقف ، والجمال ، والرونق . وكل ذلك يُلقى على الطلاب والطالبات في قاعة واحدة تجمع بين الجنسين .

[ولكن ولله الحمد فإن كلية دار العلوم تكاد تكون من الكليات القلائل التي تفصل بين الطلاب والطالبات ـ فالطلبة على جهة والطالبات على جهة وبينهما ممر كبير يفصل بينهما] وقام كثير من الشباب الملتزم بمناقشة هذا الدكتور والاعتراض عليه في أسلوب الشرح والعرض ولكن بدون جدوى ، بل قد لا يسمع لأحد منهم في معظم الأوقات .

ووقفت ذات مرة أناقشه في هذا الموضوع ، أعترض على تدريس هذا النوع من القصص عامة وهذه القصص خاصة ، وأن هذا السن يحتاج إلى ما يقوي إيمانه ، ويقوي علاقته بربه ، وإلى ما يبث الخشية في قلبه ، ويحثه على

العفاف ويرغبه فيه ، ويبعده عن الغي والفساد ويحذره منه .

فقال لي : إننا لا نُدرس جنس ولكن ندرسكم فن القصة وهذا مقرر عليكم في الأدب .

فقلت له : شيء جميل أن ندرس القصة وأسلوبها وفنها وكل ما يتعلق بها ولكن عندنا في ديننا ما يغنينا عن مثل هذه القصص .

ففن القصة «كما تقولون» موجود في القرآن الكريم . فيوجد الكثير والكثير من القصص في هذا القرآن قصها علينا الله عز وجل ، وفيها من العبر والحِكَم ما يقوي إيمان المسلم والمسلمة. قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[2].

وأيضًا هناك فن القصص في أعلى مقاماته بعد القرآن الكريم في السنة المطهرة وأيضًا هناك القصص الإسلامية لكتاب إسلاميين مثل [مصطفي صادق الرافعي . . . .]

فقال لي : ما المشكلة في تدريس هذه القصص لمثل هؤلاء الكتّاب المعروفين والذين ملأ أدبهم جنبات الأرض ؟ .

فقلت له : هذه القصص قد تُفتح أفكار الطلاب والطالبات وتلفت أنظارهم لأشياء قد يكونون في غفلة عنها من العلاقات الغرامية والعلاقات الجنسية التي لا

---

(١) يوسف: ٣ .

(٢) يوسف: ١١١ .

فائدة وراءها إلاّ الانحراف والضلال .

فقال لي : هذا هو التعصب . وليس عندكم إلا هذه النظرة المشئومة وكل ما عندكم أعرفه جيدًا ستقولون : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾(١) .

فقلت له : حتى لو لم يكن في هذه القصص من حث على فساد أو دعوة لانحراف فلو تساوت من الناحية الأدبية مع غيرها من القصص الإسلامية فإن القصة الإسلامية سواء كانت [من القرآن أو من السنة أو من الكتّاب الإسلاميين] لكانت هي أولى لأنها ستحقق هدفين ، الأول : بيان فن القصة بما فيها من مقدمة وأشخاص وأدوار ، وحبكة ونهاية ....] وفي نفس الوقت أضفنا للمسلم والمسلمة والطالب والطالبة معلومات عن دينه وقصصًا إسلامية يأخذون منها العظة والعبرة . وتكون مشعل هداية ورحمة في طريق الهدى والرشاد فقال لى: إن هذه القصص تصور الواقع وتعالج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع فهي أيضًا عامل إصلاح وتبين سوء خاتمة كل من اعوج به الطريق .

فقلت له : ما هذا إلا السُّم وقد وضع في العسل .

فقال لي : السُّم ؟ أي سم هذا ؟ وأي عسل هذا ؟ ماذا تريد أن تقول؟

فقلت له :أستاذي الفاضل مع احترامي لحضرتكم إن هذه القصص لا تُصلح مجتمعًا ، ولا تُقَوِّم معوجًا ، ولا تربي نشئًا ، ولا تُخرِّج أجيالاً ، ولا تُعِدُّ أممًا ، ولا تبني حضارات .

فقال لي : وكيف ذلك ؟

فقلت له : إن هذا الكتاب الذي يكتب عن هذا الإنسان الفاشل الذي

---

(١) النور: ١٩ .

انحرف وأصبح سارقًا وشاربًا للخمر وقاطعًا للطريق ، ومرتكبًا للزنا والفحشاء ويسميه [بطلاً] ويصوره للقارىء على أنه مظلوم وضحية مجتمع ويتعاطف معه القارىء من أول القصة لآخرها .

وكذلك هذه البطلة [وهي ليست بطلة بل هم سحرة] التي خرجت عن طوع والديها وهربت من منزلها وارتمت في أحضان الشياطين من الإنس والجن وأصبحت مدمنة للخمر والمخدرات وترددت على الكازينوهات والأماكن المشبوهة هي أيضًا في نظر الكاتب ضحية مجتمع ومظلومة ويتعاطف معها الجميع ويحنّ إليها من أول القصة لآخرها .

فما البطل والبطلة إلا مثالٌ يحتذى وطريقٌ يُرسم لكل شاب اختلف مع والديه ، أو وقع في ضيق من العيش والرزق ـ ولكل فتاة تعرضت لموقف صعب أو احتاجت إلى بعض المال أو . . . فليس هناك إلا أن يتقمص هذا الشاب شخصية البطل ويسلك مسلكه ويعمل بعمله ليكون بطلاً هو الآخر لقصة واقعية حقيقية . وكذلك الفتاة ـ فليس أمامها إلا أن تترجم القصة التي قرأتها عن هذه البطلة إلى واقع حسي ملموس وتكون هي البطلة الجديدة في هذه المأساة الواقعية .

فقال لي : هذه نظرة مشئومة . إن الكاتب حينما يعرض ما يتعرض له البطل والبطلة إنما يُحذِّر القارىء من أن يقع في مثل ما وقعوا فيه . وبدليل نهاية كل من هذه البطلة وهذا البطل في النهاية الضياع والهلاك أو السجن والتشريد .

فقلت له : حسنًا ولكن يا أستاذي الفاضل شاب وشابة يقرأ قصة كاملة أو يسمع فيلمًا طويلاً يعيش فيه مع البطل والبطلة بين الخمر والميسر وبين السرقة والنهب وبين الفاحشة والمخدرات . . . . . طول القصة وطوال الفيلم وهو

متعاطف مرة مع البطل والبطلة ومشفق أخرى ، ومعجب ثالثة . فهذا الذي سيعلق في ذهنه ولن يتذكر نهاية هذا البطل المزعوم والبطلة المزعومة من سجن أو موت أو قتل وخاصة أن هذا كله يأتي في نهاية الفيلم بل في آخر دقيقة . وفي القصة في آخر صفحة ولربما في آخر سطرين . فلن يعلق في ذهن القارىء والسامع والمشاهد إلا أحداث القصة والفيلم ومغامرات البطل والبطلة .

فقال لي : لماذا تشوهون كل شيء فيه إصلاح وتحملون عليه بهذه النظرة السوداء .

فقلت له : الأستاذ الموقر : إذا أردنا الخير كل الخير والإصلاح كل الإصلاح ففي ديننا الحنيف وفي كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ يقول الله تعالى : ﴿**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1] .

ويقول الرسول ﷺ : «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مَسَكْتُمْ بهما : كتاب الله وسنة نبيه**» [2] .

فالإصلاح والنجاح والفلاح في ديننا فنحن في غنًى عن مثل هذه القصص .

فقال لي : أنا لا أحب هذا الكلام العايم أنا أريد مناقشة علمية ومناظرة نعرض فيها أدلتنا بأسلوب علمي .

فقلت له : الأستاذ الفاضل لقد أنصفت ولكن ليّ شرط .

---

(١) يوسف: ١١١ .

(٢) رواه الإمام مالك في (الموطأ) كتاب (القدر) . واللفظ له . رواه مسلم كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) . والحديث مُخرَّج في كتب السنن ومسند الإمام أحمد بألفاظ متقاربة .

فقال لي : ما شرطك ؟

فقلت له : أن تكون المناظرة علنية وفي لقاء مفتوح .

فقال لي : لك هذا ولكن بشرط .

فقلت له : تفضل .

فقل لي : أن تكتب أولاً حيثيات كلامك وأدلتك وتعرضها عليَّ أولاً في المكتب ثم بعد ذلك يتم اللقاء والمناظرة .

فقلت له : وأنا موافق .

فقال لي : تأتي لي يوم كذا في المكتب الساعة التاسعة صباحًا .

فجهزت نفسي واستعنت بالله وبحثت في الموضوع وجمعت الأدلة الشرعية والعقلية متوكلاً على الله تعالى ومحتسبًا الأجر وبذلت مجهودًا يعلمه الله تعالى . وأعطيته الأوراق في الموعد المحدد .

فقال لي : تأتي غداً الساعة التاسعة تأخذ الأوراق ونحدد موعد المناظرة وقدَّر الله أن آتي له في اليوم المحدد الساعة التاسعة وخمس دقائق نظراً لزحمة المواصلات وليس عندي سيارة خاصة مثله .

وطرقت عليه الباب . ثم دخلت وكان عنده بعض الأساتذة . فقال لي في سخرية : هذا ورقك وأنا لا أناظر إنسانًا لا يحافظ على المواعيد فكيف أناظرك وأنت تأخرت خمس دقائق ؟

فقلت له : إني أسكن بعيداً عن الجامعة والمواصلات كانت زحمة ووقفنا كثيرًا في أكثر من إشارة مرورية . فسخر مني وضحك من معه من الأساتذة وأعطاني الأوراق وأبى تحديد موعد للمناظرة .

ولكنني انصرفت ولله الحمد وأنا أعلم أن الشيطان ألقى في قلبه الرعب لأنه يعلم أنه على باطل . ولله الحمد لقد قرأ الأوراق من أول كلمة لآخر كلمة فقلت : إن لم يكن إلاَّ هذه لكفت لإقامة الحجة عليه والله غالب على أمره وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

[المطلب الثانى]

﴿ المجلة والجريدة ﴾

المجلة والجريدة

المطلب الثاني : المجلة والجريدة :

فإن المجلة والجريدة قد يكونان أشد ذيوعًا وانتشاراً من الكتاب والقصة ، فإن الكتاب والقصة قد يطَّلع عليهما فئة معينة من الناس ولا يهتم بهما إلا أصحاب ميول معينة في الاطلاع والثقافة ، ولا يقتنيهما إلا بعض الطبقات وأصحاب الهوايات الخاصة .

ولكن الأمر يختلف كثيرًا بالنسبة للمجلة والجريدة فهما أكثر ذيوعًا وانتشاراً على مستوى عامة وخاصة الناس ، وجميع طبقات المجتمعات ، بل وجميع المستويات والثقافات ، ولذلك فهي أكثر تأثيرًا على معظم الناس . وذات توجيه [فكري وعقدي ، وسياسي واقتصادي ، واجتماعي . . . . .] ومن هنا كان اهتمام الحكومات والسلطات بإحكام القبضة عليها ، للتحكم والسيطرة على مجريات الأمور في بلادهم ، وتوجيه الشعوب الوجهة التي يريدونها ، فيزينون ما يرونه في صالحهم ، ويقبحون ما يمس مصالحهم من قريب أو من بعيد ، فالحق ما قالوه وما أمروا به ، والباطل ما تركوه وحذَّروا منه ، والحَسَن ما حسَّنوه والقبيح ما قبَّحوه .

وإن من صور الموالاة للمنافقين أن توضع مثل هذه الوسائل الإعلامية من المجلة والجريدة في أيدي هؤلاء المنافقين الذين يعادون الله ورسوله وعباد الله المؤمنين ويكيدون للإسلام والمسلمين ويتربصون بهم الدوائر . فنرى أن معظم هذه المؤسسات تابعة للنصارى أو لمن عُرف منه النفاق والعداوة للدين ، وأيضًا

نرى رؤساء التحرير في هذه المؤسسات ممن اشتهر عنه العلمانية أو الاشتراكية ، أو الانحلالية والتفلت من الدين ، والخروج على كل الأخلاقيات ، والقيم والمبادىء .

وحتى تتم المسرحية الوضيعة ، وحتى يتمكنوا من الحبكة الفنية في القصة الساقطة ، يأتون بكُتَّاب وصحفيين ومحررين لا يقلُّوا عنهم نفاقًا ، بل قد يزيدون عنهم عداوة للإسلام والمسلمين ، وأيضًا حتى يخلو لهم المكان ، ويتمكنوا من فعل كل ما يريدونه ، ويصفو لهم الجو ، لابد من إبعاد كل من له علاقة بالإسلام ، أو يُشم منه رائحة التدين ، أو تظهر عليه ملامح المروءة والشهامة ، أو من يُلمح منه الغَيْرة على الدين ، أو الدفاع عن الفضيلة ، أو المناداة بالعفاف، أو الدعوة إلى القيم ، أو يحث على الأمانة ، أو يمدح الصدق ، أو يبث الطهر أو يصبو لبناء مجتمع على أساس الدين والأخلاق .

إنه الولاء للمنافقين في أقبح صوَرِه ، وأقذر معانيه ، في سلسلة المؤامرة الدنيئة على الإسلام والمسلمين . فقلوبهم مريضة ، ونواياهم خبيثة ، ومقاصدهم سيئة ، وأفكارهم مسمومة ، وعقائدهم فاسدة ، وعقولهم خربة ، وأقلامهم مأجورة اجتمعوا على محاربة الإسلام رغم اختلاف أهوائهم وهوياتهم وعقائدهم ومذاهبهم ، ولكن عدوهم واحد ، وهدفهم موحد ، ويستخدمون كل الوسائل ويتبعون كل منهج ، ويسلكون كل طريق يحقق لهم مرادهم ، ويوصلهم لهدفهم ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كانت الوسيلة ، ومهما كانت الطريقة ، حتى لو خرجت عن القيم ، ولو تجردت من المبادىء ، ولو عُدِمَ منها الرحمة ، ولو أدت إلى هدم مجتمع ، أو القضاء على أمة ، أو انهيار حضارة فإن هدفهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين ، وغايتهم تدمير العقيدة وهدم التوحيد .

صور للمحاربة وبث النفاق :- [المجلة]

إنهم يحاربون الله ورسوله ودينه وعباده المؤمنين ، إنهم يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فنرى هذه المجلات التي تتفنّن في هدم الأخلاق وإغواء الشباب والشواب ، وإثارة الشهوة ، وفوران الغريزة الجنسية عند الجنسين الرجل والمرأة .

فإن أكثر المجلات شيوعًا وانتشاراً هي المجلة التي تضع على غلافها صورة عارية لممثلة عالمية ، أو مغنية مشهورة ، أو راقصة محبوبة [محبوبة عند النتائه من أمثالها] . وكلما كانت الصورة التي على الغلاف تثير الشهوة ، وتوقد الغريزة وتدعو للفاحشة ، كلما كان ذلك مدعاة لذيوع المجلة ، وكلما فُسح لها المجال ، وسُمح لها بالانتشار والشيوع بل ربما تُدعم من الجهات المسئولة والسلطات الحاكمة ، فضلاً عن الدعم الخارجي الذي يأتي من دول الشرق والغرب.

فهذه المجلات وهذه الجرائد وغيرها من وسائل الإعلام حلقة في سلسلة المؤامرات التي تدبرها وتديرها الدول الصليبية والجماعات اليهودية . وذلك بأيدي المتمسلمين ممن يدَّعون الإسلام ، والإسلام منهم براء .

ووصل الأمر في إحدى البلاد الإسلامية ذات المقام المرموق بين الدول الإسلامية بتاريخها وقوتها وجيوشها وكثرة جنودها أن دولة صليبية كبرى [وما هي بكبرى بل هي حقيرة ووضيعة] تعطيها معونة سنوية ، وتُملي عليها شروطًا كلها ذُل وعار وخزي وشنار ، ومن هذه الشروط الخبيثة أن هذه الدولة الصليبية هي التي تتولى تدعيم المراكز التي تنادي وتدعو [لمنع الحمل] وهي التي تباشر هذه المراكز ويكون توزيع الحبوب التي تمنع الحمل وغيرها من الوسائل والعمليات

مجانًا . وأيضًا أن تقوم هذه الدولة الصليبية ويسمح لها بعملية الدعاية والإعلان لمنع الحمل في هذه البلدة .

فلا غرابة أن تُدعم هذه المجلات الخبيثة من جهات داخلية ، وجهات خارجية فكلهم يعملون في بوتقة واحدة للقضاء على الإسلام والمسلمين وهيهات لهم هيهات .

وإذا ما فتحت المجلة لا تجد فيها إلاَّ غثاءً . فهذا حديث مع الممثل فلان وأهم الأحداث في حياته ، وآخر أعماله الفنية ، وأحسن أفلامه التي على الساحة، وما هي رؤيته الفنية للأوضاع الحاضرة و. . . . و. . . . و. . . .

(وحديث آخر) مع شيطان من شياطينهم الذي علمهم الفسق ورأيه في الحالة الفنية الواقعية ، وما هي اقتراحاته ونظرياته ومخططاته للنهوض بالفن والارتقاء به إلى أعلى المستويات . [وما هو بارتقاء بل هو صعود إلى الهاوية].

(وحديث ثالث) مع النجمة اللامعة ، والفنانة العاطفية وما هو آخر أعمالها وما هي هوايتها المفضلة ، وكيف تقضي يومها ، ومن هم أصحابها وأصدقاؤها المقربون إليها ، ومن هو الممثل الذي تشعر بالراحة في العمل معه ، وما هو أفضل مكان تقضي فيه سهراتها . . . . .

(وحديث رابع) عن آخر أخبار الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات فهذا تزوج بتلك ، وهذا طلق هذه ، وهذه رفعت قضية طلاق من زوجها ، وهذا ضبط زوجته في حالة غير أخلاقية ، وضُبِطَت مجموعة من الفنانين والفنانات في أماكن مشبوهة ، والراقصة فلانة وهي عائدة من الكازينو أو دار الملاهي وهي في حالة سكر صدمت بعض المارة فقتلتهم .

(وحديث خامس) عن أعلى أجر بين الفنانين والفنانات على أعمالهم

الفنية. وبالطبع يكون أكثر الفنانين وضاعة ، وأكثرهم فسقًا وفجورًا هو أعلاهم سعرًا وأجرًا . وهذه الممثلة الساقطة التي تجردت من الحياء وتُظهر أكبر قدر من جسمها وعورتها وأكثر الممثلات التي تقبل الأفلام الجنسية الوضيعة هي أعلى الممثلات والفنانات أجرًا . [فقد يصل الأجر في الفيلم الواحد إلى نصف مليون أو أكثر] .

وإذا قلَّبت الصفحات فلا تخرج من غثاء إلاَّ إلى هراء ، فهذه أخبار الرياضة فهذه مسابقة للدوري الممتاز ، وتلك مسابقة الدوري للدرجة الأولى والدرجة الثانية ، وهذه بطولة الدوري ، وهذه مسابقة الكأس .

ولا تنس مباريات كأس العالم ، وفي الصفحة المقابلة أخبار الدورة الأفريقية وهذه الأسيوية ، ويا تُرى مَنْ هو الفريق صاحب لقب [بطل الكورة الأسيوأفريقية لهذا العام] .

وهذا حديث مع اللاعب المعروف فلان ، وما هي الهواية المفضلة له بعد لعبة كرة القدم ؟ ومن الممثلة المحبوبة لديه ، ومن المطربة التي تهز وجدانه ، وتثير أحاسيسه ، وتُلهب مشاعره ؟ . . .

وإذا خرجنا من ملعب كرة القدم وجدنا أنفسنا في ملعب السلة وما أدراك ما السلة فلها من المشجعين والأتباع القدر الذي لا يُغفل .

أما كرة اليد فهناك لكل فريق في الدوري الممْتاز فريق للرجال وفريق للسيدات والآنسات [وكذا في السلة] وتلبس الفتاة المسلمة الفانلة والشورت وتجري وتلعب وترتمي على الأرض أمام الجماهير من الرجال والشباب ولا حرج وحتى المدرب غالبًا يكون رجلاً .

وأيضًا هناك في مجال الرياضة لعبة وفن [السباحة] ولله الحمد عندنا من

الآنسات والسيدات المسلمات من تُجيد فن السباحة . نعم أليس الدين يحث على السباحة ووصى بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وإذا كنا قد اشمأززنا من لاعبة كرة السلة وكرة اليد ومن لبسهن ، فإن هذه السبّاحة المسلمة قد لبست [وفي الحقيقة ما لبست شيئًا] زي السباحة ولا تستطيع أن تخرج عن هذا الزي حتى لا تكون رجعية ومتخلفة وحتى تثبت للعالم أن المرأة المسلمة والمرأة الكافرة على قدم سواء ، ومسايرة للعصر وللتمدن . فلم تلبس هذه المرأة وتلك الفتاة المسلمة إلا مجرد أشرطة رفيعة على أماكن مخصوصة ولو خلعتها المرأة الكافرة لخلعتها هي الأخرى . وصدق الرسول ﷺ حينما قال : «**ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»[1] .

ماذا يُراد بشبابنا ؟

والسؤال الآن ماذا يُراد بشبابنا وشوابنا ؟ وماذا يُخطط لرجالنا ونسائنا ؟!!!

والإجابة معروفة وواضحة ومعلومة عن هؤلاء بالضرورة . إنهم يريدون شبابًا منحلاً وشبابًا مخنثًا ، وشبابًا متجردًا من كل دين وقيم ، يريدون شوابًا ساقطات ، لا يخلعن الحجاب فحسب بل يخلعن ثوب الحياء كلية .

ويتجردن من كل شرف وعفاف . إنهم يريدون هذا الشباب قدوته في هذا الممثل ، وأمله أن يكون عازفًا للجيتار ، وطموحه أن يكون ممثلاً غنيًا مشهوراً فإن الفن بأنواعه وضروبه هو الطريق الأوحد [كما صوروه للشباب] للغنى والشهرة ألم يقرأ في مجلة كذا عن سعر هذا الفنان ، ودخل ذلك الممثل . إنهم يريدون قدوة شبابنا في هذا الراقص العالمي ، وهذا العازف المشهور وهذا الملحن الموهوب ، وذلك اللاعب المعجزة .

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري كتاب (الاعتصام) باب (قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم) .

أما أنت أيتها الفتاة إذا أردت أن يشار إليك بالبنان ، ويذيع صوتك ويشتهر اسمك فعليك بسلوك هذا الطريق ، وطَرْق هذا الباب والسير في هذا السبيل لكي تكوني مثل هذه الفنانة ، وتصبحي نجمة مشهورة مثل هذه الراقصة ولعلك تفلحي في الغناء فتَفتح لك ليلة القدر ذراعيها . وأما من لم يكن من أصحاب هذا الفن ولم يكن الفن بأنواعه هوايته فلا يحزن وليستبشر بالخير ، فهناك مخدر آخر ، ومضيع آخر للشباب تحت اسم الرياضة وما هي برياضة بل هي مخدرة للشباب ومضيعة للأوقات وملهية عن الفرائض والواجبات وقاضية على الشباب وهادمة للمجتمعات ومحطمة للآمال .

فهذا شاب مولع بذلك اللاعب ، وهذا مقلد لهذا الكابتن ، وهذا قص شعره كقصة اللاعب المشهور ، وهذا يلعق اللبان في فمه لأن اللاعب فلانًا هذه عادته ، وهذا يقلد ذلك اللاعب في مشيته . وهذا يحب هذه المغنية لأن اللاعب فلانًا يحبها . وهذا يلبس هذا البانطلون لأن هذا اللاعب يلبسه .

الله أكبر ... الله أكبر هكذا يراد بشبابنا وشوابنا هكذا يراد القضاء على هذه الأمة المحمدية ، هكذا يريدون القضاء على كل ما هو إسلامي . يريدون شبابًا لا يعرف شيئًا عن سلفه الصالح ولا عن قادته الحقيقيين شبابًا يعرفون عن هذا الممثل أكثر مما يعرفون عن علي بن أبي طالب ويلتمسون القدوة في هذا اللاعب أكثر من هذا الصحابي أو هذا التابعي شبابًا لا يعرف خالد بن الوليد ، ولم يسمع عن سعد بن أبي وقاص . شبابًا ، ما قرأ عن مصعب بن عمير ، ولم يطَّلع على قصة عمار بن ياسر شبابًا لا يعرف معنى كلمة الجهاد ، ولربما ما سمع عنها ، شبابًا ليس عنده عقيدة ولا يغير على دين ، وليس عنده ولاء للمؤمنين ولا براء من الكفار والمنافقين ، شبابًا متخبطًا ، لم يُرض ربه ، وما برع في دنيا ، وخسر دينه ودنياه .

نعم إنها الصحافة والأقلام المسمومة ، والأيادي المأجورة التي والت الكفار والمنافقين وأعلنت الحرب على الله وعلى الدين ، إنها الصحافة المأجورة ، إنها المخططات الصليبية ، والأفكار الصهيونية . وكل ذلك يجري ويحدث في بلاد المسلمين ، ويكتب وينشر تحت اسم المتمسلمين وربما أُنفق عليه من مال المسلمين فتبًا لهم لقد خسروا الدنيا والدين واشتروا الفاني وتركوا الباقي . فما ادخروا الآخرة ، ولا ربحوا في الأولى ولعنة الله على الظالمين ، والدائرة على الضالين المضلين ، والحسرة والندامة لهم إلى يوم الدين ، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون ولو مكر المنافقون .

[**أما الجريدة**]: - فإن الجريدة (أو الصحيفة) تحتل المقام الأول في مجال التأثير على عامة الناس وخاصتهم ، نظرًا لاهتمام القاعدة العريضة من الشعوب باقتنائها، لما فيها من أخبار شبه متجددة في مجالات متعددة ، ونواحٍ مختلفة ، وثقافات عديدة ، وأيضًا إن سعرها في الغالب يكون في متناول معظم الناس إن لم يكن كل طبقات المجتمع . ومن لم يستطع شراءها فإنه لا يعدم طريقة أو أخرى لقراءتها. إن الصحف والجرائد تحتوي غالبًا على عدة اتجاهات أساسية قد تكون ثابتة ولها صفحات معينة ومحددة وأهم هذه الموضوعات والاتجاهات العامة :-

١- الناحية السياسية :-

٢- الناحية الدينية :-

٣- الناحية الرياضية :-

٤- الناحية الفنية :-

أولاً : الناحية السياسية : غالبًا ما تُصدَّر صفحات هذه الصحف والجرائد بالموضوعات السياسية وتأخذ حيزًا كبيرًا فيها ، وغالبًا ما تكون هذه الجرائد في

قبضة الحكومة الحاكمة فتوجه تلك الجرائد الوجهة التي تريدها . حتى تخدع عامة الناس ، وتضلل الشعوب وتزين الباطل ، وتُجرِّم الحق ، بل وتُحرِّم الحلال ، وتُحلُّ الحرام .

ويتصارع جمهرة كبيرة من الصحفيين والكتاب المنافقين ، بل ومن الصحفيات المنافقات ليكونوا خدمًا لأسيادهم من أصحاب السلطات . فنرى شيئًا عجبًا في قمة النفاق وتضليل الشعوب وتزييف الحقائق .

وعلى سبيل المثال: إذا رأت الحكومة والسلطة الحاكمة الصلح مع اليهود وتبادل المصالح مع النصارى تجد المقالات السياسية المتتالية والمتتابعة في بيان فائدة الصلح مع اليهود وطبيعة العلاقة السلمية التي كانت على مر العصور مع اليهود ، وكذلك بيان رحمة ورأفة النصارى وكيف أنهم أهل كتاب ويجب التبادل التجاري والفكري والحضاري وذلك للنهوض بالشعوب ، ومسايرة التقدم والتمشي مع الواقع ، وأن ما يدور بين البلدان الإسلامية والصليبية من حروب ما هي إلاَّ اختلافات سياسية ليس لها دخل بالعلاقات الأخرى بين البلدان التي ليست طرفًا في النزاع والصراع والحرب.

أما إذا كانت الوجهة التي تتوجهها الدولة هي الخصومة مع اليهود ، ومحاربة النصارى [طبعًا ليس من منطلق الدين ولكن بناء على مصالح دنيوية وخلافات شخصية] . فنرى كل صاحب قلم وكل متفلسفة ، يتجرد الجميع للكتابة في هذا الموضوع وبيان وتوضيح أضرار اليهود ومخططاتهم وأنهم لا عقيدة عندهم ولا دين ، وأنهم هم المفسدون في الأرض بل هم أحفاد القردة والخنازير . والصليبيين ـ النصارى ـ هم من ألد أعداء الرسول ﷺ والدين وهم الذين يُذبحون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وعلى مدار الزمان واختلاف العصور .

وهكذا تُسخر هذه الجرائد وتُكيف حسب أهواء وأمزجة ورغبات الحكومات فهم الأداة المستعملة ، والحجة الحاضرة ، والقوة الضاربة في أيدي هؤلاء الحكام الفسقة والحكومات الظالمة .

فأصحاب الجرائد والصحف وأصحاب الأقلام ، ومن قبلهم أصحاب هذه المؤسسات يُسبحون بحمد هؤلاء الحكومات ، بل ويركعون ويسجدون لهم من دون الله تعالى مُضللين بذلك الشعوب وكاذبين على أممهم ، وموالين للباطل وأهله ومعادين للحق وأهله ، طالبين بذلك رضا المخلوق ، فغضب الله عليهم وأغضب عليهم خلقه أجمعين .

مثال آخر عن نفاق السياسة : ومن النفاق في مجال السياسة أيضًا مما تمتلئ به صفحات الصحف والجرائد من مدح الحكومات والحزب الحاكم . وإظهاره أنه يتقي الله في أعماله وسياسته ، وأنه يسير في المسار القويم لصالح الشعوب والأمة ، وأنه الحزب النزيه والشريف ، والأجدر بالقيام بمهام الحكم . وأن العدل هو شعاره والمساواة والعطاء هو منهاجه ، والحرية والإنصاف أهم أهدافه . وهم والعياذ بالله أكذب الكذابين . إنهم دجالون ، ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[1] .

وهكذا تلعب الصحف والجرائد دورها الخبيث في تزييف الحقائق وخداع الأبرياء من الأمة حتى يُصور لهم أن بلادهم على قمة البلاد وتحتل من المقدمة المكان المرموق وتحظى بالاحترام والتقدير من جميع بلدان العالم!!! وإذا جئنا إلى الواقع فلربما يكون العالم أجمع ينظر لتلك الدولة بكل احتقار ويعاملها وأمثالها على أنهم عبارة عن [قطيع من الغنم] . إنها الصحافة الملعونة ، وإنه

(١) البقرة: ٩ .

واغضب عليهم سنة أجمعين .

النفاق الموبوء ، والأقلام المسمومة والأشخاص المأجورة ، والأفكار المستوردة والقيم الوضيعة ، والأخلاق المنحلة .

ثانيًا : الناحية الدينية : أما الناحية الدينية فهي أيضًا ليست بأحسن حالاً من سابقتها [الناحية السياسية] وللأسف رغم أن للدين في قلوب عامة الناس المكانة العظيمة ، والاحترام والتقدير بل التعظيم والتقديس . ولكن والعياذ بالله إنهم جنود إبليس الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ، بل هم الذين يصورون الحق على أنه باطل ، ويقلبون الباطل حقًا ، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

والداء في هذه الناحية يكاد ينحصر في جهتين أساسيتين [رجال الدين ـ الكتاب والصحفيين] .

أ- أما رجال الدين :

فهم [علماء الدولة] الذين باعوا الدين واشتروا العَرَضَ الفاني فهم علماء سوء ، يُحلِّون ما أحله الحاكم ، ويحرمون ما حرمه الحزب الحاكم .

لا يُعْدمون الأدلة على ما يذهب إليه أسيادهم وما يُمْلى عليهم ويطيعونهم في كل ما يأمرون والدليل عندهم جاهز ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(١) .

فمثلاً :- إذا رأى الحاكم مقاتلة اليهود والنصارى أسعفهم الدليل ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ**﴾(٢) ، وإذا رأى نفس الحاكم ونفس الحزب ، ولربما في نفس السنة أو في نفس الشهر الصلح مع اليهود والنصارى فإن الدليل

---

(١) النساء: ٥٩ .

(٢) التوبة: ١٤ .

موجود ومفصل ومحكم أيّ إحكام!!! ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[1] .

والعياذ بالله إنهم علماء السوء . والأخطر من ذلك أن هؤلاء الحكام يستعملون ويستخدمون هؤلاء العلماء في ضرب الإسلام والمسلمين ، وفي ضرب الصحوة الإسلامية في معظم البلدان الإسلامية .

فإن هؤلاء الحكام والحكومات الظالمة الفاسقة تعلم مدى أثر الدين في نفوس الشعوب وأن فطرة الإسلام التي في كل مسلم لا تسمح لأحد أن يتعرض للدين ولا للعلماء ولا لمتدين . ولكن إذا جاءت هذه الدول وتلك الحكومات بعلماء معروفين عند عامة الناس ولهم من القدر والمكانة ثم تكلموا ، وقالوا في فئة معينة من المتدينين أنهم على باطل ، وأنهم متعصبون ، وأنهم متطرفون ، بل وخارجون عن الدين ، سَهُلَ الأمر على عامة الناس وتقبلوا كلامهم بالقبول . ومن ثَمَّ لا يعترضون على أي أحد يتكلم في هذه الفئة فيُفسح بذلك المجال لكل من أراد أن ينال من الدين ومن كل متدين وكل ذلك بصك من هؤلاء العلماء [علماء السوء] وأيضًا يسمُّون [علماء الدولة] . وأنا أقول ما هم بعلماء ولكنهم [عملاء] باعوا الدين ، وخانوا الأمانة ، وعادوا الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ووالوا أعداء الله من الكفرة والمنافقين ، وباعوا أنفسهم رخيصة زهيدة للحكام والرؤساء والزعماء ولبَّسوا على الناس دينهم .

ب- **الكتَّاب والصحفيون** : كما تقدم فإن علماء السوء مهدوا الطريق وسهلوا الأمر أمام كل منافق وفاسق لينال من عباد الله الموحدين الملتزمين بشرع الله وسُنة الحبيب ﷺ .

---

(١) الأنفال: ٦١ .

فيُفتح الباب على مصراعيه لكل غادر ووضيع لينال ممن شاء وكيفما أراد فهذا هو تيار الحكومة وهذه رغبة الدولة ، وهذه هي الموجة ـ ومن وراء ذلك كله الأيادي الخفية من اليهود والنصارى عليهم لعائن الله ، والمذاهب والأفكار المخالفة لشرع الله تعالى ـ . وكل ذلك مَهَّدَ له وأعطاه الشرعية . هؤلاء [علماء الدولة] .

فنرى مثلاً كاتبًا علمانيًا تجرد من الدين ، وانخلع من القيم ، وسقط في هاوية الضلال يسخر من رجال الدعوة ، وشباب الصحوة ومن الدين ومن السُنّة ومن ذلك :-

١- يسخر أحدهم من اللحية ويقول عنها أنها قذارة وعدم نظافة .

٢- ويصور آخر صاحب اللحية على أنه شيطان ويرسم كاريكاتير لشخص قبيح المنظر ولحيته مُبعثرة أشعث أغبر ـ وذلك لينفر الناس من كل صاحب لحية .

٣- ومنافق آخر يرسم كاريكاتير لصالون حلاقة وعلى بابه طابور كبير جداً من أصحاب اللّحى قد تزاحموا عليه لكي يحلقوا لحاهم ـ خوفًا من السجن والاعتقال .

٤- وآخر يرسم صاحب لحية ومن تحتها عبارة عن مجموعة قنابل مخبأة تحت شعر اللحية .

٥- وآخر يصور شابًا ملتحيًا بلحية كثيفة وعلى وسطه حزام فيه عدد من الأسلحة المتنوعة [من سكين وسيف ومُسدس . . . .] وكأن صاحب اللحية لص أو قاطع طريق .

٦- أما هذا الوضيع فردته من نوع آخر ، إنه يصور خيمة وبها ثقبان ويقول في سخرية : هذا هو حجابهم وهذه هي نساؤهم .

فلا عجب فقد قال كبيرهم وزعيمهم ـ : «يريدون منا أن نجعل المرأة كالغراب ـ أو يريدون المرأة تكون بهذا الزي [يقصد الحجاب] كالخيمة لها ثقبان» .

٧- وتقول ـ ـ ـ ـ ـ : «وأنا ضد الحجاب لأن البنات المحجبات يُخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ . وقد قررت بصفتي مدرسة بالجامعة أن أطرد أي طالبة محجبة من محاضرتي . . . إلى أن قالت : فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب» .

٨- وتقول «أمينة السعيد» ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ تصف الحجاب بأنه [ثياب مَمْجوجة] وتقول وكلها حسرة «فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها زي إسلامي ، لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقيًا معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لفٍّ أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء» .

٩- وتقول الدكتورة/ زينب رضوان : «انتشر الحجاب بين الطبقة المثقفة قبل العوام وهذا على عكس ما هو متعارف عليه ، ونفس هذه الطبقة المثقفة هي التي رفضت الحجاب في زمن «هدى شعراوي» وخلعته وداسته!!!!» .

١٠- ويقول فيلسوف الهرم «زكي نجيب محمود» وهو يتباكى على تبرج الجاهلية الذي ولىَّ ، ويهاجم الحجاب ويسبُّ المتحجبات ومما قال : «أصابت المرأة المصرية في أيامنا هذه نكسة ، ارتدت بها إلى ما قبل . . . . وهناك اليوم عشرات الألوف من النساء [المرتدَّات] ينزلقن تطوعًا إلى هوة الماضي . والمأساة أن المرأة اليوم تتبرع سلفًا بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج» .

١١- ويقول «إحسان عبد القدوس» الداعي إلى الفساد والفاحشة في إحدى

مقالاته في مجلة «روزاليوسف» : «إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود» . ويقول : «إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها وتذهب إلى أبيها وتقول له : هذا صديقي !!!!!» .

١٢- وتقول (أمينة السعيد) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ : «القوامة اليوم لا مبرر لها لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي في مجال الثقافة والمال ، وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة » وهذه المنافقة الفاسقة تدعو إلى إلغاء قوامة الرجل على المرأة وأين هي من قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[1] ؟!. إنهم يريدون تبديل شرع الله .

إنها والله العمالة والخيانة ، وعدم صون الأمانة ، إنها إعلان الحرب على الله تعالى . إنها المحاربة لدين الله وشرع الله تعالى . بل تصل الردّة إلى حد أن يطالعنا من يتسمى باسم المسلمين ويكتب في صحيفة ربما تكون من مال المسلمين . ويقول : إن الشريعة الإسلامية عاجزة عن مسايرة التطور العصري ومتطلبات الحاضر وأن هذه الشريعة كانت أيام الصحراء ، وشرعت لمحمد وعائشة ، ولمن معهم من البدو ـ والآن نحن في القرن العشرين وقد وصلنا للقمر واخترعنا الصاروخ والمركبات الفضائية وغير ذلك . فيجب تحكيم القوانين التي تناسب هذا العصر والتي هي عصارة فكر أساتذة جامعات ومفكرين ومصلحين عالميين !!!

والله إنها ردة القرن العشرين (وليست حضارة القرن العشرين) . أي انتكاسة في الفطرة هذه ؟!!! أي رجوع إلى الباطل بعدما ظهر نور الحق؟!!! إنه

(١) النساء: ٣٤ .

الانسلاخ من الدين وإعلان الحرب على الله والرسول وعباد الله الموحدين .

إن كل المتهكمين على الدين والساخرين من شريعة الله رب العالمين ، وأحكامه وحدوده والساخرين من سنة سيد المرسلين ، كلهم وأمثالهم مرتدون ويصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

فسوف يأتي اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ الذي تُرفع فيه الراية الإسلامية عالية خفاقة على مشارق الأرض ومغاربها ويُعزُّ فيه الدين وأهله ، ويُخزي الله الباطل وأهله ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر ، من خلال خلافة راشدة ، وتحت إمام واحد عادل ، ويظهر الحق ، ويَزهق الباطل ، وتُكشف الغمة عن الأمة ، وتُقام الحدود على هؤلاء المنافقين والمرتدين ، فيقتَّلوا ويُصلَّبوا ، وتقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وينفوا من الأرض ، ويشفي الله صدور قوم مؤمنين ، ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[2] ، وإلى أن تشرق شمس الحق في فجر دولة الإسلام الساطعة ندرأ بهذه الآية في نحور هؤلاء الكفرة والمنافقين والمرتدين حياتهم الدنيا . ألا وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ

---

(١) المائدة: ٣٣ .

(٢) هود: ٨١ .

يَعلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

ثالثًا : الناحية الرياضية : إن الناحية الرياضية تحتل مكانًا لا بأس به في الصحف والجرائد بحيث إنَّ الرياضة قد تكون من أعظم الأبواب التي من أجلها تروج الجرائد ـ بل بلا مبالغة إن الجريدة التي تهتم أكثر بناحية الرياضة تكون أكثر رواجًا من غيرها .

وللأسف فإن هناك مشجعين للكرة بطريقة جنونية يفقدون معها العقل والتحكم في النفس ـ والله إنه لشيء يراد ـ يراد أن ينصرف الرجال والشباب عن دينهم وعن كل عظيم فلابد وأن يُخدَّروا بهذا [الصنم] الذي يسمى (الكورة) ـ نعم إنه ليصل عند كثير من الناس إلى حد أن يكون صنمًا بلا مبالغة ـ فقد تُلهي هذه (الكورة) كثيراً من الناس عن مصالحهم وقضاء حوائجهم ، وعن طلب الرزق ـ ولو اقتصر الأمر على ذلك لهانت المصيبة ولكن يصل الأمر عند الكثير أن هذه (الكورة) تُلهي عن أداء الصلاة في أوقاتها ـ فضلاً عن ترك صلاة الجماعة في المساجد ، بل يصل الأمر إلى ترك الصلاة كلية ـ فقد تستمر المباراة من قبل صلاة العصر إلى بعد صلاة العشاء خاصة لو لعب الفريقان أوقاتًا إضافية ، وضربات ترجيحية « كما هو معلوم لهواة الكرة ومتابعيها » فيترك بذلك المسلم صلاتي العصر والمغرب ـ ولربما انهزم الفريق الذي يشجعه فينام حزينًا متحسراً معرضًا حتى عن صلاة العشاء ـ ولربما طغى عليه حزنه وتغلب عليه شيطانه ولم يستيقظ لصلاة الفجر . فإن الأخ الكريم في حداد على فريقه المهزوم ـ ولربما أخذ إجازة من العمل ـ فهو مُحرج من أن يقابل زملاءه في العمل [الذي هو عبارة عن معقل للتعليق على المباريات والأفلام] .

---

(1) النور : ١٩ .

وهذا الآخر الذي زحف أمام فريقه الذي سيلعب مباراته يوم الجمعة فيتحتم عليه الذهاب مبكرًا ليجد مكانًا متقدمًا في المدرجات وحتى يتسنى له أخذ آلات اللهو والتشجييع وأعلام فريقه [ياليتها كانت أعلام التوحيد (لا إله إلا الله) على أرض فلسطين والقدس الشريف] وذلك من الساعة الثامنة والتاسعة صباحًا . وبالطبع لن تنتهي المبارة في الغالب إلا بعد العصر ـ فترك هذا المشجع المتحمس والرياضي الباسل صلاة الجمعة ولم يُصلِ حتى صلاة الظهر ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فبينما يُرغب الرسول ﷺ في التبكير للذهاب إلى المساجد في يوم الجمعة ويحث على المسابقة إلى الصف الأول ، وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ نجد الآن كثيرًا من شبابنا ورجالنا بل وبعض نسائنا يتسابقون جميعًا في يوم الجمعة لكي يَحْظَوا بفضل التبكير بالذهاب إلى المدرجات يوم الجمعة . ويحرصون على الظفر بالصف الأول لكي يآزروا فريقهم ويشدوا من أزرهم ولكي يحققوا الفوز الكبير ، ويحظوا بالنصر العظيم . ويعودوا بالأجر الوفير .

الرياضة وسيلة لتخدير الشعوب واستعبادهم :

إن الولاء والبراء يظهران بوضوح لا ريب فيه في أعمال هؤلاء المنافقين ومدهم يدي العون لأعداء الله وأعداء الدين ـ [إنهم يوالون ولكن أعداء الله والكفار والمنافقين ـ وعندهم براء ولكن من الدين ومن المؤمنين] .

فنرى المنافقين والمنافقات يوالي بعضهم البعض على حساب الدين ، ونصرة للباطل وللأباطيل قال تعالى : ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾[1] ، ومن أجل إكمال

(١) التوبة : ٦٧ .

وإتمام الحبكة في القصة الوضيعة على مسرح النفاق لابد من تخدير الشعوب ومسخ عقولهم وشغل أذهانهم حتى لا يفكر أحد منهم في دين ، ولا يهتم بعرض ولا يحترم مقدسًا ، ولا يغار على حرمة ، لابد من إلغاء شخصية الشعوب ومسخ هوياتهم ، وطمس عقائدهم . وما ذلك إلا عن طريق أشياء محببة للنفس وللشيطان فيها دور كبير لا يُغفل . لابد من تخطيط من اليهود والنصارى ينفذون به خططهم ويحققون به أهدافهم ـ ويكون مبررًا ومخرجًا لهؤلاء المنافقين الذين يتسمَّون بأسماء المسلمين ويخدعون أممهم ، وهم ألد الخصام . «إنها الرياضة ـ إنه الفن ، إنها الملاهي بجميع أنواعها . . . . . .» هذا هو المُخدر ، هذه هي السموم ولا عجب ولا اعتراض ، فليس هذا بشيء مفترى ولكن هذا هو الواقع المُر والأليم .

وها هم أعداء الله أنفسهم يعترفون ويُصرِّحون لبعضهم البغض والله فاضحهم ومخرج ما في أضغانهم . وهذه [بروتوكلات حكماء صهيون] فيها دليل على ما نقول وتصريح لمدبراتهم ومؤامراتهم.

«ومن يراجع بروتوكولات حكماء صهيون يجد مصداق ما ذكرنا كله حرفًا بحرف بل وأكثر من ذلك ، وإليك هذا النص الصريح من نفس البروتوكولات :

[جاء في البرتوكول الثالث عشر ما نصه] : «ولكي نُبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بنفسها أي خط عمل جديد لنا سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرًا .

وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها .

إنَّ هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتمًا عن المسائل التي سنختلف

فيها معه وحالما يفقد الشعب تدريجيًا نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعًا معنا لسبب واحد هو : إننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيد بين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة .

وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا .

إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت ، ولهذا السبب سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية .

لقد كان نجاحنا نجاحًا كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأُميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يوجد عقل واحد بين الأُميين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفي ضلال وزيع عن الحق[١] . »

تعليق لابد منه :-

إن نظرنا وتأملنا في هذا النص الموبوء ، وهذا التخطيط اللعين ، وهذه العداوة المتأصلة في القلوب وجدنا وراءه الكثير والكثير مما يغيب عن غالب المسلمين والشعوب اللاهية ، المنغمسة في اللهو والترف من أصحاب البطون ، وعُبَّاد الفروج ، ومن المعرضين عن الدين ، والواقعين في شباك المنافقين .

إن هناك ثَمَّ ملاحظات وتعليقات لابد من الإشارة إليها والتنبيه عليها ولو على سبيل السرعة :-

١- قول : «ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية» وكأن تخطيطهم

(١) «بوتوكولات حكماء صهيون» : (ص ١٦٨) ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، الطبعة الرابعة ، وانظر : «مكائد يهودية» للميداني : (ص ٣٤٦) ، نقلاً عن «الولاء والبراء» (٤١١) للشيخ محمد سعيد القحطاني.

وسمومهم مقصودة وموجهة توجيهًا دقيقًا حتى لا يقع في المحذور إلا من يريدون من الأمم وعلى رأسهم أمة الإسلام فهي العدو الأول ولكن الأمة اليهودية لن يصيبها أي أذى ولو اشتركت ظاهريًا مع غيرها في مزاولة بعض أنواع اللهو فهو من باب التعمية وإحباك الدور المشبوه الوضيع .

٢- قول : «عن أن تكشف بنفسها أي خط عمل جديد لنا سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرًا » إن هذه الرياضة وهذا الفن وهذه الملاهي وغيرها ـ أدوات ووسائل تغفيل الشعوب لاستعباد رقابهم ، ومص دمائهم ، ونهب أموالهم وثرواتهم ، والقضاء على دينهم وشخصياتهم .

٣- قول : «إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتمًا . . .» وهذا تأكيد وتوضيح لغايتهم من بث مثل هذه الألعاب وهذه الملاهي . [علمًا بأن لعبة الكرة هذه أصلها يهودية] .

٤- قول : «وحالما يفقد الشعب تدريجيًا نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف الجميع معنا. . .» ها هو هدفهم الخبيث ، وما يرمون إليه ، وتصبو نفوسهم لتحقيقه . هو فقدان الشعوب الإسلامية وعيها ، وفقدان رشدها ، وشل التفكير عندها . لتكون التبعية المطلقة ومسخ الشخصية المسلمة . وصدق الرسول ﷺ في إخباره عن هذه التبعية ـ وهو الصادق المصدوق صلوات الله وتسليماته عليه ـ حيث قال : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم القذة حذو القذة حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» [1] .

٥- قول : «هذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا . »

(١) رواه البخاري كتاب (الاعتصام) باب (لتتبعن سنن من كان قبلكم) .

فلننظر كيف يكون التنفيذ الفعلي للمخططات والمؤامرات الصهيونية العالمية إنها تنفذ وتطبق بأيدي [العملاء] من المنافقين الذين يتسمَّون بأسمائنا ولربما يصلون بصلاتنا ولربما ادعوا كذبًا وزوراً أنهم حماة الدين والذابين عن العقيدة . إنه الولاء المشئوم للكفار وأعداء الدين ، والتآمر على الإسلام والمسلمين ، وتنفيذ مؤامرات اليهود المتمردين والنصارى الحاقدين ، وهكذا يعلنها اليهود أن هؤلاء عبارة عن آلات يُنَفَّذُ عبرها خطط أعداء الدين ، حتى يُلبِّسوا على الناس دينهم فهم لا يشكون في هذا الرئيس فإن اسمه (محمد) ولا في هذا الوزير (فهو أبو بكر) ولا في هذا العالم فإن اسمه (عمر) ، ولا في هذا (المفتي) فهو (علي). ولا في هذا الكاتب فهو يدعى (محمود) ولا في هذا المعلم وهذا المفكر فهم من المتظاهرين بالإسلام والتمسك بالدين .

ومن هنا تكون قاصمة الظهر ، ومن هنا يُضرب المسلم في صدره ومن أقرب الناس إليه ، ومن هنا يتخلخل الصف ومن وسطه ومن بعض أعضائه ، وهذا هو مكمن خطر النفاق والمنافقين . إنه النفاق الذي هو أشد من الكفر . وصدق الله القائل : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾ (١) .

٦- قول : «ولا يوجد عقل واحد بين [الأميين] يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة [التقدم] يختفي ضلال وزيغ عن الحق» .

- انظر ماذا يسموننا ، وكيف ينظرون إلينا إننا عندهم [أميون] . وقديّما قالوا: ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾(٢) .

---

(١) النساء: ١٤٥ .

(٢) آل عمران: ٧٥ .

- وانظر أيضًا اعترافاتهم عن دورهم الخبيث في خداع الشعوب والمغفلين من الأمم بهذه العبارات الجديدة ، الجوفاء ، الخدَّاعة ، التي تبث السم ، وتخدر الناس مثل [الحضارة ـ التقدم ـ الرقي ـ التكنولوجيا ـ المدنية ـ مواكبة العصر . . . .] لكي يُعموا الناس ويضعوا الغشاوة على أبصارهم ويلغوا عقولهم أو على حد تعبير البروتوكول : «رؤوس الأُميين الفارغة من العقل» .

إنهم يستعملون هذه العبارات وتلك الشعارات للتعمية والتضليل . وخاصة إذا ترنَّم بها هؤلاء المنافقون من بني جلدتنا ، ليزداد التضليل ، وتُحبك القصة ، ويتمكنوا من أداء أدوارهم في المسرحية الخبيثة التي تدور أحداثها على أراضي المسلمين ، ويكون أبطالها المنافقين ، ومؤلفوها ومخرجوها هم الكفرة والملاحدة وأحفاد القردة والخنازير .

- ويكون الضحية في كل قصة وكل رواية هم عامة المسلمين .

لابد من التعرية :-

إن الولاء لله تعالى ولدين الله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين يقتضي تعرية هؤلاء المنافقين والكشف عنهم ، وفضحهم في كل مكان وزمان فإن ذلك من واجبات الدين ، وإظهاراً للعداوة للمنافقين أعداء الدين ، حتى تكشف الغمة عن الأمة ، وحتى تُكشف مخططاتهم ، وتُحبط مؤامراتهم ، وحتى ينجو المسلمون من شباكهم وحبائلهم وحتى تستيقظ الأمة من غفلتها . ولتعلم من العدو الحقيقي ، ومن هو الصادق ، ومن هو المنافق، ومن يستحق الموالاة ومن يستحق المعاداة، ولمن يصرف الولاء ولمن يُتوجه البراء . وحتى يُعْلم المنافق في كل مكان ، وفي كل زمان ، وكل منصب ، فيواجهوا بشدة ، ويُضرب على أيديهم ، ويقام عليهم حدود الله لمن يستحق ، ويعزَّر من وجب له التعزير ، لكي تنجو الأمة وتتخلص من شرهم ، ولكي تتحقق عقيدة الولاء والبراء التي

نتعبـد بهـا الله تعالى ونتقرب بها إليه .

رابعًا : الناحية الفنية : إن الناحية الفنية لا تقل عن سابقتها (الناحية الرياضية) في تخدير الشعوب وإلهاء الأمم عن مستعظمات الأمور ، وتثبيطهم عن معالي الهمم ، وهذا أيضًا مما نص عليه البروتوكول الثالث كما أسلفنا «وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات [كالفن والرياضة وما إليها] .» .

فالفن عندهم مقدم على الرياضة ؛ لأن الرياضة إذا حققت هدفًا واحدًا وهو «إلهاء الشعوب» فإن الفن يحقق أهدافًا كثيرة منها :

١- إلهاء الشعوب.

٢- إفساد الشعوب .

٣- هدم الدين وتخريب العقيدة .

وبالطبع كل ذلك عن طريق الإعلان والترغيب والدعوة الخبيثة وذلك في الصحف كما أشاروا من قبل ـ [فهي دائرة واحدة ومركزها واحد] فهم مجتمعون على عداء الإسلام .

ولما كان للفن بأنواعه من [التمثيل ، والرقص ، الأغاني ، والموسيقى......] القدر الكبير في إلهاء الشعوب وهدم الدين ، وتحطيم الأخلاق ـ كان تركيزهم على هذه الناحية الشيء الكثير والكثير فنجد الصحف والجرائد ممتلئة بأخبار الفن بأنواعه ، والترغيب فيه ودعوة الناس للعكوف عليه فنجد صفحات وصفحات . فيها من أخبار الفنانين والفنانات والممثلين والممثلات ، والمغنيين والمغنيات ، والراقصين والراقصات ، الأحياء منهم والأموات.

فمن كان حيًا فالحديث مرة عن قصة حياته ، وعن نشأته ، وقصة كفاحه حتى وصل إلى هذه المكانة المرموقة ، وكيف استطاع أن يصل إلى هذا المجد.

[وما هو بمجد بل هو الصعود إلى الهاوية] .

- وأيضًا أهم أعماله وعددها ، وأفضلها عنده ، وأعلى سعر تقاضاه على عمل فني . . .

ومن كان من الأموات . فهم يتباكون عليه وعلى أعماله الجميلة الرائعة ، والذكرى الخالدة العطرة التي خلفها خلفه ، والفن الذي تركه ويُنْتَفَعُ به بعد موته فيصله الأجر إن شاء الله تعالى [بل سيصله وزره ووزر من عمل به إلى يوم الدين والعياذ بالله] .

وكذلك إنه يجب إحياء ذكراهم وإعادة أعمالهم الفنية مرة أخرى مع الاستفادة من تجاربهم التي مروا بها [والعياذ بالله وكأنهم سلفنا الصالح يجب العض على سيرتهم وأعمالهم بالنواجذ ـ واتباع سيرتهم القذة حذو القذة] .

وكذلك يوجد في هذه الجرائد صفحة كاملة أو صفحتين لبيان مواعيد الإذاعة والتليفزيون منذ بداية الإرسال إلى نهايته وذلك حتى يسهل التعرف على الوجبة الروحية التي ستقدم كل يوم وليلة وحتى يتسنى المتابعة من الهواة وأصحاب الأذواق العالية الرفيعة وحتى يأخذ كل إنسان ويختار ما يحلو له ويروق .

وأيضًا حتى لا تفوت أحد حلقة تليفزيونية ، أو مسلسل عربي ولربما أجنبي ، أو فيلم أو أغنية ، أو مسرحية . فهم ينظمون الأوقات ويعلنونها في الصحف حتى يتعاونوا على الإثم والعدوان هكذا ليلهوا الشعوب عن دينهم ، وعن الأمور العظام وحتى يفسدوا أخلاقهم ويهدموا دينهم .

فيخرج لنا جيل لا يعرف إلا الخلاعة والميوعة والخنوثة ، جيل منفصل تمامًا عن دينه ، ومُدمرًا أخلاقيًا ، وفكريًا ، وثقافيًا ، واجتماعيًا .

جيل لا يعرف الموالاة إلا للمنافقين والفسقة ، وأصحاب اللهو والطرب والعربدة والفساد . جيل فُرِّغ عقله من الإسلام لكي يُملأ بالفساد والضياع ، ويملأ بكل فكر ضال منعوج فلا نرى إلاَّ أشباه مسلمين ، أجساداً خاوية كأنهم خُشب مسندة .

يُسفك دم المسلم ، وتُنتهك حرماته ، وتُسلب أمواله ، وتضيع أرضه ، وتغتصب مقدساته ، ويُسخر من دينه ، ويُستهزأ بسنة نبيه ﷺ .

والشباب والشواب والرجال والنساء «إلا من رحم الله» يدورون في فلك الفن ، وهم معه حيثما دار ، فلقد أُشربوا الفن في قلوبهم ، حتى رَانَ على قلوبهم ما كانوا به مفتونين ، حتى أصبح الفن بأنواعه مقدمًا على أوامر الله تعالى وعلى سنة نبيه ﷺ . فقد يُترك أداء الفرض من أجل متابعة مسلسل ، وتُلغى صلاة العشاء لإنها داخلة في برنامج السهرة الفني ويُقضى على صلاة الصبح قضاءً لأنها في وقت غير مناسب «بعد السهرة وانتهاء الحفلة بقليل وفي بداية النوم اللذيذ ـ النوم مع الشيطان والعياذ بالله ـ » .

هذا هو حال الأمة ، وتلك هي الغُمة ، وما أعظم المصيبة ، وأكبر الجرم، وما أحقر الولاء للمنافقين والعملاء مروجي الفتن ، والداعين إلى موالاة الشياطين ، والتمرد على رب العالمين ، وهجر كتاب الله الذي هو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، إلى أصنام الفن ، وأدوات اللهو والإعراض عن الدين .

[ألا من توبة ؟!!!]

إنه الولاء الذي يخدش التوحيد ، وينقض العقيدة في حق كثير من المعرضين الغافلين ، ويُخرج الساخرين والمستهزئين منهم من الدين ، ويجعلهم من أصحاب الجحيم . لأنهم والوا الشياطين وعادوا الله وعباده المؤمنين .

ألا مِنْ توبة ؟ ، ألا مِنْ رجعة ؟ ، ألا مِنْ عودة إلى الله ، وشرعه الحنيف، وسنة نبيه الكريم ﷺ ؟ ألا من ثورة على الباطل وأهله ؟ ، ألا من غَيْرة على دين الله وحرماته ؟ .

إلى متى ستستمر هذه الغفلة ، وهذا الضياع؟ ، إلى متى سنظل في أذيال الأمم؟ ، إلى متى سيستمر نظر العالم إلينا على أننا قطيع من الغنم ، وأننا الشعب الثالث ، والأمم المتخلفة ، والشعوب النامية؟ إننا نحتاج إلى يقظة من هذه الغفلة [بل استغفر الله إننا نحتاج إلى بعث] فبعضنا ليس في غفلة بل قد مات فيه الشعور وانعدم فيه الإحساس .

ولن يكون الخلاص إلاّ بالعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والاقتداء بسلفنا الصالح ، عقيدة ، وعبادة ، وسلوكًا ومعاملة وأخلاقًا . . . .

وبالولاء لله ولدينه ولكتابه ولسنة نبيه ﷺ ولعباده المؤمنين الموحدين وبالبراء والعداوة للمشركين والكافرين والمنافقين ولكل أعداء الدين ، ولتتضح هذه العقيدة [الولاء والبراء] قولاً وعملاً ، عقيدة وسلوكًا .

اعترافات صحفي بعمالة الصحافة :-

إن معظم الصحافة الآن عميلة [إلا من رحم ربي] إما للشرق وإما للغرب ، إما للشيوعية وإما للرأسمالية عمالة مأجورة إما قابضة للثمن من الصهيونية اليهودية، وإما من النصرانية الصليبية ، أو الماسونية الانحلالية .

إنهم يتاجرون في الأعراض ، ويبيعون الدين والشرف من أجل المال ، أو عرض زائل من أعراض الدنيا .

ومنهم من يوالي أعداء الله نفاقًا في قلبه ، لا من أجل مال ، ولا من أجل منصب ، ولا من أجل دنيا يصيبها [كما هو حال معظمهم] ولكن كراهية منه لهذا

الدين وحقدًا على عباد الله الموحدين ، وحبًا في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وإفسادًا في الأرض والله لا يحب المفسدين .

وقد يقول أحد المخدوعين : إن هذه مبالغة وخروج عن الواقعية وتحامل على الناس بلا برهان ولا دليل ، ولا تُحمِّلوا الأمور ما لا تحتمل .

ونقول لهم : الواقع خير شاهد ، وأكبر دليل على خُبث هؤلاء المنافقين ومحاولتهم لهدم الأخلاق والدين . بل إنهم ليشهدون على أنفسهم بما لا يدع لأحد أدنى شك في عمالتهم وخيانتهم وإفسادهم في الأرض .

يقول الصحفي «محمد التابعي» :-

الذي كانوا يعدونه أستاذ جيل الصحفيين الذين خرجتهم مجلة «روز اليوسف» المأجورة المفسدة ـ يقول هذا الصحفي واصفًا واقع الصحافة قائلاً :-

«هذه الصحيفة صنيعة أمريكا ، وهذه الصحيفة مأجورة للإنجليز ، وهذه المجلة تصدر بأموال شيوعية ، وهذا الصحفي يتلقى أوامره ومرتبه الشهري من «موسكو أو وارسو أو براج» .

وهكذا أصبحنا جميعًا نحن الصحفيين بين فاسدين ومفسدين ، ومنافقين وخونة ، مأجورين للكتلة الغربية ، والكتلة الشرقية ، وأصبح الشعب في حيرة من لسانه المسموم :

الصحف : التي أيدت الطغيان ودافعت عن الفساد .

والصحفيون : الذين مرغوا جباههم تحت أقدام الطغيان ، بعد أن أسفر الطغيان » [1] .

---

(١) جريدة أخبار اليوم «٢٥/ ١٠/ ١٩٥٢» انظر : «معركة السفور والحجاب» للشيخ محمد أحمد إسماعيل (ص ٦٨) .

الله أكبر لقد شهد شاهد من أهلها ، وعرَّاهم أجمعين وبيَّن ما هم عليه من الخيانة والعمالة والإفساد في الأرض ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] .

* * *

(١) المطففين: ٤ - ٦ .

[المطلب الثالث]

﴿ الإذاعة والتليفزيون ﴾

١- التغرير بالشعوب .

٢- نشر الفساد وإشاعة الفاحشة .

٣- هدم الدين :

أ - عدم توعية الناس بالإسلام .

ب- نشر البدع والشركيات.

جـ- بث الفكر المنحرف والمذاهب الباطلة.

د - الندوات والمؤتمرات التي تهاجم الدين.

هـ- التهكم على الدين عن طريق :- الأفلام والمسلسلات والمسرحيات....

٤- محاربة الصحوة الإسلامية :-

أ - الخطب والتصريحات.

ب- عقد الندوات واللقاءات .

جـ- الأعمال الفنية المغرضة.

د - الإعلانات الساخرة.

الإذاعة والتليفزيون

إن الإذاعة والتليفزيون [أو التلفاز] أشر ما علمت البشرية على مدار العصور والدهور إذ استعملت فيما يغضب الله تعالى ، ولم يوضع على رأسها من يتقي الله تعالى ، وإذ وضعت ووكلت لأيد غير أمينة ، وخاصة إذا كانت أيد عميلة أو مأجورة أو من المنافقين أعداء الله وأعداء المؤمنين :-

إن الإذاعة والتليفزيون من أهم وسائل الإعلام في العالم كله ، وهما أكبر أداة ، يسيطر عليها الحكام ورؤساء الدول في بث ما يريدونه في شعوبهم ، وتوجيههم الوجهة التي يريدونها . وبسيطرتهم على هاتين الوسيلتين يستطيعون قلب المعروف منكرًا ، وقلب المنكر معروفًا ، وتزيين الباطل ومدح أهله ، وغمط الحق وتشويه أهله والإساءة إليهم . بل هما وسيلتان لمحاربة الدين وهدم الشريعة ، والقضاء على الفضيلة والأخلاق الحميدة .

١ ـ التغرير بالشعوب :-

إن عامة الشعوب وأكثر خاصتهم يتأثرون بما يسمعون ويشاهدون وتخدعهم بعض المناظر والمظاهر الكاذبة ، ويُسحرهم اللسان المتكلم ، والكلام المعسول وخاصة إذا كان المتكلم بارعًا في النفاق ، ومتمكنًا من التمثيل ، ومُدربًا على الخداع ، فيضلل الشعوب بهذا الكلام ، ويؤيد الباطل ويزينه للناس ، ويقضي على الحق ويتهم أهله بل ويرميهم بالفسق والضلال فلقد قَلَبَ فرعون ـ عليه لعنة الله ـ الحق باطلاً ، والباطل حقًا وصور موسى عليه السلام على أنه مفسد في

الأرض وأن فرعون من دعاة الإصلاح في الأرض ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[1] .

وكذلك كما قال الله تعالى عن هؤلاء المجرمين الذين يسخرون من عباد الله المؤمنين : ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾[2] ، الله أكبر إنه قلبٌ للحقائق ، إنه التزوير والخداع ، والنفاق والإفساد في الأرض .

فيخدع كثير من رؤساء البلاد والحكام شعوبهم عن طريق هذين الوسيلتين من الإعلام حتى يحظوا بالتأييد ، ويضمنوا البقاء على كرسي الحكم . فيوهمون الشعوب أنهم حكام عدول ، نزهاء ، شرفاء ، بل وَرِعون وأتقياء ، وأنهم يسهرون على راحة أممهم وأن حكومتهم تبذل كل جهدها لخدمة الدين والمواطنين ، ومحاربة أهل الباطل والمنحرفين وأن حزبهم هو أجدر الأحزاب لتولي أمانة حكم بلادهم . والسير فيهم بسيرة العدل والإنصاف .

وأن هذه الحكومة تعمل على النهوض بأفراد الشعب وجماعاته على طريق التقدم والرقي ، والازدهار والحضارة ، والمدنية والتحررية .

وغير ذلك من الكذب والافتراء ، والزور والبهتان ، حتى يصوروا للشعب ولأممهم أنهم سرُّ حياتهم ، وأن هذه الشعوب من غير هذه الحكومات لا قيمة لها ولا وزن ولا اعتبار .

ويشهد الله أنهم كاذبون وأنهم خانوا الأمانة ، وضيعوا الأمة ، وباعوا الأرض والعرض وخانوا الله ورسوله وعباده المؤمنين ووالوا الشيطان والمنافقين،

---

(١) غافر: ٢٦ .

(٢) المطففين: ٣٢ .

وعادوا الرحمن وعباده المؤمنين .

فإن وضع هذه الوسائل في أيدي هؤلاء المنافقين من أكبر أنواع الموالاة المشئومة والمحرمة التي يبغضها الله تعالى ، والتي تُعرِّض صاحبها للوعيد الشديد بالخسران في الدنيا والآخرة ، والتي تعود على الأمة الإسلامية بالضعف والخذلان قال الله تعالى : ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾(١) .

إنهم يبتغون العزة عند أسيادهم من حكام الشرق والغرب والثمن هو النفاق والكيد للإسلام والمسلمين ويمرغون جباههم في التراب في ذلة وخذلان ووضاعة وخسران . ولا يعلم هؤلاء أن العزة لله جميعًا ولرسوله وللمؤمنين .

إن وظيفتهم إشاعة الفتنة وخلخلة الصف ، وإضعاف شوكة المسلمين . وللأسف هناك من ينخدع بهم وينصاع لهم ويتأثر بلحن قولهم . قال الله تعالى : ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾(٢) .

٢ ـ نشر الفساد وإشاعة الفاحشة :-

إن وضع الإذاعة والتليفزيون في أيدي هؤلاء المنافقين [لأنهم يُظهرون الإسلام ويُبطنون العداء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين فهم منافقون حقًا] هو من باب التعاون على الإثم والعدوان والموالاة للمنافقين وإظهار العداء للدين ، والله

---

(١) النساء: ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) التوبة: ٤٧ .

عز وجل يقول : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١] فعلى الرغم من أن هاتين الوسيلتين كان من الممكن ومن السهل استغلالهما في نشر الدين وتفقيه الناس وتعليم المسلمين أمور دينهم ، وترسيخ العقيدة ، والقضاء على الشرك والخرافات ومحاربة البدع ما كبُرَ منها وما صَغُر .

فهذه نعمة من الله تعالى يجب تأدية شكرها فبالشكر تدوم النعم قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢] . أما والعياذ بالله مع الكفر ونكران النعم وعدم الشكر واستعمال نعم الله في معصية الله ومحاربة دين الله تعالى فإن الله تعالى يهدد ويحذر وينذر . قال تعالى : ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٣] نعم إنه العذاب الشديد الأليم عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة . عيشة ضنكة في الحياة الدنيا ويأس وبؤس وفقر وضيق وأمراض وأوجاع كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٤] . نعم فكما كانت عيشته ضنكًا وبؤسًا في الحياة الدنيا ، فهو أيضًا يُنسى يوم القيامة من رحمة الله فلا يصيبه من تلك الرحمة شيء فَيُعْرض عنه كما أعرض في الحياة الدنيا ويُترك للعذاب والجحيم ولسوء المصير .

وللأسف إن أمانة الإذاعة والتليفزيون التي كانت من الممكن أن تكون فتحًا للمسلمين وسببًا لنشر الإسلام في أنحاء المعمورة ، للأسف إنها وُضعت في أيد

---

(١) المائدة: ٢ .

(٢) ، (٣) إبراهيم: ٧ .

(٤) طه: ١٢٤ - ١٢٦ .

غير أمينة ، ضيعت الأمانة وخانت الأمة ، وأغضبت رب البرية ، وحاربت دين الله وسخرت من عباده المؤمنين فنشروا الفساد بين العباد ، وأشاعوا الفاحشة في الذين آمنوا ، وذلك بنشر سمومهم من [الأغاني والموسيقى ، والأفلام ، والمسلسلات ، والمسرحيات ، ....] مما يقلب قضية [الولاء والبراء] رأسًا على عقب ، فيُصرف ولاء المسلم للفاسق وللعاصي وللمنافق ، ويُضمر العداء لكل مؤمن مصلح يطالب بالإصلاح والرجوع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وذلك لأن حب المعصية قد أُشرب في قلوب الناس من كثرة المعاصي حتى ران عليها بل وخُتم على قلوب بعضهم والعياذ بالله .

فإنهم قد أماتوا القلوب ، وعكروا صفو الفطرة ، وقلبوا الموازين ، وأفسدوا في الأرض والله عز وجل يقول : ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**﴾[١] وقال : ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[٢] وقال : ﴿**وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٣] وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٤] . ويحذر سبحانه وتعالى هؤلاء الذين يشيعون الفاحشة ويروجونها ويُزينونها ويدعون إليها ويتوعدهم بالعذاب الأليم والخسران المبين في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾[٥] . فبالله كيف يكون هناك دولة تدعي الإسلام - ويُعرض على

---

(١) الأعراف: ٥٦ .

(٢) البقرة: ٢٠٥ .

(٣) الشعراء: ١٨٣ .

(٤) يونس: ٨١ .

(٥) النور: ١٩ .

شاشات التليفزيون ما يُسمع وما يُري من الأغاني الماجنة ، والأفلام والمسلسلات والمسرحيات الساقطة التي تدعو إلى الفاحشة ، وتقضي على الفضيلة وتقتل الحياء، وتُوئِد العفاف ، وتذبح القيم . كل هذا في بلاد المسلمين !!!، كل هذا يراه الشباب المسلم !!! ، ويسمعه من يصلي ويركع لله تعالى !!! ، أبهذه الصورة الوقحة تظهر النساء لا أقول كاسيات عاريات ، بل هن عاريات فاجرات مائلات مميلات ، وهكذا يظهر أيضًا الشباب والرجال وقد أظهروا فحولتهم وأغروا الفتيات والنساء ، والله إنه لشيء يَعْظُم على العقل أن يصدقه ، فأين الرجولة وأين الغيرة ؟!!! أين الدين ؟!!! بل أين غيرة الجاهلية إذا كنتم قد خرجتم من الإسلام وتبرأتم من العقيدة فأين غيرة وحمية الرجل الجاهلي الذي كان يركع ويسجد للصنم والشجر؟!! إنها والله الدياثة والخنوثة والميوعة والتجرد من الدين والقيم والأخلاق الحميدة ، ألم يسمع هؤلاء المخنثون أصحاب الدياثة عن الحروب التي كانت تقوم في الجاهلية بين الأفراد والقبائل وتستمر السنين والسنين من أجل أن رجلاً نظر لامرأة غيره وهي تمشي في الطريق وهي ساترة لنفسها ملتزمة بزي الحشمة والوقار . أين هؤلاء المتمدينون من رجولة الأعرابي صاحب الصحراء وصاحب الناقة والجمل فوالله إنها جاهلية الجاهلية وليس التمدين والعصرية .

وقد تعترض الجاهلية حينما وصفنا هؤلاء بها ، ولعلها تبرأ لله مما يفعله هؤلاء .

إذًا ماذا نقول لكم أيها الفجار ومن خلفكم من المنافقين والكفار . إنها في كثير منكم [ردة] ورجوع إلى ظلمة الكفر بعد نور الإسلام ، وحب الكفر والنفاق ، وبغض الإسلام والإيمان ألا لعنة الله على الظالمين والكافرين المبدلين لشرع الله ، والخارجين على حدود الله المحبين للفساد ، والمشيعين الفاحشة في عباد الله المؤمنين ، والله لا يحب الفساد .

٣ ـ هدم الدين

إن من مظاهر الولاء والموالاة للمنافقين وأعداء الدين وضع وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون في أيدي هؤلاء المنافقين أعداء الله وأعداء الدين ، وهو في الوقت نفسه إعلان للبراءة والمعاداة للإسلام والمسلمين .

فنجد هؤلاء القائمين على هذه الأجهزة الإعلامية يعملون على هدم الدين ، ونشر كل ما يساعد على إبعاد المسلم عن دينه ، وتفريغه دينيًا وأخلاقيًا .

وهدم الدين ومحاربته ومحاولة القضاء عليه له صور عديدة وأساليب متنوعة إذ إنهم لا يهتمون بالوسيلة ولا الكيفية ، فالغاية عندهم أقدس الأماني ، وهي نصب أعينهم يعملون لها ليلاً ونهاراً . ومن هذه الأساليب والطرق التي يعملون بها على هدم الدين ما يلي :-

أ- عدم توعية الناس بالإسلام وبعقيدتهم وبدينهم : وهي ما يسمونه [بتجهيل الشعوب الإسلامية بدينهم] وهذه التعمية وهذا التجهيل من أكبر وأخطر وسائل محاربة الإسلام والعمل على هدم الدين . فمثلاً إذا لم يسمع المسلم ولم يعرف عن [الولاء والبراء] ، فكيف يوالي وكيف يعادى ولمن يصرف ولاءه ولمن تكون عداواته ، فكيف يحقق هذه العقيدة ، وكيف يكون انتماؤه .

إذا لم يعلم المسلم حكم الجهاد في سبيل الله وأهدافه وأحكامه وفضله فكيف يستعد لهذا الجهاد ، كيف يُحدِّث به نفسه ، كيف يُكنّ العداء والعداوة لأعداء الله على اختلاف مللهم ومذاهبهم وعقائدهم . فكيف يقام عَلَمُ الجهاد في بلادٍ لا تحدثهم وسائل إعلامهم التي تدخل بيوتهم على مدار اليوم والليلة عن هذا الجهاد ؟؟!!، بل تستبدل هذا الباب بأبواب الفسق والعصيان من أغانٍ

وموسيقى وأفلام كلها دعارة وإثارة للشهوة وإشاعة للفاحشة في الذين آمنوا .

إن هذا التجهيل وهذا التعتيم لأمور الدين من أكبر العمالة التي ابتُليَ بها المسلمون على أيدي هؤلاء المنافقين وبعض المارقين الخارجين عن دائرة الدين.

والخطر الكامن في هذا التعتيم ، ليس فيه فحسب ، بل إنه إذا لم يُعلَّم المسلم دينه فسوف يُعلَّم ضده من الفسق والانحلال والضلال والمذاهب والأفكار الهدامة التي تناقض الدين والخُلق .

(ب) نشر البدع والشركيات :

أيضًا من وسائل هدم الدين ومحاربة الإسلام عن طريق هذه الأجهزة المشئومة والمشبوهة وإعلان الموالاة للمنافقين والكفار والمشركين وأصحاب البدع والشركيات هو : فسح المجال لنشر البدع والشركيات عن طريق هذه الأجهزة التي تمتلكها الحكومات الظالمة الفاسقة . فتسمح بانتشار هذه البدع والشركيات وذلك لإلهاء الشعوب عن التمسك بدينهم الحق وفي نفس الوقت إشباعًا لرغبة التدين عند عامة الشعوب .

وفي نفس الوقت ما داموا على بدعة وضلال فلن يمثلوا أي خطر على هذه الحكومات ؛ لأن هذه الحكومات تعلم علمًا جيدًا أنه ليس هناك أحد جدير بأن يذبذب حكمهم ويزلزل عروشهم إلا قوم تمسكوا بالإسلام الصحيح . أمَّا هؤلاء فهم على حد تعبيرهم السقيم «دراويش» ليس لهم في السياسة ولا في الحكم ولا في القيادة ولا الزعامة . فهم من هذين البابين يحرصون على نشر البدع والشركيات في المجتمعات المسلمة :-

الباب الأول : إشباع رغبات التدين عند عامة الشعوب ولكي يشغلوهم بهذه البدع عن طلب العلم الشرعي الصحيح ، والعقيدة الصافية .

الباب الثاني: أنهم يأمنون جانبهم فهم لن يَصْبوا لحكم ، ولن يفكروا في إقامة دولة ، ولن يسعوا لمنصب ، ولن تهفو أنفسهم للاستيلاء على عرش .

ومن هذه الشركيات التي يروجون لها ويفسحون لها المجال ويعلنونها علنًا في الإذاعة والتليفزيون بل تهيأ لهم الأماكن والميادين وتحت حراستهم وإشرافهم وتنظيمهم من هذه البدع بدعة [**المولد النبوي**] :- فتنظم له الأماكن وتفرش الفرش وتنار المدن وترفع الأعلام وتُحرس هذه الليالي وهذه التجمعات التي اجتمعت على البدع والاختلاط وهدم الدين ـ بل ويُذاع لهم البرامج والأحاديث واللقاءات التي تحث وتمدح وتأصل هذه البدع وتدعو إليها .

والطامة الكبرى أن تذاع اللقاءات المشبوهة والمأجورة التي يجتمع فيها علماء الدولة [علماء السوء] وبعض كبراء الدولة علنًا في التليفزيون إحياءً لمثل هذه الليلة وغيرها من الليالي البدعية وذلك زيادة في التعمية على المسلمين وإضلالهم وتزيين الباطل لهم ، وقلب الباطل حقًا وقلب الحق باطلاً . ولكي يُكسبوا هذه البدع الشرعية لابد من اصطحاب علماء الدولة (علماء السوء) الذين باعوا دينهم وأطاعوا أسيادهم ووالوا أعداء الله وأصحاب البدع وعادوا أصحاب الحق وعباد الله المؤمنين ليكسبوهم شرعية لهذه الأعمال التي ما قامت وما فُسح لها إلا هدمًا للدين ومحاربة لشرع الله ودينه الحنيف وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأيضًا من البدعيات التي يشجعون عليها ويضللون بها الناس ـ [الموالد الأخرى لبعض الصالحين ـ وأعياد الميلاد ـ وعيد رأس السنة الميلادية وهو عيد يحتفل به النصارى فجمعوا فيه بين البدعة وبين الموالاة للكفرة والمشركين من النصارى وغيرهم] ـ وغير ذلك من الاحتفالات البدعية والأعمال الشركية التي يعرضونها ويشجعون الناس عليها من [عيد الأم ـ عيد العمال ـ وعيد الفلاح ، وذكرى يوم الثورة ، وذكرى يوم التحرير ....] .

(جـ) بث الفكر المنحرف والمذاهب الباطلة :-

إن من وسائل هدم الدين عن طريق وسائل الإعلام في الإذاعة والتليفزيون ـ [التي هي موالاة للكفار والمنافقين] هو إذاعة البرامج والمسلسلات التي تبث الفكر المنحرف والمذاهب الباطلة ـ مثل [العلمانية ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والماسونية ، واللادينية . . . . .] .

فإنه فتح للباب وفسح للمجال ، وتمهيد للطريق ، لكل فكر منحرف باطل وكل مذهب ضال مُضل لكي يُفسدوا عقائد الناس . وليُلبِّسوا عليهم دينهم ، ولينشروا سمومهم في المسلمين . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[١] .

فمع هذا الجهل وهذه التعمية وعدم علم عامة الناس بأمور دينهم ولا بخصائص عقائدهم فهم مُفرغون ـ دينيًا وفكريًا ـ ثم بعد ذلك ـ لتتم الجريمة البشعة التي أُعدّ لها في خفاء ، وتمت بليل ، وخُطت بأصابع ملعونة ، وبمداد مشبوه ، ومُوّلت بأموال مغصوبة ـ يُفسح المجال لأصحاب الأفكار والمذاهب والتيارات المنحرفة لكي يُعرضوا أفكارهم ويُروجوا لمذاهبهم ، ويدعوا إلى تياراتهم ، وذلك كله في جو من التعظيم لهم والترحيب بهم حتى يُسبك الدور وتتحقق الحبكة الفنية في القصة الوضيعة والمسرحية المنحلة التي ألفوها وأخرجوها في جو مشبع بالعمالة ، مملوء بالخيانة ، مفعم بالبغض والكراهية للإسلام والمسلمين قال تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

---

(١) النساء: ١٤٠ .

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1) .

والحاصل أننا نجد شبابنا وإخواننا [إلا من رحم الله] منهم الشاب العلماني المسحور ، والاشتراكي المتهور ، والشيوعي المتعصب ، والماسوني الضائع ، وكل ذلك في غياب الإسلام من ضمير المسلمين ، وضياع الدين من عقول أصحاب الدين .

وكل ذلك يُعد له البرامج واللقاءات والأحاديث . بل وتُعد المسلسلات والأفلام وغيرها من الأعمال الفنية [العفنة] التي تبث هذه الأفكار وتدعو إليها وكل ذلك في بلاد المسلمين والقائمين عليه يُسمون بأسماء المسلمين ويُنفق على كل ذلك من أموال المسلمين . إنهم يخربون علينا ديننا وبأموالنا وأمام أعيننا وهذا كله من جرَّاء الولاء المشئوم للنفاق والمنافقين وأصحاب البدع ، وأرباب الشرك . وبُغض الدين وإظهار العداوة لعباد الله الموحدين السائرين على درب الإيمان والتوحيد .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(2) .

(د) الندوات والمؤتمرات التي تهاجم الدين :-

إن من مظاهر هدم الدين ومحاربة شرع الله تعالى من قِبلَ هؤلاء العملاء والمنافقين إتاحة الفرصة لهم لعقد الندوات والمؤتمرات التي تهاجم الدين ـ وتبث فكر التشكيك في الدين وتصور [الشريعة الإسلامية] على أنها قاصرة عن مسايرة

---

(1) التوبة: ٦٧ .

(2) التوبة: ٦٨ .

الواقع وعن الإيفاء بمتطلبات العصر ـ وعدم قدرتها على مسايرة ركب الحضارة وعصر التكنولوجيا الحديثة ـ وللأسف قد تكون بعض هذه المؤتمرات وهذه اللقاءات والندوات مكونة من أساتذة الجامعات وأصحاب الفكر والرأي في المجتمعات مما يكون له موضع الاعتبار عند كثير من الناس العامة منهم والخاصة.

والمصيبة الكبرى أن تنزلق أقدام بعض العلماء والدعاة [الذين باعوا الدين ورضوا بالحياة الدنيا] فيقعوا في شباك هؤلاء المنافقين المارقين، فيستغلونهم ويأخذونهم ورقة رابحة لمحاربة دين الله تعالى ولتصويره على أنه عاجز عن مسايرة الركب وأنه لا بأس من الاستئناس ببعض التشريعات والأخذ ببعض القوانين في المعاملات بل وبعض الأحكام وذلك من أجل التيسير على الناس ومراعاة مصالح المسلمين [وما هو والله إلا خيانة لله وللدين والتلبيس على عباده المؤمنين]. وذلك لزعزعة قداسة الإسلام ومكانة الشريعة في نفوس الناس تمهيدًا للفظها كلية من حياة المسلمين ـ وبالطبع يأتي دور الإعلام المشبوه والموبوء في نشر هذه الكلمات وإذاعة هذه الندوات واللقاءات في الإذاعات والتليفزيون بل وتُسجل في شرائط الفيديو ـ وتباع بأسعار زهيدة بل ربما تُهدى لأنها تُموَّل من جهات تُكنّ في صدرها العداء لهذا الدين وتعمل على ذبذبة هذا الدين وهدم هذه العقيدة وتفريغ المسلم من إسلامه، وخلعه من دينه، فإما أن يكون صاحب فكر منحرف، أو معتنقًا مذهبًا باطلاً، أو انحلاليًا، لا عقل له ولا قيم ولا ضابط له ولا مباديء، فهو جسد بلا روح، ورأس بلا عقل ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(هـ) التهكم على الدين عن طريق الأفلام والمسرحيات والمسلسلات .... :

وما هذه إلاَّ حلقة في هذه الدائرة والمؤامرة الوضيعة التي دبرها أعداء الله، وأعدوا لها في خفاء ونفذوها بدهاء ، وأحكموها بلؤم وخبث ، وأوقعوا في حبائلها عامة المسلمين وكثير من خاصتهم .

فنرى في الآونة الأخيرة أُلفت القصص والروايات التي تطعن في الدين وتهاجم الشريعة وتسخر من القرآن وتستهزيء بسنة رسول الله ﷺ ، وذلك بكل فجور وتبجح وبدون خجل أو تورية .

وسرعان ما يتلقف المخرجون وأرباب الفن هذه الروايات والقصص الساقطة الوضيعة لكي يخرجوها للناس على صورة مسلسلات وأفلام ومسرحيات. . . . . . . حتى يشدوا الناس إليها ولكي يسمعها ويشاهدها الجميع ، الكبير والصغير ، الشاب والشابة ، الرجل والمرأة ، بل والطفل والطفلة ، وذلك لشيئين :-

١- لكي يعرضوها ويبثوا سمومهم بطريقة مقبولة مَرِحة ترفيهية ، عن طريق السخرية تارة وعن طريق الفكاهة تارة أخرى ، وعلى سبيل التحذير والتوعية تارة ثالثة . . . . .

فإن الإذاعة والتليفزيون من أهم الوسائل التي تتغلغل في نفوس وبيوت الناس جميعًا . فلابد وأن يُلبسوا هذا العمل وهذا السُّم ثوبًا أنيقًا ، مُموهًا بالفكاهة لكي يكون مقبولاً . ولا عجب فلقد أخبر الله عنهم بأنهم [أي المجرمين] دائمًا حالهم السخرية من المؤمنين . وجعلهم مجالاً للفكاهة والضحك . قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ

﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[١] .

٢- ومن أهدافهم أيضًا من نشر هذه الأفلام وتلك المسلسلات هو إضعاف الناحية الدينية في نفوس المسلمين وخاصة النشء الجديد فهم يربونهم على عدم احترام الدين ، وعلى إماتة تعظيم الدين في نفوس المسلمين ، فتموت فيهم الغَيْرة على الدين وعلى حرمات الله ومقدسات المسلمين ، بل على العرض والأرض .

فنرى هذا المسلسل الوضيع يُختار له من الفنانين الساقطين لكي يسخروا من الدين ومن صاحب اللحية وصاحب السُّنة وكل متدين ملتزم بالشرع الحنيف ، ويصورونهم على أنهم دجالون ولصوص ، بل وقُطَّاع طرق خارجون على الدين ومتحررون من كل قيم وخلق قويم .

بل وتطالعنا وسائل الإعلام بمسرحية هابطة وضيعة لممثل وضيع سفيه مخنث مجرد من الرجولة بل مجرد من الشعور والإحساس ويسخر من حديث النبي ﷺ ويدندن بكلمة [التيس المستعار] ويعلق على حديث الرسول ﷺ بطريقة ساخرة ملعونة ليضحك المغفلين والمغفلات من أبناء المسلمين بل المنتسبين إلى الإسلام ظلمًا وزوراً . أفلا يعلم هؤلاء أن من سخر من كتاب الله تعالى أو بآية أو بحرف من القرآن الكريم أو بأي سنة من سنن النبي ﷺ كَبُرت أم صَغُرت فهو ومن أوحى إليه ومن ساعده ومن شاركه ومن وافقه ومن استمع إليه وأعجب بقوله أو فعله أو رضي بما قال أو فعل . ألا يعلمون أنهم بذلك قد خرجوا من دائرة الإيمان والإسلام جميعًا إلى دائرة الكفر [هذا مع افتراض أنهم أصلاً مؤمنون] قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

(١) المطففين: ٢٩ - ٣١ .

وآياته ورسوله كنتم تستهزءون (٦٥) لاتعتذروا قد كفرتم بعدإيمانكم[1]

إن سبب نزول هذه الآيات ليجعلنا نقف أمام هؤلاء الساخرين من ديننا ومن رسولنا صلى الله عليه وسلم موقفاً واحداً ، فلقد تركنا الرسول صلي الله عليه وسلم وقد أكمل الدين ، وتمت النعمة ، وظهر الحق ، وزهق الباطل ، تركنا الرسول صلى الله عليه وسلم] علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك •

إن سبب نزول هذه الآيات [2] أن بعض الجنود من صفوف المسلمين في غزوة تبوك قالوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه : « والله مارأينا مثل قُرائنا : « أرغب بطوناً ، وأكذب ألسناً ، وأجبن عند اللقاء » إفتراء ات ثلاث ، [كثرة الأكل ، الكذب ، الجُبن] فأنزل الله قرآناً يتلى إلي يوم الدين بكفرهم وخرجوهم من الدين بعد إيمانهم •

وذلك رغم وجودهم في الصف الإسلامي ، ورغم خروجهم للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن لامجاملة على حساب الدين ، ولامداهنة علي حساب العقيدة •

فلابد من إعلان (الولاء والبراء)، ولابد من تحديد الصف ، ولابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • ولكن للأسف إذا قام الآن أحد المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحجة علي هؤلاء الساخرين ومحاولة الأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد فلربما جاءت تصريحات وصدرت أوامر

(١) التوبة : ٦٥ ـ ٦٦

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية (٦٥ ـ ٦٦) [٢/ ٣٥٤]

وصلاحيات بإطلاق النار والذخيرة الحية على كل صاحب لحية يقترب من المكان ولو كان مارًا مرور الكرام .

الله أكبر ، الله أكبر تُجرد الجيوش وتُجهز الأسلحة وتُعد العدة ويستعدون لإطلاق النيران على مَنْ ؟ هل على اليهود أحفاد القردة والخنازير الذين لُطخت أيديهم بدماء المسلمين ؟!!

هل تطلق النيران على مغتصبي بيت المقدس ، وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ ؟!!

هل ستطلق النيران على الشيوعيين الملحدين الذين أبادوا المسلمين وقتلوا الأطفال والشيوخ في أفغانستان وغيرها من بلدان المسلمين ؟!!!!

هل يجمعون هذه الجموع لقتال النصارى الحاقدين الذين ذبّحوا إخواننا في البوسنة والهرسك واعتدوا على أعراض الآلاف من نساء المسلمين ؟!!!

هل حشدوا الحشود لمقاتلة عبّاد البقر في الهند الذين يبيدون المسلمين إبادة ويحرقونهم ، ويهدمون المساجد والبيوت ويسلبون الأموال وينتهكون الأعراض؟!!! ألا يستحي هؤلاء؟!!!

ألا يخجلون ويطأطئون رؤوسهم ؟!!!

إنهم أعداء الله وأعداء الدين ، إنها الموالاة لكل شيطان رجيم ، ولكل طاعن في الدين ، ومحارب لسنة سيد المرسلين محمد ﷺ .

ماذا يريد هؤلاء ؟ هل سينحدر بنا الحال ، ويتدهور بنا الأمر أكثر من ذلك؟!!! ألا من صحوة ؟!!! ألا من تحرر من عبودية الأسياد ، والانحناء والركوع والسجود لكل كافر ومنافق ومحارب للدين ؟!!

إلى متى يا أمة الإسلام يُطلق العنان لكل من أراد أن يتهكم على الإسلام وينال من العقيدة ، ويتجرأ على الشريعة . أليس هذا عار علينا جميعًا ؟!!

أليس لنا دور في الوقوف في وجه هؤلاء المنافقين والطغاة والظالمين ؟!!!

أين نخوة الشعوب الإسلامية ؟ ، أين فطرة حُب الدين ؟!!!

أين علماء الدين ؟ أين العلماء الربانيون ، العلماء العاملون الذابون عن الدين ، القواد لحركات العزة والكرامة ورفع الرأس أمام الطغاة الظالمين المتكبرين؟!!

أين هم من توعية الشعوب وغرز عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين.

أين طلاب العلم ودورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

أين الذين يريدون أن يكونوا رفقاء [لحمزة رضي الله عنه] في الجنة ، حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه هو ورجل قام أمام حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله كما أخبر بذلك سيد المرسلين .

أين عشاق الجنان ؟ أين مُحبو الشهادة ؟ أين الذين طاقت أنفسهم لمرافقة الأنبياء والصديقين في جنة عرضها كعرض السموات والأرض ؟ أين خُطاب حور العين في جنات ونهر عند مليك مقتدر ؟!!

أين الذين يصبون للنظر إلى وجه الله تعالى ويتمتعون بنور الإله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١) . فالأمر يحتاج إلى وقفه،والتغير يحتاج إلى رجال باعوا الدنيا واشتروا الآخرة وحملوا أرواحهم على أكفهم رخيصة وزهيدة في سبيل الله وطلبًا لرضا الله تعالى ، وحبًا للشهادة وأملاً في الجنة . فأين هم؟؟؟؟؟

---

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٣

٤ ـ محاربة الصحوة الإسلامية

إن من الأهداف التي باتت واضحة وأصبح لا لبس فيها ولا شك هو تسخير وسائل الإعلام في كثير من البلدان الإسلامية لمحاربة الصحوة الإسلامية وعلى رأسها :- الإذاعة والتليفزيون .

وكما تقدم أن هذه الوسائل الإعلامية تحارب الدين وتهاجم الشريعة ، وتتمرد على الإسلام ، وتتحالف على العقيدة ، وذلك بشكل عام .

وبشكل خاص نجد هذه الوسائل الإعلامية تقوم بإعداد برامج خاصة ، ومفصلة تفصيلاً محبكًا ، وموظفًا توظيفًا مقصودًا ومتعمدًا [لمحاربة الصحوة الإسلامية] المباركة التي نؤمِّل فيها الخير ـ بعد إذن الله تعالى ومشيئته ـ .

وما ذلك منهم إلا إعلان البراء من الدين ، والعداوة لكل الملتزمين بشرع الله الحنيف ، وهو في الوقت نفسه ولاء للكفار والفساق والمنافقين .

لأنهم يخافون من هذه الصحوة الإسلامية المباركة أن يكون على أيديها الفتح المبين ، وتحرير المسلمين من استعباد الظلمة والمنافقين ، ورفع راية التوحيد على كل بلدان المعمورة ، فحينئذ ستذهب دولة الباطل ، ويذهب نفوذهم ، وينزلون من على عروشهم ، ويُجردون من كل مظاهر العظمة والأُبهة ، وتُقام عليهم الحدود . ويُنفذ فيهم حكم الله تعالى .

من أجل ذلك وغيره يتكاتف أهل الباطل بعضهم مع البعض لمحاربة أي ظاهرة تنعي لهم أنفسهم وتنذرهم بزوالهم فيخططون ، ويدبرون ، ويبذلون كل

جهدهم في محاربة هذه الظاهرة [غير الصحية] كما يقولون ومن وجهة نظرهم .

ومن هنا أيها الأخ المسلم الكريم تحتم محاربتك ، وإعلان حالة الطوارىء ، والنفير العام لمواجهة الصحوة الإسلامية التي تنذر الجميع بصباح جديد ، تشرق فيه شمس الإسلام ساطعة على آفاق الكون ، ويُغرد لها جميع الوجود ، ويرحب بها كل مخلوق ، فتحية من عند الله مباركة لهذه الوجوه المضيئة ، وهذه الأيادي المتوضئة ، وهذه النفوس العظيمة ، وهذه القلوب اللينة الرحيمة ، وهذه الهمم العالية وهذه الرؤوس المرفوعة في ظل منهج الإسلام ودولة الإسلام العظيمة . قال تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[1] ، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2] .

ومن وسائل محاربة الصحوة الإسلامية في هذه الإذاعة والتليفزيون ما يلي :-

[أ ـ الخُطب والتصريحات]

إن من وسائل محاربة الصحوة الإسلامية المباركة هذه الخطب والتصريحات من قِبَل رؤساء الدول ووزراء الدول . (وخاصة وزراء الداخلية) .

فنجد رئيس الدولة يطلع على شعبه من آن لآخر وليس له شغل شاغل إلاّ تزيين الباطل وخداع شعبه بالتصريحات الخادعة الكذابة .

ثم بعد ذلك التفرغ للكلام على الصحوة الإسلامية وعلى رجالها وأتباعها

(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

والقائمين عليها وتشويه صورتهم وقذفهم بالاتهامات الباطلة ، والألفاظ الجارحة، ظلمًا وافتراءً وبهتانًا ولا يفوتهم تلفيق القصص والحكايات الباطلة والمزورة ، تهكمًا على رجال الحق ، وسخرية من كل ملتزم ، واستهزاءً بكل متمسك بدينه

ودافع ذلك شيئان:

[أ] إشفاءً للحقد والغل الدفين الذي في صدورهم لهؤلاء الصفوة والنيل منهم ومن أعراضهم ومحاولة لتلويث سمعتهم ، والنيل من شرفهم . إذا أنهم هم منبت القلق ، ومصدر الإزعاج لهم ، والمسمار الذي يُدق في نعشهم [إن صح التعبير] .

[ب] أيضًا هم يحرصون على ذلك حتى تُشوه الصورة أمام الناس ويزرعون البغض والكراهية في نفوس الشعوب عامتهم وخاصتهم تُجاه هؤلاء الصفوة . فلا تنتشر العدوى [عدوى الالتزام بالشرع] بين طوابق الشعوب وحتى لا يخرج النشء محبًا لدينه متمسكًا بسنة نبيه ﷺ ومقتديًا بهؤلاء الصفوة من رجال الصحوة الإسلامية المباركة .

وأما الوزراء وخاصة وزراء الداخلية ، فهم يسيرون على درب أسيادهم ، وينفذون كل المخططات والأوامر التي تصدر إليهم سواء من رؤساء الدولة أو من خارج البلاد . فعندهم من الولاء العجيب [الذي لو صرف لله تعالى ولدينه لصاروا من أولياء الله الصالحين] . فهم يظهرون على شاشات التليفزيون ، ويذاع لهم في الإذاعات أحاديثهم ولقاءاتهم وسوف يندمون على هذا الاتباع الأعمى يوم القيامة يوم لا ينفع الندم . قال الله تعالى : ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ**﴾[1] .

---

(١) الأحزاب: ٦٧ .

وتتسم أحاديثهم غالبًا بشيئين :

[أ] إصدار بيانات عن سقوط بعض الجماعات ، وإحباط بعض المحاولات التي كان الإرهابيون [يقصدون رجال الصحوة][1] قد خططوا لها ودبروا لها ـ وقد قامت أجهزة الأمن النشيطة الباسلة بإسقاط هذه المحاولات في مهدها وقبل تمكن الأعداء والعدو اللدود من تنفيذ خططه . وما ذلك إلاَّ بتوفيق من الله تعالى .

ويتلو ذلك إلقاء إحصائية وجدول بيانات عن المضبوطات التي ضبطت مع هذه الجماعات من أسلحة وذخيرة وقنابل ومدافع ورشاشات [ولولا اللوم لقالوا وطائرات] . وذلك غير الأموال السائلة من دولارات واسترليني وريالات ودينارات، وهذا بالإضافة إلى المبالغ التي بالعملة المحلية .

ويشهد الله إنهم لكاذبون في أكثر ما يقولون وأن معظم هذه الحكايات والقصص مختلقة ، والبعض الآخر مبالغ فيه أيّ مبالغة .

وما ذلك كله إلا من أجل تقليب الشعوب وعامة الناس على هؤلاء الصفوة وعلى فكرهم وعلى ما يَدْعون إليه وتصويرهم أنهم إرهابيون وخوارج وعملاء ومأجورون لدولة كذا ودولة كذا وتُمولهم دولة كذا ودولة كذا . (وإنهم لكاذبون).

وأيضًا من أجل أن يصوغوا لأنفسهم اتخاذ أي إجراء ضد هذه الجماعات وهذه الصفوة وإصدار أحكام عنيفة وشديدة تصل في غالب الأمر إلى الإعدام ولو خف الأمر إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وكل ذلك في حضرة الشعب وبتأييد منه ،

(١) وليس معنى ذلك أننا نقر أسلوب العنف والمواجهة التي ليس من ورائها إلاَّ الخسارة المادية والجسدية وإضاعة النفس والمال والوقت . ولكن في نفس الوقت نرفض الإفتراء والكذب على رجال الصحوة وشباب الإسلام الملتزمين .

حتى يضمنوا عدم تقلب الشعوب عليهم ويكسبوهم إلى صفهم بعدما وضعوا هذا الحاجز بين الشعوب وبين هؤلاء الصفوة أصحاب الصحوة الإسلامية المباركة .

ولكن : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(١) .

[ب] إصدار التصريحات والتهديدات والإنذارات بالبطش والفتك والحرمان.

وذلك بكل بجاحة ووقاحة وجبروت وتكبر . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢) .

فمرة يهددون بالسجن ، وأخرى يهددون بالإعدام ، وثالثة يهددون بإطلاق النيران على كل من خالف ، أو رفع رأسه ، أو طالب بشرع الله ، أو تطلَّع إلى اتباع سنة الرسول ﷺ .

إعلان الحرب على الله وسنة رسوله ﷺ :-

فوالله إن الأمر ما هو إلاَّ المحاربة لدين الله وسنة رسوله ﷺ . [ويقصُّ أحدُ الشباب الملتحي قائلاً] : ـ دخل علينا مرة عام ـ ـ ـ أحد ضباط ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ في إحدى زنازين ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

وحوله بعض رجال الأمن . وطبعًا هب كل من في الزنزانة واقفًا . فأخذ ينظر إلينا باستحقار وشماتة . وقال لنا : هذا جزاء فعلكم وجُرمكم . فقلت له : والله إننا ما فعلنا شيئًا .

فاتجه نحوي بغضب شديد وحقد [وكأنه عَظُم عنده أني رددت عليه الكلام] ثم اقترب مني وقال لي : ما فعلتم شيئًا ؟ وأمسك بلحيتي وقال لي : وما هذه؟

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) القصص: ٤ .

يقصد أن جريمتنا هي أننا شباب ملتحٍ مقتدٍ برسول الله ﷺ فهم يحاربون دين الله وسنة رسوله ﷺ . [والله على ما يقول شهيد] . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(ب) عقد الندوات واللقاءات

وأيضًا من وسائل محاربة الصحوة الإسلامية المباركة هو :- إقامة **الندوات وعقد اللقاءات** التي يُدعى لها العلماء [علماء الدولة] والمفكرون الإسلاميون [هكذا كما يسمونهم] ومعظمهم في الحقيقة من المخرفين وليسوا من المفكرين .

وتُعقد هذه اللقاءات وتُقام هذه الندوات ، خصيصًا لمحاربة هؤلاء الصفوة الذين يطالبون بالطهر والعفاف ، يطالبون بالقيم والمباديء الإسلامية القويمة ، يطالبون بإقامة العدل ، والحكم بين الناس بالقسطاس المبين ، إنهم ليطالبون بتطبيق شرع الله القويم وتحكيم كتاب الله الحكيم ، والعمل بسنة سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

وتختار الحكومة المغرضة وتنتقي هؤلاء العلماء ، وهؤلاء المفكرين من ذوي الشهرة والصيت المسموع ، والاسم المرموق ، وذلك لشدة تأثيرهم على العامة وكثير من الخاصة ، وأيضًا لكي يتم الخداع المطلوب على أكمل وجه للشعوب ، والشعوب كما هو الغالب على دين ملوكهم وحكامهم ، وذلك لأنهم يملكون تزييف الحقائق وتزيين الباطل .

وبما أن عامة الشعب يشاهد التليفزيون ويسمع المذياع ، فإنها الفرصة الذهبية لهؤلاء المنافقين ليبثوا سمومهم عن طريق هذه الوسائل بواسطة هؤلاء العلماء الذين لهم من المنزلة القدر الكبير عند جماهير الشعب . وأيضًا هؤلاء

المفكرون الذين مُلئت الصحف والمجلات بكتابة أسمائهم ونشر مقالاتهم .

إنه التلبيس على الشعوب والضحك على المغفلين ، وخيانة الأمانة ، وتضييع للأمة ، وسبب لجلب كل نقمة ، وحلول الظلمة ، وغشيان الغمة .

يأتي هؤلاء العلماء (علماء السوء) والمفكرون (المخربون والمخرفون) ليُسفِّهوا كل صاحب لحية ، وكل مطبق للسنة ، وكل مطالب لتحكيم الشريعة ، ويُلبسوا الحق بالباطل والباطل بالحق فيأتوا بنصوص الشريعة ويلووا أعناقها لكي تخدم أهدافهم وتؤيد أقوالهم ، وتعضد مذهبهم الباطل وفكرهم المنحرف ، وعامة الناس وكثير من خاصتهم لا يعلمون الحق من الباطل خاصة وأن المُلبِّس عليهم عالم ، والمُدلس مفكر ، فأين يذهبون ؟ فمنهم من يحتار ، ومنهم من يتوقف في الأمر ، والكثير ينجرف معهم ويؤيدهم ويضع التبعة في أعناقهم . هكذا يضربون الصحوة ويحذِّرون الناس من اتباعهم بعدما يفترون عليهم الكذب والبهتان ومن أشهر هذه الندوات الآثمة المشبوهة هي ما سموها [- - - - -] - - - - - - - - - - - - - . وذلك لأنها أعدت لتوصيل رأي محدد وفرض رأي مُفصل ، وخداع الناس . فهم إما يأتون بهؤلاء المضللين من المفكرين وعلماء الدين يتكلمون ويخدعون الناس وليس هناك من يرد عليهم ويقولون ما يحلو لهم وما يطيب .

أو يأتون ببعض الشباب أصحاب العلم القليل الذين هم في بداية التزامهم ويخاطبهم ويجادلهم علماء متخصصون من أجل أن يعجزوهم ولكي يظهروهم أمام الناس أنهم جُهلاء لا علم لهم ولا حجة بل هم متنطعون في الدين [على حد قولهم الأثيم] .

أو يأتون ببعض قادة الفكر الصحيح وتحت التعذيب والتهديد وقبل أن يأتوا

بهذا الأخ الفاضل الكريم صاحب اللحية ، ومطبق السنة ـ يمرون به من السجن إلى أمن الدولة حيث التهديد والتعذيب حتى يقول ما يُملونه عليه من الأقاويل الباطلة ، ويصل الأمر في التهديد أن يهددوه إن لم ينقاد لما يقولون ويسمع لهم ويُطيع إنهم يهددونه بالاعتداء على عرضه وانتهاك حرمته ولربما أتوا بزوجته أمامه ويحبسونها عندهم حتى يسجل الحلقة المشئومة من [ـ ـ ـ ـ ـ] وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾(٤) .

وهذه الندوة وغيرها لا تذاع على الهواء ، ويُعمل لها روبرتاج ـ فكلام المشايخ والعلماء والمفكرين ينقل ويُذاع بالنص .

أما كلام أصحاب الصحوة وأصحاب الحق يعملون له روبرتاج ـ ويبطرون الكلام ويُحذف ما هو مؤيد للصحوة وللصفوة ويُلفق كلام حتى يظهر للناس أن هذا عبارة عن اعتراف بالخطأ والانحراف من أصحاب الفكر ، ورواد الصحوة . وإنا لله وإنا إليه راجعون والله غالب على أمره ولو كره الكارهون ـ ولو أبى

---

(١) مريم: ٦٤ .

(٢) المجادلة: ٦ .

(٣) النور: ١٥ .

(٤) إبراهيم: ٤٢ - ٤٣ .

المنافقون ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

(جـ) الأعمال الفنية المغرضة :

من وسائل محاربة الصحوة الإسلامية المباركة تسخير الأعمال الفنية من : [أفلام ـ ومسلسلات ـ ومسرحيات . . . .] للسخرية من هذه الصحوة ومن رجالها وقوادها الذين هم الصفوة ، في هذه المجتمعات (نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا) وهذا المخطط هو نفسه الذي استخدموه في محاولة هدم الدين والسخرية من الدين وإضعاف الوازع الديني في نفوس الناس .

فنجد المؤلفين يتصارعون في تأليف القصص والروايات التي تصلح لكي تكون عملاً فنيًا كما يدعون ـ بل هو عمل تخريبي وليس فنيًا ـ ونجد المُخرجين يتلقفون هذه الأعمال بشوق وحرارة وسرعان ما تُمول هذه الأعمال ويكون لها الصدارة ويُيسر لها أمر إخراجها وبسرعة . ثم عرضها على رأس الأعمال الفنية ـ التخريبية الوضيعة ـ وتذاع على الناس ويسمعونها ويشاهدونها في إطار النكتة وعبر الفكاهة ، وبواسطة فنان كوميدي محبوب ـ [طبعًا محبوب للمغفلين من الشعوب اللاهية] ـ فتصل السموم إلى القلوب ويألف القلب والأذن والعيون رؤية وسماع ومشاهدة هذه التهكمات وهذا الاستهزاء حتى يُران على قلوبهم ، فلا يغارون على دين ولا على شرع ولا على مؤمن ولا على عرض .

ومن هذه الأعمال الوضيعة التي تحارب الدين وتسخر من رجال الصحوة وتهزأ بهم فيلم : «الإرهابي» ، «الإرهاب والكباب» . . . . وتوضع الإعلانات في الشوارع العامة والممرات والإعلانات المتكررة والمتتابعة في التليفزيون والسينما ويصور بطل الفيلم (وما هو ببطل بل هو مجرم دجال) على لوحة إعلانات كبيرة وعلى وجهه لحية كثيفة وسوداء وعلى رأسه الطاقية وفي يده

الرشاش وكأنه لص ، أو قاطع طريق ، أو سفاك للدماء .

والله عز وجل يقول : ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[1] ، فالله يمد لهم ويمهلهم حتى إذا أخذهم لن يفلتهم وسيأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

(د) الإعلانات الساخرة :-

أيضًا من وسائل محاربة الصحوة الإسلامية المباركة السخرية من الدين وأصحاب الفكر الإسلامي الصحيح ، من هذه الوسائل الإعلانات الساخرة التي تسخر من شكل المتدين وتأتي به في صورة مضحكة ساخرة لتُضحك عليه الجماهير من المشاهدين . ويكون الظاهر عند الغافلين بل المغفلين أن الأمر يقتصر على ترويج سلعة ، أو الدعاية لشركة ، أو لفت الأنظار فقط .

ولكن المتأمل والمدقق والفاهم الواعي والغيور على دينه ، يعلم جيدًا أن الأصل عندهم هو إسقاط هيبة علماء المسلمين ، والتقليل من شأن الملتزمين . واستحقار أصحاب الدين عامة .

وبالطبع إذا كانت هذه هي نظرة الناس وجماهيرهم لهؤلاء الصفوة ولعلماء الدين وللملتزمين . فكيف سيقتدون بهم ؟ وكيف يتخذونهم مثلاً أعلى؟!! وكيف سيتبعونهم ويسيرون على دربهم ؟!!

فهل يريد هذا الشعب وجماهير المسلمين أن يكونوا نسخة أخرى لهذا الشيخ وهذا العالم وهذا الملتزم الذي يسخر منه الناس في كل مكان وخاصة في وسائل الإعلام وفي الإعلانات ليلاً وصباحًا .

وإلاَّ فبالله عليكم . ما دَخْل الشيخ والدين في «الشاي» ؟!!!

---

(١) البقرة: ١٥ .

فيسمون نوعًا من الشاي [الشيخ الشريب] . وعند الدعاية لهذا الشاي يأتون بشيخ ويرتدي زي الأزهر وعليه ـ ما يسمى الجبة والقفطان والكاكولة ـ ثم يتكلم هذا الشيخ بكلام مضحك وبصورة مزرية لا تليق بزيه وهيئته .

وإعلان آخر يأتون فيه بشاب ملتح يمثل شباب الصحوة الملتزمين بسنة سيد العالمين وهو يقطع الطريق وينهب الناس ويأخذ أموالهم ويستولي على ممتلكاتهم ـ وغير ذلك ـ وبعد ذلك لكي يخفوا الجريمة القذرة التي يريدونها ـ يأتي هذا الشاب ويعترف أن سرَّ فعله هذا وقوته هذه لأنه يشرب المشروب الفلاني ـ أو يفضل الأكلة الفلانية .

وإعلان ثالث يأتون فيه بصورة شاب ملتح ويدخل فجأة على مجموعة من الأطفال فيخافون ويولون مدبرين مذعورين من منظر صاحب اللحية . وحينما يدخل آخر وهو حليق (حالق اللحية) يبتسم له الأطفال ويلتفون حوله . وأيضًا من أجل التعمية كأن هذا الإعلان ، إعلان عن نوع معين من أمواس الحلاقة !!!

فمثل هذه الإعلانات وما على شاكلتها إذا عرضت في التليفزيون وغيره من وسائل الإعلام [والإعلانات كثيرة ويدخل بعضها في بعض ولا نستطيع حصر هذه الحرب الشعواء على الدين والمتدينين في هذه الإعلانات لكثرتها وعدم تتبع المرء لها] .

ولكن عرض أشياء تحمل هذا الفحوى (سواء هذه أو ما يشبهها) بالتأكيد الأصل فيها محاربة كل ما يتصل بالدين من قريب أو بعيد ، ولو لبس ثوبًا آخر للتعمية والتمويه ، فيجب الفطنة والحذر ـ وكشف مخططات هؤلاء المنافقين وبُغْضُهم للدين .

غَيْرة على الدين وولاءً لله رب العالمين ، وتحذيراً لإخواننا من المسلمين

حتى لا يقعوا في حبائل وشباك هؤلاء المجرمين . ويجعلونهم يعادون ويسخرون من عباد الله الموحدين ، وحتى لا يصرفوا ولاءهم لكل فاجر ومنافق ومحارب للدين فتحقيقًا لعقيدة [الولاء والبراء] لابد من كشف هؤلاء وتعريتهم . والنصح لله وفي الله لعباد الله المؤمنين ، حتى يكشف الله الغمة عن الأمة ، وحتى يمحو الله الظلمة ، وحتى يأتي الله بأمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر . ولعله يكون قريبًا إن شاء الله رب العالمين .

* * *

فتوى الشيخ ابن باز [١] عن حكم التلفاز

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز :

وأما التلفزيون فهو آلة خطيرة وأضرارها كالسينما أو أشد وقد علمنا عنه من الرسائل المؤلفة في شأنه ومن كلام العارفين به في البلاد العربية وغيرها ما يدل على خطورته وكثرة أضراره بالعقيدة والأخلاق وأحوال المجتمع ، وما ذلك إلا لما يبث فيه من تمثيل الأخلاق السافلة والمرائي الفاتنة والصور الخليعة ، وشبه العاريات والخطب الهدامة ، والمقالات الكفرية والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم وتعظيم كبرائهم وزعمائهم والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام وتمثيلهم بالصور المنفرة منهم والمقتضية لاحتقارهم والإعراض عنهم وعن سيرتهم وبيان طرق المكر والاحتيال والسلب والنهب والسرقة وحياكة المؤامرات والعدوان على الناس . ولا شك أن ما كان بهذه المثابة وترتبت عليه هذه المفاسد **يجب منعه والحذر منه** وسد الأبواب المفضية إليه فإذا أنكره الإخوان المتطوعون وحذروا منه فلا لوم عليهم في ذلك لأن ذلك من النصح لله وعباده . **ومن ظن أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور** ولا يبث فيها إلاّ الصالح إذا روقبت فقد أبعد النجعة **وغلط غلطًا**

---

(١) هو سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء . ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء . وهو من العلماء المعروفين عند العلماء وطلبة العلم وعامة الناس وخاصتهم .

كبيراً ؛ لأن الرقيب يغفل ؛ لأن الغالب على الناس هو التقليد للخارج والتأسي بما يفعل فيه ؛ ولأنه قل أن توجد رقابة تؤدي ما أسند إليها ، ولا سيما في هذا العصر الذي مال فيه أكثر الناس إلى اللهو والباطل ، وإلى ما يصد عن الهدى والواقع شاهد بذلك كما في الإذاعة والتليفزيون في بعض الجهات فكلاهما لم يراقب الرقابة الكافية المانعة من أضرارها ، ونسأل الله أن يوفق حكومتنا لما فيه صلاح الأمة ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة وأن يصلح لها البطانة وأن يعينها على إحكام الرقابة في هذه الوسائل حتى لا يبث منها إلاّ ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم . . . إنه جواد كريم [1] .

* * *

(١) مجموعة فتاوى الشيخ / ابن باز / (ج٣ ص ٢٢٧) . رئاسة الإفتاء (٦٣٥/خ/ بتاريخ٢١/٤/١٤١٠هـ) .

[المطلب الرابع]

﴿ الفيديو والدش ﴾

الفيديو والدش

إن أعداء الدين ، وأعداء الله يكيدون للإسلام وللمسلمين ، ويخططون ليلاً ونهارًا لهدم الدين ، وللقضاء على الأخلاق ، ولذبح القيم ، ولبتر الفضيلة ولطمس معالم الاستقامة .

إنهم ليخططون ويدبرون ليلاً ونهارًا ، سرًا وعلانيةً ، ويسهرون الليالى ، وينفقون الأموال والأوقات ، ويصرفون العزائم والهمم ، في كيفية التفنن ، والابتكار في ضرب الإسلام والقضاء على المسلمين ، فإن هذا هو شاغلهم الشاغل ، وهو همهم الأكبر ، وموضوع ساعتهم ، وأكبر ما يحتل ساحتهم ، ويشغل مفكريهم وقادتهم .

نعم فإن الأمر بالنسبة لهم خطير ، فليس الموضوع موضوع أرض ، ولا موضوع حدود ، ولا المشكلة مشكلة دولة ، ولا الأمر أمر اختلاف في وجهات نظر سياسية ، ولا خطر اقتصادي ، ولكن الأمر هو أمر [تحديد مصير] الأمر هو [وجود أو عدم وجود] . فإن شبح الإسلام الذي يهددهم ويهدد عرشهم ودولهم بالزوال والدمار ، وهذه الصحوة الطيبة المباركة التي تزف خبر هذا الفناء ، وتنذر بهذا الدمار ، وبسيادة الإسلام ، وبعودة الخلافة الراشدة المباركة وذلك على أشلاء وجماجم هؤلاء الكفار والملاحدة والمنافقين . نعم إن الإسلام هو عدوهم الأوحد ، والذي يقلق مضاجعهم ، ويكدر عليهم صفو حياتهم . نعم إنهم يخططون ويدبرون لكي يُبعدوا هذا المسلم عن هذا الدين ولكي يحققوا فيه الفسق والضلال لكي يكون بعيدًا عن دين الله ، وعن تأييد الله ، ويتمكنوا هم

ومنافقو المسلمين (المتمسلمين) من رقاب الشعوب ويسوقونهم سياق الشياة .
قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[1] .

إن هذا الفرعون وهذا الطاغوت حقق في أتباعه الفسق وبذلك استطاع أن يستذلهم ، فكان مناط تمكنه من رقابهم تحقق الفسق فيهم .

فلقد انقطع ما بينهم وبين الله من صلة ، فحُرِموا النصر والمدد من السماء. وها هي حلقة في سلسلة الحلقات الدنيئة ، والمؤامرات الخبيثة ، والحيل اللعينة ، لضرب المسلمين والتمكن منهم عن طريق نشر الفسق والضلال بينهم ، إنها آخر صيحة من صيحات الفُجر والانحلال ، والفسوق والضلال . إنه [الفيديو والدش] .

لم يكتفِ أعداء الله تعالى بهذه الكتب المضللة ، وهذه المجلات الخليعة وهذه الجرائد المأجورة ، وهذه الإذاعات العميلة ، وهذا التليفزيون الموجه ، وهذه السينما الإباحية ، وهذه المسارح الموبوءة .

لم يكتفِ أعداء الله بهذه الوسائل المخربة ، ولم يُشبع غلهم ويَشْف صدورهم هذه الوسائل المدمرة فها هم يغزون المسلمين الآن بهذا الفيديو وهذا الدش ، ويخربون أخلاقهم بهما أكثر مما هم فيه من خراب ، ليزدادوا فسقًا على فسقهم ، ويزدادوا ضلالاً على ضلالهم ، وليخرج الإيمان من قلوبهم وليلقوا بكتاب ربهم خلف ظهورهم .

قال أحد المستشرقين عليهم لعنة الله :-

«لن تستقيم الأمور للشرق حتى يُرفع هذا الحجاب عن وجه المرأة ويُغطى به القرآن» .

---

(١) الزخرف: ٥٤ .

وقال : «فاسكو دا جاما» الرائد الأول للغزو الصليبي الحديث :[1]

قال بعبارة صريحة حين وصل جزر الهند الشرقية ـ بمعاونة الخرائط الإسلامية ، ومعاونة البحار المسلم ابن ماجد ـ قال : «الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلاَّ جذب الحبل ، فيختنق ويموت» !!! .

هذا هو أملهم ، هذا هو تخطيطهم ، هذا هو هدفهم وتلك أمانيهم ، طمس القرآن والقضاء عليه ، والتخلص منه ، وخنق الإسلام ووءده . ولكن هيهات لهم هيهات ، والقرآن كلام الله ، والإسلام دين الله ، والرسول مبعوث من عند الله ، والمؤمنون أولياء الله . قال تعالى : ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2] .

فالإسلام دين الله وهو الذي يتولى الدفاع عنه ونصره وإظهاره على كل دين قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[3] .

وهو سبحانه وتعالى الذي يتولى الدفاع عن عباده المؤمنين ، وعن أوليائه الصالحين ، نصرة لهم وتأييداً للدين ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[4] .

---

(١) نقلاً عن «هلم نخرج من ظلمات التيه» للأستاذ محمد قطب (ص ١٧) .

(٢) الصف : ٨ .

(٣) الصف : ٩ .

(٤) الحج : ٣٨ .

وضمن سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، ولحزبه الموحدين ، النصر والفلاح في الدنيا والدين ، قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١) .

وفي نهاية المطاف ، وآخر الصراع ، قضى الله ، وحكم سبحانه ، أن النصر ، والغلبة لجند الله ، ولحزب الرحمن ولعباد الله الموحدين ، وأوليائه الصالحين . قال تعالى : ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٢) .

يقول الأستاذ / محمد قطب حفظه الله :

«فإن الصحوة كانت مفاجأة عنيفة لكثير من الناس !!! ذلك أنهم نظروا فقط إلى عوامل الهدم المبثوثة ـ التي جربت أول مرة في أوربا فآتت ثمارها ـ فظنوا أنها ـ في ذاتها ـ كفيلة بهدم أي دين في الوجود .

فنشر النظريات «العلمية» الزائفة ، التي تحارب الدين والأخلاق والتقاليد ، وإنشاء مجتمع لا يُمارس فيه الدين في واقع الحياة ، ويطلق فيه العنان للشهوات لتستوعب طاقة الإنسان واهتماماته بحيث ينسى ربه وآخرته ، ووضع مناهج تعليمية لا يذكر فيه اسم الله ولا اسم رسوله ﷺ ، [وبث توجيهات وسائل الإعلام تزين للناس متاع الأرض وتشغلهم به عن الآخرة] . . . . . كل ذلك كان كفيلاً ـ في نظر المخططين ـ بالقضاء على بذرة الدين في نفوس المسلمين ، وإخراجهم من تراثهم وتقاليدهم إلى غير رجعة !!!

ولكنهم لم يفطنوا إلى حقيقة بدت واضحة فيما بعد ، وهي أن البذور السامة التي ألقوها [لتأكل جذور الدين] لم تتعمق في التربة الإسلامية كما تعمقت

---

(١) المجادلة: ٢٢ .

(٢) الصافات : ١٧٣ .

من قبل في التربة الأوربية ، بسبب الفوارق الهائلة بين ما هنا وما هناك» [١] .

خطر الفيديو والدش على المجتمعات الإسلامية :

إن الدين الإسلامي لا يحارب التقدم ، ولا يعادي التطور ، ولا ينابذ الحضارة والمدنية ، ولا يدعو للتخلف ، ولا يحث على الجمود ، بل إن الإسلام يدعو للعلم وللتعلم والازدهار والتقدم ، وليس أدل على ذلك من دعوة الإسلام والقرآن الكريم للعلم والتعلم والحث على طلب العلم . فإن أول آيات نزلت على الرسول ﷺ الذي جاء بالإسلام من عند ربه - إن أول آيات نزلت عليه هي قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٢] .

قال ابن كثير رحمه الله :- «فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن مِنْ كَرمِه تعالى أن علَّم الإنسان ما لم يعلم فشرَّفه وكرَّمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي . . . .

وفي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة .

وفيه أيضًا : - من عمل بما علم ورَّثه الله عِلْمَ ما لم يكن يعلم » [٣] .

---

(١) (هلّم نخرج من ظلمات التيه) للأستاذ محمد قطب (ص ١١٣ : ١١٤) .

(٢) العلق: ١ - ٥ .

(٣) تفسير ابن كثير لسورة العلق الآيات (١ : ٥) [٥١٣/٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(١) .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٢) .

وقال الرسول ﷺ : «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة » (٣) .

قال الأستاذ / محمد قطب حفظه الله :-

«وجاء الإسلام ليُخرِّج من هذه الأمة «علماء» «فقهاء» يُعلِّمون الناس دينهم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٤) .

وجعل أولئك العلماء والفقهاء أئمة ومعلمين ومربين ، وقدوة للناس ، ولم يجعلهم «كهنة» يختصون «بالطقوس» ، ذلك أن الإسلام لم يكن عقيدة وشعائر فحسب. . . إنما كان عقيدة وشريعة ومنهجًا كاملاً للحياة ، لذلك يحتاج الناس في ظله إلى علماء وفقهاء يعلمونهم أصول دينهم ومحتوياته ومتطلباته. . .»(٥) .

فالإسلام حث على العلم بنوعيه [العلم الشرعي ـ والعلم الدنيوي] ـ ولم يتصادم مع أي تقدم وأي اكتشاف علمي ، أو تطور حضاري ، أو اكتشافات

---

(١) فاطر: ٢٨ .

(٢) طه: ١١٤ .

(٣) رواه مسلم كتاب (الذكر والدعاء) باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) .

(٤) التوبة: ١٢٢ .

(٥) (لا إله إلاّ الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) للأستاذ محمد قطب (ص ٦١ : ٦٢) .

كونية. . . بل نرى القرآن الكريم الذي هو منهج هذا الدين ، يخبرنا عن هذا التطور وهذا التحضر ، وعن الآيات الكونية التي سيُطْلِعُ الله عليها الإنسان ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[1] .

وقال تعالى مُخْبِراً عما سيخلق وعما سيجدُّ في هذا الكون من مخلوقات الله وخلق الله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [2] فأخبر سبحانه وتعالى أنه سيخلق مخلوقات لم تكن موجودة على عهد الرسول ﷺ ولا في زمن نزول القرآن الكريم .

فإذا كان ذلك كذلك ـ أي أنه ليس هناك تعارض بين الإسلام وبين التقدم والاختراعات الحديثة ـ فإذن ما هو الخطر وما هو مكمن الشر .

مكمن الخطر ومفتاح الشر :

إن مكمن الخطر ، وبيت الداء ، ومفتاح الشر ، ليس فيما وصل إليه الإنسان من الاكتشافات والاختراعات الحديثة ؛ لأن هذا مما علَّم الله الإنسان ، ومما تفضل به الله على البشرية ، ولكن الخطر كل الخطر في أن هذه الوسائل ، وهذه الأجهزة ، وتلك المخترعات يتسلط عليها الكفرة والمنافقون ، ووضعت في أياد غير أمينة ، فما رعوها حق رعايتها ، بل خانوا الأمانة ، وكفروا بنعمة ربهم ، وقابلوا هذه النعم بالكفر والنكران بل بمحاربة الله ورسوله ﷺ ، وبمنابذة الدين والأخلاق . قال تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[3].

---

(١) فصلت: ٥٣ .

(٢) النحل : ٨ .

(٣) الواقعة: ٨٢ .

إن من أكبر الخيانة للأمة الإسلامية بعد خيانة الدين والأمانة أن يتسلط على هذه الأجهزة وهذه المخترعات الجديدة ـ هؤلاء المنافقون ، فيسمحون بأفلام الجنس على شرائط الفيديو ، ويروجون لهذه الأفلام التي تحث على الفحشاء ، وتعرض العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء ، وذلك كله يُعرض على الرجال والنساء ، والشباب والشواب ، حتى أننا لنرى الشباب المسلم في البلد المسلم ليمشي وفي إحدى يديه علبة الدخان ، وفي اليد الأخرى شريط الفيدير الهابط ، وهناك محلات لبيع هذه الشرائط ولربما قاربت هذه المحلات من حيث كثرتها محلات الأكل والشرب والبقالات .

فليس هناك رقابة على هذه المحلات [محلات الفيديو] فتعرض كل ما لذ وطاب لها دون خوف من الله ، أو خشية غضب الجبار ، وانتقام المتكبر المتعال ، بل إن هناك رقابة شديدة على أي شريط فيديو إسلامي ، يعرض محاضرة ، أو لقاءً مع عالم ، أو وصفًا لحالة دولة مسلمة ، أو يبين مأساة إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . فقد يصادر هذا الشريط ، وقد يغلق محل الفيديو الذي يُشم منه التوجه الإسلامي . ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

الولاء المشئوم :-

إنها [الموالاة المشئومة] ، و[الولاء المجرم] لهؤلاء المنافقين حينما مكنتهم دولهم وحكوماتهم من وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية . حيث خانوا الأمانة وحاربوا الله ورسوله ﷺ ، ونابذوا الدين ، وذبحوا الفضيلة ، وقضوا على الأخلاق الحميدة (إلاَّ مَنْ رحم ربي) ، ودمروا الشباب المسلم . وفرغوه من كل

(١) يوسف : ٢١ .



القيم وجردوه من الأخلاق والفضيلة ، وأثنوه عن الطريق المستقيم ، وأوقعوه في هوة الشهوات ، وغمسوه في التيه والضلال .

وهذا [الدش] اللعين الذي قصد به غزو المسلم في عقر داره ، بل في غرفة نومه ، ليعرضوا عليه حثالة العالم كله ويبثوا له خلاصة انحراف وفساد وضلال الشرق والغرب ، فيجلس المسلم في بيته وعنده هذا الخبيث [صحن الاستقبال] أي [الدش] فيستقبل عشرات من القنوات لعشرات من الدول المنحلة الخبيثة . فيكون الحاصل هو الواقع الأليم والمخزي الذي نعيشه اليوم . فنرى البنات والشباب يجلسون أمام هذا [المفسديون] ويقلبون القناوات لكي يشاهدوا أفلام الجنس التي تعرض العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، بل تعرض حالات جماع كامل من أوله إلى آخره ، فتكون النتيجة الطبيعية والمتوقعة ، وهي انتشار الزنى والفاحشة . حتى أن الواقع ، يحدثنا عن نفسه ، فإنه يوجد حالات يندى لها الجبين أسفًا ، وتخر لها الجبال هدًا ولو أذن الله للأرض لانشقت وابتعلت من عليها ، ولو أذن الله للسماء لأسقطت على أهل الأرض شهبًا ودمرتهم ، ولو كان للجبال من الأمر شيء لأُطبقت على أهل الأرض .

يحدثنا الواقع عن بعض الحالات الأليمة ، والنتائج الوخيمة لهذا الفيديو وهذا الدش أنه بعد أن شاهد الأب والأم الفيلم الذي يعرض علاقة جنسية بين رجل وامرأة . جاء الابن والابنة وهما في مرحلة الشباب وأخذا يشاهدان هذا الفيلم وكان الشيطان ثالثهما فقام الابن وجامع أخته ، وفجأة دخل الأب والأم على الابن والابنة وإذا هما في حالة جماع والتليفزيون أمامهما يعرض لهما الكيفية والهيئة ويُلقنهم الدرس الخبيث ، ويعلمهم الفحش ، ويدمر دينهم ، ويخرجهم من آدميتهم وإنسانيتهم فضلاً عن إنسلاخهم من دينهم .

أين الإسلام ؟ بل أين المسلمون ؟ أين الحكام ؟ أين ولاة الأمور ؟ أين العلماء ؟ أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ أين الغيورون على دينهم؟ أين أصحاب الفضيلة ؟ أين أصحاب الشهامة والنخوة ؟ أين الذين والوا الله ووالوا الرسول ﷺ ؟ أين أصحاب [الولاء والبراء] ؟ أين منهج السلف؟ أين أهل السنة والجماعة ؟ ألا من قولة حق !!! ألا من موقف رجولي!!! ألا من غَيْرة على الدين !!! ألا من انتفاضة لله ولدينه !!!.

أين عشاق الجنان ؟ أين أهل الجهاد ؟ أين خُطَّاب الحور العين ؟ أين المتطلعون إلى دار الخلود ؟!!

والله إن الأمر لمخزي ، وإن الحال لمحزن ، وإن الخطب لجليل ، وإن الخطر لعظيم ، وإن الجهاد لواجب ، وإن النفير لمتحتم ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمُتعين ، فهل من سبيل ، فهل من مجيب ، فهل من رجل رشيد ، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

* * *

فتوى لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين عن حكم الدش

هذا مقطع من خطبة فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين في التحذير من البث المباشر (الدش) وذلك في الخطبة الثانية من يوم الجمعة ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

« قال النبي ﷺ : «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة**» حديث صحيح .

وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى الواسعة والرعاية الصغرى ، وتشمل رعاية الرجل في أهله لقول النبي ﷺ : « **الرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته**» وعلى هذا فمن مات وقد خلّف في بيته شيئًا من صحون الاستقبال [الدشوش] فإنه قد مات وهو غاش لرعيته وسوف يُحرم من الجنة كما جاء في الحديث . ولهذا نقول إن أي معصية تترتب على هذا [الدش] الذي ركّبه الإنسان قبل موته ، فإن عليه وزرها بعد موته وإن طال الزمن وكثُرت المعاصي . فاحذر أخي المسلم ، احذر أن تُخلّف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك . وما كان عندك من هذه [الدشوش] فإن الواجب عليك أن تُكسِّره (تحطمه) لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالبًا ، لا يمكن بيعه لأنك إذا بعته سلّطت المشتري على استعماله في معصية الله ، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان ، وكذلك إن وهبته فأنت معين على الإثم والعدوان . ولا طريق للتوبة

من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة [الدش] . التي حصل فيها من الشر والبلاء ، ما هو معلوم اليوم للعام والخاص . احذر يا أخي أن يفجأك الموت وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة ، احذر . . . احذر . . . احذر ، فإن إثمها ستبوء به وسوف يجري عليك بعد موتك . نسأل الله السلامة والعافية . وأن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم ، وأن يتولانا بعنايته ، وأن يحفظنا من الزلل برعايته إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا المكتوب حول الدشوش جزء من الخطبة الثانية التي ألقيناها يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٧هـ ولا مانع عندي من نشرها لعل الله تعالى أن ينفع بها . كتبه محمد الصالح العثيمين في ٢٨/٣/١٤١٧هـ

محمد الصالح العثيمين

[المطلب الخامس]

﴿ وقفات مع بعض الكتَّاب الضالّين ﴾

وقفات مع بعض الكُتّاب والصحفيين(١)

إن هذه الحرب الشرسة على الإسلام والمسلمين ، وعلى تعاليم هذا الدين الحنيف وعلي الشرع الحكيم ، وعلى أبناء هذه الصحوة المباركة ، وعلى رجالها وعلى الدعاة والمصلحين ، إن هذه الحرب ليقوم بها وينفذها الكثير والكثير ومن بينهم هؤلاء الكتّاب والصحفيين •

ونحن في هذه الوقفات مع هؤلاء الكتّاب والصحفيين نعرض لبعض أقوالهم التي قالوا بها وأعلنوها ، فهي خير شاهد علي فكرهم ، وعلى اعتقاداتهم وعلى ولائهم ، فهم يحكمون على أنفسهم بمايقولون وبماينصحون عما بداخل قلوبهم ، وقد لانحتاج إلى كثير من التعليق على أقوالهم ،وقد نشير فقط إشارة إلى بعض المواضع ، وقدنقف معهم بعض الوقفات السريعة ليعلم المسلم ولتعلم المسلمة عقيدة وولاء هؤلاء الكُتّاب ويعلم الجميع ممن يأخذون الفكر والأدب ، والعلوم والثقافة ، فإن جراح الأقلام قد تفوق جراح السهام • كما قال القائل :

إن لم تكن أسيافهم مشهورة
فينا فتلك سيوفهم أقلام

ولذلك وجب التحذير وتحتم التنبيه كما قال القائل :

من الدين كشف الستر عن كل كاذب
وعن كل بدعيٍّ أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون تهدمت
صوامع دين الله من كل جانب

---

(١) يحسن الرجوع في هذا الموضوع لكتاب « الصحافة والأقلام المسمومة للاستاذ/ انو الجندي وكتاب « معركة السفور والحجاب للشيخ / محمد اسماعيل

١ ـ إحسان عبدالقدوس:

من أقوال هذا الكاتب والصحفي الذي فُتن بقلمه الكثير والكثير :

١ ـ « إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود »

ومن المعروف أنه إذا ذُكر على لسانهم « حرية المرأة » فالمقصود به عدم تقيُّدها بتعالمي الدين من الحجاب والحشمة والحياء وعدم الاختلاط ...

٢ ـ وكتب في محلة « روزو اليوسف » التي تحمل اسم والدته :

« إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب الى أبيها وتقول له : « هذا صديقي » .

نعم هذه هي الفتاة المسلمة التي يريدونها ، وهذه هي الحرية التي ينادون بها ، وهذا هو الحياء الذي يطمحون إليه ويريدون تربية فتياتنا عليه فإن العبارة التي قالها هذا الكاتب لايستطيع القلم أن يعبر عنها فهي خير معبر عن نفسها وعن كاتبها .

أماني هذا الكاتب :

٣ ـ وكتب في (أخبار اليوم) : « إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هناك من أوضاع الطلبة والطالبات كذا وكذا ـ طبعاً من السفور والتبرج والاختلاط ـ ثم قال : « فقلت في نفسي : متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط ؟ لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه ؟!!!!» .

ونترك العبارة التي قالها الكاتب لتعبر بنفسها عن أماني هذا الكاتب المرموق وهذا الصحفي البارز .

أخي المسلم ، أختي المسلمة ، فلننظر إلى أقوال هؤلاء الكُتّاب والصحفيين بعين العقيدة ، وبنور الإيمان لنعلم ماذا يريدون بالإسلام وبالمسلمين ، لنكون على حذر وبينة ، ويأبى الله إلا أن يحق الحق بكلماته ويبطل الباطل .

٢ ـ أنيس منصور :

ونحن الآن مع كاتب آخر ، وصحفي من طراز جديد له ذوقه الخاص ، وتعليقاته المميزة ، وطموحاته الفريدة • ونكتفي بأن نعرض فقط كلام وآراء هذا الكاتب ليعلم كل مسلم هذا الكاتب عن قرب ثم ليحكم القارئ عليه بنفسه • ومن منطلق وعيه وغيرته على دينه ، وليعلم كل مسلم عمن يأخذ الأدب والثقافة •

قال هذا الكاتب :

« سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محتشمة جداً ، وسخيفة جداً ، لأن الفساتين سوف تكون طويلة وواسعة ، وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين ، وأن مابينها وبين هذه الفساتين خصام » •

ثم يقول :

ثم إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة ، فلاالساقان ظاهرتان ، ولا••• ولا••• ولاالذراعان ، والعنق ، وكأنها أنواع مختلفة من الخيام ، وإن المرأة قد ضربت حولها وأمامها ووراءها الخيام فلايراها أحد »•

ثم يقول :

« على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس ، فإنها تفض أن تكون جميلة لشخص واحد والمرأة التي لاتسعد برجل واحد فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين ، ولذلك فإن المرأة تسارع الي الشارع وتتمتع بنظرات الناس إليها لأنها لاتجد هذه المتعة في البيت »

انظر أخي المسلم كيف يريدون أن تكون المرأة سلعة رخيصة مبتذلة ، يتمتع بها كل من أرادها ، وفي أي وقت شاء ، فهل بعد ذلك امتهان للمرأة واحتقارها ؟!!!

ثم بعد ذلك يدّعون كذباً بأن هم الذين حرروا المرأة !!!

٣ ـ مصطفى أمين :

خريج مدرسة (التابعي) والصحافي البارع في وضع السموم في علب ملونة حلوة المظهر تخدع القرّاء .

مواقفه إزاء حركة الاصلاح الإسلامي :

لقد قال هذا الصحفي معبراً عن موقفة إزاء حركة الاصلاح الإسلامي قائلاً :

« حارب الأحرار في هذه البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقوقها ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى الوراء [يقصد إلى الإسلام وحجاب المرأة المسلمة] ـ وقد يحدث هذا في أي مكان ، ولكن لانفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر »

أهم أهدافه :

لقد أعلن عن أهم أهدافه التي سوف يعمل على تحقيقها تحت عنوان : « الأهداف التي ستعمل لها مصر بعد الاستقلال » وذكرها وهي :-

١ ـ محاربة التعصب الديني [يقصد أيّ صحوة إسلامية]

٢ ـ تجديد الأزهر [أي محاولة تخريب مناهج الأزهر]

٣ ـ المناداة بتحرير المرأة قلبياً ـ [لأن الحب الطاهر لايزال جريمة يعاقب عليها المجتمع ، والمجتمع المصري إلى اليوم مجتمع لاروح فيه لانه خالٍ من المرأة ، والشباب المصري لاشخيصة له ، لانه ليس في حياته إمراة ...]

أن الغيظ يملأ قلوبهم لعودة الحجاب مرة أخرى ، لعودة المرأة إلى ربها ، لعودة

المسلمة إلى حيائها ، وتتحداهم المرأة المسلمة قائلة : موتوا بغيظكم لن تنالوا خيراً ، فسوف تُلبي المرأة نداء ربها ، وتعليم دينها ، وتحترم فطرتها التي فطرها الله عليها ، والعاقبة للمتقين •

موقفه من تطبيق الشريعة الإسلامية :

يعلن هذا الكاتب عن موقفه من تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر قائلاً :

إن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة ، ولايمكن أن تعود القهقري إلى الخلف»

أي أنه يستنكف ويسفِّه كل من يتطلع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر ويصف من يطالب ويطمح في ذلك بالرجعية والتخلف •

٤ ـ نزار قباني :

إن هذا الكاتب الشاعر الذي انتشر شعره هنا وهناك ، وسمع به الكبير والصغير ، وتغنى بشعره الشباب والشواب ، هل ياترى على أي أساس بنى شعره ، وعلى أي منهج سار في كتاباته ، هل سخّر قلمه وشعره لإعلان كلمة الحق ؟ ، أو لنشر الفضيلة ؟ ، والحث علي الاستقامة ؟ •

فلننظر إلى أقواله لنتعرف عليه فمما قال :

١ ـ « لوكنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج ، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر»

فلماذا ياترى يريد هذا الشاعر الأديب إلغاء مؤسسات الزواج ؟!!!

فإن لم تكن العلاقة بين الجنسين علي شرع الله ومن خلال الزواج الشرعي فكيف تكون ؟

وعلى أي هيئة ياترى ؟!!!

٢ ـ ويعبر مرة أخرى هذا الشاعر الأديب عن خلقه وعقيدته في وضوح وجرأة قائلاً:

« العريُّ أكثر حشمة من التستر » •

فإن اللسان يتلعثم ، والقلم يتحجر ، فلايستطيع التعليق على مثل هذا الكلام •

فلاعجب فلقد قال أخوة في مسيرة العريٌ ، وقافلة التبرج الشاعر العراقي « جميل صوفي الزهاوي » ضمن طعنه في الدين والتنفير من شرائعه ، لقد قال عن الحجاب :

أخَّر المسلمين عن أمم الأرض

حجاب تشقَى به المسلمات

ويرد عليه وعلى أمثاله الشاعر الأستاذ / محمد حسن النجمي ، :-

ـ زعم السفور والاختلاط وسيلة

للمجد قومٌ في المجانة أغرقوا

ـ كذبوا ، متى كان التعرض للخنا

شيئاً تعُزُّ به الشعوب وتسبق

ـ أيكون كشف السوأتين فضيلة

فيذيعها هذا الشباب الأحمق

وقال الآخر :-

ـ بعثوا الصحائف يلتوين كأنما

بعثوا بهن عقارباً وأفاعياً

ـ صحف يزل الصدق عن صفحاتها

ويظل جد القول عنها نابياً •

إن هذا الأديب هو « نجيب محفوظ » أو « سلمان رشدي المصري »

لقد أكثر من الكتابة عن [الأسرة - والفتاة ، وعمل المرأة ، وعلاقة ، المرأة بالرجل -]

وبتتبع كتابات هذا الأديب وهذا الكاتب ، وبحصر قصصة ومؤلفاته نراه قد دعاإلى الإباحية في أبشع صورها ، والأخطر من هذا أنه كان يبررها ويهوّن من شأنها ، ويصورها على أنها ظاهرة صحية ، ونتيجة طبيعية لتفاعل المجتمع •

شيوخـــــه :

قد لانعجب من سيرة هذا الكاتب إذا علمنا أنه صنيعة :

١ - طه حسين •

٢ - سلامه موسى •

عقيدتـــه :

لقد تخبط نجيب محفوظ في العقيدة وغلب عليه [الالحاد] ولذلك يواليه الماركسيون اهتماماً خاصاً ، ولقد استخدموه في دعوتهم إلى الإباحية والي المفاهيم الهدامة للأسرة ، والفتاة ، وعمل المرأة ، وعلاقتها بالرجل •

جـائزة نـوبل :

ومن مظاهر حرص اعداء الإسلام علي إعادة دعوته الجاهلية التي انقشعت أمام نور الصحوة الإسلامية • قاموا بمنحه جائزة [نوبل لعام ١٩٨٨م]لتأليفه رواية«أولادحارتنا » ولقد نشرت جريدة النور(١) ملخصاً لهذه الرواية • فإذا بها تتضمن

---

(١) انظر جريدة النور [عدد ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ]

[الإلحاد في ذات الله ، والتفريط في جنب الله ، والاستهزاء بالكعبة المشرفة ، والتطاول علي مقامات الأنبياء ، وتجريح رسل الله ،بمافيهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، والاستخفاف بملائكة الله ، ٠٠٠»]

ـ أخي المسلم وماهذه الوقفات وهذه المقتطفات إلاتحذير وتنبيه لك حتى لاتنخدع بالاقلام المسمومة ، وحتى تكون على وعي وحذر ، وحتي تنتقي حينما تريد أن تقرأ ، وعندما تحب أن تتثقف ، فعليك بالكُتَّاب الإسلاميين ، ولاتأخذ إلامن أصحاب العقيدة السليمة ، والأقلام الطاهرة المباركة من أهل السنة والجماعة ٠ عسى أن نحشر معهم بفضل الله ومنّه

الباب الثالث

البـــــــــراء

- الفصـــل الأول : البراء من الكفار والمشركين .
- الفصـل الثـاني : البـــــراء من المنـــافقيـن .
- الفصـل الثالث : البـــــراء من العصـــاة .

[الفصل الأول]

﴿ البراء من الكفار والمشركين ﴾

١ - إبراهيم عليه السلام تبرأ من الكفار والمشركين .

٢ - إبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه .

٣ - هود عليه السلام تبرأ من الشرك وأهله .

٤ - محمد ﷺ يتبرأ من الشرك والمشركين .

٥ - جرأة في الحق .

٦ - براءة من الشرك .

٧ - أمة سائرة على الدرب .

٨ - خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في البراء من الكفار والمشركين .

الفصل الأول
﴿ البراء من الكفار والمشركين ﴾

كما عرفنا أن الولاء لله وللرسول ﷺ ولدين الإسلام وللمؤمنين . كل ذلك من عقيدة المسلم ويُسمى « ولاء » .

فأيضًا البراء من الكفار ، والمشركين ، والملحدين ، ومن أعداء الله ، وأعداء الدين ، وأعداء الرسول ﷺ ، وأعداء المؤمنين ، كل ذلك من عقيدة المسلم . ويُسمى ذلك « براء » .

وهذا البراء هو الشق الآخر للولاء في تكوين شخصية المسلم المعتدلة ، البارزة ، الفريدة التي كونتها آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ .

فإن حُبَّ المسلم لله تعالى يقتضي بغضه للكافرين ، والمشركين ، وحبه للإسلام يقتضي بغضه لكل مذاهب الكفر بأنواعها ، وحبه للقرآن الكريم يقتضي بغضه لكل القوانين والتشريعات الكفرية ، وحبه للمسلمين يقتضي بغضه لكل كافر و مشرك وملحد .

فيجب على المسلم البراءة من كل الكفار ، والمشركين ، ومن كفرهم ، وشركهم ، ومذاهبهم ومعتقداتهم ، وقوانينهم ، وتشريعاتهم .

فإنه لا يجتمع في قلب مسلم ولاء لله ، ولرسوله ، ولعباده المؤمنين ، وولاء للكفار ، والمشركين فإما أن يكون المرء من جند الله أو يكون من جند الشيطان ، وإما أن يكون من حزب الرحمن ، وإما أن يكون من حزب الشيطان. فلابد أن يتبرأ المسلم من الكفار ، والمشركين لكي يصح إسلامه وتسلم عقيدته ، ولقد ضرب لنا الأنبياء والمرسلون المثل الأعلى في التبرؤ من

الكفـار ، والمشركين وسـار على دربـهم الأوليـاء والصـالحون تحقيقًـا لعقيدة [البراء من الكفار ، والمشركين] فكانوا خير خلف لخير سلف .

١ - إبراهيم عليه السلام يتبرأ من الكفار والمشركين :

ونحن نتكلم عن [البراء] الذي هو من عقيدة المسلم ينبغي لنا أن نذكر عبد الله ، ورسوله، وخليله ، وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام وهو يضرب لنا المثل الأعلى في البراء من المشركين ومن كل مَنْ عَبَدَ غير الله تعالى غَيْرَةً على التوحيد ، واعترافًا بحق الله تعالى ، وألوهيته لهذا الكون .

وأنه الأحق بصرف العبادة له دون سواه ، وأنه أحق بالتشريع لخلقه والحكم فيهم بشرعه .

فنرى إبراهيم عليه السلام يواجه الكفر ، وأهله في ثبات ، وإيمان ، ويعلن هذا [البراء] دون خوف ولا تردد في وسط ملة الكفر جمعاء ، ولم يُثْنه عن البراء أن أباه ضمن ملة الكفر ولا أن أهله من المشركين ، فإن حبه للتوحيد غلب على أحاسيسه ، ومَلَكَ عليه قلبه ، فلم يُضيرَه أن يتبرأ من أبيه ، وأهله إذا كان ذلك [موالاة لله] قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [١] .

فأعلن إبراهيم عليه السلام [هذا البراء] على الملأ ليحقق [هذا التوحيد وهذا الولاء] لله تعالى ، ضاربًا لنا المثل والقدوة ، ومُمَهِداً لنا الطريق للأسوة والاتباع ولذلك قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [٢] (أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان .

---

(١) الزخرف : ٢٦ : ٢٨ .

(٢) الزخرف : ٢٨ .

أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه السلام) [١] .

إبراهيم عليه السلام يتبرأ من أبيه :

إن الله تعالى أوصى بالوالدين وفرض طاعتهما ، وبرهما وجعل ذلك من أعظم الطاعات وأفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تعالى ، وجعل هذه الطاعة وهذا البر للوالدين من أعظم الأسباب لدخول الجنة قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [٢] وذلك لحقوق الوالدين العظيمة على أبنائهم ، ولأنهما سبب وجود الأبناء في هذا الكون . ولكن إذا زلت قدم الوالدين أو أحدهما عن طريق التوحيد ووقع في هاوية الشرك والضلال ، فينقلب هذا الولاء إلى براء ، وهذا الحب إلى بُغض ، وهذا الود إلى كراهية . وتتغلب هنا العقيدة على الدم والعرق والنسب ، فحُب الله وحب الدين يغلب حب الوالدين وحب العاطفة . إذ ما بررنا آباءنا وعلمنا حقوقهما إلاَّ عن طريق الله ، وطاعة لله تعالى ، فإذا تعارض هذا البر وهذه الطاعة مع طاعة الله تعالى . فتطيش كفتهم بل لا يوضعون أصلاً في مقام الاختيار بين طاعتهما وبرهما والولاء لهما مع الولاء لله ولدين الله تعالى .

فإذا اختارا الشرك والضلال فلا يكون إلاَّ البغض ، والبراء ، وليثبت رباط الأخوة في الله ولتطفوا العقيدة على كل رحم وعرض ونسب ودم .

وها هو إبراهيم عليه السلام يلقنَّا الدرس العظيم ليعيه الجميع ويلتمس منه

---

(١) انظر : « تفسير ابن كثير » سورة الزخرف (آية ٢٦ : ٢٨). [٤/١٢٢ : ١٢٣] .

(٢) الإسراء: ٢٣، ٢٤ .

القدوة والأسوة الحسنة . إن إبراهيم عليه السلام هينٌ لينٌ ، مؤدب بارٌ بوالديه ، واصل لرحمه ، ولكن لم يمنعه ذلك من أن ينكر على أبيه ما رآه عليه من الشرك، والضلال هو وقومه . ويحكي لنا القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الذي تتصارع فيه قوى الحق مع الباطل ، وتتنازع فيه العقيدة مع العاطفة هذا الموقف الجياش المعبِّر عن صدق العقيدة وعن حقيقة التوحيد حينما يتمكن من قلب المؤمن : قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [(١)] الله أكبر فلا مجاملة في الحق ، ولا مداهنة على حساب العقيدة ، ولا مساومة على الإسلام والتوحيد ، لم يتحرَّج إبراهيم عليه السلام من أن يعلن لأبيه ، وقومه الحقيقة الواقعة والحق الذي ليس بعده إلاَّ الضلال . أتتخذ « أصنامًا آلهة » ؟ هكذا في سخرية وتسفيه لما يعبدون وغيرة لله وللتوحيد إذ كيف يحيدون عن عبادة الله ويعبدون تلك الأصنام وهذه الأحجار التي لاتنفع ، ولاتضر ، ولا تسمع ، ولا تجيب وإذ بإبراهيم عليه السلام يواجههم بالحقيقة المُرة المؤلمة وبما هم عليه من اعتقاد باطل فيقول « إني أراك وقومك في ضلال مبين » فلا ينافي ذلك ما عليه إبراهيم عليه السلام من الأدب. بل هذا هو الأدب الجم ، وأعلى مراتب الأدب حينما نتأدب مع الله تعالى ونصرف له العبادة التي هي حق له ، وننكر على كل من انحرف عن هذا التوحيد وهوى في مهاوي الشرك ، وتخبط في دركات الضلال .

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ في الظلال :

« وإذن فهو الضلال البيِّن تحسه فطرة إبراهيم عليه السلام للوهلة الأولى . وهي النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها . ثم هي النموذج الكامل للفطرة ، وهي تواجه الضلال البين ، فتنكره ، وتستنكره ، وتجهر بكلمة الحق، وتصدع ، حينما يكون الأمر هو أمر العقيدة .

﴿ **إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [(٢)] .

---

(١) الأنعام : ٧٤ .

(٢) الأنعام : ٧٤ .

كلمة يقولها إبراهيم عليه السلام لأبيه . وهو الأواه الحليم الرضي الخُلق، السمح اللين كما ترد أوصافه في القرآن الكريم ، ولكنها العقيدة هنا ، والعقيدة فوق روابط الأبوة ، والبنوة ، وفوق مشاعر الحلم ، والسماحة ، وإبراهيم هو القدوة التي أمر الله المسلمين من بنيه أن يتأسوا بها ، والقصة تعرض لتكون أسوة ومثالاً . . . »(١) .

نعم إنها الفطرة السليمة ، والبصيره المفتوحة ، وإنكار الباطل في قوة ، ووضوح .

وكان إبراهيم عليه السلام وعد أباه أن يستغفر له ، حرصًا منه على هداية أبيه وتخليصه من الشرك ، ليكون من أهل التوحيد فينجو من النار .

هكذا دائمًا يكون همّ كل داعية إلى الله العمل على هداية الناس ، وإخراجهم من عبادة الخلق إلى عبادة رب الخلق أجمعين .

ولكن لما أصرَّ آزر أبو إبراهيم عليه السلام على الشرك . لم يتردد إبراهيم عليه السلام من التبرؤ منه . فلا يجتمع في قلب مؤمن موحد توحيد الله ، ومحبته، والولاء له ،ومحبة المشركين ، وشركهم .

فأعلنها عالية مدوية أنه بريء من أبيه ومن كل الشرك ، والمشركين .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾(٢) .

٢ - هود عليه السلام تبرأ من الشرك وأهله :

إن الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده ، وعبادته وحده ونبذ الشرك هي دعوة

---

(١) انظر: « تفسير ظلال القرآن » للأستاذ سيد قطب سورة الأنعام آية: (٧٤) . (٢/ ١١٣٨ : ١١٣٩) .

(٢) التوبه : ١١٤ .

كل الأنبياء والمرسلين . وهي التي كانت عليها الخصومة بين الرسل ، والأنبياء ، وأممهم ، وأهليهم .فها هو هود عليه السلام يعمل بوظيفة ومهنة إخوانه من الأنبياء ، والمرسلين . يدعو قومه لعبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ الشرك وأسبابه قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [١] ولكن ما هي إلا الغلظة في الرد على هذا النبي عليه السلام ، بل والتهكم عليه ، بل واتهامه بالجنون ، والخبل ، وأنه قد مسته آلهتم بسوء لأنه ينهى عن عبادتهم ، وكأن في ذلك بالإضافة إلى السخرية نوع من التهديد ، والوعيد من قومه [عاد] بأن آلهتم سو ف تنتقم منه .

ولكن هذا النبي الداعي إلى التوحيد لا يخشى إلاَّ الله فأعلنها في وجوههم جميعًا وأشهد الله وأشهدهم على براءته مما يشركون ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٢] هكذا في قوة وإصرار ، وعقيدة ، وتوحيد ، يتبرأ هود عليه السلام مما يشرك أهله يتبرأ من جميع آلهتهم محققًا [عقيدة البراء من الشرك ، والمشركين] .

ثم قال لهم هود عليه السلام ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [٣] .

وما فعل هذا الفعل وما تبرأ هذا التبرؤ في تردد ، ولا خوف ، بل تحدى قومه وآلهتهم ، بل أمرهم أن يجمعوا كيدهم كلهم وكل ما أوتوا من قوة . ثم يزداد التحدي ويقول لهم ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ أي طرفة عين . نعم إنها الثقة في الله تعالى إنه التحدي من أجل إظهار العقيدة ، وإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل.

ثم يترجم لهم هود عليه السلام هذه العقيدة ويوضح لهم هذا الإيمان .

---

(١) هود : ٥٠ .

(٢) هود : ٥٤ .

(٣) هود : ٥٥ .

ويبرهن لهم على صحة معتقده . ويكشف لهم السرّ في هذه القوة ، وهذه العزة وهذا الكبرياء وعدم خوفه منهم جميعًا ولا من آلهتهم : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

فسرُّ قوة هود عليه السلام وجرأته في الحق ، في توكله على الله تعالى ربه ورب كل المخلوقات فهو بيده كل شيء ، ولا يخرج أحد عن إرادته ، ومشيئته حتى قومه ، وهذه الآلهة المزعومة ، ويؤكد ذلك بقوله لهم أن أي دابة في الأرض لن تخرج عن طوعه فهو آخذ بناصية كل المخلوقات سبحانه وتعالى .

قال ابن كثير – رحمه الله – عن موقف هود عليه السلام :-

« وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ، ولا تضر بل هي جماد لا تسمع ، ولا تبصر [ولا توالي ، ولا تعادي] وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله إلا هو ولارب سواه » (٢) .

٣ – محمد ﷺ يتبرأ من الشرك والمشركين : –

وما محمد ﷺ إلا فارس في قافلة التوحيد ، وقطب من أقطاب المسيرة الإيمانية الداعية إلى التوحيد ، المتبرئة من الشرك والمشركين ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد مرَّ الزمان وتعاقبت الأجيال ، وبُعث من ذرية إبراهيم عليه السلام سيد الأنام محمد ﷺ . وإذ به ﷺ في مجتمع لا يختلف كثيرًا عن مجتمع إبراهيم عليه السلام ، فقد وقع الشرك ، وانتشر الجهل وعُبدت الأصنام والأحجار من دون الله تعالى . ويجد محمد ﷺ نفسه في وسط الميدان يخوض

---

(١) هود : ٥٦ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير سورة هود آية ٥٠ . [٢/ ٤٣٤] .

المعركة مع جحافلة الكفر ، والشرك من قريش .

ولكنه الفارس المنتظر والنبي المصطفى ، فنعم الخلف [محمد ﷺ] ، لنعم السلف [إبراهيم عليه السلام] ويأتي التوجيه الرباني لقائد المسيرة العطرة محمد ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام واتخاذ القدوة والأسوة من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2) .

ففي هذه الآيات وغيرها أمر من الله تعالى ، وتوجيه رباني باتباع ملة إبراهيم عليه السلام [وهي الحنيفية] ، وتحقيق التوحيد والثبات عليه ، والبراء من الشرك ، وأهله .

وتبدأ المعركة الكبرى بين الحق والباطل ، والشرك ، والتوحيد ، ويخوض غمار هذه المعركة محمد بن عبد الله ﷺ في قوة وشجاعة ، إيمان وثبات متوكلاً على الله تعالى ومواليًا لدين الله ، ومعاديًا للكفر والكفار ، ومتبرئًا من الشرك ، والمشركين .

وفي جولة من هذه الجولات يدور الحوار، ويشتد النقاش، وتتبادل الحجج والبراهين ، ليحق الله الحق بكلماته ، وليبطل الباطل ، وليقطع دابر الكافرين .

قال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (3) .

---

(1) النحل : ١٢٣ .

(2) آل عمران : ٦٨ .

(3) الأنعام : ١٩ .

لقد حرص النبي ﷺ على هداية قومه ؛ فبلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانه ، ونصح الناس ، ودعاهم للهدى ، والرشاد ﷺ .

ولكنهم أصروا على الكفر ، واختاروا التمزق ، والتعدد في العبودية ما بين حجر ، وصنم ، وشجرة ، ووتد ، فلما تبين له ﷺ إصرار بعضهم على الشرك وحجود التوحيد تبرأ منهم ومن شركهم ﴿ **قل لا أشهد** ﴾ أي لا أشهد بما تشهدون من الشرك .

وأعلن فيهم ، وعليهم توحيده لله تعالى ﴿ **إنما هو إله واحد** ﴾ .

ثم يؤكد قضيه البراء من الشرك ومن أهله ومما يشركون ﴿ **وإنني بريء مما تشركون** ﴾ .

جرأة في الحق : -

إن الحق أحق أن يتبع ، ولا يتجزأ الحق أبدًا ولا يتعدد فالحق واحد ، والباطل زاهق حتى ولو كانت الغلبة لأهله حينًا من الدهر ، ولكن المسلم لا يلين أمام الكفر ، وأهله ، ولا ينثني عن الحق واتباعه ، بل يجب عليه أن يصدع بهذا الحق ويعلنه ويواجه أهل الباطل ، ويدحض حججهم وألاَّ تأخذه في الله لومة لائم ، فلا ميوعة في الدين ، ولا خنوثة في الحق ، ولا مساومة على التوحيد ، ولا مداهنة في العقيدة .

وها هو محمد ﷺ يضرب لنا المثل الأعلى في البراء من الشرك ، والمشركين وفي الصدع بكلمة الحق دون خوف ولا تردد .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾[(١)] .

هكذا أمره ربه أن ينادي على قريش ومن تابعها وشايعها بقوله

(١) الكافرون : ١ : ٣ .

﴿ يا أيها الكافرون ﴾ هكذا بلفظ الكفر ، دون خوف أو خور ، دون تردد أو تروي ، فلا مجاملة على حساب الإسلام ، ولا مداهنة على حساب العقيدة .

فلابد أن يُسَّمى الكافر باسمه ، وأن يُوصف المشرك بفعله وعمله حتى تتضح القضية ، وحتى يُعْلم المسلم من الكافر ، وحتى يُعْلم من يَوَالَى ومن يُعَادَى ، وحتى يتوجه [الولاء والبراء] لمن يستحقه ، وحتى لاتعوم القضية فإذا عَلِمَ المسلمُ مَنْ الكافر ، وما دوره نحوه ، وما يجب عليه تُجاهه ، وعلم أنه عدوه الأول ووضع ذلك نصب عينيه - وضحت القضية ، ووجب البراء ، وتحتم البغض وتعين الجهاد لرفع راية الإسلام ونشر الدين الحق لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

أما إذا سُمِّيَ الكافر بغير اسمه . ووُصِفَ المشرك بغير وصفه وفعله ماعت القضية - فتارة يُسمى صديقًا ، وتارة يُسمى جارًا - وتسمى دولة صديقة ، ودولة مجاورة وغير ذلك من المسميات التي تُضيِّع الحق وتخُرِّج العداوة من القلوب لأعداء الله لتحل محلها السلامة ، والمودة ، والمحبة ، والإخاء ، والاحترام ، والتقدير ، فتُطمس معالم البراء - ويقع الولاء لأعداء الله - ويخرج جيل لايحمل من الإسلام إلا اسمه ومن المصحف إلاَّ رسمه - جيل متخبط لا يعرف مَنْ يوالي ومَنْ يعادي فالحذر كل الحذر من التهاون في أمر البراء من المشركين ، والكفار، حتى يخرج علينا جيل مسلم يُعيد لنا أمجاد أسلافنا يشفي صدورنا في أعدائنا فلقد طال صبرنا ، وملَّ انتظارنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

براءة من الشرك :

لقد احتار الكفار ، والمشركون في أمر محمد ﷺ فما استطاعوا أن يثنوه عن هذا الدين الجديد الذي جاء به ودعا إليه ، ولم يستطيعوا أن يغروه بشيء من المغريات سواء من مال أو جاه أو سلطان أو نساء فما العمل ؛ وما المخرج ؟ لقد

أحرجهم محمد ﷺ في دينهم وآلهتهم .

إذًا لابد من الحيل ، والمكر ، والخديعة . فاقترح بعضهم اقتراحًا شيطانيًا، فقالوا له يامحمد هيا بنا نتوصل إلى حل وسط نحل به هذا الخلاف ونعيش به في آمان وسلام فما هو الحل ؟ إنه حلقة من سلسلة المؤامرة الدنيئة لهؤلاء الكفرة ، والمشركين قالوا له يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . وبذلك نخرج من هذا الخلاف الذي بيننا ، ونحقن الدماء ونعيش في سلام وأمان.

ولكن محمد بن عبد الله ﷺ صاحب العقيدة الصحيحة ، والتوحيد السليـم، والإرادة القويـة ، المتوكـل على ربه ، والمستعـين به - المـوالي لله وللدين المتبريء من الشرك وأهله وملته - موقفه واحد وثابت ، وأهدافه نبيلة، ومبادئه واضحة .

وهو القائل بالأمس لعمه : « **والله يا عم لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في يسـاري على أن أترك هذا الدين فلن أتركه حتى يُظهره الله أو أهلك دونه** » .

وإذ به اليـوم يعلنهـا لهم متبرئًا منهـم ومـن شركهم : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [١] **براءة من الشرك ومما يشركون به من دون الله تعالى . فالتوحيد ثابت والعقيدة صافية لا يشوبها أي شائبة شرك .**

بل يؤكد الرسول ﷺ على قضية البراءة من الشرك ومن آلهتهم الباطلة بأن هذه هي عقيدته ، وهذا ما يدين به لله . وبأنه لا يعبد هذه الآلهة الآن ولن يعبدها في المستقبل ولن يفكر في ذلك فهي [براءة في الحاضر وبراءة في المستقبل] : ﴿ **ولا أنا عابد ما عبدتم** ﴾ إنه الإصرار على إكمال مسيرة التوحيد، إنها العزيمة

(١) الكافرون : ٢ .

الصادقة ، والنية الخالصة على الموت على التوحيد كما أوصى إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء : ﴿ **فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ (١) . **أمة سائرة على الدرب :**

لقد أمرنا الله تعالى أن نأخذ الأسوة والقدوة في التوحيد ، والولاء لله ولدين الله ، وكذلك في البراء من المشركين ، من سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن الذين آمنوا معه ، واتبعوه .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ (٢) .

فنجد في ذرية إبراهيم عليه السلام ضمن قافلة التوحيد من يضرب أروع الأمثلة [للبراء من المشركين] و تحقيقًا للتوحيد وللولاء لله ولدينه وللمؤمنين .

واقتداءً بسيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وسيرًا على دربه ، وعملاً بسنته ﷺ ، نرى ذلك الجيل الإيماني الذي تربى على مائدة الرحمن ونهل من معين النبوة الصافي فهم من ذرية إبراهيم عليه السلام .

وأتباع محمد بن عبد الله ﷺ الذين ترجموا هذا الدين إلى واقع عملي وحولوا هذه العقيدة إلى سلوك ملموس محسوس ليبهروا البشرية كلها بهذا الاندماج ، والتداخل الوجداني العاطفي بهذا البدن، وهذه المعاملات وهذا السلوك وهذه الأقوال ، والأفعال ، ليعلنوا لكل العالمين أن هذا الدين دين عقيدة وشريعة، دين قول وفعل، دين دعوة وجهاد دين أخلاق وسلوك. دين يُصلح الدنيا والآخرة. فهم مثال واقعي ملموس لهذا الدين وتعاليمه الحنيفية، وأخلاقه السامية .

---

(١) البقرة : ١٣٢ .

(٢) الممتحنة : ٤ .

ونضرب بعض الأمثلة التي توضح وتبين لنا اعتزاز المسلم بهذه العقيدة التي بين جنبيه وكيف أنها تعلو ولا يعلو عليها ، فقد ورد في تفسير قوله تعالى : -

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [1] .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

* قيل في قوله تعالى : **﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾** نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر .

* **﴿ أو أبناءهم ﴾** في الصديق همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن .

* **﴿ أو إخوانهم ﴾** في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ .

* **﴿ أو عشيرتهم ﴾** في عمر قتل قريبًا له يومئذ .

وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبه وشيبة والوليد ابن عتبة يومئذ . والله أعلم » [2] .

فهؤلاء الفرسان في قافلة التوحيد، السائرون على درب الأنبياء، والمرسلين يُجسِّدون الولاء لله في أعلى مقاماته وأروع صوره ، يستعلون على نزعة العرق والنسب ، ويعتزون برابطة الدين ، ووشاج الأخوة في العقيدة ، ويعلنون البراء من كل مَنْ عادى الدين وحادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب الأقربين.

فرضي الله عن الخلف ،وعن السلف وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، ورزقنا الله السير على دربهم واقتفاء آثارهم عسى الله أن يحشرنا معهم هو ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة الممتحنة آية : ٢٢ (٤/٢١٧:٢١٨) .

خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في البراء من الكفار والمشركين :

ويلخص لنا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء لله ولدينه ولأوليائه من المؤمنين . وفي البراء والعداوة للكفار ، والمشركين .

فيقول - رحمه الله - :

« وليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته ، وإن أعطاك وأحسن إليك .

فإن الله سبحانه بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله . فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه . والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه . والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه » [(١)] .

فعُلم أن أصل العداوة والبراء يجب أن يكون للكفار والمشركين ومن على شاكلتهم ممن عادى الله ورسوله ودينه . فهذا أصل من أصول الدين ، يجب على المسلم اعتقاده والعمل به ، والحذر من مخالفته ، أو الانزلاق في هاوية موالاة المشركين ، والكافرين . فيخدش توحيده ، ويهز عقيدته .

ويُعرِّض إيمانه للخطر بل قد يفقده ، ويتفاقم الأمر خطورة بقدر نقصان هذه العداوة في قلب المؤمن للكافرين ، وبمقدار موالاته لهم ، فعلى قدر ترك البراء والوقوع في الموالاة يكون الإثم حتى قد يصل الأمر إلى نقض التوحيد ، وهدم العقيدة ، والخروج من دائرة الإسلام والبعد عن حظيرة الإيمان .

فيجب على المسلم الاعتزاز بدينه وأن يجمع في قلبه كل أنواع البراء والعداوة والبغض والكراهية لأعداء الله ولأعداء دينه .

كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم والذين آمنوا معه في إعلانهم للبراءة من

---

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٢٠٩) .

المشركين وإظهار البغض والعداوة لهم وذلك لعدائهم لدين الله تعالى ولوقوعهم في الشرك .

قال تعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [1] .

* * *

(١) الممتحنة : ٤ .

[الفصل الثاني]

﴿ البراء من المنافقين ﴾

١ - خطورة المنافقين ووجوب البراء منهم .

٢ - المنافقـــــون فســـقة كفـــرة .

٣ - قــــــوم يبتـــغون الفتـــنة .

٤ - قوم يتربصون بالإسلام والمسلـــمين .

٥ - صـــور للبـــــراء من المنـافقين :

أ - عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول - رضي الله عنه - يتبرأ من أبيه .

ب - عوف بن مالك - رضي الله عنه - يتبـــرأ من منافق .

جـ - زيد بن أرقم - رضي الله عنه - يتبـــــرأ من منافق .

الفصل الثاني
البراء من المنافقين

١ - خطورة المنافقين ووجوب البراء منهم :

كما أن من عقيدة المسلم البراء من الكفار والمشركين ، كذلك فإنه يجب على المسلم البراء أيضًا من المنافقين . فهم يشتركون مع الكفار والمشركين في معاداة هذا الدين والكيد له وللمسلمين ، بل قد يكون خطرهم أكبر على الإسلام والمسلمين ، وذلك لأنهم يندسون في صفوف المسلمين ، ويَتَسَمَّون بأسمائهم ويلبسون ثيابهم ويقفون في صفوفهم ، ثم يطعنون المسلم في صدره . فهم أمكن منه من الكفار ، والمشركين . وقال الله عنهم وعن كيدهم وخداعهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

وقال عنهم أيضًا : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٢) .

فهذا هو حالهم وهذا هو دأبهم ، الخداع والمكر ، والكيد للإسلام ، وللمسلمين [فوجب البراء منهم] طاعة لله وموالاة له ولدينه وللإسلام والمسلمين .

ولذلك جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بجهاد هؤلاء المنافقين بالغلظة عليهم والإعراض عنهم ، وتوعدهم الله تعالى بأن مأواهم النار وبئس القرار .

---

(١) البقرة : ٨ : ٩ .

(٢) البقرة : ١٤ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

٢ - المنافقون فسقة كفرة :

إن المنافقين جمعوا في قلوبهم بين الفسق والكفر . فلقد فسقوا بخروجهم عن أمر الله وما أوجبه عليهم من الإسلام والإيمان ، ومالوا عن هذا التوحيد وخرجوا عليه إلى الكفر .

وهم كفرة لأنهم كفروا بالله وإن تظاهروا بالإسلام : لأنهم أبطنوا وأخفوا الكفر ، وكراهية الدين وكراهية الرسول ﷺ ، وكراهية المسلمين . ففرحوا بكل مصيبة وكل هزيمة تلحق بالإسلام ، والمسلمين ، وحزنوا لكل نصر وظفر للإسلام ، والمسلمين . فجمعوا بين الفسق والكفر .

قال تعالى مخبراً عن فسقهم : ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

وأخبر تعالى عن كفرهم قائلاً : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٤) .

وبيَّن الله مآلهم ومكانهم في جهنم قائلاً : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٥) .

---

(١) التوبه : ٧٣ .
(٢) التوبة : ٥٣ .
(٣) التوبة : ٥٤ .
(٤) التوبة : ٥٥ .
(٥) النساء : ١٤٥ .

قوم يبتغون الفتنة :

لا تقلُّ عداوة المنافقين للإسلام وللرسول ﷺ وللمسلمين . عن عداوة الكفار والمشركين بل قد تزيد على ذلك ، فهم يتربصون بالمسلمين ويحاولون خلخلة الصف ، وزعزعة الأمن ، ونشر الفتنة ، وتفريق الكلمة وقد قال الله عنهم : ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ (١) .

لقد كره الله خروج هؤلاء المنافقين مع المؤمنين لقتال أعداء الله وذلك لأنهم جبناء مخذولون ، ولأنهم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم إلا تفرقًا،واهتزازًا ، وخوفًا ، وخوراً ، ولأشاعوا الفتنة ، والنميمة بين المسلمين ، ولسارعوا بنشر هذه الفتنة والنميمة والبغضاء بين صفوف المسلمين . فهذا هو دأبهم ، تفريق الصف ، وتشتيت الكلمة ، وإضعاف الهمم لتكون لهم الكلمة والسيادة ، ولإضعاف الإسلام والقضاء على المسلمين .

قال محمد بن إسحاق :-

« كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي سلول ، والجد بن قيس وكانوا أشرافًا في قومهم فثبطهم الله - لعلمه بهم - أنْ يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم فأخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا » (٢) .

وقال الله تعالى عنهم أيضًا : ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ (٣) .

---

(١) التوبة : ٤٧ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية : ٤٧ (٢/٣٤٨) .

(٣) التوبة : ٤٨ .

قال الحافظ بن كثير – رحمه الله – :-

« يقول تعالى محرضًا لنبيه عليه السلام على المنافقين ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور** ﴾ أي لقد أعملوا فكرهم ، أجالوا أراءهم في كيدك وكيد أصحابك ، وخذلان دينك وإخماده مدة طويلة . وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة رمته العرب عن قوس واحدة ، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها .

فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته قال عبد الله بن أبي وأصحابه هذا أمر قـــد تـــوجه فدخـــلوا في الإســلام ظـاهراً . ثـم كلـما أعـز الله الإســلام ، وأهله غاظهم ذلك وساءهم » [1] .

قوم يتربصون بالإسلام والمسلمين :

إن عداوة المنافقين للإسلام والمسلمين أمر واضح ولا شبهة فيه ، ولاخلاف فيه – وتظهر هذه العداوة من آن لآخر مع المواقف والأحداث فإنهم لا يدعون فرصة سنحت ، ولا مجالاً للنيل من الإسلام والمسلمين إلاَّ سارعوا بإشباع رغباتهم الدفينة في القضاء على الإسلام ، وأهله . فهم يفرحون بكل مصيبة تصيب المسلمين ، وتطمئن قلوبهم بها ، ويحزنون لكل حسنة تظهر في الإسلام أو على المسلمين وقد أخبر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز قائلاً : ﴿ **إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ [2] .

قال ابن كثير – رحمه الله – :

يُعلم تبارك وتعالى نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له لأنه مهما أصابه من حسنة أي فتح ونصر ، وظفر على الأعداء مما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك ﴿ **وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل** ﴾ أي قد احترزنا من متابعته من قبل

(١) انظر : تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية : ٤٨ (٢/٣٤٩) .

(٢) التوبة : ٥٠ .

هذا ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ فأرشد الله تعالى رسوله ﷺ أي إلى جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [١] .

نحن تحت مشيئته وقدره فهو سيدنا وملجؤنا ونحن متوكلون عليه ، وهو حسبنا ونعم والوكيل » [٢] .

فهؤلاء الذين يعادون الدين ويفرحون بكل مصيبة تصيبه وتصيب المسلمين، ويحزنون لكل نصر للإسلام والمسلمين هؤلاء لابد [من البراء] منهم جميعًا وبغضهم ، والحذر كل الحذر من الميل ، والركون إليـهم فضلاً عن موالاتـهم فـإن البـراء منهم واجب - والـولاء لـهم والركـون إليـهم كـفـر يـنـقـض التوحيد ، ويُخرج من دائرة الإيمان .

صور للبراء من المنافقين :

إن التبرؤَ من المنافقين منهج سار عليه عباد الله الموحدون ، وطريق سلكه الصالحون ، وعقيدة اعتقدها المؤمنون ، وإذا تتبعنا سيَر الأنبياء ، والمرسلين ، وعباد الله الصالحين وجدنا صوراً مُشَرِّفة ومُشْرِقة تُظْهر مدى حب هؤلاء جميعًا لدين الله ، وعقيدتهم ويتجسد ذلك في البراء من المنافقين سواء كانوا آباء أو أمهات أو كانوا أبناء أو إخوانًا فتهوي كل أواصر المحبة ، وكل نزعة عرق ، وتتلاشى عصبية النسب أمام الإخلاص والولاء لهذا الدين فيعلن كل مسلم مخلص براءته من النفاق وأهله ، متقربًا بذلك إلى الله تعالى ، والآن نعيش بعض السطور مع بعض المواقف التي يظهر فيها التبرؤَ واضحًا ، ويظهر فيها ولاء المسلم لدينه .

١ - عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول يتبرأ من أبيه :-

وتبدأ هذه القصة الإيمانية ، وهذه البطولة العقدية في [غزوة المريسيع]

---

(١) التوبة : ٥١ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية : ٥٠ ، ٥١ (٢/٣٤٩) .

وهي غزوة [بني المصطلق] [١] حينما نزغ الشيطان بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار مما جرهما إلى شيء من العصبية القبلية العرقية مما أدى إلى غضب الرسول ﷺ ويروي لنا الإمام البخاري القصة في صحيحه .

قال الإمام البخاري - رحمه الله - :

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حفظناه من عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - يقول : « **كنا في غزاة فكسع [٢] رجل من المهاجرين [٣] رجلاً من الأنصار [٤] فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمعها النبي ﷺ ، قال : ما هذا ؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ، فقال النبي ﷺ : دعوها فإنها منتنة . قال جابر ، وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعد ، فقال عبد الله بن أُبي : أو قد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق قال النبي ﷺ : دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** » [٥] هكذا دائمًا يسعى كل منافق للنيل من الإسلام ، والمسلمين ، ويتربص بهم الدوائر ، كما استغل هذا المنافق [عبد الله بن أُبي بن سلول] هذه الشحناء التي بين المهاجري ،والأنصاري لإشاعة

---

(١) روى ابن أبي حاتم أنها كانت في غزوة [تبوك] ، وتعقب قوله ابن كثير - رحمه الله - قائلاً وقوله إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فإن عبد الله بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي، والسِّير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق . تفسير ابن كثير (٤/٣٥٧) .

(٢) كَسَعَ : قال ابن التين : الكسع أن تضرب بيدك على دُبر شيء أو برجلك .
وقال القرطبي : أن تضرب عجز إنسان بقدمك . « فتح الباري » (٨/٥١٩) .

(٣) واسمه جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب .

(٤) واسمه سنان بن يزيد . انظر : « تفسير ابن كثير » (٤/٣٥٧) .

(٥) رواه البخاري « كتاب التفسير » سورة المنافقين باب (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) (٨/ ٥٢٠) .

الفتنة ، وتفريق الجمع ، وتشتيت الشمل ، وزرع العداوة ، والبغضاء في قلوب المسلمين . لدرجة أنه يُحرِّض الأنصار أن يطردوا المهاجرين من المدينة أذلة صغاراً .

بل لقد وقع في بعض الروايات كما عند ابن إسحاق : « فقال عبد الله بن أُبي أقد فعلوها ؟ نافرونا ، وكاثرونا في بلادنا ؟ ، والله مَثَلُنا وجلاليب قريش هذه إلا كما قال القائل : سَمِّن كلبك يأكلك »[١] .

إنه ليقصد رسول الله ﷺ ، وصحبه الكرام . إنه النفاق الأكبر المخرج من الملة ، وأي نفاق بعد هذا النفاق ، وتنبعث غَيرةُ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فيقول دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ليعلن البراءة من النفاق ، وأهله ويجسد بغضه ، وكراهيته لكل من عادى الله ، ورسوله ، وعباده المؤمنين . ولكن ما هي إلا الرحمة ، والتريث ، والحكمة من رسول الله ﷺ. فيقول : « **دعه يا عمر . لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** » .

الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أُبي يقف في وجه أبيه :

علم الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول ما حدث من أبيه من نفاق ، وسبِّه وتوعده لرسول الله ﷺ ، وصحبه الكرام . فتجلت العقيدة الإسلامية في أرقى أمثلتها ، وأروع نماذجها ، وأعلى مقاماتها فلما علم ، وتيقن من نفاق أبيه وجب عليه البراءة منه ، وتحتم البغض ، وتعينت العداوة فأصر على الانتقام لرسول الله ﷺ من أبيه . الله أكبر .

إنها العقيدة ، إنه التوحيد ، فلقد أحب هذا الصحابي الجليل رسول الله ﷺ أكثر من نفسه ، ووالده ، وولده ، والناس أجمعين ، إنها حقيقة الإيمان

---

(٤) « فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التفسير » سورة المنافقين باب قوله تعالى (سواء عليهم استغفرت لهم . . .) (٨/٥١٨) .

حينما تتجسد ، وتُترجم إلى واقع عملي ملموس لا مجرد قول معسول لا يتجاوز الحنجرة ، إنه الولاء التام . الذي أذهل العالم كله ، واحتار أمامه كل العظماء ، والمفكرون على مدار الأعوام ، والسنين . فلم يُعْرف في تاريخ البشرية مَنْ أحب وأخلص لقائده وزعيمه مثل ما أخلص المسلمون لنبيهم محمد ﷺ ، ولم يربِّ مربٍ ، ولم يُخرج زعيم ولا قائد جيلاً مثلما خرَّج ﷺ هذا الجيل من الصحابة ومن تبعهم بإحسان . خرَّج جيلاً ، ورجالاً أذهلوا وحيَّروا العالم كله على مدار تاريخ البشرية فلقد ملكوا ثلاثة أرباع العالم في أقل من خمسين عامًا ، وملؤوا العالم كله عدلاً ، ورحمة .

قال عبد الله بن عبد الله بن سلول للرسول ﷺ : « والله لا ينقلب أبي حتى تقول إنك أنت الذليل [يعني عبد الله بن أبي] ، ورسول الله ﷺ العزيز . ففعل » [1] .

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أُبي قال له ابنه وراءك . فقال: مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز [أي لا تدخل المدينة] من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه . فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ﷺ . فقال [عبد الله] أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن » [2] .

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التفسير » باب سورة المنافقين (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ذكر هذه الزيادة الترمذي ، وأخرج هذه الزيادة أيضًا ابن إسحاق في المغازي عن شيوخه ، و ذكرها أيضًا الطبري من طريق عكرمة (٨/ ٥٢٠).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة المنافقين (٤/ ٣٥٩) .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبدًا حتى تقول رسول الله الأعز، وأنا الأذل »[(١)].

الصحابي عبد الله بن عبد الله همَّ بقتل أبيه لنفاقه :-

لقد علمت الخزرج كلها أنه ليس هناك فيها من يبرُّ بوالده من عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول بل بلغ من احترام هذا الرجل لأبيه أنه ما تأمل في وجه أبيه قط هيبة له واحترامًا له . ولكن نراه اليوم يعرض على الرسول ﷺ ، وهو جازم ، وجاد في عرضه يعرض عليه شيئًا غريبًا ما هو يا ترى ؟! هل يعرض على الرسول ﷺ العفو عن أبيه ؟ أم يعرض عليه التدخل للإصلاح بينه وبين أبيه؟ أم يساوم الرسول ﷺ على رفع اليد عن أبيه أو الردة ، والرجوع عن هذا الدين ، وتركه كلية ؟ كلها أسئله قد يفكر فيها أي ابن بعاطفة البنوة . تفكير قد يكون طبيعيًا عند كثير من الناس . إلاَّ هؤلاء الصفوة الذين تربوا على مائدة الرحمن واستقوا العقيدة من سيد الأنام محمد ﷺ .

لقد جاء هذا البطل للنبي ﷺ يعرض عليه إن شاء أن يأتي إليه برأس أبيه بين يديه إذا كان في ذلك مرضاة لله تعالى وللرسول ﷺ . وذلك في إيمان ، وثبات ، وعقيدة ، وولاء لله تعالى ، وللرسول ﷺ . [وبراءة من النفاق ، والمنافقين] .

قال أبو هارون المدني : « جَاء عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، لئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي »[(٢)] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير لسورة المنافقين (٤/ ٣٥٩) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة المنافقين (٤/ ٣٥٩) .

إنه صراع داخلي في وجدان هذا الصحابي ينتج عن النتيجة الطبيعية الحتمية من مثل هذا البطل الذي يُؤْثر حب الله تعالى وحب دينه وحب الرسول ﷺ على كل حب ، وذلك مصداقًا لقول النبي ﷺ في الحديث عن أنس -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله ، والناس أجمعين** »(١) .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد عند هذا الصحابي الجليل فلقد بلغ عنده الحب لإخوانه في الله ، وموالاتهم أنه خَشِيَ أن يأمر الرسول ﷺ أحد المسلمين بقتل أبيه فتتحرك نفسه ويقتل ذلك المسلم . فيقع في غضب الله . وغضب رسول الله ﷺ فيكون قد قتل مسلمًا بكافر فيكون ممن يصلون النار . ففضل قتل أبيه بيده هو [تأكيدًا للبراء من النفاق ، والمنافقين] .

وتثبيتًا للولاء لله ولدينه ، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .

وروى محمد بن إسحاق :-

أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي لما بلغه ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمُرْني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يُمسي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ : « **بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا** »(٢) .

دروس مستفادة من قصة عبد الله بن عبد الله بن أُبي :-

إن هذه القصص، والمواقف إنما تُذكر، وتُدرَّس لكي يُستفاد منها ، ويُؤخذ

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب (وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة المنافقين (٤/ ٣٥٩) .

منها العظة ، والعبرة ، والاقتداء ، والأسوة الحسنة ، وهذه القصة التي بين أيدينا فيها من الدروس ، والعبر الكثير ، والكثير ، ومن هذه الدروس ما يلي : -

١ - إن النفس البشرية تميل دائمًا إلى الميل إلى الأرض فيجب تربيتها حتى لا تنسلخ عن الدين وحتى لا تركن إلى الهوى ، وحتى لا تتبع الشهوات ، وتقع في حبائل الشيطان فهو ينزغ بين المؤمنين يحاول التفريق بينهم كما حدث ذلك بين المهاجري ، والأنصاري ، وقال لهم الرسول ﷺ : « **دعوها فإنها منتنة** » .

٢ - مدى بغض المنافقين لله ، وللرسول ﷺ ، وللإسلام ، وللمؤمنين، وظهر ذلك في موقف المنافق الكبير ، ورأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فإنه يود أن تكون الذلة لرسول الله ﷺ ولصحبه الكرام من المهاجرين - وحاشا لرسول ﷺ ولصحبه الكرام - فإن العزة لله ، ولرسوله ﷺ ، وللمؤمنين .

٣ - المنافقون يتربصون الدوائر بالإسلام ،والمسلمين ، وينتهزون أي فرصة لإشاعة الفوضى ، والفُرقة بين المسلمين . فكيف أن هذا الموقف الصغير بين رجلين أراد استغلاله المنافق عبد الله بن أبي ليُقلّب الأنصار على المهاجرين، ولإشاعة الفتنة .

٤ - مدى غَيْرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - على الدين وعلى رسـول الله ﷺ ، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ،ولا يردّه عن الحق رادٌّ . فما أن سمع مقولة ذلك المنافق حتى همَّ بضرب عنقه .

٥ - أدب الصحابة - رضي الله عنهم - مع رسول الله ﷺ وعدم الإقدام على أي فعل حتى يأذن لهم وفي ذلك أدب جمٌّ ، وضرب لأروع الأمثلة في الولاء والطاعة للقائد الأعلى ، والنبي المرسل ﷺ . ومن ذلك استئذان عمر بن الخطاب ، وأسيد بن حضير (وهو أحد الأنصار من بني الأشهل) في ضرب عنق المنافق [مالك بن الدخشن] . وفي استئذان عمر بن الخطاب وعبد الله بن

عبد الله بن أبي في قتل المنافق [عبد الله بن أُبي بن سلول] رأس المنافقين ، وامتناعهم حينما منعهم .

٦ - حكمة النبي ﷺ وحنكته وظهرت في كيفية معالجته للموضوع ، والقضاء على أسباب الفتنة وذلك بما يلي : -

(أ) زجره للرجلين حيث قال لهما : « **دعوها فإنها منتنة** » .

(ب) أمره للجيش بالرحيل حيث قال : « **آذنوا بالرحيل** » فهجر بالناس [وقت الظهيرة حيث الحر الشديد] فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها . وذلك ليقضي على هذا الحدث ،ولا يدع مجالاً للجنود للتحدث ، وتطوير الأمر . فياله من قائد عظيم محنك .

(جـ) لم يسمح لأحد بقتل عبد الله بن أبي بن سلول حتى لا تزيد الفتنة وحتى لا يأخذ أعداء الإسلام هذا الحدث ذريعة للنيل من الإسلام ومن رسول الله ﷺ ويقولون إن محمداً يقتل أصحابه .

٧ - تغلُّب أخوة الإسلام على العرق والنسب والدم . وذلك في موقف ذلك الصحابي البطل صاحب العقيدة والتوحيد . وصاحب [الولاء والبراء] (الولاء) للنبي ﷺ (والبراء) من أبيه المنافق بل الهمّ بقتله .

٨ - مدى حب هؤلاء الصحابه - رضي الله عنهم - للرسول ﷺ وظهر ذلك في :

(أ) إصرار عبد الله بن عبد الله ألاَّ يدخل المنافق عبد الله بن أُبي ابن سلول وهو أبوه إلاَّ إذا أذن له الرسول ﷺ .

(ب) ألاَّ يدخل عبد الله بن أبي بن سلول حتى يقول أنه هو الأذل ورسول الله ﷺ هو الأعز .

(جـ) فعل ذلك كله وهو شاهر السيف في وجه أبيه .

٩ - مدى تبرؤ الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أُبي من أبيه . وذلك يظهر في حديثه مع الرسول ﷺ حينما جاء ليعرض عليه قتله . قال له : «إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي . . . » ولم يقل له أبي أو والدي . وفي ذلك براءة من هذا المنافق - وحتى لا يكون في ذلك تأثير على ما يريده الرسول ﷺ .

١٠ - تلطف النبي ﷺ بصحابته الكرام . فكأن النبي ﷺ عدل عن معاقبة عبد الله بن أُبي كرامة و إكرامًا للصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله و أيضًا مراعاة لشعور الأنصار وخاصة قومه . وخاصة وأنه لم يأمر بقتل المنافقين فقال للصحابي الجليل عبد الله « **بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا** » .

١١ - التهديد والوعيد للمنافقين و إن كان غير صريح و لكن لمّح به الرسول ﷺ في قوله : « **نترفق به و نحس صحبته ما بقي معنا** » و فيها دلالة على أنه بعد فراق هذه الحياة فلا رفق به ولا إحسان بل العذاب والهلاك قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً** ﴾ [(١)] .

٢ ـ عوف بن مالك - رضي الله عنه - يتبرأ من منافق : -

لقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على [عقيدة الولاء والبراء] ، (الولاء) لله ولرسوله ولدينه ولعباده المؤمنين . ، و(البراء) من الكفار والمشركين ، والمنافقين ، والعصاة .

وها هو الصحابي الجليل [عوف بن مالك - رضي الله عنه -] يعطينا درسًا عمليًا في البراء من النفاق ، والمنافقين وذلك حبًا في الدين ، وموالاة لله تعالى وللرسول ﷺ . ويقص القرآن علينا القصة كاملة .

---

(١) النساء : ١٤٥ .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [(١)] .

وتبدأ هذه القصة عندما كان النبي ﷺ هو وصحابته الكرام في طريقهم إلى تبوك جهادًا في سبيل الله ورفعًا لراية التوحيد . ولكن النفاق هو النفاق ، والمنافقون لا يدعون فرصة لذبذبة الصف ، ونشر الذعر والخوف في صفوف المسلمين ، وأيضًا لا يخلو الأمر من السخرية ، والاستهزاء كلما سنحت لهم الفرصة .

« قال عبد الله بن وهب : أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء : أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المسجد [عوف بن مالك - رضي الله عنه -] : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن . فقال عبد الله بن عمر : أنا رأيته متعلقًا بعقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . ورسول الله ﷺ يقول : « **أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** » [(٢)] .

فنرى هذا الصحابي الجليل (عوف بن مالك - رضي الله عنه) لما سمع هذه المقالة الكفرية من هذا المنافق ، وتأكد من نفاقه بهذا الكلام الذي صدر منه لم يتردد ولو لحظة واحدة في أن يُكذبه على الملأ دون خوف أو مجاملة ، فلا خوف مع العقيدة ، ولا مجاملة على حساب الدين ، بل حكم عليه بوضوح ، وصراحة وقوة ، وجراءة ، وغَيْرَة ، ورجولة [كذبت ولكنك منافق] .

ثم بعد ذلك لابد من إبلاغ القيادة العليا وصاحب الكلمة في الدولة

---

(١) التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) انظر : القصه بطرقها في تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية: ٦٥، ٦٦ (٢/ ٣٥٤:٣٥٥).

الإسلامية وولي الأمر محمد رسول الله ﷺ ليتخذ الإجراء اللازم ، والعقاب الرادع تجاه ذلك المنافق ، وأمثاله فقال : [لأخبرن رسول الله ﷺ] ، ولكنّ الله مع رسوله مؤيده وناصره ففضح أمر هذا المنافق ، وأصحابه ومن رضي بقوله وذلك قبل أن يصل إليه الصحـابي الجليـل عوف بن مالك - رضي الله عنه - ، فلقد وجد القرآن سَبَقَه ونزل قرآنٌ يتلى ليوم الدين في شأن هذا المنافق وأصحابه .

مما يستفاد من هذه القصة :-

١ - بغض المنافقين للإسلام ، وللرسول ﷺ ، وللمسلمين ، ويظهر ذلك من سخريتهم من الجميع في مجالسهم « ما رأينا مثل قرائنا أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء » .

٢ - محاولة المنافقين دائمًا لإدخال الخوف والرعب في صدور المؤمنين وخلخلة الصف ويلحظ ذلك في قولهم كما جاء في إحدى روايات الحديث من رواية ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير . أنهم قالوا :

« أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض . والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال » . إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين من قتال الفرس والروم، وأن حربهم ليس كحرب العرب . ويهددونهم بأن هؤلاء الفرس سوف يوثقونهم بالحبال والسلاسل في الجبال .

٣ - رد غيبة المسلم فلم يقبل الصحابي الجليل [عوف بن مالك] أنْ يُذكر المسلمون أمامه بسوء وافتراء ويسكت بل دافع عنهم ونَهَرَ المنافق ووصفه بالكذب والنفاق ، وصفه بما يستحق ودون أي مجاملة ، إعلانًا للبراء من النفـاق ، وأهله وتأكيدًا للولاء للمؤمنين .

٤ - عدم المجاملة في الحق والصدع به دون خوف ولا تردد وذلك في

موقف الصحابي الجليل عوف بن مالك - رضي الله عنه - حنيما تكلم كلمة حق ووصف المتكلم بالكذب والنفاق دون خوف منه ولا من مجلسه ودون التفكير في عاقبة هذا الفعل .

٥ - يجب أن نقول للمنافق أنت منافق ليعلم نفسه ويعلمه الناس ليحذروه ولينبذوه استحقاراً له وبراءة منه ومن نفاقه ، فإذا عُـلِمَ أنه منافق [وجب البراء منه] كما تبرأ هذا الصحابي الجليل من هذا المنافق ومن قوله .

٦ - يجب إعلام أولياء الأمور بالمنافقين الذين ظهر نفاقهم حتى يتخذوا الإجراء المناسب ، والعقاب الرادع لهم ولأمثالهم لتتضح الرؤية ولتظهر الصورة، ولتتميز الهوية [وليتحدد الولاء والبراء] .

٧ - تأييد الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين وفضح المنافقين وذلك في سرعة نزول الوحي على النبي ﷺ وإخباره بشأن هؤلاء المنافقين وفضحهم وإخراج ما في صدورهم وإذلالهم ، وتحذير المسلمين منهم ومن نفاقهم وخداعهم .

٨ - وجوب الإعلان بعقيدة البراء وإظهارها للكفار والمنافقين وإظهار العداوة والبغضاء لهم أبدًا حتى يؤمنوا .

٩ - أن كلمة الله ظاهرة وأمره غالب ولو كره الكافرون ، ولو نافق المنافقون ، فالله ناصر دينه ، ومؤيد جنده ، وخاذل عدوه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ - زيد بن أرقم يتبرأ من منافق :

وقبل أن نترك هذا المقام ، ونرحل من الحديث عن البراءة من المنافقين يجدر بنا أن نذكر قصة هذا الصحابي الجليل [زيد بن أرقم] يتبرأ من منافق من المنافقين وخاصة وأنه نزل فيه قرآن ، وموضوعه يشبه موضوعنا السابق فنرى منافقًا آخر من المنافقين يتطاول ويذكر الرسول ﷺ بسوء ولكن هذا المسلم

الغيور الذي يحمل بين جنبيه عقيدة [الولاء والبراء] (الولاء) لله ولرسوله وللمؤمنين ، و(البراء) من الكفار والمشركين والمنافقين ، يضرب لنا المثل الأعلى .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ في الفتح :-

وقع في رواية الإسماعيلي من رواية ابن فليح عن موسى بن عقبة : « قال ابن شهاب سمع زيد بن أرقم رجلاً من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب : لئن كان هذا صادقًا لنحن شر من الحمير ، فقال زيد : قد والله صدق ، ولأنت شرٌّ من الحمار . ورفع ذلك إلى النبي ﷺ . فجحده القائل .

فأنزل الله على رسوله : ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا** ﴾ [(١)] .

فكان مما أنزل الله في هذه الآية تصديقًا لزيد . انتهى [(٢)] .

فما كان لهذا الصحابي الجليل الذي تربَّى على مائدة الرحمن ونهل من معين النبوة – وأخذ عقيدته من رسول الله ﷺ . ما كان له أن يسمع هذا المنافق يسبّ الرسول ﷺ ويسكت بل صدَّق الرسول ﷺ وكذَّب هذا المنافق ووصفه بما يستحق فقال له : « ولأنت شر من الحمار » . وصدق فقد يُسبح الحمار ربه ولا يخالف الفطرة التي فطر الله المخلوقات عليها . ولكن هذا المنافق خالف فطرته وتنكر لربه وخالقه ، وجحد نعمة المنعم ومنع الله حقه في إخلاص العبادة له وحده .

ولكن هذا المنافق يأتي وينكر ما نقله عنه هذا الصحابي [زيد بن أرقم] وهذا هو دأب المنافقين ومن علاماتهم . ولكن الله لا يتخلى عن عباده المؤمنين

---

(١) التوبة : ٧٤ .

(٢) انظر : « فتح الباري شرح صحيح البخاري » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتاب التفسير ، سورة المنافقين (٨/ ٥١٩) .

فينزل قرآنًا من السماء يكذِّب هذا المنافق ويثبت ما قال من كلام هو كفرٌ يخرج من الملة - ويُصدِّق الصحابي الجليل [زيد بن أرقم] فيما بلَّغه لرسول الله ﷺ عن هذا المنافق . فالحق ظاهر والباطل زاهق . والله ناصر عباده المؤمنين ولو بعد حين : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ (١) .

* * *

---

(١) النحل : ١٢٨ .

[الفصل الثالث]

﴿ البراء من العصاة ﴾

أولاً : حكم البراء من العصاة .

ثانيًا : صور للبراء من العصاة .

أ - الهجر : - (الثلاثة الذين خُلِّفوا - الهجر منهج إصلاحي - الهجر من جنس الجهاد في سبيل الله) .

ب - التعزير : - (بعض أنواع التعزير - فقه التعزير - ترك التعزير لمصلحة راجحة) .

جـ - إقامة الحدود : - (إقامة الحدود براءة من العصاة - النبي ﷺ يقيم الحدود - النبي ﷺ يحذِّر من ترك البراء) .

ثالثًا : خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في البراء من العصاة .

الفصل الثالث
البراء من العصاة

أولاً : حكم البراء من العصاة :

لابد للمسلم أن يغار على شرع الله وعلى حرمات الله إذا انتهكت . حتى ولو كان هذا الانتهاك على يد مسلم . فيجب الغَيْرة على دين الله وحدود الله . فإذا تجرأ مسلم على معصية الله وجب بُغض هذه المعصية ويُبغض فاعلها على قدر هذه المعصية . فيُبغض المسلم على قدر معاصيه ، ويُحب على قدر طاعته لله ، فَنُحب فيه إسلامه وطاعته . ونبغض فيه ذنوبه ، ومعاصيه . وفي هذا إعلان للولاء لله ولدينه ، وإعلان للبراء من المعاصي وفاعليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : –

« وإذا اجتمع في الرجل الواحد : خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسُنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم »[1] .

وكذلك قد يقع المسلم في بعض أنواع الموالاة للكفار مع اختلاف صورها فكلما خالفت أصلاً من أصول الإسلام أو تعلقت بالعقيدة والاعتقاد كلما اشتد الأمر ولزم البراء من هذه الخصال فلابد وأن يُردع أهل المعاصي والبدع وإن كانوا من أهل القبلة وعلى التوحيد فيقبل منهم ما وافق الإسلام وأصوله ومبادئه ويوالوا على قدر هذا المعروف وهذه الطاعة ، ويُبغضوا ويُنهروا ويُزجروا على ما

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٢٠١) .

يظهر منهم من مخالفات •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

« فمن كـان من هذه الأمة مواليـاً للكفار : من المشـركين أو أهل الكتـاب ببعض أنواع المـوالاة • ونحوها : مثل إتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من مقـالهم ، وفعالهم الباطل : كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك » (١)

الرسول ﷺ يتبرأ من العصاة :

لقد تبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من العصاة ومن معاصيهم ومن ذلك •

ـ ماجاء عن أبي بردة عن أبى موسي رضي الله عنه قال : «وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه .ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال : أنا بريءٌ ممن بريء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة » (٢)

ولفظ حديث أبى صخرة عند الإمام مسلم رحمه الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق » (٣)

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله :

الصالقة : التي ترفع صوتها بالبكاء عند المصيبة •

والحالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة ، والشاقة : التي تشق ثوبها •

ـ وأصل البراءة الإنفصال من الشيء ، وكأنه توعده بأنه لايدخله في شفاعته مثلاً •

وقال المهلب : قوله أنا بريء أي من فاعل ماذُكر وقت ذلك الفعل ، ولم يرد نفيه عن الإسلام » (٤)

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٢٨/ ٢٠١)

(٢) رواه البخاري كتاب (الجنائز) باب (ماينهى عن الحلق عند المصيبة)

(٣) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية)

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري [٣/ ١٩٥ ، ١٩٨]

ثانيًا : صور البراء من العصاة

إن البراء من العصاة مقتضى إيماني ، ومنهج إسلامي للقضاء على المعاصي ، وتقويم للعصاة ، وسبب في نشر الأمن والاطمئنان وعامل للحد من أسباب الفوضى وانتشار الفواحش . وذلك حث عليه الشرع وعمل به الرسول ﷺ . ولهذا البراء صور متعددة وأساليب متنوعة . تختلف باختلاف المعصية ، وتقدر بحسب الشخص وظروفه وأحواله ومقامه حتى يكون هذا البراء إيجابيًا ومثمرًا . ومن هذه الصور للبراء ما يلي : -

(١) التوبة : ١١٨ .

[١] الهَجْـــــر

إن الهجر نوع من أنواع البراء من العصاة ، وهو أيضًا ضرب من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فإن الهجر وهو عبارة عن إعلان من المسلم عن سخطه وبغضه للمعصية ولفعلها ولفاعلها على قدر هذه المعصية . وهى أيضًا نوع من أنواع [البراء] من المعصية ومن فاعلها .

ولكن في نفس الوقت نلحظ أن هذا الهجر فيه نوع من الولاء للمسلم في عمومه . (ولاء) له في أصل إسلامه وأصل إيمانه وتوحيده . وحبًا له على ما فيه من الخير . ومحاولة للأخذ بيد هذا المسلم الذي عصى الله تعالى حتى ينجو من حبائل الشيطان ويتخلص من شرور نفسه وسيئات عمله ، حتى يُخلص لله تعالى ويقلع عن هذا الذنب ، ويتوب من هذه المعصية فما هَجَرَ المسلم أخاه المسلم إلاَّ براءة من معصيته ، وحبًا لإسلامه ورغبة في إصلاحه وتقويمه ، حتى يتخلص مما علق به من المعاصي ويرجع إلى ربه وإلى حظيرة الإيمان الكامل . فيرجع له بذلك [الولاء الكامل] الذي هو الأصل . وما هذا البراء الذي حدث إلاَّ عارض عرض بوجود هذه المعاصي ثم زال بزوالها . فالهجر هو منهج إسلامي تقويمي إصلاحي عمل به سيد المرسلين محمد ﷺ ومن ذلك : -

[الثلاثة الذين خُلفوا] :

وقصة هؤلاء الثلاثة مثبتة في القرآن الكريم وتتلى إلى يوم القيامة لأخذ العبرة والعظة قال تعالى : ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : ١١٨ .

وهؤلاء الثلاثة هم : [كعب بن مالك - هلال بن أمية - مرارة بن الربيع] وكلهم من الأنصار [١] .

وهؤلاء الثلاث قد تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ . وذلك في غزوة تبوك . ولم يكن هذا التخلف عن عذر أو مرض أو ضعف .ولكن الشيطان ثبطهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ وذلك حين طابت الثمار والظلال فضعفت النفس . ويتحدث كعب بن مالك - رضي الله عنه - عن نفسه فيقول : « وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جَمعتهما في تلك الغزاة » [٢] .

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس . فجاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

وجاء دور هؤلاء الثلاثة فلم يطاوعهم إيمانهم أن يكذبوا على رسول الله ﷺ فلم يجدوا ملجأ لهم إلا الصدق مع الله ورسوله وفوضوا أمرهم إلى الله تعالى .

ويقص لنا هذا المشهد الذى يقشعر له البدن ، وترق له القلوب ، وتدمع له العيون يقصه علينا الصحابى الجليل [كعب بن مالك] رضي الله عنه :- «حتى جئت فلما سلَّمتُ عليه (أي على رسول الله ﷺ) تبسم تبسم المغضب ثم قال لى « تعال » فجئت أمشـي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلّفك ؟ ألم

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية : ١١٨ ، (٢/ ٣٨٥) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية : ١١٨ ، (٢/ ٣٨٢ : ٣٨٣) .

تكن قد اشتريت ظهراً لله » [أي ركوبة تحمله إلى الجهاد في سبيل الله] فقلت : يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر . لقد أُعطيت جدلاً [أي أحسن الجدال] ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليّ فيه إني لأرجو عقبى ذلك من الله عز وجل ، والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال : فقال رسول الله ﷺ : **«أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك»** فقمت. . . »[1] وهكذا حدث مع الاثنين الباقيين .

وهنا بدأ البراء من هذا الذنب وهذه المعصية . توبيخًا لمن تجرأ على ارتكاب هذه المعصية . ولمن سولت له نفسه أن يتخلف عن رسول الله ﷺ وعن الجهاد في سبيل الله . وبعد ذلك يأتي الأمر من الرسول ﷺ للمسلمين بهجر هؤلاء الثلاث وعدم التحدث معهم وعدم السلام عليهم . وذلك لله إعلاء للبراء منهم ومن معصيتهم » .

● **يقول كعب بن مالك رضي الله عنه :**

« ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه . فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي نفسي ، الأرض فما هي بالأرض التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم . فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي أحرك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟. . . »[2] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية (١١٨) [٢/ ٣٨٢ : ٣٨٣] .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية (١١٨) [٢/ ٣٨٢ : ٣٨٣] .

ولم يقتصر الأمر على هجر النبي ﷺ لهؤلاء الثلاثة . ولا على هجر المسلمين لهم . بل صدر الأمر النبوي من الرسول ﷺ لزوجات هؤلاء الثلاث أن لا يُمكنَّ أزواجهم من أنفسهن ، وأمرهم الرسول ﷺ أن يعتزلوا زوجاتهم ولا يقربوهنَّ .

● **يقول كعب بن مالك رضي الله عنه :**

« حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني يقول : يأمرك رسول الله ﷺ أن تعتزل امرأتك قال : فقلت : أُطلِّقها أم ماذا أفعل لله فقال : بل اعتزلها ولا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك قال : فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء »[(١)] .

ولكن لما علم الله صدقهم وحسن توبتهم وإخلاص نيتهم ، وشدة ندمهم على ما فرطوا في جنب الله وصبروا على عقاب الله لهم بهذا الهجر الأليم المؤثر على النفوس الذكية ، والضمائر الحية ، والقلوب المؤمنة ، وإذ بالفرج يأتي فلقد وعد الله في كتابه العزيز بالفرج واليسر. قال تعالى : ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾[(٢)] .

وإذ بالقرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ بالتوبة من الله تعالى على هؤلاء الثلاثة فنزلت الآيات ، وجاء الفرج ،وقُبلت التوبة ، وغُفر الذنب، وعَلَت الفرحة ، وذهب الغم ، وانكشح الكرب ، وسجد كعب شكراً للرب ، الله أكبر إنها الفرحة وأي فرحة حينما ينزل القرآن من عند الله تعالى بالعفو والمغفرة وقبول التوبة إنها فرحة تبشر بالخير وبرضى الرب جل وعلا، إن الموقف عظيم ، وإن

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية (١١٨) [٢/ ٣٨٤] .

(٢) سورة الشرح : ٥ ، ٦ .

الخطب جليل ، يعجز القلم عن تجسيد هذا الموقف ، ويتلعثم اللسان عن أن يصور هذا المشهد ، ويحتار العقل في أن يرسم لنا هذا المنظر ، وتضطرب العاطفة والوجدان في التعبير عن المشاعر والأحاسيس التي تحيط بهذا الموقف الإيماني الذي تغمره الفرحة وتغشاه الرحمة ، وتزينه التوبة ، وتتخلله البشرى ويقشعر له البدن وتدمع له العين ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1] .

● **قال الإمام ابن كثير رحمه الله :**

« ولما ذكر الله ما فرَّج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرَّج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر [فعوقبوا على ذلك] هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا »[3] .

خلاصة :

ويتضح لنا من خلال عرضنا السريع والمختصر لقصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ أن الهجر نوع من أنواع العقاب كما ذكر ذلك

(١) التوبة : ١١٨ .

(٢) التوبة : ١١٩ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة آية (١١٨ : ١١٩) [٢/ ٣٨٥] .

الحافظ ابن كثير - رحمه الله - لله فعوقبوا على ذلك هذه المدة » . وهذا العقاب وهذا الهجر هو لون من ألوان [البراء من العصاة] توبيخًا لهم وزجرًا لهم على ما فعلوا من معصية ، وردعًا لغيرهم ممن توسوس لهم أنفسهم بالتجرأ على الله وغشيان المعاصي واقتراف السيئات . وكما أسلفنا أن هذا النوع من البراء إنما هو منهج إصلاحي إسلامي يعمل على تقويم المسلم ورده عن أي معصية ، وأخذًا بيده إلى برِّ الأمان وشاطيء النجاة ، واستقطابًا له من حبائل الشيطان حتى يُطْهُر المجتمع المسلم من كل ما يشوبه ويسيء إلى أفراده .

● **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :**

« الهجر على وجه التأديب ، وهو هجر من يظهر المنكرات ، يُهْجَرُ حتى يتوب منها ، كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خُلِّفوا ، حتى أنزل الله توبتهم ، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقًا . فهنا الهجر بمنزلة التعزير »[(١)] .

ويقول أيضًا- رحمه الله- : «وهذا لأن الهجر من لله باب العقوبات الشرعية» فهو من جنس الجهاد في سبيل الله وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله . والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله . فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه . فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[(٢)] فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم »[(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية [٢٨/ ٢٠٤ : ٢٠٥] .

(٢) الحجرات : ٩ : ١٠ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية [٢٨/ ٢٠٨ : ٢٠٩] .

الهجر منهج إصلاحي :

فهذا المنهج الإسلامي الإصلاحي القويم يجب أن نتعامل به مع العاصي المجاهر بمعصيته والذي انحرف عن الطريق المستقيم فإنه باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والموالاة لله وللمؤمنين . فينبغى أن يُهْجرَ العاصي المجاهر بمعصيته ولا يُجالس ولا يُبش في وجهه ولا يؤاكل ولا يُشارب ولا يُجْلس على مائدة يجلس عليها ولا بد من العبس في وجهه ولا بد من زجره حتى ينصلح حاله ولا يتمادى في غيه وظلمه وإعراضه عن ربه . وإلاً إذا لم يجد العاصي هذا الهجر وهذا الصد من المجتمع المسلم الذي حوله حلتْ له معصيته وسهل عليه جرمه وهانت عليه فواحشه واستسهل الأمر ، وعثى في الأرض ينشر فيها الفساد .

ولكن لا بد أيضًا عند هذا العلاج الإسلامي الرشيد من مراعاة حالة العاصي وتحديد القدر المطلوب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فلا يُصرف العلاج إلا على قدر المرض ولا يكون إلا بالجرعات المناسبة . فإن هناك طريقة قد تثمر مع عاص وقد تجعل آخر يتمادى بل يزداد في معاصيه فيجب على من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عنده حنكة وفقه في الدعوة إلى الله تعالى حتى يُصْلِح وتُجنى الثمار وحتى لا نجد نتيجة عكسية تزداد بها المعاصي .

● **قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :**

« وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم . فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله . فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر ،

والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر .

والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين . كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين فى عشائرهم [أي المؤلفة قلوبهم] فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم .

وهؤلاء كانوا مؤمنين [أي الثلاثة الذين خلفوا] ، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين ، وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح »[1] .

● **الهَجْر من جنس الجهاد في سبيل الله :**

إن هذا الهجر الذي يقصد من ورائه القضاء على المعصية ، وبتر الفساد ، وطمس معالم الفتنة ، هو من الموالاة لله تعالى ولدينه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وهو أيضًا نوع من أنواع البراء من العصاة ومما يغضب اللَه تعالى . وهو بذلك باب من أبواب [العقوبات الشرعية] التي يُقوِّم بها المسلم حتى يفيء إلى أمر الله تعالى ، ويرجع إلى رشده ، ويقلع عن معاصيه ، وينضم إلى الصف المؤمن ، وينسجم مع الصفاء الروحي ، ويهيم في الجو الإيماني . ومن أجل ذلك وغيره يعتبر هذا الهجر من [جنس الجهاد في سبيل الله] فما قَصَدَ به المؤمنون إلا وجه الله تعالى، وغَيْرةً على دين الله تعالى ونُصرة للمسلم العاصي [نصرته من باب رده عن الظلم وعن المعاصي]. فكل ذلك هو إعلاء لدين الله ورفع للراية، ولكي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السـفلى ويكون الديـن كله لله .

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٢٠٦) .

• **قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :**

« وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية » فهو من لله جنس الجهاد في سبيل الله » . وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله .

والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية . قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [1] . فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغي ، والأمر بالإصلاح بينهم .

فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين ، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر . وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك .

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه » [2] .

* * *

(١) الحجرات : ٩ : ١٠ .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٢٨/٢٠٨ : ٢٠٩] .

٢ - التعزير

إن من أنواع [البراء من العصاة] أيضًا التعزير ، فإن التعزير له الأثر العظيم في ردع الظالم ورد العاصي عن المعاصي ، وتخويف لكل من تُسوِّل له نفسه بفعل المعاصي بشتَّى أنواعها ، وكذلك لبَتْر المعاصي والظلم من بين المسلمين .

وهذا التعزير له صور شتى ووسائل عدة ، والهجر المذكور آنفًا ما هو إلا نوع من أنواع التعزير .

● **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :**

« فإن الهجر نوع من أنواع التعزير ، والعقوبة نوع من أنواع الهجر »[(١)] .

فالتعزيز أعم من الهجر وأشمل . فهو يشتمل على أنواع متعددة من زجر العاصي ، ورد الظالم ، للمحافظة على المجتمع المسلم في صورته المشرقة وواقعه المشرّف .

وقد يكون التعزير يقتضي الهجر كما مرَّ علينا في قضية الثلاثة الذين خلِّفوا وقد يقتضي [الحبس] وذلك يكون من جهة ولي الأمر المسلم فقد يرى المصلحة الكبرى هي حبس هذا الظالم أو هذا العاصي عقابًا له وردعًا لأمثاله ممن قد تسول لهم أنفسهم بمثل ما فعل هذا الظالم وهذا العاصي ، فيجمع بين العقوبة والوقاية للمجتمع المسلم من شر وفساد عظيم .

كذلك قد يقتضي التعزير ، الجلْد والتشهير بين الناس لكسر نفس هذا العاصي وخاصة لو كان من المجاهرين بمعصيته ، المتعالين على عباده الله المغترين ببعض ما أنعم الله عليهم ، أو ممن يتجرؤون على حرمات الله ، أو

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٠) .

ممتلكات المسلمين والأموال العامة .

ومن ذلك حينما أمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بجلد رجل من المسلمين قام بتزوير ختم الخليفة وأخذ أموالاً كثيرة من بيت مال المسلمين فجلده وأمر بالتشهير به في الأسواق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :- روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- أن رجلاً نقش على خاتمه وأخذ بذلك من بيت المال . فأمر به فضُرب مائة ضربة ، ثم ضربه في اليوم الثاني مائة ضربة ، ثم ضربه في اليوم الثالث مائة ضربه » [1] .

وقد أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أيضًا بتعزير شاهد الزور ، وذلك بتسويد وجهه ، وإركابه على دابة مقلوبًا [2] .

● ما يُستحق به التعزير :

إن المعاصي التي يستحق المسلم التعزير إذا ارتكبها كثيرة ومتنوعة ومختلفة، وحرمتها متفاوتة ويترك لولي الأمر تقدير مدى ضررها على المسلم وعلى المجتمع .

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

« وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة ، كالذي يُقبل الصبي والمرأة الأجنبية ، أو يباشر بلا جماع ، أو يأكل ما لا يحل كالدم والميتة ، أو يقذف الناس بغير الزنا ، أو يسرق من غير حرز ، ولو شيئًا يسيرًا ، أو يخون أمانته ، كولاة أموال بيت المال أو الوقوف ، ومال اليتيم ونحو ذلك إذا خانوا

---

(١) مجموع الفتاوى [٢٨/ ٣٤٥] .

(٢) انظر مجموع الفتاوى [١٢٨ : ٣٤٤] .

فيها ، وكالوكلاء والشركاء إذا خانوا ، أو يغش في معاملته . . . . . . أو غير ذلك من أنواع المحرمات : فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً وتأديبًا بقدر ما يراه الوالي ، على حسب كثرة الذنب في الناس وقلته فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة ، بخلاف ما إذا كان قليلاً . وعلى حسب حال المذنب فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته بخلاف المقل من ذلك . وعلى حسب كبر الذنب وصغره . . . »[١] .

بعض أنواع التعزير

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وليس لأقل التعزير حد ، بل هو بكل ما فيه إيلام الإنسان : من قول وفعل ، وترك قول ، وترك فعل ، فقد يعزر الرجل بوعظه وتوبيخه والإغلاظ له، وقد يعزر بهجره ، وترك السلام عليه حتى يتوب إذا كان ذلك هو المصلحة ، كما هجر النبي ﷺ وأصحابه لله الثلاثة الذين خُلِّفوا » وقد يُعزر بعزله عن ولايته ، كما كان النبي ﷺ وأصحابه يعزورن بذلك ، وقد يعزر ويترك استخدامه في جند المسلمين ، كالجندي المقاتل إذا فرَّ من الزحف ، فإن الفرار من الزحف من الكبائر ، وقطع أجره نوع تعزير له . وكذلك الأمير إذا فعل ما يستعظم فعزله من إمارته تعزير له ، وكذلك قد يعزر بالحبس ، وقد يعذر بالضرب ، ويقد يعزر بتسويد وجهه وإركابه على دابة مقلوبًا ، كما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه أمر بفعل ذلك في شاهد الزور ، فإن الكاذب سَوَّدَ الوجه ، فسُود وجهه . وقَلَبَ الحديث فقُلب ركوبه »[٢] .

فكل هذه العقوبات والتعزيرات نوع من أنواع البراء من العصاة وإظهار

---

(١) انظر مجموع الفتاوى [٢٨/ ٣٤٣] .

(٢) انظر مجموع الفتاوى [٢٨/ ٣٤٤] .

وإعلان للعداوة لهم ولفعلهم حتى يحدثوا منه توبة نصوحًا .

● **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :**

« والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات ، وفعل المحرمات ، كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش ، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، التي ظهر أنها بدع .

وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : أن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يُصلى خلفهم ، ولا يؤخذ عنهم العلم ، ولا يناكحون . فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا » [1] .

وبين شيخ الإسلام الحكمة من التعزير وعقوبة الظالم وأثرها على الفرد وعلى المجتمع المسلم كله فيقول : لله وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا . وليتقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه، وتحضها على فعل ضد ظلمه ، من الإيمان والسنَّة ونحو ذلك » [2] .

أي أن التعزير رحمة على العاصي والظالم . أولاً يمنعه ابتداء من التفكير في المعصية ، والانشغال عنها بطاعة الله تعالى من فعل الخيرات وتحصيل الحسنات ، وإذا انزلقت قدمه في هذه المعصية كان هذا التعزير تكفيراً للسيئات بإذن الله تعالى ورحمته ، وغسلاً له من ذنوبه وآثامه .

وأيضًا فيها ردع لأمثاله ممن توسوس لهم أنفسهم بفعل مثل فعله .

وأيضًا فيها حماية للمجتمع من انتشار المعاصي والظلم والفساد في الأرض.

● **فقه التعزير :**

وكما أسلفنا في الهجر أن هذا التعزير لابد له من فقه عند تطبيقه على

---

(١) لله مجموع الفتاوى » [٢٨/ ٢٠٥] .

(٢) لله مجموع الفتاوى » [٢٨/ ٢١٢] .

الواقع وعلى الناس باختلاف طبائعهم وقوتهم وضعفهم ، وباختلاف نوع معصيتهم بين (الصغيرة والكبيرة) وبين الفسوق والعصيان.

ويختلف الأمر أيضًا باختلاف من يقوم بالتعزير من حيث القوة على إنفاذ التعزير وعدم القدرة ، ومن حيث النتائج المترتبة على هذا التعزير وهذه العقوبة . وهل المفسدة المترتبة على إلحاق التعزير والعقوبة بالعاصي هل أكبر من معصيته أم أصغر من معصيته أم الأمر متساو وعلى السواء ؟

● وفي هذا المقام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

« وعقوبة الظالم وتعزيره مشروطه بالقدرة : فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين [١] : بين القادر والعاجز ، وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته وقوته وضعفه ، كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من [الكفر ، والفسوق والعصيان] فإن كل ما حرمه الله فهو ظلم ، إما في حق الله فقط ، وإما في حق عباده ، وإما فيهما ، وما أمر به من هجر الترك والانتهاء [٢] .

وهجر العقوبة والتعزير [٣] إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله ، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة ، وإذا كان في العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة . بل تكون سيئة ، وإن كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة » [٤] .

---

(١) المقصود بالهجرتين : الهجرة الأولى : هي هجر المسلم لما نهى الله عنه بترك المعاصي والمحرمات . والهجرة الثانية : المقصود بها هجر أهل المعاصي عقوبة وتعزيرًا لهم على معاصيهم .

(٢) أي النوع الأول من الهجر وهو ترك المعاصي والمحرمات .

(٣) أي النوع الثاني من هجر أهل المعاصي .

(٤) مجموع الفتاوى [٢٨/٢١١ : ٢١٢] .

● ترك التعزير لمصلحة راجحة :

إن الأصل في الشرع الحنيف هو تعزير أهل المعاصي والبغي والعدوان لأن في ذلك المصلحة الكبرى للمجتمع المسلم وحمايته من كل شر وفساد . وكذلك للحدّ من المعصية وانتشارها . ولكن إذا كان القيام بالتعزير وإعلان العداوة والبراء سوف يَجُرَّ مفسدة أكبر وضرراً أعظم ، تُرك ذلك التعزير وهذا البراء . ولم يُعلن بهذه العداوة ، حفاظًا على المصلحة العامة ، ودرءً للمفسدة الكبرى . ولكن ذلك مع الاحتفاظ بالبغض والكراهية والعدواة القلبية لهذه المعصية ولهذا العاصي ولفعلته .

● وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

« فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد ، بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمور بها ، كما ذكره أحمد [يعني الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -] عن أهل خرسان إذ ذاك : أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية [١] . فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة . وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف . ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي . وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة [٢] فلو تُرك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم [٣] والسُنن والآثار المحفوظة فيهم » [٤] .

وبعد هذا الاستدلال من شيخ الإسلام ابن تيمية بفتوى الإمام أحمد بن

---

(١) أي لم يستطيعوا أن ينكروا عليهم بدعتهم ولم يستطيعوا إظهار العداوة لهم .

(٢) أي يتكلمون في القدر ويسمون « القدريين » .

(٣) أي لضاع العلم .

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٢٨/ ٢١٢] .

حنبل - رحمه الله - يؤصل لنا شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة جليلة في هذا المضمار .

● **فيقول رحمه الله :**

« فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس »[1] .

* * *

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٢٨/ ٢١٢] .

٣ - إقامة الحدود

بعدما تكلمنا عن الهجر والتعزير كمظهرين من مظاهر البراء من العصاة رأينا أنه ينبغي علينا أن نُعرِّج على الحدود وإقامتها على العصاة فهي نوع من أشد أنواع البراء من العصاة ، ومظهر من أعظم مظاهر البراء من العصاة ، ومسلك إسلامي للقضاء على المعصية وإظهار العداوة للمعصية ولفعلها ولفاعلها على قدر ما ارتكب من المعاصي .

● **معنى الحدود :**

يقول ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري :

« الحدود جمع حد . وأصل الحد هو ما يحجز به بين شيئين فيمنع اختلاطهما وحد الدار ما يميزها . وحد الشيء وصفه المحيط به المميز له عن غيره وسميت عقوبة الزاني وغيره حدًا لكونها تمنعه المعاودة أو لكونها مقدرة من الشارع »(١) .

● **إقامة الحدود براءة من العصاة :**

إن تشريع الحدود من الشارع في شريعتنا الغراء فيه براءة من العصاة ومن معاصيهم ، وفيه البغض لأصل المعصية ولمن يزاولها ويتجرء بالإقدام عليها .

وقيام الحاكم المسلم وولي الأمر بتطبيق الحدود على مرتكبي المعاصي والجرائم التي تستوجب الحدّ هو أيضًا إعلان من المجتمع المسلم ومن ولاة الأمور المؤمنين لبغضهم للمعصية ولأصحاب المعاصي بقدر ما هم عليه من المعاصي والفجور .

---

(١) انظر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني [١٢/٥٩] أول كتاب الحدود .

ويشير إلى ذلك الملمح شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قسّم الهجرة إلى نوعين :

١ - **هجرة التقوى** [وهي أن يترك المؤمن المعاصي ويترك أماكنها والمجالس التي تزاول فيها المعاصي] .

٢ - **هجرة على وجه التأديب** [وهو هجر من يظهر المنكرات يُهجر حتى يتوب منها] .

● **ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :**

« فالهجرة تارة تكون من نوع التقوى إذا كانت هجرًا للسيئات . . . . وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [**وإقامة الحدود**] وهو عقوبة من اعتدى وكان ظالمًا » (١) .

ويزيد شيخ الإسلام الأمر وضوحًا وتأكيدًا على أن إقامة الحدود نوع من البراء من العصاة وإظهار للعداوة لهم على قدر معصيتهم حتى ولو كانوا مسلمين .

● **فيقول رحمه الله :**

« فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته» (٢) .

فبيَّن رحمه الله أن إقامة حدّ السرقة على السارق وإن كان مسلمًا هي إعلان للبراء من العصاة ومعصيتهم وإعلان للعداوة والبغض لهم على قدر معصيتهم مع

---

(١) مجموع الفتاوى [٢٨ : ٢١١] .

(٢) مجموع الفتاوى [٢٨:٢٠٩] .

وجود أصل الموالاة في الدين وذلك لاحتفاظهم بأصل الإسلام ، وبقاء أصل الإيمان في قلوبهم . ولذلك يعطون من بيت المال عند الحاجة .

● النبي ﷺ يقيم حدَّ السرقة على المرأة المخزومية :

إن لله تعالى محارم يغار عليها وحدودًا يغضب على من انتهكها . وكما أن الله يغار فالمؤمن أيضًا يغار على حدود الله وعلى حرمات الله . ولنا القدوة والأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ .

فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : « **ما خُيِّر النبي ﷺ بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما ، ما لم يأثم ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه . والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله** » [1] .

وحَدَث على عهد رسول الله ﷺ أن امرأة مخزومية [2] قد سرقت وقد أهمَّ القوم أمر هذه المرأة المخزومية التي سرقت وقد كانت شريفة في قومها . فأقلقهم هذا الأمر وشغل بالهم وأخذوا يبحثون عن حلٍّ يخرجون به من هذه المصيبة ومن هذا المأزق .

ولكن الأمر قد وصل رسول الله ﷺ وهو الحاكم وولي الأمر فمن يتجرأ أو يستطيع أن يُكلم رسول الله ﷺ في هذا الأمر ؟ ومن ذا الذي يتجاسر على أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ وقد أصابت حدًا ؟ .

اجتمع القوم وتشاوروا في هذا الأمر فلم يجدوا من يستطيع أن يخاطر ويجتريء إلاَّ [أسامة بن زيد] رضي الله عنه وذلك لأن أسامة - رضي الله عنه - له دلال على رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري « كتاب الحدود » باب (إقامة الحدود والانتقام لحدود الله) .

(٢) وهي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ .

راجع « فتح الباري » [٩١/١٢] كتاب الحدود .

ولكن رسول الله ﷺ يلقن الأمة درسًا في البراءة من المعاصي والعصاة ووجوب زجرهم وعقابهم ، وأيضًا فهي مطهرة لهم من الأثم وزجر لأصحاب المعاصي وردع لمن توسوس له نفسه بفعل المعاصي وإصابة حدود الله ، وهي أيضًا حماية للمجتمع المسلم من كل ما يعكر صفوه ويهدد أمنه .

فغضب النبي ﷺ ونَهَرَ أسامة وقال له قولته المشهورة « **أتشفع في حد من حدود الله** » ؟ !!!

والقصة يرويها لنا البخاري ومسلم وغيرهما : فعن عائشة - رضي الله عنها- : أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلاَّ أسامة حبُّ [1] رسول الله ﷺ . فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : « **أتشفع في حد من حدود الله ؟** » ثم قام فاختطب فقال : « **أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » [2] .

وفي رواية البخاري : « **لقطع محمدٌ يدها** » .

وفي هذا الحديث الشريف وهذه القصة الخالدة يظهر لنا مدى غَيْرة النبي ﷺ على الدين وعلى حرمات الله وعلى حدود الله ، وأنه ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم .

فيُعلن النبي ﷺ البراءة والعداوة للمعصية ولفاعلها وظهر ذلك في زجره لأسامة بن زيد - رضي الله عنه - لكونه حاول أن يشفع في حد من حدود الله، وكذلك في إعلانه أنه لو وقعت هذه المعصية من أحب الناس إليه ، وريحانة

---

(١) الحِبُّ : هو صفوة الأصدقاء والأصحاب والأحباب .

(٢) رواه البخاري «كتاب الحدود» باب (كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان) ، ورواه مسلم كتاب (الحدود) باب (قطع السارق الشريف وغيره) .

قلبه ومهجة فؤاده [فاطمة بنت محمد ﷺ] رضي الله عنها لقام هو بنفسه ﷺ وقطع يدها غَيْرة على دين الله وإعلانًا منه ﷺ للبراء من المعصية ومن فاعلها .

● النبي ﷺ يحذر من ترك البراء :-

ويحذِّر الرسول ﷺ من ترك هذا البراء ومن طمس هذه المعاداة من بين الناس ، فلا يُعاقب العاصي والظالم والفاجر وذلك إما لحسبه وإما لسلطانه ، وإما لماله ، وإما لأي شيء من حطام هذه الدنيا !!! يُحذِّر النبي أمته من أن تنحدر إلى هذه الهاوية فإن فيها الهلاك .

وذلك كما حدث مع بني إسرائيل كانوا يتركون الشريف والقوي والغني ، ويقيمون الحدود على الفقراء والضعفاء والمساكين ، فاستحقوا بذلك الهلاك واللعنة .

ولقد عبَّر القرآن الكريم عن هذه الحالة التي يطبق فيها شرع الله في بعض الحالات وعلى بعض الناس ، ويترك في حالات أخرى وفي حق أناس آخرين يقول تعالى : ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ (١) فدل على أن تعطيل بعض أحكام الشرع عن بعض المسلمين وتطبيقها على بعض كفر بكتاب الله ، وكفر بالله تعالى ولذلك قال الله تعالى بعدها : ﴿ **فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ** ﴾ (٢) وهكذا يعلنها رسول الله ﷺ أن الناس جميعًا سواسية كأسنان المشط أمام شرع الله تعالى، فلا يفرَّق بين شريف ووضيع ولا بين غني وفقير ، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين حاكم ومحكوم ، ولا بين أبيض ولا أسود ، ولا بين عربي، ولا أعجمي قد ساوى الإسلام بين الجميع ، فلا يُرفع تكليف عن أحد لشرفه ،

---

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) البقرة : ٨٥ .

ولا يُعفى أحدٌ من حدٍ من حدود الله لوجاهته ونسبه ، ويعلنها القرآن الكريم مناطًا للتكريم وقطعًا لسبل المجرمين والمنحرفين . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (١) .

فلابد من إعلان البراء وإظهار العداوة من كل العصاة ، وإقامة الحدود وتعزير العصاة والفجار لتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وتكون الذلة للعصاة والمجرمين .

• ثالثًا : خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في البراء من العصاة :-

ويلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذه العقيدة قائلاً :-

« ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه ، ومن البغض بحسب فجوره ، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة .

ولا يُجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة . قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ (٢) فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغي .

وقال تعالى : ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ (٣)(٤) .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) الحجرات : ٩ : ١٠ .

(٣) ص (٢٨) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية [٢٨/ ٢٢٩] .

● **ويقول أيضًا رحمه الله في موضع آخر :-**

« وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا .

كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة »[١] .

* * *



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية [٢٨/٢٠٩] .

الباب الرابع

﴿ معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء ﴾

أولاً : معالم في طريق الإصلاح .

ثانيًا : الاهتمام بتربية النشء المسلم :ـ

- الفصل الأول : (حبّ التوحيد)
- الفصل الثاني : (بغض الشرك)
- الفصل الثالث : (حبُّ الله تعالى وحبُّ الرسول ﷺ)
- الفصل الرابع : (الحبُّ في الله)
- الفصل الخامس : (حبُّ الجهاد في سبيل الله)
- الفصل السادس : (حبُّ الأنصار)
- الفصل السابع : (ترسيخ عقيدة الولاء والبراء)
- الفصل الثامن : (التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
- الفصل التاسع : (التحلي بمكارم الأخلاق)

أولاً : معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء

بعدما عشنا هذه السطور التي تحدثنا فيها عن عقيدة السلف الصالح في [الولاء والبراء] ، [والموالاة والمعادة] في الإسلام . وتكلمنا عن حقيقة هذه العقيدة عند هؤلاء السلف الصالح . وكيف أنهم بهذه العقيدة الصالحة الصافية استطاعوا بفضل من الله تعالى أن يُغيِّروا مسار التاريخ وأن يصنعوا الأمجاد وأن يُبْهروا العالم كله إلى قيام الساعة بهذه العقيدة الصادقة التي كانت سببًا في عزتهم وفي قيادتهم للعالم كله حتى أخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلمات الشرك إلى نور الإسلام والتوحيد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

وكان تمسك هؤلاء السلف الصالح بهذه العقيدة من أعظم الأسباب التي أخضعت لهم الفرس والروم أكبر دولتين حينئذٍ ، بل وأخضعت لهم كل من حولهم . فلقد تحركوا بهذا الدين في كل مكان يدعون إلى الله تعالى ، وينشرون الإسلام ، ويرسخون العقيدة ويبثون التوحيد . فأعزهم الله بين خلقه ومكَّن لهم في الأرض وفتح لهم البلاد ، وهدى بهم العباد . فرضي الله عنهم وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

أما واقعنا الأليم الذي نعيشه ، وهذه الجراح التي تنزف ، وهذه القلوب التي تتمزق ، وهذه الجفون الملتهبة ، وهذه العيون الباكية ، وهذه المشاعر المجروحة ، وهذه النفوس اليائسة ، والهمم المُثَبَّطة ، والأجيال الضائعة ، والعقول الحائرة ، والرؤوس الجاهلة ، والشعوب المضللة . . . . . .

كل ذلك بسبب بُعدنا عن هذه العقيدة الصحيحة الصافية ، وسقوطنا في هاوية البدع والضلال وتَردينا في مهاوي الغي والشهوات . وما هذه النكبات التي

يعيشها المسلمون اليوم في القرن العشرين إلاَّ نتيجة طبيعية لهذا الانحراف وهذا الاعوجاج . ونتيجة تخلينا عن كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [1] .

فهذا هو واقع الأمة الإسلامية الذي نعيشه اليوم - وللأسف - مما يجعل الأمر يستوجب من الدعاة والعلماء وطلاب العلم ومن كل غيور على دينه أن يبذل قصارى جهده في إخلاصٍ واحتسابٍ للأجر عند الله تعالى لكي تعود لهذه الأمة عزتها وكرامتها ، وتستعيد مكانتها وريادتها بين الأمم ، وحتى يرفع المسلم رأسه مرة أخرى في عزة وكرامة وكبرياء ، بعدما نكِّست طويلاً ، ووضعت في التراب كثيرًا ، ولكي نحقن هذه الدماء المسلمة الزكية التي تُراق في كل مكان ، ولكي تُرحم هذه الرقاب المسلمة التي تُذبح في كل مكان ذبح الشياه بلا رحمة وبلا رأفة، وبلا أخلاق ولا إنسانية . ولكي نَحْمي عرضنا الذي انُتهك في كل مكان ومن جميع أجناس أهل الأرض كافرهم ومشركهم ، وملحدهم ، ووثنييهم .

ولكي نُعيد مقدساتنا السليبة ، ومساجدنا الأسيرة ، وعلى رأسهم المسجد الأقصى الجريح مسرى رسولنا الكريم ﷺ ، وأُولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

نعم إن الأمر جد خطير ويحتاج إلى عقيدة صحيحة ، وعزيمة فتية ، وإخلاص صافي،ويقين ثابت ، لكي ننتشل أمتنا من هذه الهاوية ، ولكي تُكْشف الغمة عن الأمة .

وها أنا أحاول بهذا القلم المتواضع والقلب الشغوف ، والمشاعر

---

(١) طه : ١٢٤ : ١٢٦ .

الجريحة، وبهذه النبضات الحزينة المستغيثة بالله تعالى ، أحاول أن أضع بعض المعالم في طريق الإصلاح ، إصلاح المجتمع المسلم ، وإعداد النشء المسلم ، وتربية الأجيال المؤمنة التي تكون أهلاً لرفع الراية الإسلامية عالية خفاقة ، وأضع بعض اللبنات في جسم وبناء صرح الصحوة الإسلامية عسى أن أسدَّ ثغرة من ثغرات هذا الدين ، أو أن يهدي الله بي رجلاً مسلمًا فيكون في ميزان حسناتي يوم ألقاه ، هو ولي ذلك والقادر عليه ، سائلاً المولى عز وجل أن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها كلها صالحة وأن يجعلها له سبحانه خالصة وأن يكشف الغمة عن هذه الأمة وأن يهيىء لها أمر رشد يُعز فيه أهل طاعته ويُذل فيه أهل معصيته ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .

ومن أهم المعالم التي يجب الاهتمام بها والتركيز عليها ، هي [تربية النشء، وإعداد الأجيال] فإنها مفتاح الصلاح ، وسر النجاح ، وطريق الإصلاح، وسبيل النجاة ، وبصيص الأمل - ولكن إذا كانت هذه التربية وهذا الإعداد على نور من الله ، وعلى هَدْي رسوله ﷺ . وذلك بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح رضي الله عنهم .

● **من أهداف الصحوة المباركة :**

« إن هذه الصحوة المباركة جاءت لتصل الحاضر بالماضي ، جاءت لتحيي أمجاد السلف الصالح ، ولتعيد بطولات الفرسان الأوائل ، جاءت لتكون سببًا من عند الله تعالى لإنقاذ البشرية ، ولإعادة المسلم في مكانه المناسب ، في مكانه المرموق ، إنها الصحوة المباركة ، إنها الرجوع إلى الله تعالى إنها العودة إلى الكتاب والسنة ، إنها الأخذ من المعين الصافي إنها الدعوة إلى الله تعالى .

« إنها الدعـوة التي قال الله عنها : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ [١] .

---

(١) إبراهيم : ٢٤ : ٢٥ .

دعوة تمتد بما أودع الله فيها من الحق ، وما أودع فيها من القوة ، وما أودع فيها من البيان ، يحملها قلب مؤمن فتشتعل في قلبه ، فتمد إشعاعها في الآفاق وحين يحاربونها فقد تسكن حركتها إلى حين . . . ولكنها تعود فتؤتي أكلها بأمر الواحد القهار . . . .

جاءت الصحوة المباركة وهدفها أن تخرج الناس من التيه الذي غرقوا فيه، وتردهم إلى الطريق الذي تاهوا عنه في وهلة الانبهار . . .

بل جاءت لتنفض ما كان قد تراكم من الغبش على طريق الدعوة قبل الهزيمة وقبل الانبهار . .

جاءت لترد الدين صافيًا كما نزل أول مرة ، بالرجوع إلى منابعه الصافية : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة السلف الصالح .

جاءت لترد الدين واقعًا معاشًا ، لا مجرد وجدانات في داخل القلب ، ولا مجرد كلمات تنطق باللسان . . .

جاءت لتربي جيلاً جديدًا على مقتضيات لا إله إلاَّ الله . . . » [1] .

من إدراكات شباب الصحوة المباركة :

يقول الأستاذ / محمد قطب حفظه الله :

- **وأدرك شباب الصحوة جيداً :**

أن لا إله إلاَّ الله التي تُدخل الجنة ، وتُغيِّر الواقع المنحرف ، وتنشئ الواقع المنشود ، ليست هي مجرد الكلمة المنطوقة باللسان ، إنما هي الكلمة ، واليقين الذي يملأ القلب ، والعمل بمقتضى لا إله إلاَّ الله .

وأدرك شباب الصحوة :-

أن تربية الروح واجبة ولكن لا على طريقة السبحات الروحية المهومة ،

(١) « هلم تخرج من ظلمات التيه » للأستاذ / محمد قطب ص (١١٨ : ١١٩) .

التي تستهلك الوجدان الديني دون أن تتحول إلى عمل وجهاد لإزالة المنكر وإقامة المعروف في مكانه .

وأدركت المرأة المسلمة :-

في كثير من بقاع العالم الإسلامي أن الحجاب جزء من دينها فالتزمت به ، على الرغم من كل الدعاية المضادة ، والدفع المضاد ، الذي يقوم به دعاة الغزو الفكري ، والمنحلون والمنحلات ، الغارقون في حمأة الطين .

وأدرك شباب الصحوة :-

أن الثقافة المسمومة التي تقدم إليهم في وسائل الإعلام المختلفة ليست زادًا صالحًا لإنشاء الأجيال المسلمة ، وأنه لابد من ثقافة إسلامية أصيلة ، تستمد مناهجها من التصورات الإسلامية لا من تصورات الجاهلية المعاصرة وأن ما يسمى بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وعلى وجه الخصوص علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ، ليست علومًا موضوعية تؤخذ مقرراتها قضايا مسلمة ، كما حاول الغزو الفكري أن يوهم الناس ، إنما هي « وجهات نظر » في قضايا «الإنسان» و « الحياة الإنسانية » ملونة ابتداء بمواقف أصحابها من قضية الألوهية، وتصورهم لطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والإنسان وبين الله ، خالق الكون والحياة والإنسان . ومن ثم فإن ما يأتي من هذه العلوم من عند الغرب مشوب بالروح المتمردة على الله ، التي تسيطر على القوم هناك ، فلا تؤخذ قضايا مسلمة ، وإنما لابد من بديل إسلامي في كل هذه العلوم .

وأدرك شباب الصحوة :-

أن الإقتصاد الربوي حرام حرمة لا شبهة فيها ، مهما حاول المزورون أن يزوروا من الحجج والبراهين ، وأنه وصمة عار في جبين المسلمين حين

يستخدمونه ، وأنه لابد من السعي إلى إيجاد بديل إسلامي في مجال الإقتصاد.

وأدرك شباب الصحوة :-

قبل هذا كله أن الحكم بما أنزل الله قضية متصلة بأصل الاعتقاد ، وأننا لا نستطيع أن نكون مسلمين إذا رضينا بتشريع يحل ويحرم من دون الله . .

وسرت هذه المقررات كلها إلى جماهير الناس بخطا ثابتة ، برغم الحديد والنار . . . برغم التشريد والتعذيب . . برغم الضغط الإعلامي المصوب بكل عنف ضد هذه المقررات . . . »[(١)] .

● الجيل المُنْتَظَر :-

إنها بعض الإدراكات لهذا الجيل المُنْتَظَر (جيل الصحوة المباركة) جيل جاء على وعي ، وتربَّى على فهم ، وأُسس على التوحيد ، وانطلق بعقيدة ، وسار بمنهج ، وصَاحِبُ فكر وهدف ، ويصبو لغاية ، ويحمل بين جنبيه يقينًا بالله ، زاده التقوى ، شعاره الجهاد ، حصنه الإيمان ، عدته الصبر ، خُلقه القرآن، قدوته سيد الأنام ﷺ ، ناصرٌ للسُنَّة ، محاربٌ للبدعة ، محتسبٌ للأجر، أمنيته الشهادة ، غايته الجنة .

إن هذا الجيل الرباني ، قادر بفضل الله وعونه على إعادة الخلافة الراشدة المنشودة إنه جيل ستُحطم كل الصعوبات أمامه على صخرة العقيدة ، وتثبت الأرض من تحته رغم الزلازل التي حوله ، ورغم القصف الذي يحيطه ، ويصمد في وجه الطواغيت رغم قلة عُدته ، وسيفجر الأرض من تحت أرجل أعدائه رغم بساطة سلاحه ، وسيُذهِل العالم كله بقوة إيمانه ، وتصميمه على تعبيد الناس لربهم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم . . إنه جيل تربى تربية خاصة ، إنه تربى في المساجد ، وعلى موائد الرحمن ، وعلى سنة النبي ﷺ.

---

(١) « هلم نخرج من ظلمات التيه » للأستاذ / محمد قطب ص (١٢٢ : ١٢٣) .

جيل تربى على سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، جيل مُتبع للسلف الصالح ، جيل في زمرة أهل السنة والجماعة . جيل تربى على الجهاد ، وتعطش للشهادة في سبيل الله جيل نشأ على الرجولة والخشونة ، وما عرف الميوعة ولا الخنوثة .

جيل لم يُربَّى في مدرجات الأندية ، ولا على شاشات التليفزيون ، ولم يتردد على المسارح والسينما ، ولم يكن من أصحاب شرائط الفيديو ، ولا من هواة الدِّش ، جيل لا يعرف الاختلاط ، ولم يُنْشيء علاقات غرامية مع الشباب والشواب ، جيل ما دخل بارات الخمر ، ولا يعرف صالات القمار ، وما وطأت قدمه الكازينوهات ، وهو بريء من الكباريهات ، إنه شباب طاهر ، وجيل مبارك، وصفوة مُعدة ، وخلاصة تربية ، وحصيدة فكر سليم ، ونتيجة منهج قويم ، وثمرة مشوار طويل في طريق الإيمان ، وزبدة جَهْد جهيد على طريق الصحوة ، ومشعل هداية في حركة الإصلاح ، ومنبع الهدى في فؤاد الأمة الإسلامية المتعطشة لإحياء السُنة ، ولإعادة مجد الأمة ، على هدى من الله تعالى وبمنهج إسلامي قويم . وما ذلك على الله ببعيد ، وإنَّ نصر الله لآت ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (1) .

بلى وربي ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فهيا يا شباب الصحوة ، هيا يا رجال الإصلاح الله معكم ولن يخلف الله وعده . والله ناصر عبده ، ومؤيد جنده ، وهازم الأعداء وحده .

● صعوبات في طريق الصحوة المباركة :

إن هذه الصحوة المباركة فتح من الله تعالى للمسلمين ، وحسرة وندامة على الكافرين والمنافقين ، وإنذار بطمس معالم الكفر وإظهار الدين ، ولذلك

(1) هود : ٨١ .

فسوف يتصدى لهذه الصحوة ويجتمع عليها كل أهل الباطل أجمعين ، من كفار ومشركين ومن يهود ونصارى ، ومنافقين ، بل وعُبَّاد البقر .... فالكل في خندق واحد إذا كان العدو هو الإسلام ، وإذا كان الهدف هم المسلمون ، فلن يجد رجال الصحوة الطريق أمامهم مفروشًا بالورود ، ولن يجدوا الأمر سهلاً ميسرًا بل سيجدون الأشواك والأشواك ، والصعوبات والصعوبات ، ولابد من التضحيات [**ولابد أن تُروى شجرة الصحوة المباركة بدماء الشهداء**] .

قال تعالى : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [(٢)] .

نعم إنه الابتلاء والتمحيص ليميز الله الخبيث من الطيب ، وحتى يثبت الرجال ، رجال الصحوة ، وحتى يصمد الشباب ، شباب الصحوة ، أمام طواغيت الأرض جمعاء ، ليرفعوا الراية عالية خفاقة ، وليرفعوا رأس المسلم بعدما نكِّست كثيرًا ، ،ليكرموا المسلم بعدما أهين كثيرًا وليُعَزَّ المسلم بعدما استذله الطواغيت كثيرًا ، نعم إنها الانطلاقة الكبرى ، والصحوة المباركة ، والإصلاح المنشود ، والقيادة المرتقبة ، والمكانة المرموقة .

● **يقول الأستاذ محمد قطب – حفظه الله –:**

« مهمة صعبة، ومشوار طويل.... فثمت في الطريق عقبات وعقبات...
إن العقبات القائمة في وجه الصحوة ليست هي الحرب الخارجية وحدها كما يرى

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

(٢) العنكبوت : ٢ : ٣ .

كثير من الناس . . حقيقة إنها حرب شرسة . فقد تجمع العالم كله اليوم لحرب الإسلام : الصليبية العالمية كلها ، والصهيونية العالمية كلها ، والشرك العالمي كله ، فضلاً عن عملاء الصليبية والصهيونية في داخل البلاد ، الذين يحاربون الدعوة بالحديد والنار . . بالسجن والتعذيب . . بالتشويش الإعلامي . . بكل وسائل الكيد التي تخطر على البال . ولكن هناك عقبات أخرى لا تقل تعويقًا للصحوة . . بل قد تكون أشد تعويقًا لها من تلك الحرب .

هناك الركام الذي كان قد تراكم في طريق الدعوة قبل الغزو الصليبي الصهيوني من انحراف في العقيدة ، وانحراف في التصورات ، وانحراف في السلوك ، جعل الإسلام غريبًا في أرضه ، كما أخبر رسول الله ﷺ : « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ** » [(١)] .

وهناك ركام الغزو الفكري الذي ضلل الناس في مرحلة التيه ، وتوغل في جميع الاتجاهات .

وهناك ثقل « الأمر الواقع » في حس كثير من الناس ، وتصورهم أنه غير قابل للتغير .

وهناك عدم الإدراك الكامل من جانب الصحوة لمهمتها على وجه التحديد، ولترتيب الأولويات في مشوارها الطويل . . وذلك فضلاً عن تشرذم الجماعات القائمة بالدعوة ، وتفرقها وتخاصمها ، وغياب القيادة الكبيرة التي تجمع الشمل وتقود المسير . .

ولكن الصحوة – على الرغم من ذلك كله – قد قامت بجهد كبير . . . »[(٢)] .

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا ، ورواه الترمذي في (الإيمان) باب : ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ، وقال : حديث حسن غريب صحيح ضمن تحفة الأحوذي ح (٢٧٦٤) [٧/ ٧٨٠] .

(٢) « هلمَّ نخرج من ظلمات التيه » للأستاذ / محمد قطب (١٢١ : ١٢٢) .



● **بشرى لجيل الصحوة المبارك :**

البشرى كل البشرى لجيل الصحوة المباركة إن الخير لآتٍ ، ونصر الله قريب ، وإن الواقع يشهد ويُبشِّر بقدوم الأيام المباركة التي تزف لنا نبأ نضج هذه الصحوة ، وتمكين أصحابها في الأرض ، رغم كل ما يُمارس ضدها من اضطهاد، وإرهاب ، وعنف وقسوة ، وتقتيل وتشريد و حرمان ، وجبروت وطغيان من طواغيت الأرض أجمعين على اختلاف أشكالهم ومِلَلِهم ، ومذاهبهم، وأفكارهم ، وتياراتهم ، الكل قد اجتمع على الإسلام والمسلمين ، وعلى شباب الصحوة ورجال الإصلاح . ولكن لم ينالوا خيراً قال تعالى : ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ (٢) .

« إنهم بهذا العار المحموم الذي يمارسونه في محاولة إبادة الحركات الإسلامية ، يربون الجيل الذي لن يقدروا عليه ؟! ويتم ذلك في غفلة منهم ، بتدبير رباني ، كأنما قدر الله يسوقهم سوقًا لإخراج ذلك الجيل على أيديهم !!!

إن الانفجار يحدث دائمًا حين يستوي الموت والحياة عند الناس ، أو حينما يكون الموت أيسر على الناس من الحياة !

وكل الانفجارات التي حدثت في التاريخ سبقها سعار محموم لإبادة تيار متصاعد ظن الطغاة أنهم يستطيعون القضاء عليه بالقهر والتعذيب !

والذي يجري في الأرض كلها اليوم من محاولات لإبادة المسلمين ، سواء في البوسنة والهرسك ، أو كشمير ، أو فلسطين ، أو بورما ، أو طاجستان ، أو داخل سجون التعذيب . . لن تكون نتيجته إلاَّ إخراج أجيال أصلب عودًا ، وأكثر

---

(١) الأحزاب : ٢٥ .

(٢) آل عمران : ١١٩ .

عنادًا ، وأطول نفسًا ، وأكثر وعيًا بحقيقة المعركة التي تدور في الأرض بين دين الله وأعداء الله . . »[(١)] .

« ونحن نستبشر بالصحوة المباركة على الرغم من كل عثراتها ، ومن كل العقبات المرصودة في الطريق . . . . وعلى الرغم من معرفتنا بطول الطريق ، وأنها ما تزال في أول الطريق !! .

إنها بحول الله أقوى من كل العثرات ، ومن كل العقبات .

وهذه الحرب المرصودة لها في الطريق لم تكن لترصد ، ولم يكن [العالم الصليبي والصهيوني] ليتجمع هذا التجمع الشرس (الذي رأينا نموذجًا منه في البوسنة والهرسك) ، لو لم تكن الصحوة شيئًا حقيقًا ماثلاً في عالم الواقع ، ومبشرًا بالمزيد .

إن الأعداء يعرفون حقيقة هذا الدين :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[(٢)] .

ويعوفون أنه إذا استيقظ في النفوس فهو قادر على مصارعة أعدائه مهما تكن قوتهم . . . وقادر بعد ذلك على التمكين في الأرض بما أودع الله فيه من قوة الحق ، ورصيد الفطرة ، وعمق اليقين . وهذا الذي نستبشر به ، ونتوقعه في الغد المأمول »[(٣)] بإذن الله ومشيئته .

(١) كتاب « هلم نخرج من ظلمات التيه » للأستاذ / محمد قطب (١٣٢ : ١٣٣) .

(٢) البقرة : ١٤٤ .

(٢) « هلم نخرج من ظلمات التيه » (١٢٤ : ١٢٥) .

ثانيًا : ـ الاهتمام بتربية النشء

إن من أهم الركائز التي يجب أن نرتكز عليها ونهتم بها في طريقنا للإصلاح وإعادة بناء الصرح الإسلامي المنشود ، هي [تربية النشء المسلم] .

فيجب علينا ونحن في صدد المسيرة المباركة على طريق الإصلاح والصحوة أن نهتم بهذا النشء وأن نربيه تربية خاصة ، يجب أن نربيه تربية إسلامية صحيحة ، لا شرقية ولا غربية ، لا اشتراكية ، ولا رأسمالية ، ولا شيوعية ولا علمانية ، ولا ماسونية ولا لادينية .

بل يجب أن يتربى هذا النشء على ما تربى عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم من أهل السنة والجماعة . منهجه القرآن ،ومعينه سنة النبي العدنان ﷺ وقدوته الرسول ﷺ ، وصحبه الكرام رضي الله عنهم ، وسلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى .

حقًا إن تربية النشء مهمة صعبة جدًا وهي أمانة عظيمة يجب تأديتها على أكمل وجه فإن النشء المسلم هم شباب الحاضر؛ وهم رجال الغد ، وكل المستقبل ، فبصلاح هذا النشء يحدث التغيير المنتظر ، والإصلاح المرتقب ، والصحوة المرموقة ، فهم ركيزة الأمة ، وهم ذخيرتها وزخرفها ، وهم أملها ، فهم وسط العقْد . فإذا انفرطوا انفرط العِقْد كله ، وحَوْلَهُم وبِهُم يُبنى الصرح وتكتمل الدائرة .

إن الأمم الناجحة هي التي تولي هذا النشء أكبر الاهتمام وأحسن أنواع الرعاية ولا ننسى أن الأمة الإسلامية على مدار تاريخها المشرِّف كانت تولي هؤلاء النشء وهذا الشباب أكبر أنواع الاهتمام والرعاية . وأن فتوحات المسلمين وانتشار الإسلام كان على أكتاف هؤلاء الشباب ، وحصاد سواعدهم الفتية ، ونتيجة إعدادهم الإعداد الإسلامي الكامل الذي جعلهم أهلاً لأن يكونوا مرآة صادقة

وواضحة لحقيقة الأمة الإسلامية العظيمة .

وليس [عليٌّ بن أبي طالب] عنا ببعيد ، هذا الصبي وهذا الفتى الشجاع الجريء فهو أول فدائي في الإسلام . حمل روحه على أكُفه ووضعها رخيصة زهيدة أمام الكفار وبين أيديهم فداء للرسول ﷺ يوم هجرته وهو يعلم أن الموت أقرب إليه من حبل الوريد .

فبين لحظة وأخرى قد تصل إليه ضربات سيوف المشركين فتجعله يتخضب بدمائه ويختلط لحمه بعظمه . إما ظنًا منهم أنه محمد ﷺ ، وإما انتقامًا منه لخداعهم وفدائه لمحمد ﷺ . فنام في فراش الرسول ﷺ وليس له أدنى شك أن في هذه النومة حتفه . ولكنَّ الله لا يغفل ولا تأخذه سنَةٌ ولا نوم وهو سبحانه وتعالى كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢) .

وهذا الشاب الصغير الذي ولاّه الرسول ﷺ إمرة الجيش وقيادته لمحاربة الروم ، إنه [أسامة بن زيد رضي الله عنه] الذي لم يتجاوز عمره ستة عشر عامًا ويوجد في الجيش أمثال عمر وأبي بكر . وما هي إلا الإشادة والتنبيه من الرسول ﷺ بأهمية هذا الشباب وهذا النشء.

وهذا شاب أخر ، رسولٌ من رُسلِ رسول ﷺ ، وداعٍ من دعاة الإيمان والتوحيد ألا إنه [مصعب بن عمير رضي الله عنه] مبعوث رسول الله ﷺ إلى المدينة والداعية إلى الله تعالى . شاب صغير يُبعث إلى مجتمع بأكمله وعلى اختلاف دياناته وملله لينشر التوحيد ، ويبث العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ويدعو إلى الإسلام ، ويهيىء المكان والناس لقدوم الرسول ﷺ .

---

(١) الحج : ٣٨ .

(٢) الحج : ٤٠ .

ولا ننسى الداعية الواعي الفقيه المجاهد [معاذ بن جبل رضي الله عنه] المبعوث من قِبَل الرسول ﷺ إلى أهل اليمن لنشر الإسلام والحكم بكتاب الله وسنة الرسول العدنان ﷺ .

وما [عبد الله بن عباس رضي الله عنه] عنا ببعيد . هذا الصبي الذي ملأ الأرض علمًا وفقهًا فلقد تربى في أحضان النبوة ونهل من معين السنة المطهرة .

وغير ذلك من الشباب والدعاة إلى الله الذين تربوا تربية إسلامية فسعد بهم كل من حولهم ، وكانوا رحمة لأمتهم ، وفاتحة خير للبشرية ، وقناديل هدى لكل ضال ، ومشعل هداية لكل منحرف . وما ذلك إلاَّ بفضل الله تعالى ثم هذه التربية الإسلامية الصحيحة ، والاهتمام بهذا النشء وإعدادهم إعدادًا هادفًا ، وتنشئتهم تنشئة صحيحة مبنية على أساس من كتاب الله وعلى منهج رسول الله ﷺ ، وعلى درب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة .

وهناك جوانب كثيرة يجب الاهتمام بها ونحن في مسيرة إعداد هذا النشء وفي طريق الإصلاح . ومن هذه الجوانب وتلك المعالم ما يلي : -

[الفصل الأول]

﴿ حُبُّ التوحيد ﴾

حُبُّ التوحيد

إن حُبَّ التوحيد واجب على كل مسلم ولا يصح إسلامه إلاَّ بهذا الحب . ولا تتم العقيدة الإسلامية إلاَّ بوجود هذا الحب. فيجب علينا ونحن في طريقنا لبناء المجتمع المسلم المرموق ونحن في صدد إعداد جيل مسلم متميز ومتفرد أن نغرس فيهم حب التوحيد بكل ما تحمله هذه الكلمة وبكل ما يعنيه هذا الحب .

« إن للتوحيد مكانة عظيمة عند الله تعالى ، ولقد خُلِق الخلق من أجل تحقيقه وذلك لما فيه من وضع الشيء في نصابه ، فيه توجيه العمل والنية والعبادة لمن يستحقها ، فيه اعتراف المخلوق بالخالق ، والإذعان له عن رضا وتذلُّلٍ وعرفانٍ ومحبة وإخلاص ، ولذلك فقد جعل الله عز وجل هذا التوحيد سببًا لدخول الجنة ونعيمها ، ومن حاد عن هذا التوحيد وزلّت قدمه فقد وجبت له النار وبئس القرار، فلا عجب، لأن التوحيد هو أصل الأعمال، وهو موجهها، وعليه يُبنى كل شيء ، فمن كان عمله على توحيد خالص صافٍ وإن قلَّ عمله فهو مقبول ، مغفور له إن شاء الله تعالى، وله الجنة إن شاء الله ولو بعد حين .

ومن كان عمله على غير التوحيد فلن يقبل منه عمل ، ولو كان مثل جبل أُحد ، فكل ذلك يذهب هباءً منثورًا ، لأنه لا قاعدة له ، ولا أصل ثابت له »[1] .

ولما كان لهذا التوحيد من أهمية فيجب أن تنشأ الناشئة عليه وتُربى على أساسه ، فيكون هذا التوحيد في قلب المسلم ، يحبه وينشره ويدافع عنه ، ويغار عليه ، فيغضب وتثور ثائرته إذا أراد أحد أن ينال من هذا التوحيد أو من هذه العقيدة ، فنجد المسلم الذي تربى على هذه العقيدة يُجرد نفسه وماله وكل ما يملك غَيْرة ودفاعًا عن هذا التوحيد . وذبًا عن هذه العقيدة ، فلا نرى هذا التبلد

---

(١) « العقيدة الصافية للفرقة الناجية » سيد سعيد عبد الغني (٢٢٣ : ٢٣٤) .

الذي أصاب الكثير من المسلمين اليوم ، وأورثهم الدياثة في دينهم ، فلا حب ولا غَيْرة ، ولا مروءة ولا شهامة ، بل جُبن وخَور ، وخنوع وقنوع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن حُبَّ التوحيد يمكِّن عقيدة [الولاء والبراء ، والموالاة والمعادة] من القلوب فيجعل المسلم يوالي هذا الدين ويخلصه لله ، ويجعله يوالي ويحب كل من ينتسب لهذا الدين وينتمي لهذه العقيدة ويدين بهذا التوحيد ويدافع عنه بروحه ويذُب عنه بكل غالي ورخيص وذلك حينما يملك هذا الحب قلبه ويتمكن من أركان فؤاده ويسكن سويداء قلبه ..

وهذا الحب أيضًا لذلك التوحيد يجعل المسلم يبغض ويعادي كل كافر ومشرك وملحد ومنافق وكل من عادى هذا التوحيد وحارب هذه العقيدة موالاة لله تعالى ومعاداة لأعدائه .

● التوحيد دعوة كل الرسل :

ولا عجب فإن هذا التوحيد هو الدعوة التي جاء بها ومن أجلها جميع الأنبياء والمرسلين ودعوا إليها قومهم وأممهم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وكان كل نبي ورسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الله تعالى كما قال : نوح وهود وصالح وشعيب ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) .

---

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) الأعراف : ٥٩ ، ٨٥ .

والتوحيد هو دعوة إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء والموحدين حيث قال لقومه : قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [(1)] .

ولقد أُوحِيَ إلى محمد ﷺ أيضًا هذه العقيدة وأُمر بهذا التوحيد وأُمِرَ بتليغه لكل العالمين . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [(2)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - :

« واعلم أن فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا ليس له من نظير فيقاس به ، ولكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة ، فإن حقيقة العبد قلبه وروحه ، وهي لا صلاح لها إلاَّ بإلهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، ولو حصل للعبد لَذَّات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ، ومن شخص إلى شخص ، وأما إلهه فلابد منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه » [(3)] .

● فضائل التوحيد :

وهذا التوحيد الذي يجب أن يرُبى عليه النشء وتنشأ عليها الأجيال . لابد وأن يعرفوا فضل هذا التوحيد وثوابه وجزاءه فيكون ذلك حافزًا لهم ومشجعًا للتمسك بهذا التوحيد والعض عليه بالنواجذ وعدم التفريط فيه والالتفات عنه ومن ذلك :-

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟** فقلت : الله ورسوله أعلم ، **قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا**

(١) العنكبوت : ١٦ .

(٢) الزمر : ١١ .

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٤) .

به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا . فقلت : يا رسول الله : **أفلا أُبشرُ الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا** » [(١)] .

فالتوحيد حقٌّ لله على عباده أن يحققوه له ويدينوا له به، وحق على الله [أي حق تفضلي تفضل به الله على عباده] أن يُدخل من حقق هذا التوحيد الجنة فهو الغاية من خلق الجن والإنس كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [(٢)] أي ليعبدوه ويوحدوه كما جاء في بعض تفسيرات هذه الآية الكريمة : « قيل : ﴿ **إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ أي إلاَّ ليوحدون ، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء ، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء وبيانه قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [(٣)] [(٤)] .

وأيضًا من الأحاديث التي تبين فضل التوحيد ومكانة من حققه ما يلي :-

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** » [(٥)] .

إنه التوحيد الذي يَدْخلُ به العباد الجنة ، ويسعد من حققه بنعيم الآخرة ، ويكون من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . فهو مفتاح الجنة ، وعنوان

---

(١) رواه البخاري (كتاب التوحيد) باب : دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد و ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : حق الله على العباد وحق العباد على الله .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) العنكبوت : ٦٥ .

(٤) انظر تفسير البغوي « معالم التنزيل » (٥/ ٢٣٠) .

(٥) رواه البخاري في (كتاب الأنبياء) باب : قوله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ومسلم في (كتاب الإيمان) باب : عقائد التوحيد ، والترمذي في (الإيمان) .

العزة، ودليل الكرامة ، وسبيل النجاة .

ومن حديث عتبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لن يُوافَى عبدٌ يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرَّم الله عليه النار** » (١) .

فهنيئًا للموحدين ، وبشرى لهم بالنجاة من النار ، والخلود في الجنان ، ولكن لابد من إخلاص التوحيد لله تعالى وأن يُبْتَغى به وجهه جل في علاه ، حتى يُقبل من العبد ، ويَخْلُص من الشرك ويشفع لصاحبه ، ويكون سببًا في دخوله الجنة ، والنجاة من النار .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**قال الله تعالى : يا ابن آدم : لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** » (٢) .

الله أكبر إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وعمت كل شيء ، سبحانه وتعالى فهو أرحم بعباده من الأم بولدها . ولكن هذه الرحمة ، وتلك المغفرة إنها لعباد الله الموحدين الذين ماتوا على التوحيد ، والذين نجوا من الشرك ، وخلَّصوا أعمالهم وأقوالهم وقلوبهم من كل ما يكدر صفو التوحيد، أو يعكر هذه العقيدة الصافية الخالصة لله تعالى فرحمهم الله وغفر لهم على ما كان من عملهم فطوبى لهم وحسن مآب .

ومن حديث أبي طارق بن أشيم الأشجعي ، والد أبي مالك - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعبد من**

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق) باب : العمل الذي يبتغى به وجه الله وروى مسلم نحوه (كتاب الإيمان) باب عقائد التوحيد .

(٢) رواه الترمذي في (الدعوات) حديث رقم (٣٥٤٠) [٥٤٨/٥] وحسنه ، ورواه الدارمي، وأحمد من حديث أبي ذر ، والطبراني من حديث ابن عباس وحسنه الألباني في «الأحاديث الصحيحة» .

دون الله حَرُمَ ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل » [(١)] فكما أن التوحيد سبب في النجاة من النار ودخول الجنة في الآخرة . فإنه أيضًا سبب لسعادة الدنيا والكرامة والعزة لمن أعلن هذه الكلمة « كلمة التوحيد » كان في ذمة الله وحَرُمَ ماله ودمه وأصبح له كل حقوق المسلم وعزته وكرامته . فهنيئًا للموحدين بسعادة وكرامة الدارين .

• الصحابة - رضي الله عنهم - وحُبُّ التوحيد :

إن الصحابة - رضي الله عنهم - ضربوا لنا المثل الأعلى في حُبهم للتوحيد ، وتمسكهم بالعقيدة ، وولعهم بهذا الدين فمنَّ الله عز وجل عليهم بخيري الدنيا والآخرة . فمكنَّ لهم في الأرض ، وأعزهم بين الخلق ، وكتب لهم السيادة في الدنيا ، وأعد لهم في الآخرة جنات عرضها كعرض السماوات والأرض .

ونضرب مثالاً واحدًا يبّين لنا مدى حُب هؤلاء الصحابة لهذا التوحيد ، وإخلاصهم لهذا الدين - وبطل هذا المثل هو الصحابي الجليل [سعد بن مالك] رضي الله عنه :-

قال هذا الصحابي : فيَّ أُنزلت هذه الآية : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا** ﴾ [(٢)] .

قال : كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمتُ قالت : يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟! لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيَّر بي فيقال: يا قاتل أمه ، فقلت : لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيءٍ ، فمكَثَتْ يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يومًا آخر وليلة أخرى لا تأكل ،

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب : فضل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - .
(٢) لقمان : ١٥ .

فأصْبَحَتْ قد جهدت ، فمكثت يومًا وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا لشيءٍ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي . فأكلتْ » [1] .

الله أكبر إنها العقيدة التي تصنع الرجال ، وتربي الأجيال ، وتُعِدُّ النشء ، وتبني الأمم وتشيد الحضارات .

إنها العقيدة التي تعلو على النسب والعرق ، والتي تطفو فوق العاطفة ، والتي أنست هذا الصحابي الجليل بره لأمه وحبه لها ، وضرب بهذا البرِّ وبصلة رحمه هذه عُرض الحائط ، عندما اصطدمت مع العقيدة ، وتعارضت مع التوحيد، فلا مقارنة ولا مجال للاختيار . فأيُّ كِفْة تطيش أمام كفة التوحيد ، ومكانة العقيدة .

فهذا هو التوحيد الذي يجب أن نُربِّي عليه الأجيال ، ونغرسه في النشء ، ونبثه في قلوب الموحدين ، حتى نرى ونلمس ونحس ونتذوق ثمرة هذا التوحيد، ونتلذذ بحلاوة هذه العقيدة ، وحتى يتغير واقع الأمة الأليم ، وحتى يغير الله حالنا إلى خير حال ونسعد بتقدم الأمة ، وكشف الغمة ، وصلاح الدنيا والدين .

***

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة لقمان آية (١٥) [٣/٤١٨] ، وانظر تفسير البغوي [٥/١٨٨] ، وأسباب النزول للواحدي (١٩٥) .

[الفصل الثاني]

﴿ بغض الشرك ﴾

بغض الشرك

كما أنه يجب تربية النشء على حُبِّ التوحيد وأهله فإنه يجب أيضًا أن يُربى هذا النشء على بغض الشرك وأهله ، فإن (حُبَّ التوحيد) يمثل [عقيدة الولاء والمولاة عند المسلم لله وللإسلام وللمسلمين] ، (وبُغض الشرك) يمثل [عقيدة البراء والمعاداة للشرك وللمشركين ولكل الكافرين والمنافقين] .

فهذه هي التربية الحقة التي تجب أن تُربَّى عليها الأجيال وينشأ عليها النشء، ويُعدُّ بها الشباب ، وتقوم عليها وعلى أساسها المجتمعات المسلمة ، وبها يُفصل بين الحق والباطل ، وتتباين الرايات ، ويُفرَّق بين معسكر الحق ومعسكر الباطل ، وبين الظلمات والنور ، فَيَعْرِف المسلم مَنْ يوالي ومَنْ يعادي ، ومَنْ يُحبَّ ومن يبغض ، فإنَّ بُغض الشرك يستلزم بغض أهله وأتباعه وأشياعه وناصريه ، كما أن حُب التوحيد يستلزم حُبَّ أهله ومعتنقيه ، قال تعالى : ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ (1) .

أيضًا إن بغض الشرك يستلزم محاربة أهله والتصدي لهم وتعريتهم ، وفضح سريرتهم وكشف مخططاتهم ، والتحذير من مكائدهم وأفكارهم ، وبيان مدى فساد عقائدهم وخُبث نياتهم ، ليحذرهم كل مسلم ، ويتقيهم كل مؤمن ويتصدى لهم كل غيور على دينه ومحُب للتوحيد وباغض للشرك وللمشركين . وهذه من أعلى مراتب [البراء والمعاداة] للشرك وللمشركين .

قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله**

---

(1) الممتحنة : 4 .

ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » [١] .

إنَّ بُغض الشرك والمشركين علامة صدق الإيمان ، وإخلاص التوحيد ، وحب العقيدة ، وإعلان للموالاة لله تعالى وللدين ولعباد الله الموحدين .

فإذا تربى الأجيال والنشء على هذه العقيدة ، وعلى هذا الحب للتوحيد ، وهذا البغض للشرك ، فسوف نجد الأمر العجاب ، والأمثلة النادرة في تاريخ البشرية من الإخلاص ، والحب ، والفداء ، والشجاعة ، والإقدام ، والغَيْرة على الدين والعرض .

فسوف نجد المسلم يهب في شجاعة وإقدام ورجولة وغَيْرةٍ لينصر أخاه في العقيدة والتوحيد ولو كان بينهما ملايين الكيلو مترات . فإن بُعْدَ المسافة لم يقطع ما بينهما من صلة التوحيد ونسب العقيدة ، فلا يبخل بمال ولا روح ولا دم دفاعًا عن عِرْض المسلم وحقنًا لدماء المسلمين والمسلمات الرجال منهم والنساء والأطفال والشيوخ والعجائز ، ودفاعًا عن المقدسات ، وصونًا للحُرمات وإعزازًا للدين ورفعًا للراية ، ومحافظة على العزة والكرامة .

وأيضًا من منطلق هذا الحب للتوحيد وهذا البغض للشرك وللمشركين نجد المسلم يتحرك بهذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها ليرفع راية التوحيد ويُنكِّس راية الشرك والمشركين ، ويقاتل أعداء الله من الكفار والمشركين والمنافقين إذلالاً لهم حتى يكونوا من الصاغرين وتكون كلمتهم هي السفلى وكلمة الله هي العليا : ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [٢] .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : حلاوة الإيمان ، ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان .

(٢) التوبة : ١٤

وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (٣) .

• هم شر الخلق :

إن المشركين هم شرُّ الخلق وأخبثهم وأهونهم على الله تعالى وذلك لأنهم منعوا حق الله عليهم ، هذا الحق الذي خلقهم من أجله ألا وهو توحيده سبحانه وتعالى وعبادته فهانوا على الله تعالى وحُرِمُوا من رحمته ووجب لهم عذابه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

فيجب مقاتلة هؤلاء الكفار والمشركين المعاندين والجاحدين إعلانًا من المسلم للولاء لله ولدينه وللتوحيد ولإخوانه المؤمنين ، وللبراء والمعاداة للكفار والمشركين ، وصدعًا بالحق ، ونشرًا لدين الله تعالى وهذا هو المحك الذي يُختبر به مدى حب المسلم للتوحيد ومدى تمكنه من قلبه ، ومدى بغضه للكفار والمشركين . وهنا يَبْرُز المجاهدون ويتميز المخلصون ، وتُصهر المعادن ، ويفوز الشهداء والصالحون ، ويثبت الرجال والصادقون ، وتتهيأ الجنة لاستقبال مُحبيها وعشاقها .

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الأنفال : ٣٩ .

(٢) التوبة : ٥ .

(٣) التوبة : ١٢ .

(٤) الأنفال : ٥٥ .

(٥) التوبة : ١٦ .

ويريد الله أن يتوج بعض عباده المخلصين الذين أخلصوا لله دينهم ، وأحبوا التوحيد وتمكّن من قلوبهم وغاروا على دين الله تعالى ، وبغضوا الشرك وأهله ، وحاربوا جميع ملل الكفر والشرك ، فلما علم الله صدق نيتهم وإخلاص حبهم ، وعظيم إيمانهم منَّ عليهم بالشهادة في سبيله تكريمًا لهم ورفعة لشأنهم ، وتتويجًا لصدق إيمانهم .

قال تعالى : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [١] فهنيئًا لهؤلاء الصفوة الذين غاروا على الدين وأحبوا التوحيد وبغضوا الشرك وقاتلوا أهله فمنَّ الله عليهم وأكرمهم بالشهادة في سبيله .

● إن الشرك لظلم عظيم :-

الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته ، والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة ، والشرك أعظم الذنوب ، وذلك لأمور :

١ - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية : فمن أشرك مع الله ؛ فقد شبَّه به وهذا أعظم الظلم قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [٢] . والظلم هو : وضع الشيء في غير موضعه ، فمن عَبَدَ غير الله ؛ فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها ، وذلك أعظم الظلم .

٢ - إن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه : قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [٣] .

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) النساء : ٤٨ : ١١٦ .

٣ - إن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك ، وأنه خالد مخلد في نار جهنم : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١) .

٤ - إن الشرك يحبط جميع الأعمال : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) .

٥ - إن المشرك حلال الدم والمال : قال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (٤) .

وقال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقول لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » (٥) .

٦ - إن الشرك أكبر الكبائر قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، أو قول الزور وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت » (٦) .

---

(١) المائدة : ٧٢ .

(٢) الأنعام : ٨٨ .

(٣) الزمر : ٦٥ .

(٤) التوبة : ٥ .

(٥) رواه البخاري (كتاب الإيمان) ، باب : قول الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ . رواه مسلم (كتاب الإيمان) ، باب : (الأمر بقتال الناس حتى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

(٦) رواه البخاري (كتاب الاستئذان) باب : من اتكأ بين يدي أصحابه ، ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : الشرك أقبح الذنوب وعقوق الوالدين وشهادة الزور.

٧ - إن الشرك تنقص وعيب ، نزه الرب سبحانه نفسه عنهما فمن أشرك بالله ؛ فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى ، وغاية المعاندة والمشاقة لله [(١)] .

● **قال العلامة ابن القيم** [(٢)] :

« أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يُعْرف بأسمائه وصفاته ويُعبد وحده لا يشرك به وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض .

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [(٣)] .

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ؛ ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه ، وإن الشرك ظلم قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [(٤)] .

فالشرك أظلم الظلم ، والتوحيد أعدل العدل ، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر » إلى أن قال : « فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود ؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لمَّا تركوا القيام بالعبودية ، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملاً أو يقبل منه شفاعة أو يستجيب له في الآخر دعوة أو يقبل له فيها رجاء فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله

---

(١) انظر كتاب « البيان في صفات عباد الرحمن » سيد سعيد عبد الغني (١٣٦ : ١٣٨).

(٢) كتاب « الجواب الكافي » لابن القيم (١٠٩) .

(٣) الحديد : ٢٥ .

(٤) لقمان : ١٣ .

حيث جعل له من خلقه ندًا وذلك غاية الجهل به كما أنه غاية الظلم منه ، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربه إنما ظلم نفسه » .

● من مظاهر بغض الشرك والمشركين :

إن عقيدة المسلم وما يؤمن به في قلبه لابد وأن يخرج ويظهر على سلوك المسلم وعلى معاملاته وفي حياته كلها . وإلاَّ لو اقتصر الأمر على مجرد الاعتقاد والقلب وناقض القول والفعل ما في القلب لكان ذلك ادعاءً وليس إيمانًا حقيقيًا، وكانت هذه العقيدة جوفاء . ولا أصل لها ولا ثبات ، وسرعان ما تذهب وتزول.

فيجب عليك أخي المسلم أن تعبر عن هذه العقيدة ، وتُخرج هذا التوحيد إلى الوجود ، فنلمسه في القول ونحسه في السلوك ، ونشعر به في المعاملات .

وبغض الشرك والمشركين لابد له من مظاهر وصور تُعبر عن هذه العقيدة وتُجسد هذا البغض حتى لا نقع تحت هذا العتاب الإلهي من قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾** [(١)] .

● ومن مظاهر بغض الشرك والمشركين ما يلي :-

١ - عدم إلقاء السلام عليهم :- لأنهم لا سلام لهم منا ولا سلام عليهم بل عليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين . قال رسول الله ﷺ: « **لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام . فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه** »[(٢)] . فهذا نهي عن إلقاء السلام عليهم بل ونضطرهم لأضيق الطرق إذلالاً لهم وتحقيراً من شأنهم ، وكيف لا وهم أشركوا بالله تعالى جل في علاه ؟! .

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

(٢) رواه مسلم (كتاب السلام) باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، ورواه أبو داود في (الأدب) حديث رقم (٥٢٠٥) (٥/ ٣٨٤) .

٢ - **مخالفتهم** :- فيجب مخالفة المشركين سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم وذلك إعلان للبراءة منهم ولبغضهم . وإعلان عن شخصية المسلم المتفردة وعن قيادته للركب وإبائه للاتباع الممقوت للكفار والمشركين . ومن هذه المخالفة قول الرسول ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالوهم**»[١]. وقوله ﷺ : « **خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولاخفافهم** »[٢] .

٣ - عدم مجالستهم ومخالطتهم :-

ومن إعلان المسلم لبغضه للشرك والمشركين عدم مجالسة المشركين ومخالطتهم والدخول عليهم وعدم مساكنتهم . قال رسول الله ﷺ : « **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** »[٣] .

وقال ﷺ : « **لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا** »[٤] فيجب أن يتجنب المسلم المخالطة والسكن والعيش مع هؤلاء المشركين تعبيراً عن بغضهم ومعاداتهم وأنهم على باطل . وأنهم من أصحاب الجحيم فيجب المفاصلة والمباينة بين المسلم والمشرك .

٤ - عدم الإقامة بين أظهرهم :-

يحرم على المسلم أن يقيم بين أظهر المشركين، وخاصة وأن الله عز وجل أعز المسلم وفتح له البلاد وأصبح للمسلم دار إسلام يقيم فيها . فلا يجوز له أن

(١) رواه البخاري (كتاب الأنبياء) باب : نزول عيسى عليه السلام .

(٢) رواه أبو داود (كتاب الصلاة) حديث رقم (٦٥٢) (١/٤٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» حديث رقم (٣٢٠٥) [٣/٣٣٥] .

(٣) رواه أبو داود في (كتاب الجهاد) حديث رقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» حديث رقم (٦٠٦٢) [٦/٢٧٩] .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرك» [٢/١٤١] وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي .

يترك هذه الدار [دار الإسلام] ويذهب إلى دار الشرك [(١)] . وذلك من باب بغض الشرك والمشركين ، ومن باب الحفاظ على دين المسلم ، حتى لا يُفتن ويقع في الشرك ، أو يرى الشركيات بعيني رأسه ويسمعها بأذنه ولا ينكرها ولا يُغيرها ،فيألف المعصية ويتعود على رؤية وسماع الشركيات فتكون بداية الهاوية .

– وأيضًا فالمسلمون وديار الإسلام أولى بهذا المسلم وأحفظ له ، وهم في حاجة لموالاته ولنصرته ولوجوده بين إخوانه في الله ليكونوا عونًا على الخير ، ونشراً للإسلام ، ومحاربة أهل الشرك والبدع والضلال قال رسول الله ﷺ : «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين** » قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال: « **لا تراءى نارهما** » [(٢)] .

هكذا لابد من وجود المفاصلة التامة والمباينة والمقاطعة . لكي يتميز الصف وتتضح الرايات وتنفصل المعسكرات ، ويظهر معسكر الإيمان ، ويتضح معسكر الشرك، وحينئذ تظهر وتتجلى عقيدة الولاء والبراء ، والموالاة والمعاداة.

٥ – عدم اتباعهم :

أيضًا من مظاهر بغض الشرك والمشركين عدم اتباعهم وتقليدهم فهم أهون من أن نتخذهم قدوة ولو حتى في أمور الحياة العادية . فلقد جاءنا من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ما يُغنينا وما يكفينا في ديننا ودنيانا [اللهم إذا اضطررنا لشيء ليس موجودًا عندنا ومن باب التَّقوِّي على أعداء الله تعالى] .

---

(١) اللهم إلاَّ إذا كان هناك ضرورة مثل نصرة المسلمين هناك ، أونشراً للدين ، أو غير ذلك مما رخص فيه العلماء . ولكن بالشروط والقيود التي ذكروها رحمهم الله .

(٢) رواه أبو داود في (كتاب الجهاد) حديث رقم (٢٦٤٥) [٣/١٠٥] ، ورواه الترمذي في «السير» حديث رقم (١٦٠٤) [٥/٣٢٩] ، ورواه النسائي في « القسامة » باب القود بغير حديدة [٨/٣٦] . قال الشيخ ناصر الدين الألباني : سنده صحيح « إرواء الغليل » حديث رقم (١٢٠٧) [٥/٢٩] .

وللأسف أن الطامة الكبرى الآن التي أصابت كثيرًا من المسلمين هي عملية الاتباع الأعمى التي وقعنا فيها لهؤلاء الكفار والمشركين على مستوى الرجال والنساء والشباب والشواب بل والأطفال ، حتى أصبح الاتباع جماعات وفرادى ، وعوام الناس وخواصهم حتى عمت المصيبة، واضمحل الأمر ، وفشى المرض، وأصبح يهدد الأمة كلها. فنرى مثلاً: الاتباع الأعمى لهؤلاء الكفار والمشركين في الأكل والشرب، والكلام،والتحدث، والحوار ، والفكر ، والثقافة ، وطبيعة العلاقة بين الأفراد والجماعات ، وبين الرجال والرجال وبين النساء والنساء ، وبين الرجال والنساء ، حتى استشرى المرض في جسم الأمة حتى أن بعض هذا الاتّباع قد يصل إلى الموالاة ـ والعياذ بالله ـ ، وقد تُخرج صاحبها من الملة وهو لا يدري ، بل وهو يظن أنه محسن وأن هذا هو طريق الرقيّ والتقدم ، والأخذ بسُبل الحضارة والمدنية .

وما ذلك إلا لإعراضنا عن تعاليم ربنا وسنة نبينا ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [١] فهذه الآية فيها دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي والمنافقين وكل من أعرض عن دين الله وشرعه الحنيف .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [٣] .

وهذه هي أمنيتهم ، وهذه هي غايتهم ، إخراج المسلم من إسلامه ليكون

(١) هود : ١١٣ .

(٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) آل عمران : ١٤٩ .

الكل سواء في الكفر وليطمئنوا أنه لن تقوم للإسلام قائمة تهدد عُروشهم ومُلْكهم .

وقال تعالى محذراً من هذا الاتباع والانقياد : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله :

﴿ **وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره ، فقدَّمتم عليه غيره فهذا هو الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ (٢) .

وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال : يا رسول الله ما عبدوهم فقال : « **بلى ، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم** » (٣) .

وصدق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به ، فإن بعض المسلمين [أو المحسوبين على الإسلام] لينجرف في هذا الاتباع حتى ولو خالف الشرع ، ولو وقع في محرم ، ولو تعرض لغضب الله سبحانه وتعالى - فترفض المرأة لبس الحجاب المفروض عليها ، والمأمورة به من قِبَل ربها ونبيها ﷺ . وما ذلك إلاَّ الاتباع الأعمى للشرق والغرب ، والموضات المحلية والعالمية الصادر من الكفرة والمشركين .

- وهذا الرجل يخجل أن يعفي لحيته حتى لا يخالف أناقة الرجل الغربي [إنها ليست أناقة وشياكة كما يقولون ويدعون بل هي خنوثة وميوعة] فيضرب بأمر رسوله ﷺ بإعفاء اللحية عُرْض الحائط لأنه وَقَعَ في أسر الاتباع ، وأصبح رهين

(١) الأنعام : ١٢١ .

(٢) التوبة : ٣١ .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة الأنعام آية (١٢١) [٢/ ١٦٤] .

التقليد الأعمى ، ولا حول ولا قوه إلاَّ بالله العلي العظيم .

- وهذا الحاكم يستحي أن يحكم بشرع الله تعالى حتى لا يُرمى بالجمود والتخلف والرجعية أو تهتز صورته الحضارية والتمدُّنية في نظر الكفار والمشركين فيخسر مكانته المرموقة عندهم وبينهم ، ووالله خسر الدنيا والدين . فلن يُحترم ولن يكون له قدر عند هؤلاء الكفرة والمشركين بل سيهون عليهم ويُسْتَحْقر بينهم. ولن ينال رضا ربه ، بل ربه عليه غضبان ولقد أخبر الرسول ﷺ عن هذا الاتباع الأعمى ، والتقليد الأحمق ، قوله ﷺ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراعًا ذراعًا ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتوهم** » قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « **فمن ؟** »[1] .

***

(١) رواه البخاري (كتاب الاعتصام) باب : قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم .

[الفصل الثالث]

﴿ حُبُّ الله تعالى وحُبُّ رسوله ﷺ ﴾

الفصل الثالث
حبُّ الله ورسوله ﷺ

يجب علينا ونحن في صدد إعداد النشء وتربية هذه الأجيال ، على طريق الصحوة وفي مسيرة الإصلاح ، أن نربي هذه الأجيال على حُبِّ الله تعالى وحب رسوله ﷺ ، وأن يكون هذه الحبّ في أصل العقيدة ، وفي صميم القلب، فهو أصل من أصول هذه العقيدة ، وركن من أركان التوحيد .

[أولاً] : حُبُّ الله تعالى :

فتُربى هذه الأجيال على هذا الحب ، وأن يكون هذا الحب أغلى ما عند المسلم ، فيعلو ولا يُعلى عليه بل لا يدنو من هذا الحب أي حب وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ (١) . فدلت الآية الكريمة على أن الذين آمنوا يحبون الله حبًا شديدًا ، فمحبتهم لربهم ، أشد من محبة الكفار والمشركين لمعبوداتهم .

● **قال ابن كثير رحمه الله :**

« ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجؤون في جميع أمورهم إليه » (٢) .

ويُحذِّر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يكون هناك أي شيء أحب إليهم من الله ورسوله ﷺ ودين الإسلام ، وأن من وقع في ذلك فقد عرَّض نفسه لغضب ربه وعقيدته للفساد ، وتوحيده للزوال ، حتى ولو كان هذا المحبوب أمًا او أبًا او

---

(١) البقرة : ١٦٥ .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة البقرة آية (١٦٥) [١/ ١٩٢] .

زوجة أو أبناء أو أموالاً .. قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (١) .

● **قال الإمام القرطبي رحمه الله :**

«وفي الآية دليل على حُبِّ الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك وأنه مُقدم على كل محبوب» (٢) .

ويؤكد الله تعالى على فرضية هذا الحب ، وأنه لابد وأن يتحقق عند المؤمن ، وأن فقدان هذا الحب يؤدي إلى الردة عن الدين والعياذ بالله فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

من لوازم الحب :

إن هذه الآية السابقة توحي لنا ببعض لوازم الحب في الله ، ومن هذه اللوازم ما يلي :

١ - إن حب الله تعالى يجعل المؤمن ذلولاً مع أخيه المؤمن ، هينًا لينًا، ويخفض له الجناح في حب وتواضع وشفقة ورحمة ﴿ **أذلة على المؤمنين** ﴾ لأنهم يشاركونه هذا الحب ، ألا وهو حب الله تعالى .

٢ - إن هذا الحب يجعل المؤمن يبغض أهل الكفر والشرك ويغلظ عليهم

---

(١) التوبة : ٢٤ .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » لسورة البقرة آية (١٦٥) [٨/ ٩٥] .

(٣) المائدة : ٥٤ .

ويضرب على أيديهم ، بل ويحصد رقابهم لأنهم لم يحبوا الله ، أو أحبوا هذه الآلهة المزعومة كحبهم لله تعالى فاستحقوا غضب الله وغضب عباده المؤمنين ، واستحقوا كل شدة وغلظة ﴿ **أعزة على الكافرين** ﴾ .

٣ - إن هذا الحب لله تعالى مَلَكَ على المؤمنين قلوبهم ، وزهَّدهم في دنياهم وحبَّب إليهم دينهم ، وباعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، وأحبوا الشهادة في سبيل الله تعالى فهي أقرب طريق للوصول إلى الهدف الأسمى الذي يسعى له كل مسلم ألا وهو الجنة [رزقنا الله جميعًا الجنة ورضا ربنا عز وجل] قد جعلهم ذلك كله يجاهدون في سبيل الله تعالى إعلاءً للدين ، ونشرًا للتوحيد ، ورفعًا لراية التوحيد وتنكيسًا لراية الشرك والمشركين . ﴿ **يجاهدون في سبيل الله** ﴾ .

٤ - أورثهم هذا الحب أيضًا أمنًا في قلوبهم ، وشجاعة وإقدامًا ، فلا يخافون إلا من الله تعالى ، فلا خوف على رزق ، ولا حرص على حياة . فيصدعون بالحق ويدافعون عنه ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ **ولا يخافون في الله لومة لائم** ﴾ .

٥ - ينشأ عن هذا الحب الولاء والموالاة ، فإن هذا الحب يولِّد المناصرة في الدين فإن الحب هو عمود الموالاة ، وهو أصل النصرة ، فلما أحبوا الله تعالى حق المحبة . جاءت هذه الموالاة لله وللرسول وللدين وللذين آمنوا ، ولذلك قال الله تعالى في الآية التي تلي الآية السابقة التي تؤكد الحب لله وللرسول ﷺ ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [1] فترتب على هذا الحب الموالاة . فالحب هو عمود الموالاة وأصلها .

٦ - أيضًا من لوازم حُبِّ الله تعالى حُبّ شرعه ومراده واتباع رسوله ﷺ فلا تصح دعوة محبة الله ورسوله إلاَّ بالاتباع لشرعهما . كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ**

---

(١) المائدة : ٥٥ .

إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) .

[ثانيًا] : حب الرسول ﷺ :-

إن حُبّ الرسول ﷺ تابع لحب الله تعالى وملازم له فلا يُفصل بينهما . ولا يقبل حب الله تعالى بدون حب الرسول ﷺ . بل إن علامة حب الله تعالى هي حب الرسول ﷺ واتباعه كما أخبر سبحانه وتعالى بذلك حيث قال : **﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾** (٢) .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ونذكر منها :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » (٣) .

٢ - وروى الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله . فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلاّ نفسي . فقال النبي ﷺ : « **لا ، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** » . فقال عمر : فإنه الآن والله ، لأنت أحبّ إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ : « **الآن يا عمر** » (٤) .

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) آل عمران : ٣١ .

(٣) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : حلاوة الإيمان ، ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : خصال من اتصف بهم وجد حلاوة الإيمان .

(٤) رواه البخاري (كتاب الأيمان والنذور) باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ .

٣ - وروى أيضًا الإمام البخاري - رحمه الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده** » (١) .

٤ - وروى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين** » (٢) .

من ثمرات حب الرسول ﷺ :

إن حب الرسول ﷺ من علامات الإيمان بل لا يصح إيمان عبد بدون محبة الرسول ﷺ . وهذا الحب له ثمرات كثيرة نقطف بعضها :-

١ - حصول حلاوة ولذة الإيمان . كما تقدم في الحديث : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان** » وذكر منها « **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ...** » (٣) .

٢ - مرافقة الرسول ﷺ في الجنة : فمن أحب الرسول ﷺ بصدق فإنه سينال إن شاء الله تعالى صحبته ومرافقته في الجنة .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قـال : « جاء رجـل إلى الرسول ﷺ فقال : يا رسول الله : متى الساعة ؟ قال : « **وما أعددت للساعة ؟** » قال : حب الله ورسوله ﷺ ، قال : « **إنك مع مَنْ أحببت** » .

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان .

(٢) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجميعن .

(٣) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : حلاوة الإيمان . ومسلم كتاب (الإيمان) باب: خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

قال أنس - رضي الله عنه - : فأنا أُحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر رضي الله عنه فأنا أرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم [(١)] .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى الرسول فقال : يا رسول الله ، كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **المرء مع من أحب** » [(٢)] .

٣ - ومن ثمرات حب الرسول ﷺ اتباعه فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وذلك عن حب وإخلاص ، ورضى وتسليم ، فيتبع المؤمن الرسول ﷺ في كل شيء ، ويقتدي به في كل قول وفعل ترجمة منه لهذا الحب الذي في القلب ، فيخرج على هيئة سلوك واتباع لهذا النبي ﷺ ، والاقتداء به والعمل بسنته ، حتى نعيش على سنته ، ونموت على ملته ﷺ ، ونحشر تحت لوائه ، وننال شفاعته ﷺ .

٤ - أيضًا من ثمرات هذا الحب لهذا الرسول الكريم ﷺ [الحفاظ على سنته والدفاع والذب عنها] أمام كل جاحد ومحارب ومنكر لهذه السنة المطهرة ، وكذلك محاربة أهل البدع وكشفهم ، وتعريتهم ، والرد عليهم ، وإبطال مؤامراتهم ضد هذه السُنة فكما قيل [ما قامت بدعة إلا هُدمت سُنّة] فيجب على كل مسلم غيور على دينه أن يدافع عن هذه السنة في كل مكان . ويحارب أهل البدع ويقف لهم بالمرصاد . ليكون صادقًا في حبه للنبي ﷺ . وينال شفاعته ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب المرء مع من أحب .

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب علامة الحب في الله تعالى ، ورواه مسلم كتاب «البر والصلة» باب المرء مع من أحب .

[الفصل الرابع]

﴿ الحُبُّ في الله ﴾

الفصل الرابع
الحبُّ في الله

إن من أهم الركائز التي يجب أن نرتكز عليها ونحن في مضمار إعداد نشء مسلم ، وجيل فريد متميز ، يكون أهلاً لحمل راية التوحيد ، ويرفعها عالية مدوية في مشارق الأرض ومغاربها . لابد من غرز عقيدة [الحبّ في الله] في نفوس هذه الأجيال ، فهي من عقيدة المسلم ، وهي من أعظم ثمرات هذه العقيدة ، فهي الترجمة الفعلية لهذه العقيدة . بل هي الثمرة المرجوة والمنتظرة ، وهي النتيجة الفعالة ، وهي الحركة الإيجابية لهذه العقيدة الساكنة الثابتة في القلوب . قال رسول الله ﷺ : « **أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله** » [1] . ولا بد لنا ونحن نُربِّي هذه الأجيال ، أن نوضح لهؤلاء النشء حتمية وفرضية هذا الحب ، وأن نوضح لهم أن هذا الحب ليس نافلة ، ولا تطوعًا ، بل هو من صميم العقيدة ومن أصل الإيمان . وأنه لن يتحقق الولاء والموالاة للمؤمنين إلاّ بتحقيق هذا الحب ، وتمكنه من القلب .

من ثمار الحب في الله

وأيضًا يجب أن نوضح ونبيِّن لهم فوائد وثمار هذا الحب الذي فرضه الله على عباده المؤمنين وبيان ما يترتب على هذا الحب في الله . ومن ذلك ما يلي :-

١ - دخول الجنة :

إن من أسمى وأغلى الأماني التي يحققها هذا الحب في الله هو [دخول

(١) رواه ابن أبي شيبة بسنده في كتاب « الإيمان » ص (٤٥) تحقيق الشيخ الألباني ، وقال أخرجه الطبراني في « الكبير » عن ابن مسعود مرفوعًا وهو حسن .

الجنة] التي هي أسمى وأغلى ما يتمنى المسلم ويصبو إليه قلبه .

ويبشرنا بهذه البشرى الرسول ﷺ الذي ما ترك شيئًا يقربنا إلى الله إلاَّ وأمرنا به ، وما ترك شيئًا يبعدنا عن الله إلاَّ وحذرنا منه ونهانا عنه . قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** »[(١)] .

فانظر أخي المسلم كيف علَّق الرسول ﷺ دخول الجنة على الإيمان ، وعلق الإيمان على الحب في الله ، وذلك لما لهذا الحب من أهمية عظمى في حياة المسلم ، ومن ثمار عديدة تُجنى من ورائه .

٢ - تحقيق الإيمان :

إن من نتاج هذا الحب في الله ، تحقيق الإيمان للمسلم . حيث ينصهر هذا الحب في داخل المسلم وفي سويداء قلبه ، فلا يفرق المسلم بينه وبين أخيه، فيرى نفسه فيه ، ويحب له ما يحب لنفسه . فلا عجب فلقد جمعتهم بوتقة الإيمان بالله تعالى ، وكَمَّل بعضهم بعضًا وجُمِّل بعضهم بالآخر ، فلقد صيَّرتهم الأخوة في الله ، والحب في الله جسدًا واحدًا ، يحب بعضه لبعضه ما يحبه لنفسه ، ويحس ويشعر كل منهم بالآخر ، ولقد أخبر بذلك الرسول ﷺ وجعل هذا الحب شرطًا لتحقيق الإيمان حيث قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[(٢)] .

بل يرتقي هذا الحب بالمسلم ويرتفع به إلى مرتبة أعلى من ذلك حتى يفضل أخاه على نفسه ، ويؤثره على أعضائه ، ليترفَّع بذلك عن شهوات النفس،

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون .

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، واللفظ للبخاري .

ويترفع عن الخلود إلى الأرض ، ويتخلص من حب النفس ، ويرسم لنا القرآن الكريم هذه الصورة في أعلى مقاماتها حيث قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

٣ - تذوق حلاوة الإيمان :

إن الحب في الله له من المعاني العظيمة ، والآثار الملموسة ، والحلاوة المُذاقة ، والطمأنينة المُجربة ، والأُلفة الفريدة ، والسعادة المتميزة ، والروحانية الصافية ، والمودة العجيبة ، كل هذه المعاني الجميلة وغيرها مما يعجز القلم عن وصفها يحسها المؤمن في قلبه ، ويتلذذ بها في وجدانه ويعشقها فؤاده إنه الحب الصافي ، والموالاة الحقة لعباد الله المؤمنين والموحدين ، هذا الحب الذي بُنِيَ على أساس العقيدة ، وتأسس على أساس التوحيد ، وجُرد من المصلحة والمنفعة ، وتخلص من شوائب الدنيا ، ومنافع المادة .

ولا عجب في ذلك فقد قال الرسول ﷺ فيما يرويه عنه أنس - رضي الله عنه - أنه قال : « **ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » (٢) .

قال الإمام النووي رحمه الله :

«هذا حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام. قال العلماء رحمهم الله : معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل، ورسوله ﷺ ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا ، ومحبه العبد ربه سبحانه

(١) الحشر : ٩ .

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان) باب : حلاوة الإيمان . ورواه مسلم (كتاب الإيمان) باب : خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

وتعالى . بفعل طاعته ، وترك مخالفته ، وكذلك محبة النبي ﷺ . قال القاضي رحمه الله :- وذلك لأنه لا يصح المحبة لله ولرسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهية الرجوع إلى الكفر إلاَّ لمن قوي بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه ، وهذا هو الذي وَجَدَ حلاوته . قال : والحب في الله من ثمرات حب الله . قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه فيحب ما أحب ، ويكره ما كره» [(١)] .

وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : «من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا » [(٢)] .

٤ - التظّلل بظلِّ الله يوم القيامة :

لابد ونحن نُربي هذا النشء أن نخوّفهم من الله تعالى ومن عقابه وغضبه ومن يوم القيامة وهوله ، ومن القبر وضمته ، ومن الصراط وزلته .

وأن نبين لهم أن من أسباب النجاة من هول هذا اليوم وشدته هو الحبّ في الله تعالى ، وأن الله ينادي على هؤلاء المتحابين في جلاله ويُقربهم منه ، ويعمهم برحمته ، ويظلهم بظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّه ، جزاء على هذه المحبة الخالصة ، والمودة الصافية ، التي كانت في جلاله ، ومن أجل رضوانه سبحانه

---

(١) انظر « شرح صحيح مسلم » للإمام النووي كتاب (الإيمان) [١/ ٢١٠] .

(٢) انظر « حلية الأولياء » [١/ ٣١٢] ، و « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي ص (٣٠) .

وتعالى . فكما كان حبهم من نوع خاص وفريد ، فإن جزاءهم أيضًا من نوع خاص ومُميَّز ، فيتميزون عن غيرهم من أهل المحشر تكريمًا لهم ورفعةً لشأنهم ، وجزاءً لهذه المحبة وهذا الإخلاص . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّي** » [(١)] .

الله أكبر إنها البشرى كل البشرى لهؤلاء المتحابين في الله فسوف يحفظهم الله تعالى يوم القيامة من هذه الشمس التي تدنو من الرؤوس ، ومن هذا الحرّ وهذا اللهيب ، ويحفظهم من هذا الضنك في يوم يودُّ الكافر أن ينصرف منه ولو إلى النار [ظنًا منه أن النار أقل وطئًا] وذلك من شدة هذا اليوم فيظلهم الله بظله ويكرمهم بكرمه وهو أكرم الأكرمين ، وذلك جزاء حبهم في الله ومن أجل الله .

٥ - الأمن وعدم الحزن :

لابد ونحن في مسيرة إعداد هذا النشء المنتظر أن نُربي فيهم الخوف من يوم القيامة ، ويوم الحساب ، وأن يجعلوا هذا اليوم نصب أعينهم ، وأن يستحضروه أمامهم ، فيحملهم ذلك على العمل له ، طلبًا للجنة ، وهروبًا من النار ، وحرصًا على الأمن يوم يخاف الناس ، وإصرارًا على الفرح يوم يحزن الناس .

وإن من أقوى الأسباب التي تجعل المؤمن يأمن يوم الفزع يوم يخاف الناس، ويفرح ويسعد يوم يحزن الناس هو الحب في الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [(٢)] .

فلقد ولّت الدنيا بما فيها من خوف ، وآلام ، وحزن ، ونصب ، وتعب ،

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب : فضل الحب في الله .

(٢) يونس : ٦٢ .

وسقم ومرض . فاليوم يوم الجزاء . يوم توزيع الجوائز والعطايا ، وإعلان النتيجة التي ليس بعدها إلا الجنة أو النار .

فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « **إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله تعالى** » قالوا : يا رسول الله تخبرنا مَنْ هم ؟ قال : « **هم قوم تحابوا بـروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس** » وقرأ هذه الآية ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (١)(٢) .

فهيا يا عشاق الجنان ، يا مَنْ تحبون الأمن ، وتنشدون النجاة ، ويا محبي الفرحة ، ويا أرباب السعادة ، هيا تحابوا في الله تعالى لتكون وجوهكم نورًا ، وتكونوا على نورٍ ولتأمنوا يوم الفزع ، ولتفوزوا برضا ربكم . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

٦ - حب الله تعالى للعبد :

وليعلم كل ناشيء وكل بُرعم ، وكل متحاب في الله تعالى أن هذا الحب في الله كله خير وأن من حققه وشعر به وتلذذ بحلاوته فهو على خير . لأنه حب قام على الإخلاص وبُنِيَ على المودة ، وأسس على الإخاء ، دعامته الألفة ، وأصوله طـاعة الله ، وفروعه التراحم وغايته حُب الله للعبد ، وثماره دخول الجنة .

ولقد أخبر بذلك نبي الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ مبشرًا كل من تحاب في الله ، واجتمع على حب الله ، وافترق على حب الله ، وزار في الله ،

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب « البيوع » حديث رقم (٣٥٢٧) [٣/٧٩٩] ، وانظر « تفسير ابن كثير » لسورة يونس آية (٦٢) [٢/٤٠٨] .

وذهب وعاد في الله ومن أجل الله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى ، فأرصد [١] الله له على مدرجته [٢] مَلَكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية . قال هل لك عليه من نعمة تَرُبُّهَا [٣]؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه** » [٤] .

الله أكبر لقد فاز هذا العبد المؤمن بحب الله تعالى له ورحمته ورضاه وذلك من أجل حبه لأخيه في الله ومن أجل مرضاة الله .

فوالله إنها لنعمة عظيمة ومنحة ربانية ، وفرصة لا أقول ذهبية ، لأنها أغلى من ذلك وأقيم ، فإن هذا الحب من الله تعالى يعقبه بفضله سبحانه الجنة ونعيمها، والنجاة من النار وعذابها .

وما ذلك إلاَّ لأن لهذا الحب في الله من الثمار والنتائج ، واللاوازم والتوابع التي تصلح الدنيا ما لا يعلمه إلا الله .

فهذان الأخان اللذان تحابا في الله ، وعلى نور من الله وبركة وبصيرة ، فهل نجد بينهما الشحناء والبغضاء والتحاسد والتدابر . . . . . . ؟!!

هل سنجد منهما التصارع على حُطام هذه الدنيا الفانية ؟!!

هل سنجد منهما الغيبة والنميمة ؟!!

هل سنجد منهما أكل أموالهما بينهما بالباطل ؟!!

هل سنجد أحدهما ينال من عرض أخيه أو ينتهك حُرماته ؟!!

---

(١) أرصد : أقعده يرقبه ويتتبعه .

(٢) مدرجته : أي طريقه .

(٣) تَرُبُّهَا : أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك .

(٤) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب فَضْلُ الحب في الله .

هل سيخذل أحدهما الآخر في موقف من المواقف ؟!!

هل سيَجْبُن أحدهما عن نُصرة أخيه وعن حماية عرضه وأرضه وماله وحقن دمائه ؟

هل .... هل .... هل ....

لا والله إذا تحققت المحبة في الله حق التحقق ، وبإخلاص لله تعالى لن نجد مثل هذه النواقص ولا غيرها . بل سنجد المجتمع المسلم المتكامل ، والمتلاحم ، والمتماسك والمتعاضد ، والمتآلف . يشد بعضه بعضًا ، حقًا إنه جسد واحد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحُمى .

ومن أجل هذا يا أخي المسلم وغيره كان لهذا الحب من المنزلة الرفيعة ، والقدر العالي ، عند الله تعالى ، جعلنا الله من الذين تحابوا فيه ، ومن أجله ، وجعلنا على منابر من نور ، هو ولي ذلك والقادر عليه .



[الفصل الخامس]

﴿ حب الجهاد في سبيل الله ﴾

الفصل الخامس
حب الجهاد في سبيل الله

نداء إلى كل مُربٍ ، نداء إلى كل من تصدى لإعداد النشء وتربية الأجيال، وإلى كل مخلص يريـــد النجاة لهذه الأمة ، لكل من أراد أن تزول الغُمة عن الأمة ، نداء لمن أراد العزة لهذه الأمة بعدما عانت أعوامًا وأعوامًا من الذل والهوان ، إلى كل من أراد أن ينتشل هذه الأمة من الوحل ، وأن يرفع رأسها عالية مدوية في الآفاق كما ينبغي لها ، وكما هي مكانتها الحقيقية .

لابد وأن نربي أبناءنا وأجيالنا وهذا النشء على حب الجهاد في سبيل الله ، والتطلع إلى نيل شرف الشهادة في سبيل الله تعالى ، ولابد وأن نعلِّمهم ونجعل ذلك في عقيدتهم أن عز وشرف هذه الأمة في الجهاد في سبيل الله ، وأن الأمة ما حرصت على الجهاد وتمنت الشهادة في سبيل الله إلاَّ وهب الله لها الحياة وأعزها بين الأمم .

وما تخلفت الأمة عن الجهاد وتركته وركنت إلى الدنيا وملذاتها وحطامها وخافت من الموت إلاَّ كُتب عليها الذل والعار ، والمهانة والانتكاسة ، وما يخفى حالنا الآن في القرن الخامس عشر من الهجرة على أحد ، فكـــل ما نحن فيه من [سفك دمائنا ، وسلب أموالنا ، وانتهاك حرماتنا ، وإهانة مقدساتنا ، وتهديم مساجدنا ، واغتصاب أراضينا ، والاستخفاف بديننا ، وتمكن أعداء الله من أحفاد القردة والخنازير وغيرهم من الكفرة والملاحدة من رقابنا وتصريف أمورنا] إلاَّ نتيجة تركنا للجهاد في سبيل الله ، وحب الدنيا وكراهية الموت والله عز وجل ينادي على المؤمنين من فوق سبع سماوات قائلاً : **﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي**

بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

فليعلم الجميع ، وليوقن كل جيل ، وليعتقد كل النشء ، أن سلعة الله غالية ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة ، فمن كان من عشاق الجنان ، ومن كان يصبو للفردوس الأعلى ، ومن كان يريد مرافقة الأنبياء والصديقين . فهذا هو الطريق ، وهذا هو السبيل ، [الجهاد في سبيل الله] ولقد أخبر الرسول الكريم ﷺ قائلاً : «**واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » (٢) .

ولا يهاب أحدكم الموت. فوالله إن الشهادة ليست بموت ولا انتهاء للحياة. بل هي بداية الحياة الحقيقية الدائمة .

قال تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٣) .

فما مات الشهيد بل هي بداية حياة الكرامة والنعيم والتكريم ، وكيف لا ؟ فلقد قاتل من أجل كرامة أمته ، وإسعاد إخوانه ورفع رأسهم بين الأمم . فلقد دفع روحه ثمنًا لعزة وكرامة هذه الأمة ولنشر دين الله تعالى في كل مكان .

فكان الجزاء من جنس العمل . فلقد نال من الكرامة والتكريم والمنزلة العالية ما لم ينله غيره [غير نبي أو صدِّيق] .

فضل ومكانة الجهاد في سبيل الله تعالى :

لقد حظي الشهيد عند الله من المنزلة والمكانة الكثير والكثير ، وذلك لأن

---

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) رواه البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب الجنة : (تحت بارقة السيوف) .

(٣) آل عمران : ١٦٩ : ١٧١ .

فضل الجهاد ومكانته عند الله عظيمة .

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « **الصلاة على ميقاتها** ».

قلت : ثم أيّ ؟ قال : « **ثم بر الوالدين** ».

قلت : ثم أيّ ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » . فسكتُ عن رسول الله ﷺ ولو استزدتُه لزادني » [1] .

وتتوالى الأسئلة من الصحابة الكرام مُحبي الخير يسألون عن أفضل الأعمال وعن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى ليكون ذلك حافزًا ودافعًا لهم على الإقدام على الشهادة في سبيل الله فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : دُلَّني على عمل يعدل الجهاد. قال: «**لا أجده**». قال[2]: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تَفْتُرْ وتصوم ولا تُفْطِر؟ .

قال : ومَنْ يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة - رضي الله عنه- [3] : إن فرس المجاهد ليستن في طِوَلِه ، فَيُكْتَبُ له حسنات » [4] نعم ، إن أجر وفضل الجهاد في سبيل الله عظيم ، وكيف لا ؟! وقد خرج البطل المسلم تاركًا ماله ونساءه وأبناءه وتجارته ، تاركًا كل متاع الدنيا وزخرفها. حاملاً روحه على أكفه يقدمها رخصية زهيدة لله تعالى وفداء لهذا الدين، ونشرًا للتوحيد ، وإعلاء للراية الإسلامية ، وموالاة لله ولدينه وبغضًا للكفر وللكافرين .

---

(١) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسِّير » باب فضل الجهاد والسِّير .

(٢) قال : المقصود الرسول ﷺ .

(٣) وقول أبي هريرة - رضي الله عنه - ليستن في طِوَله : أي أن الفرس ليمرح بنشاط . قال الجوهري : هو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا وقال غيره : أن يلج في العدو مقبلاً أو مدبرًا وطِوَله : الحبل الذي يشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل في المرعى.

انظر « فتح الباري » (٦/ ٨).

(٤) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب فضل الجهاد والسير .

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قيل : يا رسول الله ، أيَّ الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**». قالوا : ثم من ؟ قال : « **مؤمن في شِعْب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره** » [(١)] .

فضل الغدوة والروحة في سبيل الله :-

إن مجرد خروج المسلم من بيته بنية الجهاد في سبيل الله تعالى فإن الله يكتب له الأجرو المثوبة وكل أمره خير . إن نال الشهادة ففي جنات النعيم وإن لم يُقدِّر الله له الشهادة عاد مرفوع الرأس . أصاب الأجر ولربما رجع بالغنيمة أيضًا فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَثَلُ المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم . وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفَّاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجْرٍ أو غنيمة** » [(٢)] .

فإن الغدوة والروحة في سبيل الله فيها الخير العظيم ، والأجر الوفير ، لمن خرج لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السلفى .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **لغدوة** [(٣)] **في سبيل الله أو روحة** [(٤)] **خير من الدنيا وما فيها** » [(٥)] .

(١ ، ٢) رواهما البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب : (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) .

(٣) الغدوة : من الغدو وهو الخروج في أي وقت من أول النهار إلى انتصافه . فتح الباري [٦/١٧] .

(٤) الروحة : من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس (أي وقت الظهيرة) إلى غروبها . « فتح الباري » [٦/١٧] .

(٥) رواه البخاري كتاب (الجهاد والسير) باب: (الغدوة والروحة في سبيل الله) ، ومسلم كتاب (الإمارة) باب (فضل الغدوة والروحة في سبيل الله) .

وفي رواية أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت** »(١) .

قال الإمام النووي رحمه الله :

« والغدوة بفتح الغين السير أول النهار إلى الزوال ، والروحة السير من الزوال إلى آخر النهار و [أو] هنا للتقسيم لا للشك . ومعناه أن الروحة يحصل بها الثواب ، وكذا الغدوة ، والظاهر أنه لا يختص ذلك بالغدو والرواح من بلدته، بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو ، وكذا غدوة وروحة في موضع القتال ، لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله. **ومعنى هذا الحديث** : أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها ، لأنه زائل ، ونعيم الآخرة باق .

قال القاضي : وقيل في معناه ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا أنها خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان وملك جميع ما فيها وأنفقه في أمور الآخرة »(٢) .

فضل الشهادة في سبيل الله تعالى :

إن للشهادة فضلاً عظيمًا ، وللشهيد منزلة عالية عند الله تعالى ، فيجب أن تصبو النفس إلى هذا الجهاد ، وإلى هذه الشهادة ، وأن تُربَّى الأجيال على التطلع إلى هذه الشهادة ، وأن تكون أغلى أمانيهم ، وحتى نُنَمِّي في هذه الأجيال هذا الحب يجب علينا أن نبين لهم فضل هذه الشهادة ، وتكريم الشهيد وما أُعد له في هذه الجنة التي عَرْضُها كعرض السماوات والأرض ، حتى تهفو نفسه إليها،

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله .

(٢) « شرح النووي على صحيح مسلم » [٥/٢٥: ٢٦] .

وتتعلق روحه بهذه الشهادة ، فإن معرفة الشيء حق المعرفة تجعل الإنسان يتعلق به ويحرص عليه ، خاصة إذا وجد ما يرغبه في هذا الأمر .

ومن هذا المنطلق نسوق بعض الأحاديث الواردة في فضل الشهادة في الله، عسى أن تكون سببًا في تعلق أجيالنا بهذه الشهادة ، ونيل شرف الجهاد في سبيل الله . . ومن هذا :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **ما من نفس تموت لها عند الله خيرٌ يَسُرُّها أنها ترجع إلى الدنيا ، ولا أن لها الدنيا وما فيها ، إلاَّ الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة** »[1] .

وفي رواية أخرى أيضًا عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء ، إلاَّ الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فَيُقْتَل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة** »[2] .

فها هو الشهيد الذي يرى مكانه في الجنة ، ويرى كيفية استقبال الملائكة له ، وما أعده الله له في الجنة من أنواع النعيم ، ومن حور العين ، وغير ذلك مما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين ، وما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

إنه يريد أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى . فلماذا يا ترى ؟!!!!

هل من أجل أن يتزوج بالمرأة الثانية ؟!!

أم يريد أن يناقش رسالة الدكتوراه ؟!!

أم يريد أن ينتهي من تشييد العمارة ؟!!

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل الشهادة في سبيل الله .

(٢) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب : تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا ، وورواه مسلم كتاب « الإمارة » باب : فضل الشهادة في سبيل الله واللفظ للبخاري .

أم يريد أن يضيف اسمه إلى أصحاب الملايين ؟!!

لا والله إن كل ذلك حُطام الدنيا الفانية التي لا تَزن عند الله جَنَاحَ بعوضة، ولو كان لهذه الدنيا قدر عند الله تعالى ما سقى منها كافرًا شربة ماء ، ولا تنفس فيها الهواء ، وما جعل الأرض تقله ، ولا السماء تظله .

إنه يريد أن يرجع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى من أجل أن يُقْتل مرة ومرة ومرة بل عشرات المرات في سبيل الله تعالى . وذلك لما يراه من الكرامة والتكريم من الله تعالى ، فيُحب أن تُعَادَ الكَرَّة مرات ومرات ليضاعف له التكريم أضعافًا أضعافًا .

- ومن كرمات الشهيد ومما أعده الله له من الكرامة ، أنه إذا مات ضَمِنَ له الله الجنة ، وإذا جرح في سبيل الله تعالى فإنه يأتي يوم القيامة على نفس الهيئة التي جُرِحَ عليها ودمه يسير منه . لونه لون الدم ، ولكن ريح هذا الدم هو ريح المسك . لا عجب فإنه دم زكي أهرق في سبيل الله تعالى ، وسال على حب الله ، فهذه الدماء يحبها الله ، ويتقبلها ، ويرحم صاحبها ، ويرفع منزلته ، ويُعْلي من قدره .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاَّ جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو عليَّ ضامن أن أُدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة . والذي نفس محمد بيده ما مِنْ كَلْم يُكْلَم [1] في سبيل الله إلاَّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِم ، لونه لون دم ، وريحه مسك . والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني . والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأُقتل ، ثم**

(١) الكَلْم : هو الجُرح ، وكَلْمٌ يكْلَمُ : اي جَرْحٌ يُجْرَح .

أغزو فأقتل »[١] .

وفي رواية أخرى : « **كل كَلْم يُكْلَمُهُ المسلم في سبيل الله ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دمًا ، اللون لون الدم ، والعَرْفُ**[٢] **عَرْفُ المسك**»[٣] .

وعن مسروق قال : سألنا عبد الله[٤] عن هذه الآية : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴿١٦٩﴾ ﴾[٥] . قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في جوف طير خُضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل . فاطَّلع إليهم ربهم اطِّلاعه فقال : هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نَسْرحُ من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا قالوا : يا رب نريد أن تُردَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »[٦] .

أعلى الدرجات للشهداء :

إن الشهيد قد دفع أغلى ما يملك في سبيل الله تعالى ، وإعلاءً لكلمة الله عز وجل ، ورفعًا لراية التوحيد [لا إله إلا الله محمد رسول الله] ، وإعزازًا

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل الجهاد في سبيل الله .

(٢) العَرْف : هو الريح . ومعنى قوله ﷺ « والعَرْف عَرْف المسك » : أي والريح ريح المسك . « شرح النووي لصحيح مسلم » [٥/٢٢] .

(٣) رواه مسلم . كتاب « الإمارة » باب فضل الجهاد في سبيل الله .

(٤) هو عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- كما رجح ذلك الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم [٥/٢٩] .

(٥) آل عمران : ١٦٩ .

(٦) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل الجهاد في سبيل الله .

للدين ، ورفعًا لرأس المسلم في عزة وكرامة ، ونشراً للتوحيد ، ولإخراج الناس من عبادة المخلوقات لعبادة خالقها .

فكان جزاء هذا المجاهد وهذا الشهيد أن الله يعزه يوم القيامة ، وأن يفوز يوم يخسر الناس ، وأن يفرح يوم يحزن الناس ، وأن يأمن يوم يفزع الناس فيكفيه بريق السيوف على رأسه وفتنته ، فحُق له بكرم الله أن تكون هذه منزلته وهذا مكانه .

فعن سَمُرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، لم أرَ قط أحسن منها ، قال أما هذه الدار فدار الشهداء** » (١) .

ولتعلم أخي المسلم أن الجنة درجات (جعلنا الله جميعًا من أهلها) - كما أن النار دركات (أعاذنا الله من نارها وعذابها) - فكل مسلم ومؤمن يصيب منها على قدر عمله وإخلاصه لله تعالى بعد إذن الله ومشيئته - وأما هذا المجاهد ، وهذا الشهيد ، لقد أصاب أعلى هذه الجنان ، وأعلى هذه الدرجات ، فَنِعْمَ التجارة هي التجارة مع الله تعالى ،ونعم الفوز هو الفوز برضا الله عز وجل ، ونعم الدار هي الجنة ، ونعم الصُحبة هي صحبه محمد ﷺ وصحبه الكرام .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **من آمن بالله وبرسوله ﷺ وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها** . فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشِّر الناس ؟ قال : **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال : وفوقه عرش الرحمن - ومنه تَفَجَّرَ أنهار الجنة** » (٢) .

---

(١) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب درجات المجاهدين في سبيل الله .

(٢) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب درجات المجاهدين في سبيل الله .

فشمِّروا إخوة الإسلام عن ساعد الجد ، وسارعوا إلى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ، فاجعلوا الجنة نُصْبَ أعينكم ، واطلبوا الشهادة بصدق من الله تعالى تُوهب لكم ولو مِتُّم على فراشكم . فإن تصدقوا الله يصدقكم ويثبت أقدامكم ، ويُعز بكم دينه ، ويذل بكم أعداءه ، ويعذب الكافرين بأيديكم . فحيَّ على الجهاد ، حيَّ على الجنات ، حيَّ على حورٍ في الخيام مقصورات.

لماذا سمِّي الشهيد شهيداً :

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -:

اختُلِفَ في سبب تسمية الشهيد شهيداً :-

قال النضر بن شميل : لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة .

قال ابن الأنباري : لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة .

وقيل : لأنه يشهد عند خروج روحه ما أُعِدَ له من كرامة .

وقيل : لأنه يُشهد له بالأمان من النار .

وقيل : لأن عليه شاهداً بكونه شهيداً .

وقيل : لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة .

وقيل : لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل .

وقيل : لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة .

وقيل : لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع .

وقيل : لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه .

وقيل : لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره .

وقيل : لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة .

وقيل : لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا .

وبعض هذه قد يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره وبعضها قد ينازع فيه (١) .

الجهاد وتكفير الخطايا وغفران الذنوب :

لقد أمر الله المؤمنين بالجهاد في سبيله وحثهم عليه ، ورغبهم فيه ، وأجزل العطاء للمجاهدين وللشهداء . جزاء لهم على استجابتهم لنداء الله تعالى قال تعالى : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (٢) .

فجاهد الصحابة رضوان الله عليهم في سبيل الله بإخلاص لله وحب لهذا الدين ، فمكَّن لهم الله في الأرض ، وأعزهم بين الخلق ، وأظهر الحق ، وأزهق الباطل ، وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً .

ولما فترت العزائم عاتبهم الله على ذلك قائلاً : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ (٣) .

فلما عرف هؤلاء الصفوة فضل هذا الجهاد ، ومنزلة هذه الشهادة كانوا مولعين بها وشغوفين بها ، ومتطلعين إليها .

وإليك أخي في الله قصة [**عُمَيْر بن الحُمَام الأنصاري**] **رضي الله عنه** :-

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه

---

(١) انظر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني . كتاب « الجهاد والسير » [٦/ ٥١] .

(٢) التوبة : ٤١ .

(٣) التوبة : ٣٨ .

يوم بدر : « **قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض** » فقال عمير بن الحُمَام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟

قال : « **نعم** » قال : بخٍ بخٍ [١] .

فقال رسول الله ﷺ : « **وما يحملك على قولك بخٍ بخٍ ؟** ».

قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها .

قال : « **فإنك من أهلها** ».

فأخرج تمرات من قرنه [٢] فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، قال : فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل » [٣] .

صَدَقَ الرسول ﷺ : « **قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض** » فإن الشهيد تُغْفَرَ له ذنوبه ، وتُكفَّر عنه خطاياه ، منحة من الله تعالى ومنَّة منه وإكرامًا للشهيد ، ولإخلاصه وحبه لله وللدين . فبشرى لأصحاب الذنوب ومرتكبي الخطايا ، ولمن فرط في جنب الله ، ثم عاد إلى ربه وأناب ، فرصة لغفران الذنوب وتكفير الخطايا ، فرصة للتجارة مع الله تعالى ، فرصة لدخول الجنة من أقرب طريق ، وأحسن وسيلة ، وأكرم منزلة .

يا مَنْ تثاقلت عليك الذنوب، وأعيت كاهلك الخطايا ، يا من تصبو إلى المغفرة ، وتتمنى العفو ، وتأمل السماح ، وتطلب الرحمة ، فهذا باب الجهاد ، ونافذة الشهادة في سبيل الله تفتح لك أبواب الجنة ، وتريح بالك مما قد سقط منك من ذنوب ومعاصٍ وخطايا وآثام . فإليك أخي هذه البشرى المحمدية من رسول الرحمة ، ومعلم الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ .

فعن أبي قتادة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قام فيهم ، فذكر لهم

---

(١) بخٍ بخٍ : كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير .

(٢) قرنه : أي جعبته .

(٣) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب ثبوت الجنة للشهيد .

أن الجهاد في سـبيل الله والإيمـان بالله أفضـل الأعـمال .

فقام رجـل فقـال : يا رسول الله أرأيت : إن قُتلْتُ في سبيل الله تُكَفَّر عني خطاياي ؟ .

فقال له رسول الله ﷺ : « **نعم إن قُتِلْتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر** » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « **كيف قلت ؟** » قال : أرأيت إن قُتِلْتُ في سبيل الله أتُكَفَّر عنِّي خطاياي ؟

فقال رسول الله ﷺ : « **نعم وأنت صابر محتسب مُقبل غير مدبر إلاَّ الدَّيْن فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك** » [(١)] .

وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **يُغْفَرُ للشهيد كل ذنب إلاَّ الدين** » [(٢)] .

وفي رواية أخرى له - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « **القتل في سبيل الله يُكَفِّر كلَّ شيء إلاَّ الدَّيْن** » [(٣)] .

فضل من جهز غازيًا أو خَلَفَهُ بخير :

إن أجر الجهاد في سبيل الله عظيم ، يسعى إليه كل مسلم لبيب ، وكل صاحب همة عالية ، وكل مشتاق إلى الجنة .

ولكن قد يحبس المسلم حابس عن الجهاد في سبيل الله الذي هو أيسر طريق للخير الكثير ، والنعيم الوفير .

فعن البراء - رضي الله عنه - قال : جاء رجل من بني النَّبِيت قَبِيلٍ من الأنصار ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ، ثم تقدم فقاتل

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين .

(٢) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين .

(٣) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين .

حتى قُتِلَ . فقال النبي ﷺ : « **عَمِلَ هذا يَسِيراً وأُجِرَ كثيراً** »[١] .

فالله عز وجل يفتح الباب لكل مسلم مشتاق إلى المشاركة في هذا الجهاد العظيم ، لينال الأجر الوفير والخير الكثير .

فمن مَنَعَهُ مرض أو عجز ، أو عذر ، وأراد أن يشارك في جهاد أعداء الله ، ويُكتب فيمن غزا في سبيل الله تعالى فعليه أن يُجهِّز غازيًا إن استطاع إلى ذلك سبيلاً أو يخلف غازيًا في أهله وماله وسائر شئونه ، فإنه بمنزلة من غزا وهو شريكه في الأجر والثواب عند الله تعالى .

فعن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا** »[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحْيان « **ليخرج من كل رجلين رجل** » ثم قال للقاعد : « **أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج** »[٣] .

قال الإمام النووي - رحمه الله -:

« قوله ﷺ : « **من جهز غازيًا فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا** » أي حصل له أجرٌ بسبب الغزو ، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد ، سواء أكان قليلاً أم كثيرًا ، ولكل خالف له في أهله بخيرٍ من قضاء حاجة لهم ، وإنفاق عليهم ، أو مساعدتهم في أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته .

وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين ،

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب ثبوت الجنة للشهيد .

(٢) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير ، ورواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره .

(٣) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره .

أو قام بأمر من مُهماتهم»[1] .

ولما كان لهذا المجاهد في سبيل الله تعالى من المكانة والقدر ، كان له أيضًا من الحُرمة والحقوق ما ليس لغيره من الناس ، فلقد خرج في سبيل الله تعالى وترك أولاده وزوجاته وجميع أهله في ذمة الله تعالى، وأمانة عند القاعدين من المسلمين ، فالحذر كل الحذر أن يخون أحدٌ هذا المجاهد في أهله. فلقد ارتكب كبيراً وفعل عظيمًا . وتعرَّض لغضب الجبار الذي لا يغفل ولا ينام .

فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حُرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلاّ وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم** »[2] .

وفي رواية أخرى: «**فخذ من حسناته ما شئت**» فالتفت إلينا رسول الله ﷺ، فقال : « **فما ظنكم ؟** »[3] .

وجوب إخلاص النية لله في الجهاد :

إن فضل الجهاد في سبيل الله عظيم ، وإنه لمن أعظم الأعمال التي يعملها العبد ، ويتقرب بها إلى الله تعالى .

فعن سلمان - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جَرَى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأُجري عليه رزقه وأَمِنَ الفتَّان** [4] »[5] .

فهذه العبادة وهي [الجهاد في سبيل الله] تحتاج كغيرها من الأعمال إلى

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم . كتاب « الإمارة » [٥/٣٦] .

(٢ ، ٣) رواهما مسلم كتاب « الإمارة » باب حرمة نساء المجاهدين .

(٤) الفتَّان : المقصود فتنة القبر .

(٥) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل .

النية الصالحة الخالصة لله تعالى . فكل عبادة تفتقر إلى نية ، فإن الله سبحانه وتعالى يأبى أن يكون له شريك في شيء ، فمن كان عمله مشوبًا بالشرك تركه الله وشركه ، فإنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك .

فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنية ، وإنما لأمريء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [(١)] .

فالقتال كثير ، والحروب أكثر ، والقتلى لا يحصون، والصرعى لا يُعَدُّون، ولكن مَنْ فيهم في سبيل الله ، ومَنْ منهم قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ؟

مَنْ أخلص نيته لله تعالى ؟

مَنْ قاتل لإعلاء الدين ؟

مَنْ قاتل دفاعًا عن العقيدة ونشراً للتوحيد ؟

فمنَ الناس مَنْ يقاتل من أجل الأرض ، ومنهم مَنْ يقاتل مِنْ أجل المال، ومنهم مَنْ يقاتل مِنْ أجل العرق والنسب ، ومنهم من يقاتل رياءً وإظهاراً للشجاعة ومنهم .... ومنهم ....

ولكن أيهم في سبيل الله تعالى ؟ ومَنْ منهم المجاهد الحق الذي سيفوز برضا الله تعالى؟؟!! ويجيبنا على هذا السؤال خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ.

فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رجلاً أعرابيًا أتى النبي فقال : يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم [(٢)] ، والرجل يقاتل ليُذْكر [(٣)] ،

---

(١) رواه البخاري كتاب « الإيمان » باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ورواه مسلم كتاب « الإمارة » باب إنما الأعمال بالنية واللفظ لمسلم .

(٢) للمغنم : أي من أجل الحصول على الغنيمة .

(٣) ليذكر : أي ليذكره الناس ويثنوا عليه ويشتهر بالشجاعة (أي للسمعة) .

والرجل يقاتل لِيُرَى مكانه [(١)] ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**من قاتل لتكون كلمة الله أعْلَى فهو في سبيل الله** » [(٢)] .

وجاءت روايات متعددة ومجملها أن الرجل يقاتل بسبب خمسة أشياء [طلب المغنم ، إظهار الشجاعة ، الرياء ، الحمية ، والغضب] .

قال الإمام النووي – رحمه الله -:

« قوله ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة ، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا » [(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

« قوله ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » المراد بكلمة [الله] دعوة الله إلى الإسلام .

ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلاَّ من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط . بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببًا من الأسباب المذكورة أخلَّ بذلك .

ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ضمنًا لا أصلاً ومقصودًا . وبذلك صرح الطبري فقال : إذا كان الباعث هو الأول [أي إعلاء كلمة الله] لا يضره ما عرض له بعد ذلك [من الأسباب المذكورة سابقًا] وبذلك قال الجمهور .

---

(١) ليرى مكانه : أي ينال مكانة عند الناس (أي رياءً) .

(٢) رواه البخاري كتاب « الجهاد والسير » باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، وروواه مسلم كتاب « الإمارة » باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، واللفظ لمسلم .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب الإمارة [٥/ ٤٤] .

قال ابن أبي جمرة : « ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه » (١) .

فيجب على المسلم إخلاص النية لله تعالى في أعماله كلها وخاصة الجهاد في سبيله . فإن العبد يجب عليه أن يعلم أنه يعامل إلهًا خبيرًا بالقلوب ، مُطَّلعًا على النوايا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . قال تعالى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (٢) .

فعليك أيها المسلم إخلاص النية لله تعالى ، واطلب الشهادة في سبيل الله بصدق ، وثق في الله فلن تُحْرَم الأجر ، ولن ترجع صفر اليدين ، فإنك تعامل إلهًا كريمًا جوادًا ، يُعطي على النيات ، ويثيب على الإخلاص . فلو صدقت الله في نيتك وطلبك للشهادة في سبيله وابتغاء مرضاته أعطاك الله أجر الشهيد ولو مِتَّ على فراشك .

فعن سهل بن أبي أمامة بن سهل حُنَيْف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « **من سأل الله الشهادة بصدق بَلَّغَهُ الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه** » (٣) .

***

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني رحمه الله كتاب « الجهاد والسير » [٦/ ٣٤ : ٣٥] .

(٢) الملك : ١٤ .

(٣) رواه مسلم كتاب « الإمارة » باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى .

[الفصل السادس]

﴿حب الأنصار﴾

الفصل السادس
حبُّ الأنصار

إنه ينبغي علينا أن نُربي أبناءنا على حبِّ الأنصار ، ونغرس هذا الحب في صدور هذه الأجيال ، لكي ينشأ هذا النشء على هذه المحبة ، وكيف لا وهم أحباب رسول الله ﷺ ، وهم الذين نصروه وآووه ، وذبوا عنه ، فلقد أمَّنوه حينما خُوَّفه الناس ، واستقبلوه حينما طرده الناس ، ونصروه حينما خذله الناس، ومنعوه حينما أحل دمه أقرب الناس ، فكانوا الساعد القوي ، والصدر الحنون ، والدار الأمان ، والصاحب الكريم .

فاستقبلوا الرسول الكريم ﷺ خير استقبال ، ورحبوا به خير ترحاب ، وأكرموه خير إكرام ، ووضعوا بين يديه أرواحهم ، وأجسادهم ، وأموالهم ، وأولادهم ، وديارهم ، وكل ما يملكون رغم أن النبي ﷺ لم يعطهم شيئًا ، ولم يَعِدْهم بشيءٍ من حُطام الدنيا ، ولقد أعلنها عليهم أنه لا يملك لهم شيئًا إلا وعد الله لهم بالجنة ، إن هم آمنوا وصدقوا الله تعالى ، ونِعْمَ البيع ، ونِعْمَ التجارة ، فإن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله هي [الجنة] .

مَنْ هم الأنصار ؟

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

« [الأنصار] هو جمع ناصر ، كأصحاب وصاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف ، واللام فيه للعهد أي أنصار رسول الله ﷺ ، والمراد الأوس والخزرج ، وكانوا قبل ذلك يُعرفون ببني [قَيْلة] وهي الأم التي تجمع القبيلتين. فسماهم رسول الله ﷺ « الأنصار » فصار ذلك علمًا عليهم . وأُطلق أيضًا على أولادهم وحُلفائهم ومواليهم .

وخُصُّوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومَنْ معه من المهاجرين ، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم .

فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفِرَق الموجودة من عرب وعجم ، والعداوة تجر البغض .

ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسد ، والحسد يجر البغض . فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حُبهم مما جعل ذلك آية الإيمان والنفاق . تنويهًا بعظيم فضلهم وتنبيهًا على كريم فعلهم »[1] .

حُبُّ الأنصار من الإيمان :-

ولما كان لهؤلاء الصفوة [الأنصار] من المكانة والقدر العظيم في الإسلام وعند رسول الله ﷺ . جعل رسول الله ﷺ حُبَّ هؤلاء الأنصار من الإيمان ، بل هو علامة إيمان العبد ، وعلامة حُبِّه للإسلام وللمسلمين ، بل عدَّ الرسول ﷺ من أبغض هؤلاء الأنصار من المنافقين فلابد من إنزال الناس منازلهم ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وكيف لا وقد أثنى عليهم الله عز وجل في كتابه العزيز قائلاً : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

إنهم الصفوة الذين خصَّهم الله تعالى بنزول هذا الدين عليهم ، وشرفهم بأن جعلهم حماة الإسلام ، وحُرَّاس العقيدة ، وائتمنهم على حمل الدعوة وتبليغها للعالمين .

---

(١) انظر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب الإيمان [١/ ٨١] .

(٢) الحشر : ٩ .

فحُق لهم أن يجعل رسول الله ﷺ حبهم من الإيمان وبغضهم من النفاق فرضي الله عنهم وأرضاهم .

روى البخاري - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « **آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار** » [1] .

وروى مسلم - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **آية المنافق بُغض الأنصار ، وآية المؤمن حُبُّ الأنصار** »[2] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يُبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر** » [3] .

وفي رواية أخرى لمسلم أيضًا : عن عدي بن ثابت قال : سمعت البراء يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلاَّ منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله** » [4] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - :

« الآية هي العلامة ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام ، والسعي في إظهار وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام ، وحبهم للنبي ﷺ ، وحبه إياهم ، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه ، وقتالهم ، ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام.

وعرف مِنْ عليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قربه من رسول الله ﷺ، وحُبٍّ النبي ﷺ له ، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه ، ثم أحب الأنصار وعليًّا لهذا ، كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره

---

(١) رواه البخاري كتاب (الإيمان) باب (علامة الإيمان حب الأنصار) .

(٢ ، ٣ ، ٤) رواهم مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضى الله عنهم من الإيمان .

بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ .

ومَنْ أبغضهم كان بضد ذلك ، واستُدل به على نفاقه وفساد سريرته . والله أعلم »[١] .

لماذا حُبُّ الأنصار ؟

قد يقول قائل ويسأل سائل . لماذا كل هذا ؟ ولماذا حب الأنصار بالذات عن غيرهم ؟.

وما دور هذا الحب ؟ ونحن بصدد إعداد النشء وتربية الأجيال .

كل هذه أسئلة قد تأتي على أذهان البعض وغير ذلك من الأسئلة التي تمس هذا الموضوع .

ونحن نلقي الضوء سريعًا على بعض الأسباب التي تجعل لهؤلاء الأنصار من القدر الكبير ، والمنزلة العالية الرفيعة عند الله تعالى وعند الرسول ﷺ ، وعند المؤمنين . ومن هذه الأسباب ما يلي :-

١ - أن الله ذكرهم في قرآنه العظيم مثنيًا عليهم ومادحًا إياهم في أكثر من موضع ، وأخبر أنه قد رضي عنهم . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾[٣] .

٢ - أن النبي ﷺ حث على حبهم وجعل ذلك من (علامات الإيمان)

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم [٢٤٨/١ : ٢٤٩] كتاب الإيمان .

(٢) الفتح : ١٨ .

(٣) الحشر : ٩ .

كما سلف في الحديث « **آية الإيمان حب الأنصار** » [١] .

٣ - أن النبي ﷺ نهى وحذّر من بغض الأنصار وعدَّ من أبغضهم من المنافقين وأن بغضهم آية النفاق . وكما جاء في الحديث « **وآية المنافق بُغض الأنصار** » [٢] .

٤ - أنهم من المؤمنين والمسلم مأمور بحب إخوانه المؤمنين وذلك ضمن المحبة في الله ، ولما لهذه المحبة من موجبات دخول الجنة .

٥ - أنهم هم الذين نصروا النبي ﷺ وأكرموه وفَدَوْه بأموالهم وأنفسهم وبكل ما يملكون ، وهم الذين أحبوا النبي ﷺ حق المحبة وأحبهم الرسول ﷺ، فكيف لا نحب من أحب حبيبنا (محمداً ﷺ) ، وأحبَّهُ الرسول ﷺ .

٦ - هم الذين حملوا لنا هذا الدين ، وبلّغوه عن رسول الله ﷺ ، حتى وصل إلينا صافيًا خاليًا من كل الشوائب . ولقد تحملوا المتاعب والمشاق ، ودفعوا ثمن توصيل هذا الدين ، وهذه الأمانة ، غاليًا فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

دور حب الأنصار في تربية الأجيال :

وجاء دور الرد على التساؤل الذي قد يتبادر إلى الأذهان في إطار التحدث والكتابة عن حب الأنصار ونحن في صدد وضع معالم لتربية الأجيال وإعداد النشء . وهو : « ما دور حب الأنصار في إعداد النشء وتربية الأجيال ؟ » .

ونقول وبالله التوفيق : إن حب الأنصار ليس كحب غيرهم ، وهذا ظاهر لا يخفى في تخصيص الله لهم بالرضوان والثناء عليهم ومدحهم ، وأيضًا لمدى حب الرسول ﷺ لهم وتعين حبهم أنه علامة الإيمان .

(١ ، ٢) حديث رواه البخاري كتاب (الإيمان) باب (علامة الإيمان حب الأنصار) .

فما كان ذلك كذلك إلاَّ لخاصية هؤلاء القوم عن غيرهم . ولابد من أخذ العبر والدروس من هؤلاء الصفوة ومن سيرتهم العطرة ومن أخلاقهم الكريمة، وصفاتهم الحميدة ، وسلوكياتهم القويمة . وغرس هذه الصفات وتلك الأخلاق في نفوس الأجيال والنشء حتى يخرج علينا جيل يُذكِّرنا بهؤلاء الصفوة ويعيد لنا أمجادهم . ومن هذه العبر والدروس :-

١- **حب الكرم والتخلق بخلق الإيثار** كما فعلوا مع المهاجرين رضي الله عنهم جميعًا قال تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [(١)] .

٢ - **حب الرسول ﷺ** وحب الجهاد في سبيل الله تعالى ، وتقديهم أرواحهم رخيصة فداءً للرسول ﷺ وإعلاءً للدين ورفعًا للراية .

روى البخاري - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « شهدت من المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به :-

أتي النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال [(٢)] : « **لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾** [(٣)] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه »[(٤)]. يعني سرَّه قول المقداد - رضي الله عنه - .

٣ - **[الموالاة والمعادة] و [الولاء والبراء]** . وتحقق ذلك في حبهم

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) متحدث بلسان الأنصار رضي الله عنهم .

(٣) المائدة : ٢٤ .

(٤) رواه البخاري كتاب المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ . وانظر « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (٢٤) [٢/٣٨] .

للرسول ﷺ وحبهم للمهاجرين ، وبغضهم لكل الكفار والمشركين من حولهم .

٤ - [**النُصرة**] إن من أهم ما نخرج به من حب الأنصار والاقتداء بهم هو [النصرة] وكيف أنهم ضربوا لنا المثل الأعلى في نصرة المسلم لأخيه المسلم . وكم نحن محتاجون إلى هذه النصرة ، وإلى هذه العقيدة الآن ، فكم من أخ مسلم وأخت مسلمة وشيخ هرم وامرأة عجوز وطفل بريء ، يحتاجون إلى نصرة إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وإلى من يحقن دماءهم ، ويصون أعراضهم ، ويداوي مرضاهم . كم من مسلم ومسلمة لهم حقوق وواجبات علينا كثيرة ، تقاعسنا عن نجدتهم ونصرتهم . وما ذلك إلاَّ لأننا لم نعِ الدرس من الأنصار ، ولم تتشرب قلوبنا حب الأنصار ، ولم نُحب ديننا وإخواننا كما أحب الأنصار هذا الدين وكما أحبوا إخوانهم ، فلابد أن نُعلِّمَ أجيالنا حب الأنصار ، ونربط بين كلمتي [**الأنصار والنصرة**] فمن أراد أن يتأسى بالأنصار فعليه نصرة إخوانه في كل مكان ، فهذا هو الدرس العملي والثمرة الجميلة الحلوة التي تُجنى من حب الأنصار ، وتظهر لنا من تأكيد الرسول ﷺ على حب الأنصار . أنه لابد من التأسي بهم والسير على دربهم لننال رضا ربنا .

* * *

[الفصل السابع]

﴿ ترسيخ عقيدة الولاء والبراء ﴾

الفصل السابع
ترسيخ عقيدة الولاء والبراء

إن [الولاء والبراء] ، و [الموالاة والمعاداة] من أهم ما يجب أن يُرسَّخ في عقيدة المسلم ، وتُربى عليه الأجيال ، ويُغرس في نفوس النشء ، ويُنشَّئون عليه ، ويكون نصب أعينهم ، ويعلمون أنه من أعظم الاعتقادات ، وأفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، لابد لهذه الأجيال أن تضع أقدامها على الطريق الصحيـــح ، وأن تسلك درب عباد الله الصالحين ، وتنتهج نهج النبي ﷺ ، وتعتقد معتقده ، وتتعبد لله تعالى بما شرعه ، ولا تحيد عن شرعه وملته ﷺ .

فتُوالي في الله تعالى ، وتُعادي في الله تعالى . فتوالي [الله ، ودينه ، وشرعه ، وكتابه العزيز ، ونبيه ﷺ ، وسنته المشرَّفة ، وعباد الله الموحدين] .

وتعادي [الكفر ، والشرك ، والإلحاد ، والكفار ، والمشركين ، والملحدين ، وكل محارب ومعادٍ لله ، ولرسوله ، وللدين ، وللقرآن ، وللموحدين] .

فلابد من إحياء هذه العقيدة ، وتجسيدها في سلوكنا ومعاملاتنا وفي تربيتنا للأجيال . حتى يُفصل بين المعسكرين (معسكر التوحيد) و (معسكر الكفر والشرك) ، ولكي تتباين الرايات ، وتتميز راية الإسلام والتوحيد عن غيرها من الرايات ، ويعلم المسلم لمن يتوجه بالولاء والموالاة ولمن يتوجه بالبراء والمعاداة .

خاصة وقد حدث في واقع المسلمين ما يُدْمِي القلب ، ويملأه حسرة

وأسى، من الوقوع في الموالاة والولاء لأعداء الله تعالى . وبصورة بشعة مقلقة وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والدول وفي مجالات مختلفة ، وميادين متعددة ، مما يجرح عقيدة الكثير من المسلمين ، بل مما يُخْرِج كثيراً منهم من [دائرة الإسلام] ، ويوقعه في [دائرة الكفر] بسبب الولاء لأعداء الله من الكفرة والمشركين والملحدين .

فإن (الولاء) مظهر من مظاهر إخلاص المحبة لله تعالى ولدينه ولرسوله ﷺ وعباده الموحدين .

و(البراء) : مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله ، والمعاداة لكل من حاد عن الطريق ، وانزلقت قدماه في هاوية الشرك والضلال .

لمن يُصرف الولاء :

إن المسلم وهو ينشد مرضاة الله تعالى يجب عليه معرفة مَنْ الذين يجب عليه ولاؤهم وموالاتهم ، مَنْ هم الذين يجب أن يُصرف لهم الحب ، ويتوجه إليهم بالمحبة ، حتى ينال رضى الله تعالى .

ولقد حدد لنا الله تعالى معالم هذا الولاء في كتابه العزيز حيث قال جل شأنه : **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾**[1] .

فيبين لنا الله تعالى في هذين الآيتين لمن يكون التوجه بالولاء ، وأن ولاية المؤمن راجعة لله تعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين . وليس فيها حظ للكفار ولا المشركين .

---

(١) المائدة : ٥٥ ، ٥٦ .

قال ابن كثير – رحمه الله –:

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١) . أي ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٢) . أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين. . . . .

إلى أن قال – رحمه الله – : فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة » (٢) .

فيجب على المسلم أن يصرف ولاءه [لله تعالى ، ولدينه الحنيف ، ولكتاب الله الكريم ، ولرسوله الشريف ﷺ ، ولسنته المطهرة ، وللمؤمنين] .

١ – لله تعالى .

٢ – لدين الله [الإسلام] .

٣ – لكتاب الله الكريم [القرآن الكريم] .

٤ – لرسوله الشريف ﷺ [محمد بن عبد الله ﷺ] .

٥ – لسُنَّة النبي ﷺ المطهرة .

٦ – لعامة المؤمنين .

وبين لنا الله تعالى مدى ولاء المؤمنين لله تعالى مجسدًا في حُبهم له أشد الحب . فإن حبهم يفوق أي حب ، حتى أنه أشد من حب الكفار لآلهتهم

---

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (٥٥ : ٥٦) [٢/٦٨ : ٦٩] .

ومعبوداتهم . قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [(١)] .

وننتقل من ولاء المؤمنين لله تعالى وشدة حُبهم لله تعالى ، إلى ولاء المؤمنين للرسول ﷺ وذلك عن طريق بيان مدى حبهم لهذا الرسول الكريم ﷺ. وكيف أن حبه ﷺ وَقَرَ في قلوبهم ، وَسكَن في أفئدتهم ، وخالط أحاسيسهم ، وأصبح كل شعورهم ، فكل نبضة فيهم تعلن عن ولائها للرسول ﷺ وحُب المسلم له ، ففداؤه الروح ، والأم والأب ، وكل غالٍ ، ويبين لنا الرسول الكريم ﷺ أن هذا الحب هو من حقيقة الإيمان ، ونفي الإيمان عمن لم يحقق هذا الحب له ﷺ حيث قال : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين** » [(٢)] .

ولذلك حذَّر الله تعالى وهدَّد كل مَنْ كان حبُّ المال والولد والأهل ، والتجارة ، والعشيرة والآباء والأمهات . . . . أحبَّ إليه من حُبِّ الله تعالى وحبِّ رسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله عز وجل [الذي هو من الولاء لدين الله بنشره والدفاع عنه] .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [(٣)] .

---

(١) البقرة : ١٦٥ .

(٢) رواه مسلم كتاب (الإيمان)باب (وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) .

(٣) التوبة : ٢٤ .

قال ابن كثير – رحمه الله –:

« أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ **أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا** ﴾ أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم »[١].

وقال مجاهد والحسن – رحمهما الله تعالى – « بعقوبة آجلة أو عاجلة»[٢].

وقال العلامة الزمخشري – رحمه الله – في تفسيره : « وهذه آية لا ترى أشدَّ منها »[٣].

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله في تفسيره : « وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك وأن ذلك مقدَّم على كل محبوب »[٤].

مِمَنْ يكون البراء ؟

لابد وأن يعرف كل مسلم وكل ناشيء مَنْ هم الذين يجب عليه البراء منهم، ومن هم الذين يجب أن يتوجه إليهم بالبغض والكراهية ، ومن هم الذين يجب أن تكون بيننا وبينهم العداوة .

فإنه يجب على المسلم أن يبغض ويكره ويُظهر العداوة لكل مَنْ كفر بالله تعالى وبدينه وبرسوله ﷺ أو بأحدهم ، أو حارب كتاب الله وشرعه الحنيف ، أو أراد النيل منه ، أو . . . . من الكافرين والمشركين، والملحدين ،

(١) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة التوبة آية (٢٤) [٢/ ٣٣٠] .
(٢) انظر تفسير القرطبي [٨/ ٩٥: ٩٦] .
(٣) انظر تفسير الكشاف [٢/ ١٨١] .
(٤) انظر تفسير القرطبي [٨/ ٩٥] .

والمنافقين . غَيْرة على التوحيد ، وعلى دين الله تعالى وحبًا للنبي ﷺ ولسنته المطهرة ، ونصرة للمؤمنين .

قال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [١] .

فدلت الآية الكريمة على عدم محبة ومودة كل من حاد الله تعالى ورسوله ﷺ ، بل وأوجبت بُغض هؤلاء وإظهار العداوة والبغضاء لهم ، موالاة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وبراءة منهم ومن كفرهم ، ومِنْ تجرُوئهم على الله تعالى وعلى دينه وعلى رسوله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

« أخبر الله أنك لا تجد مؤمنًا يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينافي أحد الضدين الآخر ، فإذا وُجِدَ الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله . فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب » [٢] .

وها هو إمام الحنفاء ، إبراهيم عليه السلام يُلقِّننا الدرس ، ويُنير لنا الطريق، ويحدِّد لنا المنهج ، ويوضح لنا معالم الطريق ، وكيف يكون البراء ، وممن يكون قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [٣]. فبيّن إمام الحنفاء (إبراهيم عليه السلام) أنه يجب البراء من الشرك ومِنْ كل ما يُعبد من دون الله تعالى . وأنه ليس له إله إلاَّ الله تعالى ، ولن يتوجه بالعبادة إلاَّ لله الذي

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (١٣) .

(٣) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ .

فطره، فإنه أحق بالعبادة ، إذ كيف يَخْلُق الله تعالى ويُعْبَدُ غيره ؟!!!

ويتوجه إبراهيم عليه السلام مرة أخرى للبراء من الشرك ومن المشركين أيضًا على اختلافهم واختلاف شركهم ، ويأتي التوجيه الإلهي لأخذ هذه العقيدة والأسوة من هذا الرسول الكريم ، ومن الذين آمنوا معه . حيث ضربوا أروع الأمثله ، وأعلى المقامات في البراء من الشرك والمشركين ، وإظهار البُغض والعداوة والشحناء للمشركين والكفر بهم وبما يعبدون من دون الله تعالى ، رافعين شعار التوحيد والحب لله وللرسول ﷺ ولدين الله ، وللمؤمنين .

قال تعالى : ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ (١) .

فيجب علينا غرس هذه العقيدة ، وزرع هذا البغض ، وتلك العداوة في قلوب الأجيال وفي عقيدة النشء ، للشرك والمشركين ، وللكفر وللكافرين ، حتى يستقيم لهم الطريق ، وتصح عقيدتهم ، ويسلم توحيدهم ، ويكونوا من أتباع نبيهم محمد ﷺ .

* * *

---

(١) الممتحنة : ٤ .

[الفصل الثامن]

﴿ التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

الفصل الثامن
التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن تربية النشء ، وإعداد الأجيال ، لابد وأن تكون على أرض صلبة ، وأن تكون فيها قوة في الدين ، وحب للطاعة ، وأهل الطاعة ، وبغض للمعصية وأهل المعصية ، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويحبون كل من أطاع الله ، ويبغضون كل من عصى الله ، وأن يتشرب حُبُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلوبهم ، طاعة لله تعالى ، وحبًا للدين ، وبُغضًا للمعصية .

ولتعلم كل الأجيال أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة ، لابد وأن تصرف لله تعالى ، وأن يُقصَد بها وجه الله تعالى . حتى لا يَدُبَّ فيها الشرك فيُحْبِطُها ، وحتى لا يخالطها الرياء فيحرُم صاحبها من الأجر ، ولقد أمر عبد الله الصالح (لقمان) ابنه بالصلاة التي هي من أهم العبادات التي فرضت على المسلم . وبعدها أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إشارة منه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة أيضًا يجب صرفها لله تعالى . وهي واجبة على المسلم . قال تعالى على لسان لقمان : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ (١) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو خلاصة عمل الأنبياء والمرسلين ، بل هو لُب وظيفتهم ، فما بعث الله الأنبياء والمرسلين إلاَّ ليأمروا الناس بالمعروف وينهوهم عن المنكر .

وقمة الأمر بالمعروف هي توحيد الله وعبادته ، وقمة النهي عن المنكر هي النهي عن الشرك وعبادة غير الله تعالى . وهذه هي خلاصة ولُب دعوة الرسل ،

---

(١) لقمان : ١٧ .

بل من أجْلها خلق الله الجن والإنس قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز مبينًا أن هذه القضية ، وهذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس من أجلها [وهي توحيده تعالى وعبادته ، وترك الشرك] أنها هي دعوة كل رسول وهمٌّ كل نبي . التي هي عبارة عن أمر بمعروف ونهي عن منكر . فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

أمرٌ بمعروف : « اعبدوا الله » ، « فاعبدون » .

نهيٌ عن منكر : « واجتنبوا الطاغوت » ، « لا إله إلاَّ أنا » .

فلابد أن تعرف الأجيال ، ويُوضح الأمر لكل النشء ، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مهنة كل رسول ، وهو وظيفة كل نبي . فمن أراد أن يعمل بعمل الأنبياء والمرسلين ، ومن أراد أن يمتهن مهنتم ، ويسير على دربهم، ويُحشر معهم فليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر .

ولكن لا ينس كل داعية ، وكل آمرٍ بالمعروف وناه عن المنكر أن يصطحب معه الإخلاص ، حتى تقبل أعماله ، ويؤجر على أفعاله ، وحتى لا يضيع عمله، ويذهب مجهوده هباءً منثورًا . فلقد أنزل الله على نبيه محمد ﷺ في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ (٤) .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) النحل : ٣٦ .

(٣) الأنبياء : ٢٥ .

(٤) الزمر : ١١ .

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ينبغي لنا ونحن نُرَغّب أبناءنا ، ونُعدَّ أجيالنا ، ونُربي نشئنا على عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن نوضح لهم ونُعَرِّفهم أن هذه العبادة ليست نافلة، ولا من ضمن التطوعات التي يتطوع بها المسلم ويتنفل بها ، بل لابد وأن نعلِّمهم حكم هذه العبادة . وأنها واجبة ، وأن الله أمرنا بها ، وأمر بها الرسول ﷺ ، وأجمع على وجوبها السلف الصالح بل والخلف من أهل السنة والجماعة، بل هو إجماع من كل الأمة على وجوب هذه العبادة .

قال الله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله-:

« يقول الله تعالى . ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان الهاشمي ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب**

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

لكم»[١] .

ونرى أيضًا هذا الوجوب في سنة النبي ﷺ ، حيث أمر أمته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وحذَّر من تركه كما في الحديث السابق . وذلك بأن ترك هذا الواجب سبب في نزول العقاب من السماء . وعدم قبول الدعاء ورده على أصحابه . لأنهم تخاذلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويؤكد النبي ﷺ وجوب هذه العبادة ومراتبها حيث قال ﷺ في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[٢] .

قال الإمام النووي – رحمه الله –:

« وأما قوله ﷺ « فليغيره » فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة . وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة . وهو أيضًا من النصيحة التي هي الدين .

ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ، ولا يُعتد بخلافهم كما قال الإمام [أبو المعالي إمام الحرمين] : لا يكترث بخلافهم في هذا الدين ، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ[٣] هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة»[٤] .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : رواه الترمذي ، وابن ماجة من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي : حسن . انظر « تفسير ابن كثير » لسورة آل عمران آية (١٠٤) [١/ ٣٦٨] .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٣) ينبغ : يعني يظهر .

(٤) شرح النووي – رحمه الله – لصحيح مسلم : كتاب الإيمان [١/ ٢١٧] .

إزالة شبهة :-

ولكن قد تأتي شبهة على ذهن البعض حينما يَمُرُّ بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[١] .

ويظن أن هذه الآية تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن كل مسلم عليه بخاصة نفسه ولا يلتفت لغيره ، وهذا غلط واضح ، واستدلال فاسد ، وذلك لعموم الأدلة من القرآن والسنة وإجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين :

« وأما قوله عز وجل : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فليس مخالفًا لما ذكرناه [٢] لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كُلِّفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [٣] .

وإذا كان كذلك فمهما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عُتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول . والله أعلم » [٤] .

وقال سعيد بن المسيب – رحمه الله –:

«إذا أمَرْتَ بالمعروف ونَهَيْتَ عن المنكر فلا يضرك من ضل إذا اهتديت»[٥] .

---

(١) المائدة : ١٠٥ .

(٢) ذكرناه : أي من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٣) فاطر : ١٨ .

(٤) « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب الإيمان [١/٢١٧] .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (١٠٥) [٢/١٠٤، ١٠٦] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

« أي فيجاري كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إذا كان ذلك ممكنًا .

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير يعني ابن معاوية ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، حدثنا قيس قال : قام [أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه** » قال : وسمعت أبا بكر يقول : يا أيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان » [(١)] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات الإيمان :

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مجرد عبادة يؤديها المسلم ، وليس واجبًا من الواجبات يقوم به المسلم فحسب . بل عدَّ النبي ﷺ ذلك من علامات الإيمان . فكلما كان المسلم عنده قوة في إيمانه كلما صدع بكلمة الحق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، في غير خوف ولا خور ، ولا تردد ، ولا توانٍ ، فالمسلم والمؤمن القوي لا يخشى في الله لومة لائم .

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « **ما من**

(١) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (١٠٥) [٢/ ١٠٤، ١٠٦] وقال الحافظ ابن كثير وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في « صحيحه » وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعًا . ومنهم من رواه عنه به موقوفًا على الصديق . وقد رجَّح رفعه الدارقطني وغيره .

نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (١) .

فانظر أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر كيف أثبت الرسول ﷺ الإيمان لكل مَنْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحاول تغييره بيده أو بلسانه أو بقلبه فكل حسب استطاعته .

وفي نفس الوقت ينفي النبي ﷺ الإيمان عن الذي فترت عزائمه ، وتبلَّد حسُّه ، ولم يَغِرْ على دين الله ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فإنه ليس عنده من الإيمان أقل شيء ولو مقدار حبة خردل .

صفة التغيير ومراتبه :-

إن من سمات هذا الدين الحنيف عدم تكليف المسلم ما لا يطيق ، ومن مبادىء هذه الشريعة الغراء رفع الحرج عن المسلم . قال تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (٣) .

ولذلك قسَّم الرسول ﷺ الإنكار والتغيير إلى ثلاث مراتب وهي :-

١ - التغيير باليد .

٢ - التغيير باللسان .

٣ - التغيير بالقلب .

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) الحج : ٧٨ .

وذلك كما جاء في الحديث الشريف : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » [(١)] .

قال القاضي عياض - رحمه الله - :

« هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به ، قولاً كان أو فعلاً ، فيُكسِّر آلات الباطل، ويُريق المسكر بنفسه ، أو يأمر من يفعله ، وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه ، أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل ، وبذي العزة الظالم المخوف شره ، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله .

كما يُستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى .

ويغلظ على المتمادي في غيه ، والمسرف في بطالته ، إذا أَمِنَ أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غَيَّره ، لكون جانبه محميًا من سطوة الظالم ، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه ، من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده ، اقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف ، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غيَّر بقلبه ، وكان في سعة ، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى.

وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب ، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره ، أو يقتصر على تغييره بقلبه ، هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافًا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى » [(٢)] .

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

(٢) انظر « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب الإيمان [١/٢١٩: ٢٢٠] .

الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وينبغي لكل مُربٍ ولكل من تصدى لإعداد النشء أن يحثهم على الرفق واللين بصفة عامة مع إخوانهم المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليكن هذا هو دءبهم ، وهذه هي صفتهم ، وأن يكون اللين والرفق هو أول الدواء وأوسطه ، ولا تستعمل الشدة إلاَّ إذا نفدت المحاولات وسُلِكت جميع الطرق ، واستعملت جميع الوسائل من اللين والرفق ، أو كان المنكر يستوجب الشدة ، ويتحتم فيه الغلظة والأخذ على الأيدي .

فلقد كان النبي ﷺ مثالاً يحتذى في اللين والرفق بالمسلمين ، وما خُيِّر ﷺ بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم تنتهك حرمات الله تعالى ، فما دخل اللين في شيء إلاَّ زانه وما نزع من شيء إلا شانه .

فعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير** » [(١)] .

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال : « **يا عائشة إن الله رفيق يُحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه** » [(٢)] .

وعنها أيضًا – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه ، ولا ينزع من شيء إلاَّ شانه** » [(٣)] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – :

ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب .

(١ ، ٢ ، ٣) رواهم مسلم كتاب « البر والصلة والآداب » باب فضل الرفق .

فقد قال [الإمام الشافعي - رضي الله عنه -] : - من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ، ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب ما إذا رأى إنسانًا يبيع متاعًا معيبًا أو نحوه فإنهم لا ينكرون ذلك، ولا يعرِّفون المشتري بعيبه ، وهذا خطأ ظاهر ، وقد نص العلماء - رحمهم الله - على أنه يجب على من عَلِمَ ذلك أن ينكر على البائع . وأن يُعْلِمَ المشتري به »[1] .

فانظر يا أخي كيف يوضح الإمام الشافعي والإمام النووي والعلماء- رحمهم الله - أنه ينبغي التحلي بالرفق واللين ولكن مع ذلك لم يمنع ذلك من إنكار المنكر ، وتغييره باليد واللسان ، وإن أدى ذلك إلى التشهير بالشيء وبصاحبه كما سلف الذكر .

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في اللعن :-

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة فَرَضَها الله على الأمة الإسلامية ، فوجب عليها القيام بها ، وحذَّر الله تعالى من ترك هذه الفريضة ، التي هي حقيقة من حقائق [الولاء والبراء] .

وقصَّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأمم السابقة وما حدث لهم لما تخلوا عن هذه الفريضة ، وتركوا هذه الفضيلة ، فأنزل الله عليهم عقابه وحل بهم سخطه ، بل وجعل منهم القردة والخنازير ، ولعنهم إلى يوم الدين ، وذلك على لسان أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[2] .

---

(١) « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب (الإيمان) باب (وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

(٢) المائدة : ٧٨ ، ٨٠ .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يَلْقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودَعْ ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ﴾ إلى قوله : ﴿فاسقون﴾. ثم قال: « كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ، ولتأخُذُنَّ على يد الظالم ولتأطُرنَّه على الحق أطراً أو تقصُرنَّه على الحق قصراً»][1] .

فانظر أيها المسلم لحال بني إسرائيل وكيف أنهم استحقوا اللعن ، وحلَّ بهم العذاب ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وكانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، رغم أن بعضهم قام وأنكر المنكر على أصحابه ولكنه لم يأخذ دينه بقوة وصلابة وغَيْرة ورجولة ، بل جالس وآكل وشارب أصحاب المنكر رغم إنكاره لهذا المنكر من قبل ، فحلَّ بهم ما حلَّ ، ووقع عليهم من اللعن ما وقع . . . .

والآن نسأل أنفسنا ونحن نرى المنكر في أغلب الأماكن ، وفي معظم الأوقات ، ولا نرى مِنْ مُنْكِر ، ولا نرى مِنْ غيور على دين الله تعالى ، ولا نرى من يأخذ الدين بقوة (إلاَّ من رحم ربي ، وقليل ما هم) ألا نخشى عقاب الله؟!!! ألا نحذر من لعنة الله ؟!!!

قال تعالى لنبيه يحيى عليه السلام : ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾[2] . أي بجد وحرص واجتهاد[3] .

وقال تعالى : ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ** ﴾[4] .

فإن الدين لا يَعْرِفُ الميوعة ولا الخنوثة ، بل إن الدين يُربِّي رجالاً على

---

(١) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (٧٨ : ٨٠) [٢/٧٩: ٨٠] .

(٢) مريم : ١٢ .

(٣) « تفسير ابن كثير » لسورة مريم آية (١٢) [٣/١٠٩] .

(٤) البقرة : ٩٣ .

العزة والإباء ، وعلى الرجولة والغَيْرة وعلى الذب عن كل ما يخص الدين ، أو يتصل بالعقيدة ، أو يَمَس التوحيد .

فلنحذر أن يُصيبنا مثل ما أصاب بني إسرائيل ، بل ربما يكون الأمر أشد وخاصة وأن الكثير يرى المنكر ولا يُنْكره لا في البداية ، ولا في النهاية ، ولا حتى بقلبه فليحذر الجميع فإن غضب الله إذا حلَّ فسيعم وستكون الهالكة .

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [١] .

قال ابن كثير – رحمه الله –:

«يُحذِّر تعالى عباده المؤمنين ﴿فتنة﴾ أي اختباراً ومحنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا مَنْ باشر الذنب بل يعمها ما لم تدفع وترفع.

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – :

«أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب»[٢] .

فالحذر الحذر يا أمة الإسلام أن يوجد المنكر بينكم ، والطامة الكبرى أن لا يوجد مَنْ ينكره . الحذر يا خير أمة أُخرجت للناس بما كنتم تأمرون به من معروف ، وبما كنتم تنهون عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [٣] .

النهي عن المنكر سبب في النجاة :

لابد ونحن نعدُّ الأجيال ونربي النشء على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأثناء ترسيخ هذه الفريضة في قلوبهم ، وغرسها في عقيدتهم ، لابد وأن نعلِّمهم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فضلاً عن كونه فرضًا ،

---

(١) الأنفال : ٢٥ .

(٢) « تفسير ابن كثير » لسورة الأنفال آية (٢٥) [٢/٢٢٨] .

(٣) آل عمران : ١١٠ .

وأن المسلم يتعبد لله بالقيام بهذه الفريضة ، لابد وأن يعرفوا أن هذا الأمر وذاك النهي فيه نجاة المسلم ، نجاته من انتقام ربه وسخطه في الحياة الدنيا ، ونجاته من عذاب ربه يوم القيامة ، وخاصة النهي عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ** ﴾[(1)] .

فكان نهيهم عن المنكر سببًا في نجاتهم من العذاب ، وفيه تبرئة للذمة [وإظهار للبراء] من أصحاب المعاصي ، وفيه أيضًا إعلان [للولاء لله ولدينه] فما دفعهم إلى الإنكار إلاَّ ولاؤهم لله تعالى ، وحُبهم لهذا الدين الذي يأمر بكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة .

أما أصحاب الذنوب والمعاصي وأصحاب المنكر ، ومن وافقهم ، ومَنْ لم ينكر عليهم فما كان لهم إلاَّ العذاب والخسران المبين ، خسارة الدنيا ، وخسارة الآخرة، وما كان لهم من دون الله من ناصرين .

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾[(2)] .

فحريٌ بأمة الإسلام أن تكون أمة آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، أمة تصلح في الأرض وتدعو إلى الإصلاح ، أمة تجتنب المنكر ، وتنهى عنه ، أمة تصلح ولا تفسد ، أمة تهدي ولا تضل ، أمة تدعو للحق وتنهى عن الباطل ، أمة تنير الطريق لكل ضال ، وتوضح السبيل لكل حائر ، أمة خيرٍ ورحمة ، لا أمة عذاب وشقاء ، فهيا يا شباب الإسلام ويا جيل الصحوة الإسلامية المباركة، أعيدوا لنا مجد سلفنا ، وجسِّدوا لنا الإسلام في واقع الحياة ، لتعود لنا وللأمة الإسلامية المكانة التي يجب أن نكون فيها ، والصدارة التي نحن جديرون بها بإذن ربنا . وما ذلك على الله ببعيد والأمل في الله عز وجل كبير والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) الأعراف : ١٦٥ .

(٢) الأعراف : ١٦٥ : ١٦٦ .

[الفصل التاسع]

﴿ التحلي بمكارم الأخلاق ﴾

١ - بر الوالدين

٢ - صلة الرحم

٣ - الصدق وتجنب الكذب

٤ - الرفق

٥ - الحلم وعدم الغضب

٦ - التواضع وعدم الكبر

٧ - الحياء

الفصل التاسع
التحلي بمكارم الأخلاق

ينبغي لنا ونحن في هذا الإعداد لهذا النشء ، وفي إطار تنشئة الأجيال المسلمة ، التي نأمل من الله تعالى أن تكون هذه الأجيال النواة الأساسية ، والذخيرة الحقيقية ، لبناء هذا المجتمع المسلم ، وإعادة تلك الخلافة المفقودة والمنشـودة ، على أساس من التقوى ، منهجها كتاب الله تعالى ، وقدوتها النبي ﷺ ، يعلوها الأمن والأمان ، وترفرف عليها العزة والكرامة ، وتجمعها الألفة والمحبة ، وتهيمن عليها الرأفة والرحمة ، ويتغلغل فيها حب الجهاد ، وتتحلى بالإيثار ، هدفها الإصلاح ، غايتها الجنة .

هذه الأجيال وهذا النشء الذي سيعيد إن شاء الله تعالى هذه الخلافة الإسلامية ، وهذه الدولة الإسلامية المنتظرة ، لا بد وأن يُنشَّأ على مكارم الأخلاق ، فإنها القاعدة ، ومن أهم الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الأولى ، التي كانت مِفْتاح الخير ، وقنديل النور والهدى للبشرية جمعاء .

ومكارم الأخلاق كثيرة وعديدة ونحن هنا إن شاء الله تعالى نلقي الضوء إلقاءً سريعًا على بعض هذه المكارم ، عسى الله عز وجل أن ينفع بها وتكون لبنة في هذا البناء المنشود ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يكتب لي الأجر والمثوبة .

ومن هذه المكارم التي ينبغي أن تنشأ عليها الأجْيال ما يلي :-

١ - بر الوالدين :-

يجب على كل مسلم وكل ناشيء أن يعلم أن بر الوالدين أعلى مكارم الأخلاق ومن أوجب العبادات على المسلم بعد توحيد الله تعالى . فلقد قرن الله تعالى بر الوالدين والإحسان إليهما بعبادته سبحانه وتعالى . وهذا في أكثر من

موضع في القرآن الكريم ، وفي ذلك إشارة – والله أعلم بمراده – إلى عظم حق الوالدين وحقهما على المرء . وأنهما أولى الناس ببرِّ المرء وإحسانه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (١) .

ويؤكد الله تعالى هذا الواجب ويحتم هذا الفرض في مواضع أخرى في كتابه العزيز بعد الأمر بعبادته والنهي عن الشرك به سبحانه وتعالى مبينًا ومشيراً إلى العلاقة الوطيدة بين التوحيد وبر الوالدين والتلازم بينهما .

قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٢) .

● علاقة التوحيد ببرِّ الوالدين :

نَعَم إن العلاقة وطيدة ومتلازمة بين توحيد العبد لربه ، وبرِّه بوالديه ، ولا عجب ولا غرابة ، فإن العبد يعبد ربه الذي خلقه وأوجده في هذا الكون. فكان حقًا لهذا الخالق الذي أوجده أن يُعبد ويُوحَّد .

قال تعالى : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (٣) .

فالذي خلق هو الأحق بالأمر والنهي والعبادة والتوحيد . فهو حق لله تعالى على عبده ، ومن باب العدل ، ولذلك عد الله تعالى الشرك ظلمًا بل جعله ظلمًا عظيمًا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

فكما أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد هذا الإنسان وله حق العبادة والتوحيد على عبده ، فكذلك الوالدن هما السبب المباشر في إيجاد هذا الإنسان في هذا الكون فكان لهما حق البر من الأبناء والإحسان وذلك من باب الاعتراف

---

(١) البقرة : ٨٣ .

(٢) النساء : ٣٦ .

(٣) الأعراف : ٥٤ .

(٤) لقمان : ١٣ .

بالجميل وهما أولى الناس بالأبناء [بعد النبي ﷺ] (١) ولهما أعظم الحق عليهم - بعد الله تعالى - قال الله تعالى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(٢) .

فلمـا كانت العبادة والتوحيد حقًا لله تعالى لأنه الخالق والمُوجِد لهذا الإنسان ، كان للوالدين حق البر والإحسان لأنهما السبب المباشر لوجود هذا الإنسان . قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (٤) .

ومن هذا الباب - والله أعلم بمراده - جاء قرن عبادة الله وعدم الشرك به - بالإحسان إلى الوالدين وبرهما . والله تعالى أعلى وأعلم .

● **قال ابن كثير - رحمه الله -:** «يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له . فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات(٥) والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته . . . . ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العـدم إلى الوجود . وكثيرًا ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين » (٦) .

● **أما السنَّة المطهرة :**

فيحثنا النبي ﷺ أيضًا على البرِّ بالوالدين والإحسان إليهما ، بل عدَّ النبي ﷺ برَّ الوالدين من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، وأنهما أحق الناس

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ الأحزاب : ٦ .
(٢) لقمان : ١٤ .
(٣) الأحقاف : ١٥ .
(٤) العنكبوت : ٨ .
(٥) الآنات : جمع آن وهو الوقت والزمن .
(٦) انظر « تفسير ابن كثير » لسورة النساء آية (٣٦) [١/٤٦٨] .

بحسن الصحبة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : «**أمك**» .

قال ثم مَنْ ؟

قال : « **ثم أمك** » .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : « **ثم أمك** » .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : « **ثم أبوك** » [(١)] .

بل وصل برُّ الوالدين والإحسان إليهما إلى أعلى من مرتبة الجهاد في سبيل الله تعالى وأنه آكد من الجهاد في سبيل الله تعالى .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال : « **أحيٌّ والداك ؟** » قال : نعم ، قال : «**ففيهما فجاهد**» [(٢)] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : «هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين الجهاد» [(٣)] (أي يصبح فرض عين) .

فيجب أن تُربى الأجيال على برِّ الوالدين . وليعلموا أن برَّ الوالدين من أفضل العبادات وأحبهما إلى الله تعالى ، وأنها أيضًا من مكارم الأخلاق ، ومن باب حفظ الجميل ، ومن باب الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم ، وأعطاء كل ذي حق حقه .

فمن لا يعرف لوالديه فضلهم ويحاول ردَّ بعض جميلهم ومقابلة معروفهم

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

(٢) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب « البر والصلة » باب : بر الوالدين [٦/ ٨١] .

بالمعروف . فإنه على خطر عظيم ويوشك ألاَّ يعترف بحق الله عليه ، وأصبح على مقربة من التقصير في عبادة الله ولعله قد يُخْدَشُ توحيده ، وذلك لأنه اعتاد ألاَّ يُعطي كل ذي حق حقه ، وحق الله على العباد عبادته وحده ولا يشركوا به شيئًا كما جاء في الحديث الصحيح .

فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد** » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « **أن يُعْبَدَ الله ولا يُشْرِكُ به شيءٌ** » . قال : « **أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك** » . فقال : الله ورسوله أعلم قال : « **أن لا يعذبهم** » [(١)] .

٢ - صلة الرحم :-

إن البرَّ بالوالدين عظيم ، وله عند الله تعالى المكانة العالية ، ولذلك يمتد هذا البرُّ بالوالدين والإحسان إليهما إلى أقاربهما ، أصولهما وفروعهما ، وكل من يتصل بهما بقرابة وهي [الرحم] فإن صلة الرحم هي امتداد وفرع من برِّ الوالدين .

ولقد أوصى الله سبحانه وتعالى بصلة هذه الرحم والإحسان إليهم تقربًا إليه سبحانه وتعالى ، وعبادة له ، ثم برًّا بالوالدين وحفظًا لحقهما وإكرامًا لهما .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة . قال : نعم أما تَرْضَيْن أن أصل من وصلك ، وأقطع مَنْ قطعك ؟ قالت: بلى . قال : فذاك لك ثم قال رسول الله ﷺ : اقرؤوا إن شئتم - ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [(٢)] ؟ » [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (حق الله على العباد وحق العباد على الله) .

(٢) محمد : ٢٢ : ٢٤ .

(٣) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب صلة الرحم وتحريم قطعها .

فانظر فكيف تكفَّل الله تعالى للرحم بأن يصل من وصلها ، وأن يقطع من قطعها ، وكيف قرن سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بين الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم .

ثم رتب سبحانه وتعالى على هذه الأعمال أن أصحابها لعنهم الله . بل وأصمهم وأعمى أبصارهم فهل بعد ذلك يُقْدم عاقل يخاف ربه ويرجو الآخرة ، على قطيعة رحمه ؟!!!

صلة الرحم وبسط الرزق وطول الأجل :

إن صلة الرحم عبادة يتقرب بها العبد لربه ، ويرجو منه عليها الأجر والمثوبة ، ولهذه العبادة [صلة الرحم] من الفضل العظيم ، والأجر الوفير في الدنيا والآخرة . ففي الآخرة أجرها عظيم ، ومقامها عال .

أما في الدنيا فمِنَ المنِّ والعطاء من الله تعالى على عباده أنه سبحانه يكافيء العبد المسلم الواصل رحمه بزيادة رزقه والبسط فيه والبركة في كل ما حلَّ في يده، وأيضًا الزيادة في عمره ، سواء كانت زيادة فعليه في عدد السنين والأيام أم أن الزيادة في ذكره بالسيرة الحسنة بعد موته . كأنها حياة أخرى له .

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : **« مَنْ أحبَّ أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه »** [(١)] .

وفي الرواية الأخرى لمسلم أيضًا **« مَنْ سرَّه »** [(٢)] بدلاً من **« من أحب »**.

بل إن النبي ﷺ يُحذِّر ويُهدد من يتجرأ على قطيعة الرحم ، وذلك بأن هذه المعصية ، وتلك الكبيرة قد تكون سببًا في حجب المسلم عن دخول الجنة .

كما جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ أنه قال : **« لا يدخل الجنة قاطع رحم »** [(٣)] .

(١ ، ٢ ، ٣) رواهم مسلم كتاب « البر والصلة » باب صلة الرحم وتحريم قطعها .

٣ - الصدق وتجنب الكذب :-

إن من أعظم مكارم الأخلاق التي يجب أن يُربى عليه النشء وتُزوَّد به الأجيال ، هو الصدق وتجنب الكذب ، فإن الصدق من أعظم ما يتحلى به الإنسان وخاصة المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً .

والصدق من أهم الصفات التي يتحلى بها الأنبياء والمرسلون . ولقد لُقِّب النبي ﷺ قبل بعثته الشريفة [بالصادق الأمين] وكانت هذه الصفات من أهم مؤهلات النبي ﷺ لتحمل الأمانة التي ستلقى على عاتقه ﷺ .

والصدق وتجنب الكذب من الأشياء التي يُرفع بها العبد عند ربه ، ويكتسب بها العبد احترام وتقدير كل مَنْ حوله . ويوضع له القبول بين العباد ويكون ذلك الصدق سببًا في تحقيق النجاة لصاحبها من كل المهالك ومن كل المخاطر . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (١) .

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابًا** » (٢) .

وفي رواية أخرى لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الصدق برٌ ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب فجورٌ ، وإن الفجور يهدي إلى النار ،**

---

(١) التوبة : ١١٩.

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ ورواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله واللفظ لمسلم .

وإن العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذَّابًا » [١] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « قال العلماء معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم .

والبر : اسم جامع للخير كله ، وقيل : البر الجنة ، ويجوز أن يتناول العمل الصالح .

وأما الكذب : فيوصل إلى الفجور : وهو الميل عن الإستقامة ، وقيل : الانبعاث في المعاصي . . . . .

وهذا فيه حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به ، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه ، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه ، فعرف به ، وكتبه الله لمبالغته صديقًا إن اعتاده ، أو كذابًا إن اعتاده .

ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم ، أو صفة الكذابين وعقابهم .

والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى ، وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم ، كما يوضع له القبول والبغضاء وإلاً فقدر الله تعالى وكتابه السابق بكل ذلك . والله أعلم » [٢] .

ما يباح فيه الكذب : إن الكذب حُرم لعلات كثيرة منها أنه قد يوقع الشحناء والبغضاء ، وأخذ مال الغير وممتلكاته بغير حق ، ووقوع الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ونشوب العداء بين الناس وغير ذلك ، ولكن هناك مواضع يُستَلْزم فيها مجانبة الحقيقة ، لا من أجل الأسباب الماضية ، ولكن على عكس ذلك . فإن

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب : قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب « البر والصلة » باب : قبح الكذب وحسن الصدق وفضله [٦/ ١٢٢ : ١٢٣] .

فيه مصلحة راجحة لا تتحق إلا بمجانبة الصدق . ومثال ذلك كما ذكر العلماء[١] : لو قصد ظالم قتل رجل هو عندك مختف وجب الكذب عليه في أنك لا تعلم أين هو . أو استعمال المعاريض بأن تعمد إلى كلام يُفهم منه أنك لا تعرف مكانه وفي نفس الوقت أنت تقصد بكلامك مفهومًا آخر . مثل قولك له : لا أعلم أين يوجد . فيفهم الظالم أنك لا تعلم عنه شيئًا . ولكنك تقصد أن لا تعلم مكانه بالتحديد أهو داخل الغرفة خلف الجدار أم خلف الستائر ، أم في ركن من أركان الغرفة ، فيسمى ذلك التعريض ، وهو أولى من الكذب إن أمكن . وكذلك الصلح بين المتخاصمين بقول الكلام الطيب للطرفين على لسان الآخر وإن لم يقله بقصد الاصلاح بينهما .

وكذلك الكذب على الأعداء وتضليلهم وعدم إفشاء سرّ المسلمين لهم .

وكذلك الكذب بين الزوجين وذلك في إظهار الحب والود وغير ذلك ، ولكن ليس بالمخادعة التي تهضم حق كل منهما .

فإن مجانبة الصدق هنا من باب الإصلاح والمصلحة العامة ، وإن كان الأولى والأحرى استعمال المعاريض فهو مندوحة عن الكذب ، والله تعالى أعلى وأعلم .

فعن أم كلثوم بنت عقبة [٢] - رضي الله عنها - أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، ويقول خيراً ، ويَنْمِي خيراً** » قال ابن شهاب : ولم أسمع يُرخص في شيءٍ مما يقول الناس كذب إلاَّ في ثلاث :

---

(١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم كتاب « البر والصلة » باب : قبح الكذب وحسن الصدق وفضله [٦/ ١٢١] .

(٢) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ . ذكره مسلم في سند الحديث .

الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها[(١)].

٤ - الرفق :

إن الرفق واللين من أهم ما يتصف به المسلم وخاصة الداعية إلى الله تعالى ، فإن الرفق له من التأثير على النفوس ، وله من المكانة عند مختلف الطبائع ، ما لا يعلمه إلاَّ الله تعالى ، وما دَخَلَ هذا اللين وهذا الرفق في شيءٍ إلاَّ زيَّنه وجمَّله وحسَّنه وجعل له من اليسر والقبول ما لا يعلمه إلاَّ الله تعالى .

وما نُزِعَ هذا اللين وهذا الرفق من شيء إلاَّ شانه وعابه وقبَّحه ، ونُزِعَتْ منه البركة ، وحُرِمَ القبول .

ويا حبذا إذا تحلى طلبة العلم بالرفق واللين وخفض الجناح ، وكذلك الدعاة إلى الله تعالى ، فإن بالرفق واللين تأتي البركة ، ويعم الخير ، ويثاب العبد ويُجْزَلُ له العطاء ، وتُنَالُ المطالب .

وكان النبي ﷺ يتصف باللين والرفق ، وظهر ذلك واضحًا في سلوكه ومعاملاته فهو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ﷺ .

فعن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من يُحْرم الرفق يُحْرم الخير** »[(٢)] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : « **يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه** »[(٣)] .

وعنها أيضًا - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه ، ولا يُنزع من شيء إلاَّ شانه** »[(٤)] .

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه .

(٢ ، ٣ ، ٤) رواهم مسلم كتاب « البر والصلة » باب فضل الرفق .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : « وفي هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق به ، وذم العنف . والرفق سبب كل خير ، ومعنى « **يعطي على الرفق** » أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره . قال القاضي : معناه يتأتى به من الأغراض ، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره »[١] .

والقرآن الكريم فيه من الآيات الكثيرة التي تشير إلى هذا الخُلق وأنه مما ينبغي أن يتحلى به المسلم وأن يكون من طبائعه وأخلاقياته وخاصة مع المؤمنين. قال تعالى : ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[٢] .

وأمر سبحانه وتعالى رسوله بأن يخفض جناحه للمؤمنين في لين ورفق ومحبة لكي يكون القدوة الحسنة للمؤمنين ، لكي ينتهجوا هذا النهج ، ويتصفوا بهذه الصفات الحميدة فإنها من مكارم الأخلاق ، وأحرى بالمسلم أن يتحلى بها، ويتخلق بها. قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣] .

فوجب على كل مسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ وأن يتبعه ويقتفي أثره ويسير على دربه ﷺ ، ليكون من أمته ويُحشر معه يوم القيامة .

رفق النبي ﷺ :- والمواقف التي يتجلى فيها رفق الرسول ﷺ كثيرة وعظيمة ، نذكر منها على سبيل المثال هذا الموقف :

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن أعرابيًا بال في المسجد ، فقاموا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا تُزْرِموه . ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه** »[٤] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله –: « والمعنى أنه يتأتى معه

(١) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب « البر والصلة » باب فضل الرفق [٦/ ١١٢] .

(٢) المائدة : ٥٤ .

(٣) الشعراء : ٢١٥ .

(٤) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب الرفق في الأمر كله .

من الأمور [يقصد الرفق] ما لا يتأتى مع ضده ، وقيل المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره . والأول أوجه .

وقوله ﷺ : « **لا تُزْرِموه** » : بضم أوله وسكون الزاي وكسر الراء من الإزرام ، أي لا تقطعوا عليه بوله ، يقال : زُرِمَ البول إذا انقطع وأزْرَمْتُه قطعته ، وكذلك يقال في الدمع »[(١)] .

فانظر أيها الأخ المسلم الكريم كيف كان خُلق النبي ﷺ وكيف أنه جمع جميع مكارم الأخلاق ﷺ في أعلى مقاماتها ، وأشرق صورها، وأجمل معانيها.

فلقد همَّ الصحابة - رضي الله عنهم - أن يبطشوا بالرجل أو يزجروه ، ولكن مُعَلِّم الأمة ، وكاشف الغمة ، ومُربي الأجيال يلقن الجميع درسًا في الرفق، لعل الجميع يعيه ، ولعل المُربين ينتهجونه في مسيرتهم ، ويكون ضمن زادهم في تربية الأجيال ، وصنع الأمجاد ، وتهيئة النشء .

فرغم أن الفعل كبير ،ولكن قلب الرسول ﷺ أكبر ورفقه أعظم ، فتصرف بكل رفق ورحمة ، وخشي أن يؤذوا الرجل عند زجره فينقطع البول فيكونوا بذلك قد أذوا مسلمًا ، ولربما يكون ذلك الفعل مدعاة له لترك الإسلام والإعراض عن هذا الدين .

فالأمر أسهل من ذلك كله . فقال لهم حينما يفرغ من بوله صبوا عليه دَلْوًا من الماء . ثم بعد ذلك أخذه النبي ﷺ (كما جاء في بعض الروايات) وقال له «**إن هذه المساجد لم تخصص لذلك . فهي للعبادة والتسبيح والتهليل ، وذكر الله تعالى ....**»[(٢)] وأخذ يعلم الرجل فأدرك الرجل خطأه ، وازداد حبًا للنبي ﷺ وحبًا للإسلام ، فهيا يا أجيال الإسلام ويا نشء المسلمين هيا ننهل من معين النبوة الصافي وتكون لنا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب « الأدب » باب الرفق في الأمر كله [١٠/٤٦٤] .

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب الرفق في الأمر كله .

قال الشاعر :-

خذ العفو وأمر بعرف كما	أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولِنْ في الكلام لكل الأنام	فمستحسن من ذوي الجاه لين

٥ - الحلم وعدم الغضب :-

إن الحلم من الصفات التي تُزين المرء ، وتكسبه محبة في قلوب الناس ، وتُضفي عليه وقارًا ، وتكسبه احترام الآخرين ومودتهم ، فلا يتحلى بالحلم إلاَّ رجل تجمل بالتريث ، وتزين بالأناة ، وهاتان الصفتان من أعظم ما يتحلى بهما الإنسان وهما [الحلم والأناة] .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : « **إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة** » (١) .

[والحلم : هوالعقل] ، [والأناة : هي التثبيت وترك العجلة] (٢) .

قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - : « فبالرفق والحلم ينقلب الغضب إلى هدوء وسكينة ، وينقلب الهياج وداعة ، والتبجح إلى حياء ، على كلمة طيبة، ونبرة هادئة ، وبسمة حانية ، في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجه وغضبه وتبجحه ومروده ، وخلع حياءه نهائيًا وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم ، غير أن هذه السماحة وهذا الحلم يحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسامح وهو قادر على الإساءة والرد » (٣) .

ولكن هناك نقطة مهمة جدًا . وهي أن هذا الحلم وهذا اللين **إذا كان في حق الشخص بعيدًا عن انتهاك حرمات الله تعالى . أما إذا انتهكت حرمات الله**

---

(١) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (الحلم والأناة يحبهما الله) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب الإيمان [١/ ١٥٥] .

(٣) انظر تفسير «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب سورة فصلت آية (٣٤) [٥/ ٣١٢١: ٣١٢٢] بتصرف بسيط .

وجب الغضب لله تعالى ، غَيْرة على حدود الله وعلى العقيدة وعلى الدين .

يقول الأستاذ : سيد قطب - رحمه الله - : « وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها .

فأما في هذا فهو المدفع والمقاومة بكل صورة من صورها . أو الصبر حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً »[(١)] .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فلم يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى ، فيكون حربًا على كل من يتجرأ على الدين أو العقيدة أو يريد أن ينال من المؤمنين . وهكذا تكون نصرة الدين والمؤمنين .

حلمه ﷺ : إن الحلم والصبر والعفو ومكارم الأخلاق كلها كان لها عند الرسول ﷺ القدر العظيم ، وأخذ منها ﷺ أوفر الحظ وضرب لنا المثل الأعلى لينير لنا الطريق ، ولنأخذ منه العظة والعبرة ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾[(٢)] .

قال ابن كثير - رحمه الله -: « أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ، ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه السلام لإخوته ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾[(٣)] . مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه .

وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قَدَرَ عليهم مَنَّ عليهم مع قدرته على الانتقام.

---

(١) انظر تفسير «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب سورة فصلت آية (٣٤) [٥/ ٣١٢١: ٣١٢٢] .

(٢) الشورى : ٣٩ .

(٣) يوسف : ٩٢ .

وكذلك عفوه ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلتًا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمْر هذا الرجل وعفا عنه .

وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه .

وكذلك عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية [وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة] التي سَمّت الذراع يوم خيبر ، فأخبرته الذراع بذلك[1] ، فدعاها فاعترفت فقال ﷺ : « **ما حملك على ذلك ؟** » قالت: أردتُ إن كنتَ نبيًا لم يضرك وإن لم تكن نبيًا استرحنا منك . فأطلقها عليه الصلاة والسلام »[2] .

فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : ما خُيِّر النبي ﷺ في أمرين قط إلاَّ أخذ أيسرهما . ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلاَّ أن تنتهك حرمة الله . فينتقم لله بها »[3] .

النهي عن الغضب : ولما كان الحلم والرفق والأناة من خلق رسول الله ﷺ . كان من الطبيعي أن نجد الرسول ﷺ يحثنا عليه ، ولازمًا من ذلك فإننا نرى أيضًا في المقابل التحذير النبوي الشديد من الغضب ، والتشديد في ذلك الأمر ، ولما جاءه رجل يطلب منه الوصية فلم يجد له النبي ﷺ بعد تقوى الله

---

(١) وهذه من معجزات الرسول ﷺ أن تتكلم ذراع الشاة وبعد أن طبخت وأخبرته أن بها سُمًّا حتى لا يأكل منها .

(٢) « تفسير ابن كثير » لسورة الشورى آية (٣٩) [٤/ ١١٤ : ١١٥]

(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » كتاب حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق ، ورواه البخاري كتاب « المناقب » باب صفة النبي ﷺ ، ورواه مسلم كتاب « الفضائل » باب معادته ﷺ للآثام .

عز وجل غير أن ينهاه عن الغضب لما في ذلك الخلق الذميم من السوء ومن الخروج عن الوعي ، ومن الاسترسال مع الشيطان وعدم التحكم في النفس ، ولا في القول ولا في الفعل.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني . قال : « **لا تغضب** » فردَّد مراراً ، قال : « **لا تغضب** » [١] .

ولذلك علمنا الرسول ﷺ أن القوي ليس الذي عنده عضلات ويستطيع أن يصرع الناس ويقهرهم . بل إن الشديد والقوي هو الذي يملك نفسه عند الغضب ويكبح جماحها ، ويتملك أحاسيسه ومشاعره ، ولا يفلت منه الزمام ، فيقول ما لا يريد ، ويفعل ما لا يُحمد ، ويندم على تصرفه .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » [٢] .

فهذا هو الفاضل الذي يملك نفسه عند الغضب . وهذا هو الخلق الذي قلَّ مَنْ يقدر على التخلق به والتحلي به ، فإنه خُلُقٌ يحتاج إلى صبر وعزيمة وقوة شكيمة ، ولا يكون ذلك إلاَّ لمن صفت نفسه وتسامت روحه ، وعلت همته .

إذهاب الغضب : قد يقع المسلم في هوية الغضب ، وتنزلق قدماه في رذيلة الغضب وفوران الدم ، لموقف ما ، أو تصرف معين ، أو لحماقة شخص، فيجد المرء نفسه قد أُقحم في هذا الخلق السيئ ، فما العمل ؟ وما التصرف؟ وكيف تكون النجاة ؟ وكيف يذهب هذا الغضب ؟ .

ويجيبنا على هذا التساؤل ، ويضع لنا الدواء لهذا الداء ، خير البرية ،

(١) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب الحذر من الغضب .

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب الحذر من الغضب ، ورواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

ومعلّم البشرية ، محمد ﷺ ، فلقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين .

فعن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ، فجعل أحدهما تَحْمَرُّ عيناه وتنتفخ أوادجه . قال رسول الله ﷺ : « **إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » فقال الرجل : وهل ترى بي من جنون ؟ » [(١)] .

وفي رواية البخاري - رحمه الله - : « فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ ؟ قال : إني لست بمجنون » [(٢)] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « فيه أن الغضب في غير الله من نزع الشيطان ، وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وأنه سبب لزوال الغضب .

وأما قول الرجل الذي اشتد به غضبه : هل ترى بي من جنون ؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة ، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ، ولم يعلم أن الغضب من نزعات الشيطان ، لهذا يخرج به الإنسان عن اعتداله ، ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم ، وينوي الحقد والبغض ، وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب » [(٣)] .

٦ - التواضع وعدم الكبر :-

إن من صفات المؤمنين الصادقين الذين ملأ قلوبهم حبُّ الله تعالى وزهدوا في الحياة الدنيا ، وتطلعوا إلى الآخرة ، ويئسوا مما في أيدي الناس ، وطمعوا

---

(١) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب .

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب الحذر من الغضب .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم كتاب « البر والصلة » باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب [٦/ ١٢٥] .

في كرم الله تعالى ، وآثروا الآخرة على الدنيا ، واشتروا الباقية وباعوا الفانية ، إن من صفاتهم التواضع وعدم الكبر ، قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [(١)] . فما تكبر المتكبرون ، وما طغى الطاغون ، وما تعالى المتعالون ، إلاَّ حبًّا في الدنيا ، وحرصًا على العَرَض الفاني ، وتغافلاً عن الآخرة ، وذهولاً عن الباقية ، وافتخارًا بما في الأيدي ،وتكاثرًا بالجمع ، ولعله افتخارٌ بالنسب والحسب ، فالتواضع مِنْ صفات المؤمنين ، ومِنْ شيم الصالحين ، ولقد امتدح الله عباده المؤمنين [عباد الرحمن] بأنهم يتسمون بالتواضع والذلة للمؤمنين ولا يتكبرون، ويظهر ذلك في أقوالهم وأفعالهم ، وسلوكياتهم ، ومعاملاتهم ، حتى في مشيتهم. قال تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا** ﴾[(٢)] . أي يمشون على الأرض في وقار متواضعين غير أشرين ولا مرحين ، ولا متكبرين وهذا التواضع كان سببًا في رفعتهم عند الله تعالى ، وعلو منزلتهم .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن الرسول ﷺ أنه قال : « **ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه** »[(٣)] يرفعه في الدنيا ، ويجعل له المنزلة العالية في قلوب الناس ، ويُثيبه على هذا التواضع الأجر العظيم ، فيرفع درجاته في الآخرة ، ويعلي مكانه جزاء لهذا التواضع وعوضًا عن خفض الجناح للمؤمنين .

قال الأستاذ : سيد قطب - رحمه الله - : « هاهي ذي السمة الأولى من سمات [عباد الرحمن] : أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع ، وليس فيها خيلاء ولا تنفُّج ولا تصعير خد ولا تخلع أو

---

(١) القصص : ٨٣ .

(٢) الفرقان : ٦٣ .

(٣) رواه مسلم كتاب « البر والصلة » باب استحباب العفو والتواضع .

ترهل، فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية وعما يستكن فيها من مشاعر ، والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة ، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة، فيها وقار وسكينة ، وفيها جد وقوة»[١].

وليس الأمر يقتصر على المشية بل الأمر يتعدى إلى كل سلوك المؤمن حتى في أكله وشربه وملبسه ، فلابد وأن يظهر هذا التواضع ، وينتفي الكبر في كل حياة المسلم .

فقد قال رسول الله ﷺ يوجه الأمة كلها لهذا الأمر المهم حيث قال : **«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة »**[٢] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : « والمخيلة [بوزن عظيمة] وهي بمعنى الخيلاء وهي التكبر .

وقال ابن التين : هي [بوزن مفعلة] من اختال إذا تكبر ، الخُيلاء : [بضم الخاء وقد تكسر] التكبر .

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي : والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم ، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس»[٣] .

عاقبة الكبر : إن عاقبة الكبر وخيمة ، ونهايته مُحْزِنة ، ونتيجته مُخْزية ، ومن كان من المتكبرين فهو من أتباع الشيطان ، والشيطان له إمام ، فإن الشيطان ما عصى الله عز وجل إلاَّ تكبرًا ، عندما أمره الله عز وجل أن يسجد لآدم اعترض

---

(١) « تفسير ظلال القرآن » للأستاذ : سيد قطب – رحمه الله – لسورة الفرقان آية (٦٣) [٦/ ٢٥٧٧] .

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس باب قول الله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ .

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » أول كتاب اللباس [١٠/ ٢٦٥] .

على الله وأخذته العزة . فكيف يسجد لمن خُلق من طين ، وهو قد خُلق من نار ظنًا منه أن هذا تفضيل له على آدم وذريته ، وتأتي القصة واضحة جلية تبين هذا الكبر وتذمه في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (١) .

فكان نتيجة هذا الإباء وهذا الكبر أنه أصبح من الكافرين ، وطُرِدَ من رحمة رب العالمين ، وأصبح من أصحاب الجحيم ، فتبًا له وسوء المصير ، وهذا الكبر يكون سببًا في عدم نظر الله للعبد ، وحرمانه من رحمة ربه ، وخسرانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، قلب خالٍ من الشرك والنفاق والكبر .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً** » (٢) .

والبطر : التكبر والطغيان ، وأصل البطر الطغيان عند النعمة واستعمل بمعنى التكبر .

وقال الراغب : أصل البطر دهش يعتري المرء عند هجوم النعمة عن القيام بحقها »(٣) .

ولعل هذا الكبر يُردى بصاحبه فيكون سببًا في أن يخسف الله به الأرض ، أو يوقع به عذابه ، فهو عرضة لغضب الله وانتقامه ، وليس ذلك بغريب ، وليس على الله بعزيز .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « **بينما رجل**

---

(١) البقرة : ٣٤ .

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء .

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب اللباس [١٠/ ٢٧٠] .

يمشي في حُلَّة تعجبه نفسه ، مرجّل جُمتَّه ، إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » [1] .

مرجّل : ترجيل الشعر : تسريحه ودهنه .

جُمتَّه : هو مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك .

وأما الوفرة : فهي الشعر إذا لم يتجاوز الأذنين .

يتجلجل في الأرض : ينزل فيها مضطربًا متدافعًا .

قال القرطبي – رحمه الله – : إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله ، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم » [2] .

« فنسوق هذا الحديث لكل متكبر معجب بنفسه فخورٍ ، مغرورٍ ، يتطاول على عباد الله ، ويزدريهم ويتخيل له من غروره أنه وحده الذي يمشي على الأرض ، وأن الله قد أعطاه ما لم يعط أحدًا غيره ، ولكن هيهات له هيهات ، فكم من مَلِكٍ مَلَكَ الأرض ومن عليها ، ولما أراد الله أذله في مُلكه ، وأخذه يوم زينته فنقول لهؤلاء المتغطرسين رويدًا ، رويدًا ، واسمعوا معنا حديث رسول الله الكريم ﷺ ليكون رجمًا لكم ولأمثالكم ودرسًا وموعظة لمن تسول له نفسه أن يقتفي آثاركم وينهج نهجكم » [3] .

ذم الكبر في القرآن الكريم :

لقد ذم الله تعالى الكبر في كتابه العزيز ، وحذَّر منه ، ونهى عن أسبابه ، وتوعد المتكبرين بأليم عذابه ، وسوط انتقامه ، ومن هذه الآيات : –

---

(١) رواه البخاري كتاب (اللباس) باب (من جرَّ ثوبه من الخيلاء) .

(٢) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب اللباس [١٠/ ٢٧٢] .

(٣) « البيان في صفات عباد الرحمن » لسيد سعيد عبد الغني (٤٦ : ٤٧) .

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٦) .

تواضع النبي ﷺ : ويجدر بنا ونحن نربي أبناءنا على خلق التواضع، ونحببه إلى قلوبهم أن نشير إلى تواضع النبي ﷺ ، فهو القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى ، وهو السراج المنير ، والرسول الحليم ، والهادي إلى سواء السبيل ، ولقد أمره الله تعالى بخفض جناحه للمؤمنين في حب ، وتواضع ، ولين ، وتواد، ورحمة، قال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) القصص : ٨٣ .

(٢) الإسراء : ٣٧ .

(٣) لقمان : ١٨ .

(٤) الزمر : ٧٢ ، غافر : ٧٦ .

(٥) الزمر : ٦٠ .

(٦) غافر : ٣٥ .

(٧) الشعراء : ٢١٥ .

جاء في كتاب « البيان في صفات عباد الرحمن » [١] :

« وفي هذا تشبيه جميل ، تشبيه لطيف ، تشبيه رقيق رحيم ، فإن الرسول ﷺ في لينه للمؤمنين مثل الطائر الوديع ، الطائر اللطيف ، الطائر الحنون ، الذي يخفض جناحه في إلف ووداعة ، ولين ورحمة ، واطمئنان وأمان ، وذلك أثناء هبوطه .

ولقد كان رسول ﷺ المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة ، والسيرة العطرة ، والنبراس الذي يحتُذى في هذا التواضع ، وهذه الرحمة ، ولين الجانب للمؤمنين، فهو المشرِّع الذي يُشرِّع لأمته ، ويرسم لهم الطريق ، ويبين لهم السبل المثلى ، والقيم العليا ، لكي يسيروا على هديه ، ويقتفوا أثره ، ويستنوا بسنته ، ويتبعوا طريقته ، لكي ينشروا الفضائل في هذا الكون ، ويرفرف على هذا الكون الحلم والعفو ، واللين والمحبة ، والتواضع والمودة ، فليفرح هذا الكون ، ولتسعد البشرية جمعاء بمحمد بن عبد الله ﷺ ، فلتغرد البلابل ، ولتنشد الطيور ، مهنئة كل العالمين فلقد بعث الله نبي الهدى ، وأنار به الطريق فلقد نال التواضع من خلق الرسول ﷺ نصيبًا وافرًا جعله قدوة ومثلاً للتواضع في أعظم صورة ، وأكمل هيئة ، فلقد جمع مع التواضع واللين الهيبة والعظمة وكمال الشخصية ، فإن تواضعه وحلمه لم يكن تواضع ولين الضعفاء ، ولا حلم الاستكانة ، الذي يضعف الشخصية بل هو التواضع والحلم الذي يهيمن على صاحبه فيكسوه وقارًا وهيبة ، ويضفي على صاحبه الجلال والإكبار .

فلنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، والسيرة العطرة فكان الرسول ﷺ من كريم أخلاقه ، وعظيم تواضعه : [يخصف نعله ، ويُرقِّع ثوبه ، ويحلب الشاة لأهله ، ويعلف البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويجالس المساكين ، ويمشي

---

(١) « البيان في صفات عباد الرحمن » سيد سعيد عبد الغني (٤٠ : ٤١) .

مع اليتيم والأرملة في حاجتهما ، ويبدأ مَنْ لقيه بالسلام ، ويجيب دعوة من دعاه] » .

٧ - **الحياء** : إن الحياء من أعظم مكارم الأخلاق ، ومن أجمل ما يتحلى به العبد ، ومن أعظم ما يتصف به المرء ، فما دخل الحياء في شيءٍ إلاَّ زينَّه وجمَّله ، وما اتصف به إنسان إلا أكسبه وقارًا وهيبة ، ومحبة واحترامًا في قلوب الناس فيجب علينا ونحن نربي أبناءنا ، ونُعدُّ النشء ونُهيِّئ الأجيال أن نغرس فيهم، هذا الخلق الفاضل ، وهذه الصفة المحمودة ، وهذا النور الصافي ، وهذا المصباح المضيء ولابد وأن تعرف الأجيال ، ويثبت في عقيدتهم أن هذا الخُلق [الحياء] من الإيمان وهو شعبة من شعب هذا الإيمان وأن الذي أخبر بذلك هو سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** » (١) .

قال أبو عبيدة الهروي : « معناه أن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم يكن له تقية فصار كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصي » (٢) .

قال عياض وغيره :- « إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم » (٣) .

ولما كان الحياء صفة كمال ومدح ، ومن أعظم مكارم الأخلاق ، كان من صفات الرسول ﷺ بل إنه ضرب المثل الأعلى في الحياء ، الباعث على كل فعل

---

(١) رواه مسلم كتاب « الإيمان » باب (الإيمان وشعبه وفضيلة الحياء) واللفظ له ، وانظر البخاري كتاب « الأدب » باب (أمور الإيمان) .

(٢ ، ٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب الأدب [١٠/ ٥٣٩] .

حسن ، وكل عمل محمود ، وعُرِفَ ذلك الحياء في خلق الرسول ﷺ ، وفي سلوكه ، وفي معاملاته ، بل في قسمات وجهه الكريم وملامحه الحميدة .

قال عبد الله بن أبي عتبة سمعت أبا سعيد الخدري يقول : « **كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها** »[(١)] .

فالحياء كله خير ولا يأتي إلاَّ بالخير ، فحري بالمسلم أن يتحلى بهذا الخلق، وأن يتزين به ، لكي ينال الخير الوفير عند الله تعالى ، والمكانة العالية والاحترام والتقدير عند الناس ، فلو لم يرد بالحياء شَرْعٌ لاستلزمه العقل واستحسنه ، قال الشاعر[(٢)] :

هب البعث لم تأتنا رسله ... وجاحِمة النار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق ... حياء العباد من المُنعم ؟!

معنى الحياء : إن معنى الحياء لغةً وشرعًا : لا يخرج كثيرًا عن معان متقاربة ، وتعاريف متشابهة كلها تدل على الوقار والحشمة، والبر وحسن الخلق، وفعل كل ممدوح ، وترك كل مذموم .

قال ابن منظور : الحياء التوبة والحشمة ، وقد حَيِيَ منه حياءً واستَحْيا واستَحَى[(٣)] .

قال عياض : والحياء هو خلق يبعث على ترك القبيح[(٤)] .

وقال ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » : أصل الحياء الامتناع ثم استعمل في الانقباض ؛ [والحق أن الامتناع من لوازم الحياء ، ولازم الشيء لا

(١) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (الحياء) .
(٢) نقلاً عن كتاب الحياء للشيخ محمد بن إسماعيل ص (١٤) .
(٣) « لسان العرب لابن منظور » مادة حيا [١٤/٢١٧] .
(٤) « فتح الباري » كتاب الأدب [١٠/٢٣٩] .

يكون أصله ، ولما كان الامتناع لازم الحياء كان في التحريض على ملازمة الحياء حض على الامتناع عن فعل ما يعاب] (١) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : والحياء : بالمد هو [في اللغة] تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به . وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب ، والترك إنما هو من لوازمه .

[وفي الشرع] : خلق يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق (٢) .

وقال أبو القاسم الجنيد : الحياء : هو رؤية الآلاء - أي النعم - ، ورؤية التقصير ، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء (٣) .

الحياء كله خير : إن الحياء كله خير ، ولا يأتي إلا بالخير ، فيا حظ مَنْ تخلق به ، ويا فرحة مَنْ اتصف به ، ويا هناء مَنْ لازمه ، ولقد أخبر بهذه الخيرية ، وهذا الفضل ، وتلك المكانة سيد البرية محمد بن عبد الله ﷺ .

فعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «**الحياء خيرٌ كُلُّه** » أو قال : « **الحياء كلُّه خير** » (٤) .

فانظر كيف جعل النبي ﷺ الحياء كله ، كثيره وقليله ، ظاهره وباطنه ، ما عُلِمَ منه وما خفي ، وما كان مع العبد ، وما كان مع النفس ، وما كان مع الرب . ولكن قد يظن البعض خطأ أن الحياء سكينة وجبنٌ ، ومضيعة للمال والحقوق ، وسبيل لسخرية الناس والتطاول على صاحب الحياء .

---

(١) « فتح الباري » كتاب الأب [١٠/٢٣٨] .

(٢) « فتح الباري » كتاب الإيمان (١/٦٧ : ٦٨] .

(٣) « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب الإيمان [١/٢٠٣] .

(٤) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (الحياء كله خير) .

ونحن نسوق لهم هذه القصة الصغيرة القصيرة التي تبيِّن لهم عكس ذلك ، وتصحح لهم مفهومهم الخاطيء ، وذلك عبر توجيه النبي ﷺ ، المعلم الأول ، والمشرع من قِبَلِ ربه ، والحاني على أمته ، الرؤوف الرحيم كما وصفه ربه جل وعلا .

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : مرَّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول : إنك لتستحي - حتى كأنه يقول : قد أضر بك - فقال رسول الله ﷺ : « **دعه فإن الحياء من الإيمان** » (١) .

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « **الحياء لا يأتي إلاَّ بخير** » (٢) .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : قوله : « يعظ أخاه في الحياء » أي ينهاه عنه ، ويقبح له فعله ، ويزجره عن كثرته فنهاه النبي ﷺ عن ذلك . فقال : « **دعه فإن الحياء من الإيمان** » . أي دعه على فعل الحياء وكف عن نهيه » (٣) .

قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في « فتح الباري » : وقوله : «الحياء لا يأتي إلاَّ بخير» وللطبراني من حديث قرة بن إياس « قيل لرسول الله ﷺ : الحياء من الدين ؟ فقال : « **بل هو الدين كله** » وللطبراني من وجه آخر عن عمران بن حصين « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة » (٤) .

---

(١) رواه البخاري كتاب (الأدب) باب (الحياء) . وانظر صحيح مسلم كتاب (الإيمان) باب (الحياء من الإيمان) ، واللفظ للبخاري .

(٢) رواه مسلم كتاب (الإيمان) باب (الحياء من الإيمان) .

(٣) « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب الإيمان [١/ ٢٠٤] .

(٤) انظر « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني كتاب الأدب [١٠/ ٥٣٨] .

كشف شبهة :- ولعل في القصة الماضية كشف الشبهة التي قد ترد على أذهان البعض بأن الحياء يضر بصاحبه ، وأنه مظنة ضياع الحقوق وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويزيد القاضي عياض - رحمه الله - وغيره من الأئمة تفصيلاً وتوضيحًا ، وتفريقًا بين الحياء المحمود ، والمطلوب شرعًا ، وبين الجبن والخور وترك الحقوق، وعدم الغيرة على الحرمات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال القاضي عياض - رحمه الله - وغيره :

إنما جعل الحياء من الإيمان، وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر ، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم ، فهو من الإيمان بهذا . ولكونه باعثًا على أفعال البر ، ومانعًا من المعاصي .

وأما كون الحياء خيرًا كله ، ولا يأتي إلاَّ بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجلّه ، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة .

[والجـواب] : وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله - أن المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ، ومهانة ، وإنما تسميته حياءً من إطلاق بعض أهل العُرف ، أطلقوه مجازًا لمشابهته الحياء الحقيقي وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ، ونحو هذا ، ويدل عليه ما ذكرناه عن الجنيد - رضي الله عنه - والله أعلم » [1] .

(١) « شرح النووي لصحيح مسلم » كتاب الإيمان [١/ ٢٠٣ : ٢٠٤] .

وأنشد محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا قلَّ ماء الوجه قل حياؤه فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه

الحياء خلق يحبه الله عز وجل :

ولما كان الحياء خلقًا كريمًا ، وصفةً محمودة ، ودافعًا للخوف من الله تعالى ومراقبته في السر والعلن ، وناهيًا عن الوقوع في المحرمات وارتكاب المعاصي ، وباعثًا على طاعة الله ، وفعل كل ما يرضيه ، ويجعل الإنسان يحاول دائمًا أن يراه الله تعالى حيث أمره ، ويفتقده حيث نهاه ، ولما كان ذلك كذلك ، وغير ذلك من الفضائل . علمنا أن الله سبحانه وتعالى [يحب الحياء] ويحب صاحبه ، ومن تخلق به ، واتصف به .

فعن يعلى بن أمية - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تعالى حَيِيٌّ ستيرٌ يحب الحياء والستر . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر** » (١) .

قال ابن القيم الجوزيه - رحمه الله - : « وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر ، لا تدركه الأفهام ، ولا تكيفه العقول ، فإنه حياء كرم ، وبرٌّ ، وجود ، وجلال ، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم ، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً ، ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام » (٢) .

ويقول أيضًا - رحمه الله - : « من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها ، وأدخلته على ربه ، وأدنته وقربته من رحمته ، وصيرته

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤/ ٤٠) ، والبيهقي (١/ ١٩٨) ، و«صحيح النسائي» (١/ ٨٧) وصححه الألباني في « الإرواء » (٧/ ٣٦٧) .

(٢) انظر « مدارك السالكين » [٢/ ٢٦١] .

محبوبًا له ، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء ، كريم يحب الكرماء ، عليم يحب العلماء ، قوي يحب المؤمن القوي ، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف ، حييٌّ يحب أهل الحياء ، جميل يحب أهل الجمال ، وترٌ يحب أهل الوتر »[(١)] .

الحياء في شرائع جميـع الأنبياء عليـهم السلام : إن الحياء الذي هو الباعث على فعل الخيـرات وترك المنكرات ، وتقوى الله عز وجل في السر والعلن ، وحفظ الأسرار ، وستر العورات ، وصون المحرمات ، لحري أن يكون من شرائع جميع الأنبياء والمرسلين ، فهو مستحسن في جميع الشرائع ، وممدوح عند جميع الخلائق [السوية] ولم يُهْجَر في شريعة من الشرائع ولم يهمل في زمن من الأزمنة ، بل تخلق به الكثير والكثير على مر العصور ، وتداوله الناس بينهم ، وتوارثوه عن بعضهم البعض ، واوصى به الأجيالُ الأجيـالَ .

فعن أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت** »[(٢)] .

فدل ذلك الحديث على أن [الحياء] كان معروفًا في الشرائع السابقة وجاء به ودعا إليه الأنبياء وحثُّوا عليه ، ورغَّبوا فيه .

ودل كذلك على أن الحياء خلق رفيع يمنع الإنسان من ارتكاب كل معيب، ويدفعه لعمل كل كريم وكل محمود .

قال الإمام النووي - رحمه الله - في « الأربعين » : « الأمر فيه للإباحة، أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلاَّ فلا . وعلى هذا مدار الإسلام ، وتوجيه ذلك أن [المأمور به]

---

(١) انظر « الجواب الكافي » ص (٧٧) .

(٢) رواه البخاري كتاب « الأدب » باب : (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت) .

الواجب والمندوب يستحي من تركه .

[والمنهي عنه] الحرام والمكروه يستحي من فعله ، [وأما المباح] فالحياء مِنْ فعله جائز وكذا مِنْ تَرْكه فتضمن الحديث الأحكام الخمسة .

وقيل : هو أمر تهديد كما تقدم توجيهه ، ومعناه إذا نُزِع منك الحياء فافعل ما شئت فإن الله مجازيك عليه ، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء .

وقيل : هو أمر بمعنى الخبر ، أي من لا يستحيي يصنع ما أراد » [1] .

قال الشاعر :

إذا رزق الفتى وجهًا وقاحًا ... تقلب في الأمور كما يشاءْ

ولم يك للدواء ولا لشيءٍ ... تعالجه به فيه غناءْ

ورب قبيحةٍ ما حال بيني ... وبين ركوبها إلاَّ الحياءْ

فكان هو الدواء لها ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواءْ

الاستحياء من الله عز وجل : لابد أن نزرع هذا الاستحياء في نفوس الأجيال ، ونغرسه في قلوب النشء ، فإن الاستحياء من الله تعالى مفتاح كل خير، فلا خير في جيل ، ولا بركة في نشء ، ولا فائدة في أمة لا يستحيون من الله تعالى ، فإنه زمام الأمر ، ويورث التقوى ، ويُربِّي المسلم على الخشية ، ويعوده على المراقبة ، فإذا استحيا العبد من ربه فكيف يعصيه ، وكيف يتجرء على محارمه ، إن الاستحياء من الله تعالى يجعل العبد دائمًا مستشعرًا مراقبة الله له ، واطلاعه عليه ، فلا يراه الله حيث نهاه ، ولا يفقده حيث أمره . قال كعب: « استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم » وعلى هذا الخلق ، وعلى هذا الاستحياء من الله تعالى ربَّى الرسول ﷺ صحبه

(١) نقلاً عن « فتح الباري شرح صحيح البخاري » كتاب الأدب [١٠/ ٥٤٠] .

الكرام وخوّفهم من الله تعالى ، ونشّأهم على التقوى والخشية ، وتسخير كل الحواشي ، وكل المشاعر ،وكل ما يملك المسلم في طاعة الله تعالى . فكيف يطَّلع الله تعالى عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومغدق النعم عليهم ، كيف يطَّلع عليهم وهم يعصونه ، وهم يستعملون هذه الأعضاء وهذه الحواس في معصية الله تعالى . فأي خجل ذلك ، وأي عار هذا ، فلا يكون ذلك من مسلم يستحيي من الله حق الحياء.

فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : « **استحيوا من الله حق الحياء** » قالوا : « إنا نستحيي يا رسول الله » قال : « **ليس ذاكم ولكن من استحيا من الله حق الحياء : فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمَنْ فعل ذلك . فقد استحيا من الله حق الحياء** » [1] .

نعم يجب حفظ هذه الأعضاء وتسخيرها في طاعة الله ، والبعد بها عن معصية الله تعالى ، وأن نتقي الله عز وجل في هذه الأعضاء :-

الرأس وما وعى : - [العينين ، اللسان ، الأذن ، العقل ، الفكر . .].

البطن وما حوى : [الأمعاء وما يدخل فيها ، الفَرْج ، . . . .] .

الموت والبلى :- [الموت ، القبر ، عذاب القبر ، فناء الجسد ، البعث والنشور ، الحساب ، العقاب ، النار . . . .] .

ترك زينة الدنيا :- [ترك الحرام ، البعد من المشتبهات ، ألاَّ يجعلها في قلبه ، أن يجعل الدنيا مطية للآخرة ، أن يشتري الآخرة الباقية بالدنيا الفانية ، أن يجعل الآخرة نصب عينه . . . . . .] .

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨٧) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (٢/ ٢٩٩) .

قال الشاعر :

مَنْ عامل الله بتقواه ... وكان في الخلوات يخشاه

سقاه كأسًا من لذيذ المنى ... يُغنيه عن لذة دنياه [١]

راود رجل امرأة عن نفسها فقالت : ألا تستحيي ؟ فقال : لا يرانا إلاَّ الكواكب ، فقالت : « وأين أنت من مكوكبها ؟! » [٢] .

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني [٣]

فيجب تعليم كل مسلم هذا الخلق ، وما يجب عليه حياله ، وكيف يستحيي من الله حق الحياء ، حتى يخرج علينا جيل رباني ، يتقي الله في السرِّ والعلن ، في الظاهر والباطن ، جيل شعاره التقوى ، وسجيته المراقبة ، وديدنه الخشية ، وخلقه الحياء ، فهذا من أكبر المعالم في طريق الصحوة المباركة ، وإعداد النشء الرباني .

وإذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ، ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غداً للناظرين قريب [٤]

وانظر إلى قول سفيان بن عيينة - رحمه الله - : « الحياء أخف التقوى ، ولا يخاف العبد حتى يستحيي ، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلاَّ من الحياء؟! » .

ويلخص لنا الرسول ﷺ الحياء في كليمات صغيرة ، وبعبارة واضحة جليلة، وبأسلوب يُبهر ، فلقد أوتي ﷺ جوامع الكلم .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) نقلاً عن كتاب « الحياء » للشيخ محمد إسماعيل ص (٥٥) .

فعن زيد بن أبي طلحة بن رُكانة يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء** » [١] .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **الحياء والإيمان قُرنا جميعًا ، فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر** » [٢] .

فجزى الله عنا نبينا ﷺ خير الجزاء ، خير ما جزى به نبيًا عن قومه ، ورسولاً عن أمته .

- وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا -

* * *

(١) رواه الإمام مالك في « الموطأ » مرسلاً (٢/٩٠٥) وقال ابن عبد البر : رواه جمهور الرواة عن مالك مرسلاً ، ووصله ابن ماجة برقم (٤١٨١) ، (٤١٨٢) ، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجة » (٢/٤٠٦) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/٢٢) ، وقال : صحيح على شرطهما (البخاري ومسلم) ووافقه الذهبي .

الخاتمة



الخاتمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده ، سيدنا محمد ﷺ إمام المتقين ، وقدوة الزاهدين ، وصفوة خلق الله أجمعين ، وقائد الغُر المحجلين ، ورحمة الله للعالمين ، وسيد الخلق أجمعين ، الرحمة المسداة ، والنعمة المهداة ،وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره ، واتبع سنته ، وسار على نهجه ، ومَنْ كان مِنْ أمته إلى يوم الدين .

أما بعد فأردت في هذه الخاتمة - بمشيئة الله وعونه أن أذكر شيئين :-

أولاً : ما توصلت إليه خلال بحثي :

فبعد أن عشنا هذه السطور ، وعبر هذه الورقات ، ومن خلال هذا البحث، تأكد لديَّ بعض الأمور التي كانت في خلجات نفسي ، حتى أصبحت عندي في مقام اليقين ، وعلى رأسها . أهمية [علم التوحيد] وضرورة تَعَلُّمه وتعليمه ، والاهتمام بغرس العقيدة الصحيحة في قلوب المسلمين عامة ، والنشء خاصَّة ، وخاصَّةً ونحن في صدد إعداد جيل جديد ، جيل الصحوة المباركة الذي نسأل الله عز وجل أن يجعله جيلاً مباركًا ، وفاتحة خير على الأمة الإسلامية ، وفي مقدمة هذه العقيدة ، عقيدة [الولاء والبراء] و [الموالاة والمعاداة] هذه العقيدة التي تُميز بين الصفين ، (صف المؤمنين) و (صف المشركين) ، والتي تفصل بين (عباد الرحمن) وبين (عباد الشيطان) والتي تحدد (جند الله) و (جند الشيطان) .

حتى يخرج لنا جيلٌ لا تتميع عنده هذه القضية ، كما تميعت عند سابقيه ،

حتى يخرج لنا جيلٌ واعٍ ومدرك ما حوله ، يعيش للإسلام ، ويحيا من أجل الدين ، ويجاهد من أجل العقيدة ، ويموت ويُقتل في سبيل الله تعالى .

جيل ينشد الشهادة في سبيل الله ، ويتطلع إلى الجنة ، ويأبى إلاّ العزة ، ولا يخشى إلاّ الله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، يوالي في الله ، ويعادي في الله ، جيل يحقق قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [(١)] .

وأيضًا من أجل إخراج هذا الجيل ، ومن أجل إعداد هذا النشء ، ومن أجل غرس عقيدة [الولاء والبراء] في قلوب المسلمين لابد من تضافر جهود العلماء ، والدعاة ، وطلاب العلم ، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وكل المخلصين والمحبين لهذا الدين لابد من توحيد الصف ، وتوحيد الهدف ، ومضاعفة الجهد من كل المخلصين والمحبين لهذا الدين من أجل انتشال هذه الأمة مما هوت فيه من ظلمات التيه ، ومهاوي الضلال ، ودركات الغي والفساد، ومن هنا ، ومن خلال هذه السطور ، وبهذا القلم المتواضع ، ومن داخل قلبي الشغوف ، وعبر نبضات فؤادي الحزين على هذه الأمة ، أُحمِّل [الأمراء والحكام] والعلماء جُلَّ المسئولية عن هذه الأمة ، وعن تلك الغُمة التي يعيشها المسملون اليوم ، وأُحمِّلهم نتيجة تقصيرهم بل وتفريطهم ، في حق هذه الأمة وهذه الشعوب المسلمة ، فأُعلنها لهم ، نصحًا لهم ، وتحذيرًا لهم من العاقبة ، أعلنها لهم أنهم لم يقوموا بما وجب عليهم في حق هذه الأمة ، حق القيام ، فغالب حكام وأمراء المسلمين لم يحكموا شعوبهم بكتاب الله تعالى وهجروا سنة رسول الله ﷺ (فأين هم من (الولاء) لله ولدينه ولكتابه ولرسوله ﷺ) . فضلاً عن محاربة بعضهم لكل من أراد أو طالب بتحكيم شرع الله تعالى والحكم بكتاب الله العزيز (إعلانًا للولاء لكتاب الله تعالى) فمن رفع صوته بذلك كُتم

---

(١) الأنعام : ١٦٢ .

صوته ، ومن رفع رأسه ليطالب بذلك قطعت تلك الرأس الشريفة ، ومن طالب بالعزة والكرامة، وندد بالظلم والذل فلا يُعْرف له مكان ، فتخطفه الطير ، أو تُمزِّعه السباع ، أو يُلقى به في مكان سحيق .

وأما (العلماء) الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين يحملون مشعل الهداية ، ويهدون الضال ، ويُنبِّهون الغافل ، ويوقظون النائم ، الذين يأخذون بيد الأمة إلى برِّ الإسلام ، والذين يأمرون الحكام والأمراء بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويأخذون على أيديهم إذا ضلوا ، ويُقوِّمونهم إذا اعوجوا ، هؤلاء العلماء أو أكثرهم لم يقوموا بدورهم ولم يؤدوا الأمانة التي حُمِّلوها على أكتافهم ولُفَّت بها أعناقهم .

قال تعالى : ﴿ **لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (1) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « يعني هلا كان ينهاهم الربانيون والأحبار منهم عن تعاطي ذلك .

والربانيون :- هم العلماء العمال أرباب الولايات عليهم.

والأحبار :- هم العلماء فقط .

فقال ابن عباس - رضي الله عنه - : ﴿ **لبئس ما كانوا يعملون** ﴾ يعني من تركهم ذلك .

وقال - رضي الله عنه -: ما في القرآن آية أشد توبيخًا من هذه الآية ﴿ **لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ .

وقال الضحاك - رحمه الله - : ما في القرآن آية أخوف عندي منها ، إنا لا ننتهي .

---

(1) المائدة : ٦٣ .

وخطب عليٌّ بن أبي طالب قائلاً : « أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار ، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات . فَمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً »[1] .

[فالله الله يا حكام المسلمين ويا أمراء المسلمين ، ويا علماء المسلمين ،] **الله الله في الدين ، الله الله في الأمة ، الله الله في الأمانة التي على أكتافكم** وحول رقابكم ، فعليكم بتقوى الله تعالى وعليكم بتحقيق [عقيدة الولاء والبراء] بكل ما تحمله هذه العقيدة من لوازم وتبعات ، عليكم بموالاة الله تعالى وبموالاة دينه وكتابه العزيز ، ورسوله الكريم ﷺ ، وعباد الله المؤمنين .

عليكم بالبراء من الكفار والمشركين والملحدين والمنافقين وملل الكفر أجمعين .

عليكم بتقوى الله في رعاياكم ومن توليتم أمورهم ، علِّموهم الإسلام ، ربوهم على العقيدة ، اغرسوا فيهم التوحيد ، نشئوهم على الأخلاق الكريمة ، وحب الفضيلة ، مُروهم بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ، وربوهم على عقيدة [الولاء والبراء] عقيدة السلف الصالح ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

فلابد من صحوة تشمل كل المسلمين ، كبارهم وصغارهم ، رجالهم ونساءهم ، شبابهم وشوابهم ، حتى أطفالنا ، لابد وأن تعم الصحوة المباركة جميع طوائف المسلمين وطبقاتهم حتى يَمُنَّ الله علينا بعودة الخلافة الراشدة مرة أخرى ، سائلين المولى عز وجل أن يهيىء لهذه الأمة أمر رشد يُعزُّ فيه أهل طاعته ويُذلُّ فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف ويُنْهَى فيه عن المنكر هو ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) « تفسير ابن كثير » لسورة المائدة آية (٦٣) [٢/ ٧٢] .

ثانيًا : توصياتي :-

وبعد هذه الجولة بين عقيدة السلف الصالح ، عقيدة أهل السنة والجماعة، وبعدما عشنا مع عقيدة [الولاء والبراء] في معتقد أهل السنة والجماعة ، أُوصي ببعض الوصايا عسى الله أن ينفع بها ومن ذلك :-

١ - أوصي نفسي وإخواني المسلمين وأخواتي المسلمات بتقوى الله في السر والعلن ، فهذه التقوى ، هي الرباط وزمام كل أمر ، وفيها خيرا الدنيا والآخرة .

٢ - أوصي كل مسلم ومسلمة بدراسة علم التوحيد لأنه رأس العلوم وأساسها ، فهذا التوحيد هو مفتاح الجنة ، فهو حقيقة لا إله إلاَّ الله .

٣ - أوصي ولاة الأمور المسلمين ، أن يهتموا بتعليم المسلمين أمور العقيدة والتوحيد ، وخاصة النشء ، حتى يتربوا تربية صحيحة على منهج السلف وعلى درب أهل السنة والجماعة .

٤ - الاهتمام بغرس عقيدة [الولاء والبراء] في المسلمين عامة وفي النشء والأجيال الصاعدة خاصة ، لكي يعلم المسلم مَنْ يوالي ومَنْ يعادي ، لكي يعلم لمن يصرف ولاءه ، ولمن يتوجه بالعداء ، ولكي يعلم المسلمون أين حزب الرحمن وأين حزب الشيطان ، فلابد من تربية الأجيال على بغض اليهود والنصارى وكل أعداء الدين .

٥ - يجب مضاعفة الجهد من العلماء ، والدعاة ، وطلاب العلم ، وأصحاب المنابر، وأصحاب الكلمة، وأصحاب الأقلام، والمفكرين الإسلاميين، لابد من مضاعفة العطاء في نشر التوحيد ، وتعليم الناس أمور دينهم .

٦ - لابد من تبصير المسلمين بواقعهم ، ومعرفتهم ما يدور من حولهم ، وأن يكونوا على اطلاع واسع ، ومعرفة أخبار وأحوال المسلمين من حولهم في

كل أنحاء العالم ، حتى يتثنى للمسلم أن يتفاعل مع إخوانه المسلمين ، ويعيش قضاياهم ، ومن ثم تأتي النُّصرة .

٧ - لابد من إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (بالضوابط الشرعية وعلى منهج أهل السنة والجماعة) التي هي عَصَب (الولاء والبراء) وعموده الأساسي .

٨ - لابد من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى ، لتحقيق عقيدة (الولاء والبراء) عمليًا وإخراجها من حيز القلب ، وتعديها مراحل الكلام ، فالجهاد هو (ولاء) لله وللدين وللرسول ﷺ وللمؤمنين .

والجهاد هو (براء) من الكفر والكفرة ، ومن الشرك والمشركين ، ومن الإلحاد والملحدين ومن النفاق والمنافقين ، فلابد من إنزال هذه العقيدة وإخراجها إلى أرض الواقع ، واقع المسلمين الأليم .

٩ - حتمية رجوع ولاة أمور المسلمين (حكامًا وعلماء) إلى كتاب الله تعالى ، وإلى سيرة السلف الصالح وإلى منهج أهل السنة والجماعة .

(فالحكام والأمراء) لابد وفرضًا عليهم تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقيادة المسلمين بهذا الشرع الحنيف ، وليتقوا الله عز وجل في رعاياهم ، وليكونوا عليهم نعمة ورحمة ، لا نقمة وعذاب .

(والعلماء) آن لهم العودة إلى ما يليق بهم وبما معهم من العلم ، وليتقوا الله في أنفسهم وفي عِلْمهم وفي المسلمين وفي الحكام والأمراء وذوي السلطة فهم أولى الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهم الذين ينصحون الحكام والأمراء وهم الذين يأخذون على يد ذوي السلطة ، فيُقوِّموا مَنِ اعوج منهم ، ويهدوا من ضل ، ويردوا من ظلم .....

١٠ - يجب الصبر والاحتساب فإن التغيير واجب ومُحتَّم ولكنه صعب ،

ويحتاج إلى الصبر واحتساب الأجر عند الله ، ولن تُفْرَش الأرض بالورود ، ولن تُزين الطرقات بالرياحين ، بل الكدّ والعناء ، بل التعب والشقاء ، بل الدموع والدماء ، وكما قيل [**إن شجرة الإسلام لابد وأن تروى بدماء الشهداء**] فليكن زاد كل مؤمن في درب الإيمان (تقوى الله عز وجل) وأن يتحلى بالصبر ، ويتجمل بالاحتساب ، احتساب الأجر عند الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

وأخيراً لا أدعي أنني أحطت بهذا الموضوع المهم ، أو أنني أتيت على جميع جوانبه، أو أنني وفيته حقه ، فإن علمي أقل من ذلك ، وبضاعتي لا تربو إلى هذا ، ولكن ما هي إلاَّ لبنة وضعتها في بناء هذه العقيدة ، وفي صرح هذا التوحيد ، عسى أن أكون بذلك قد سددت ثغرة من ثغور الإسلام ، أو أن يهدي الله بي رجلاً يكون في ميزان حسناتي وفي صحيفة أعمالي يوم ألقاه . سائلاً المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهة الكريم ، خالصًا من الشرك والرياء ، وأن يجعله لي ستراً من النار ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يعفو عما أخطأت فيه ، ويتجاوز عما انزلقت فيه قدمي وزلَّ فيه قلمي .

فإن أصبت فمن الله وفضله وتوفيقه ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، سائلاً المولى عز وجل العفو والمغفرة ، هو ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلَّم .

***

أهم المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم . كلام الله تعالى .

٢ - تفسير الطبري « جامع البيان عن تأويل القرآن » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

٣ - تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي .

٤ - تفسير الكشاف للإمام الزمخشري .

٥ - تفسير البغوي « معالم التنزيل » للإمام الحسين بن مسعود البغوي .

٦ - تفسير ابن كثير للحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير .

٧ - تفسير ابن السعدي « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

٨ - تفسير « في ظلال القرآن » للأستاذ / سيد قطب .

٩ - صحيح البخاري « الجامع الصحيح » لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري .

١٠ - صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري .

١١ - سنن أبي داود لسليمان بن أشعث السجستاني .

١٢ - سنن الترمذي « جامع الترمذي » لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

١٣ - سنن النسائي « المجتبى » لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .

١٤- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجة القزويني .

١٥ - الموطأ للإمام مالك بن أنس .

١٦ - مسند الإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني .

١٧ - المستدرك للإمام محمد بن عبد الله الحاكم .

١٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي .

١٩ - شعب الإيمان للإمام البيهقي .

٢٠ - رياض الصالحين للإمام محيي الدين النووي .

٢١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٢٢ - صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٢٣ - غاية المرام في تخريج الحلال والحرام للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٢٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٢٥ - شرح صحيح مسلم للإمام محيي الدين النووي (طبعة دار الخير) .

٢٦ - تاريخ الأمم والملوك للإمام محمد بن جرير الطبري .

٢٧ - البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي .

٢٨ - فضائل القرآن للحافظ ابن كثير الدمشقي .

٢٩ - أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص .

٣٠ - أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي .

٣١ - جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي .

٣٢ - السيرة النبوية للشيخ عبد الملك بن هشام .

٣٣ - السيرة النبوية لابن حبان .

٣٤ - أسباب النزول لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي .

٣٥ – حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم بن عبد الله الأصفهاني .

٣٦ – العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي .

٣٧ – عون المعبود شرح سن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم .

٣٨ – تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للحافظ أبي علي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري .

٣٩ – مجموع الفتاوي (جمع عبد الرحمن بن قاسم) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٠ – اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية .

٤١ – منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٢ – الإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٣ – العبودية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٤ – التدمرية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٥ – العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٦ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٤٧ – مجموعة التوحيد للشيخين ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما .

٤٨ – بدائع الفوائد للعلامة ابن القيم الجوزية .

٤٩ – طريق الهجرتين وباب السعادتين للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٠ – مدارج السالكين للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥١ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٢ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٤ - أعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٥ - أحكام أهل الذمة للعلامة ابن القيم الجوزية .

٥٦ - كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٥٧ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

٥٨ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

٥٩ - سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن عتيق .

٦٠ - معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي .

٦١ - المحلى للعلامة أبي محمد علي بن أحمد بن حزم .

٦٢ - الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام .

٦٣ - كتاب التوحيد د :صالح فوزان الفوزان .

٦٤ - رسالة في تعريف العبادة وتوحيدها للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن بطين .

٦٥ - لا إله إلاَّ الله عقيدة وشريعة ومنهاج الحياة للشيخ محمد قطب .

٦٦ - هلم نخرج من ظلمات التيه للشيخ محمد قطب .

٦٧ - شبهات حول الإسلام للشيخ محمد قطب .

٦٨ - مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ محمد قطب .

٦٩ - معالم في الطريق للأستاذ / سيد قطب .

٧٠ - الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري .

٧١ - مختصر السيرة للشيخ عبد الله النجدي .

٧٢ - تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

٧٣ - وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه للشيخ عبد العزيز بن باز .

٧٤ - مجموع فتاوي الشيخ عبد العزيز بن باز للشيخ عبد العزيز بن باز .

٧٥ - الحديث والثقافة للشيخ مناع خليل القطان .

٧٦ - المجموع الثمين من فتاوي ابن عثيمين للشيخ محمد صالح العثيمين .

٧٧ - الإيمان حقيقته ، أركانه ، نواقضه للدكتور / محمد نعيم ياسين .

٧٨ - حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي .

٧٩ - الفكر الإسلامي المعاصر للأستاذ / غازي توبة .

٨٠ - جذور البلاء للأستاذ / عبد الله التل .

٨١ - الردة بين الأمس واليوم الدكتور / محمد كاظم حبيب .

٨٢ - الصحافة والأقلام المسمومة للأستاذ / أنور الجندي .

٨٣ - مكائد يهودية عبر التاريخ للأستاذ / عبد الرحمن الميداني .

٨٤ - الولاء والبراء في الإسلام للشيخ محمد سعيد القحطاني .

٨٥ - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية للشيخ محماس الجلعود .

٨٦ - الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم للدكتور / عبد الله إبراهيم الطريفي .

٨٧ - واقعنا المعاصر للشيخ محمد قطب .

٨٨ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور / محمد حسين .

٨٩ - بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي .

٩٠ - حب النبي ﷺ وعلاماته للدكتور / فضل إلهي .

٩١ - معركة السفور والحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل .

٩٢ - الحياء خلق الإسلام للشيخ محمد بن إسماعيل .

٩٣ - فيم كنتم حزب الله أم حزب الشيطان للشيخ محمد بن عبد الهادي المصري.

٩٤ - العقيدة الصافية للفرقة الناجية سيد سعيد عبد الغني .

٩٥ - البيان في صفات عباد الرحمن سيد سعيد عبد الغني .

٩٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي.

٩٧ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ترتيب مجموعة من المستشرقين.

٩٨ - لسان العرب لابن منظور .

٩٩ - المفردات للراغب الأصفهاني .

١٠٠ - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

الفصل الأول
ولاء المؤمن لكتاب الله

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني
ولاء المؤمن لدين الله تعالى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني
الولاء لليهود والنصارى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
البـراء

الفصل الأول
البراء من الكفار والمشركين

الصفحة | الموضوع

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث
البراد من العصاة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الرابع
معالم في طريق الإصلاح وإعداد النشء

الفصل الأول
حب التوحيد

الفصل الثاني
بغض الشرك

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الخاتمة

الموضوع الصفحة

* * *